

السلفيّة المعاصرة بين
الأصالة والتجديد

الطبعة الأولى

1445 هـ

2024 م

اسم الكتاب: السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد

التأليف: د. إبراهيم التراكوي

موضوع الكتاب: إسلامي

عدد الصفحات: 472 صفحة

عدد الملازم: 29.5 ملزمة

مقاس الكتاب: 17x24

عدد الطباعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2022 / 25515

التقييم الدولي: 1 - 977 - 278 - 977 - 978



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

دار البشير للثقافة والعلوم



elbasheer.marketing@gmail.com

elbasheernashr@gmail.com



01012355714 - 01152806533

السلفيّة المعاصرة بين الأصالة والتجديد

مصر والكويت نموذجا

دراسة نقدية مقارنة في ضوء الكتاب والسنة
مع مراعاة القواعد الكلية والمقاصد الشرعية

تأليف

د. إبراهيم التركاوي

دار البشير للثقافة والعلوم



إلى شـيـخي وأـسـتـاذي الأـسـتـاذ الدكـتـور / مـحـمـد السـيـد الجـلـيـنـد
إقـرـاراً بـفـضـله وعـرـفاناً لـجـمـيـله
فـقـد أـضـاء لـي الطـرـيـق، ولـولـاه - بـعـد اللـه - ما أدركت من دراساتي
العـلـيـا بـغـيـتي.
ولا بـلـغت المـرـاد مـنـها، فـجـزاه اللـه خـيـراً وبـارك في فـضـيـلـته

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله أولاً: فهو سبحانه صاحب الأمر كله، وصاحب الفضل كله، أنعم وتفضل، ووفق وهدى، وأتم وأسدَى ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ.. ﴾ [النحل: ٥٣]، فلولاً عون الله وتوفيقه ما كان لهذا الجهد المتواضع وجود. فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ثم أتقدم بوافر شكري وتقديري لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أبو اليزيد العجمي الذي شرفني بإشرافه على هذه الدراسة. وأسجل هنا ما أحاطني به من الرعاية والتحفيز ورحابة الصدر، وما أسداه إليّ من خالص النصيح والتوجيه، وشدة الحرص على أن يسير البحث في طريقه المستقيم، فجزاه الله خيراً وبارك في فضيلته.

كما أسجل هنا شكري وتقديري لفضيلة الأستاذ الدكتور/ المنشاوي عبد الرحمن إسماعيل، الذي حظيت هذه الدراسة بقراءته المتأنية الدقيقة، وملاحظاته المنهجية العميقة، وتوجيهاته السديدة؛ فجزاه الله خيراً وبارك في فضيلته عما بذل من وقت وجهد في تقويم هذه الدراسة.

كما لا يفوتني أن أسجل هنا شكري وتقديري للشيخين الجليلين/ الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي الذي وضع قدمي على طريق البحث العلمي، والأستاذ الدكتور/ محمد السيد الجليند، الذي أعانني على مواصلة الطريق، فجزاهما الله خير الجزاء، وأجزل لهما المزيد من الفضل والعطاء..

﴿.. رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

المقدمة

وتشتمل على العناصر التالية:

أ- أسباب اختيار موضوع الدراسة.

ب- أهمية الدراسة.

ج- إشكالية الدراسة.

د- الدراسات السابقة.

هـ- صعوبات الدراسة.

و- منهج الدراسة.

ز- محتويات الدراسة.

مقدمة

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد السيد الجليند^(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على إمامنا ومعلم البشرية الخير، سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن الكتابة عن السلف والسلفية في عصرنا الحاضر محفوفة بكثير من المحاذير لكثرة المعلومات الشائعة والمغلوبة المنسوبة إلى السلف على يد كثير من المشتغلين بالإعلام من جانب، وأيضاً على ألسنة كثير ممن يدعون الانتساب إلى السلف ويمثلون السلفية في عصرنا من جانب آخر. لقد أصبحت كلمة (سلفي) تهمة ثقافية يقذفها الإعلام في وجه من لا يرضى عنه ثقافياً أو سياسياً، إنه رجعي متخلف ظلامي ضد التطور والتقدم.

ولعل السبب في شيوع هذه الافتراءات: أن بعض المنتسبين إلى السلف في عصرنا الحاضر لم يعرفوا عن السلف إلا ما ظهر لهم من الشكل والمظهر؛ فأخذوا يتنافسون في التعبير عن سلفيتهم بطول اللحية وتقصير الثوب، وأحياناً إظهار السواك والإعلان عنه عند كل صلاة. وربما نشأ خلاف بينهم حول وضع اليد في الصلاة، هل توضع اليد فوق الصدر أو تحت الصدر وأسفل البطن...

(١) الأستاذ الدكتور / محمد السيد الجليند: أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.. ولد الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند بإحدى قرى مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية - مصر، وذلك في يوم السابع من شهر فبراير ١٩٤٠م، حصل فضيلته على الماجستير في الفلسفة الإسلامية سنة ١٩٧١م، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية سنة ١٩٧٥م، لفضيلته العديد من المؤلفات، والعديد من الدراسات في مجال تحقيق التراث، والعديد من البحوث والدراسات التي نشرت في المجلات الثقافية.. وقد شارك فضيلته في العديد من المؤتمرات العلمية في العديد من البلاد العربية والإسلامية.. للمزيد من الاطلاع على السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند، انظر: (موقع الدكتور محمد السيد الجليند) http://www.dr-mohamedelgalaind.net/?page_id=979

هذه الأمور التي تعبر عن «المظهر والشكل» أكثر مما تعبر عن أصول «المنهج» السلفي وثوابته التي كانت محل الاهتمام للتعبير عن النسب السلفي أكثر من غيرها. لقد أسهم كثير من المنتسبين إلى السلف في تشويه كل ما هو سلفي إن حقاً وإن باطلاً؛ بسبب تمسكهم بالظواهر والشكليات وغيابهم عن الأصول والكليات، مما جعل مسلكهم هذا داعياً إلى التنفير أكثر من الترغيب.

ومما ينبغي أن يعرفه المثقفون والإعلاميون في عصرنا: أن السلفية ليست «مذهباً فلسفياً» له أصوله النظرية التي يتبناها ويدعو إليها السلفي، وليست السلفية «مذهباً سياسياً» يتبنى نظرية في السياسة والحكم يعمل من أجلها، وليست «فرقة كلامية» تنتسب إلى مؤسسها كالمعتزلة والأشاعرة، وليست السلفية «طريقة صوفية» تنتسب إلى قطب أو شيخ يلتف حوله مريدوه يتمسحون به ويلتمسون منه البركة والدعاء.

إن السلفية في حقيقتها (منهج) يستمد شرعيته - في أصوله وفروعه - من الكتاب الكريم، والسنة النبوية بفروعها الثلاثة (القولية، والفعلية، والتقريرية).. إنها اتباع للرسول وما أثر عنه من الصحابة في الأقوال والأفعال التي تعبر عن ثوابت العقيدة وأصولها التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا يصح إيمان المرء إلا بها.. إنها اجتهاد في حسن تنزيل القواعد الكلية فقهاً وتشريعاً على واقع المسلم حسب ما تقتضيه ظروفه الزمانية والمكانية، وأحواله الاجتماعية والثقافية؛ فيجمعون في موقفهم بين ثبات الأصول وتطور الفروع في ضوء القواعد الكلية الشرعية.

إن السلفية ليست جموداً ولا هي دعوة إلى التخلف كما يحاول البعض أن يصورها كذباً وافتراء على الله ورسوله. إن السلف كانوا يطلبون العلم الدنيوي ولو (بالصين)، وكانوا يسعون إلى تحصيله والإفادة منه تعبدًا وتقرباً إلى الله؛ لإيمانهم

بأن طلب العلم والتعلم عبادة دعا إليها القرآن وأمر بها. إن نهضة الأمة والسعي إلى النهوض بها سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا من أوليات ما سعى السلف إليه.

إن النسب الشريف إلى سلف الأمة (علمًا وعملاً) أمانة يتحملها صاحبها باعتباره دعوة إلى كل ما دعا إليه الرسول وصحابته من طلب العلم أيًا كان مصدره، وطلب الحكمة والأخذ بها ولو كانت على لسان كافر لا يدين بالإسلام ولا يعرفه. إن النسب إلى سلف الأمة أمانة يجعل صاحبه مسؤولاً أمام الله والتاريخ عن الأخذ بسنة الرسول وصحابته في فقه الأولويات وما يجب اعتباره، وفقه الواقع وما يجب الأخذ به حسب واقع الزمان والمكان في السلوك والعمل، فلا يقدم المندوبات على السنن، ولا يقدم السنن على حساب الفروض والواجبات كما هو حاصل في صفوف المنتسبين إلى السلف في عصرنا الذين يقتتلون تعصبًا لرأي شيخ من شيوخهم حول قضية لا يعلو سندها الشرعي عن كونها مندوبة، ويضيعون في سبيل ذلك أوجب الواجبات من الفرائض أو الواجبات. لعل أقلها ما أوصى به القرآن: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فِي دِينِكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إن غياب المنتسبين إلى السلف عن فقه الأولويات في عصرنا، وغياهم عن فقه الواقع أوقعهم في كثير من الأخطاء التي شوّها بها (المنهج السلفي) الذي يدعو إلى عدم التعصب وقبول العذر والاعتذار الذي هو من شيم السلف الصالح، فربما يكون مخالفك في الرأي يجهل الحكم الشرعي، والعذر بالجهل مقبول.

نعم، إن الكتابة عن السلف والسلفية في عصرنا محفوفة بالمحاذير لكثرة ما يحوطها من اتهامات (دينية) وأحياناً سياسية، لكن الباحث العالم الدكتور/ إبراهيم التركاوي خاض هذه المعركة بشجاعة علمية جمعت بين أطرافها، علماً بأصول المسائل، وخبرة بالواقع الذي اختاره كنموذج عملي للسلفية المعاصرة.

لقد اختار الباحث (السلفية) في مصر و(السلفية) في الكويت، وهما من أكبر الممثلين لهذا المنهج حسب اختيار الباحث في واقعنا العربي؛ فالسلفية في مصر ينتسب إليها جماعة أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية ولكل من هاتين الجمعيتين نشاط ثقافي واجتماعي يشمل جمهورية مصر العربية مدنها وقراها على سواء، مع ظهور حزب يسمى (حزب النور) يحمل شرف هذا النسب ويمثله سياسيًا.

أما السلفية في الكويت فهي أكثر من غيرها نشاطًا وتأثيرًا في العالم كله؛ لتمكنها من رسم خريطة العمل التي تتضح فيها ملامح (فقه الأولويات وفقه الواقع) أكثر من غيرها، يضاف إلى ذلك: أن معظم أبنائها علماء متخصصون في أصول الدين وفروعه، وليسوا أدعياء أو دخلاء على المنهج، فتجد بينهم عالم الفقه وأصوله، وعالم العقيدة وأصول الدين، والمؤرخ والطبيب..

ولقد تناول الباحث منهج هذين النموذجين في مصر والكويت بالتحليل والنقد والمقارنة بعبارة رصينة وأسلوب سهل ممتنع جمع بين مفرداته خبرة العالم وأمانة النقل، وحسن توظيف النصوص وحكمة التآني في وضع المقدمات التي تقود إلى الحكم السديد.

إن الدراسة التي قدمها الدكتور إبراهيم التركاوي جمعت بين النظر والتطبيق، بين النظر في أصول (المنهج) وخطواته وضوابطه، و(التطبيق) على سلوك هذين النموذجين، وبين ما لدى كل نموذج من حظ الموافقة في الاجتهاد بالرأي والاتباع أخذًا بالنقل الصحيح.

ولا شك أن هذا العمل يمثل قطرة أول الغيث الذي سوف تجود به قريحة الدكتور إبراهيم من فيض علمه وواسع خبرته بأصول السلف ومنهج الاقتداء بهم، والأخذ عنهم، هذا فضلًا عن أن الدكتور إبراهيم يتميز بصفات العالم

المتمكن من مادته العلمية التي تفيض على صفحات عمله العلمي في المفردات والجميل والتراكيب اللغوية، مما يدل على أنك تقرأ لعالم في اللغة والنحو والبلاغة والأدب، كل ذلك في تواضع العلماء، فلم يُوجَّه إلى مَنْ يخالفه الرأي اتهاماً أو حكماً دينياً بالبدعة أو... أو...، وهذا خلق العلماء العاملين.

زاده الله علماً وتواضعاً، ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

الأستاذ الدكتور / محمد السيد الجليند

٢٧ / ١١ / ٢٠٢١ م

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وعلى من والاه..

وبعد...

لا يخفى على أحد أثر الجماعات السلفية بين مسلمي العصر في نشر الاتجاه السلفي الذي يدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة في تفهم العقيدة، والتعرف على أحكام الشريعة، والحرص على تنقية ماعلق بالعقيدة والعبادة من أكدار وأوهام..

لقد بلغت الدعوة السلفية أنحاء بعيدة من العالم الإسلامي؛ بجهود الجماعات السلفية التي قامت في الكثير من بلدان المسلمين؛ حتى أصبحت موضع اهتمام وعناية من قبل معظم مراكز الدراسات والأبحاث المحلية والعالمية.

لقد ظهر التيار السلفي المعاصر في (مصر) في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، وعمت مظاهر التدين في معظم مظاهر الحياة في المجتمع، وانتشرت الأفكار السلفية لدى قطاع واسع من الناس، وامتد أثرها إلى خارج نطاق البلاد..

وفي مطلع السبعينيات من القرن الماضي، شهدت الساحة الخليجية الصعود الجديد والمتسارع في قوة التيار الإسلامي ونفوذه، وظهر التيار السلفي في (الكويت)، الذي يمثل تجربة تستحق التركيز وإلقاء الضوء عليها بشكل دائم، خاصة أنها أصبحت حالة خاصة تختلف عن التيارات السلفية الأخرى في المنطقة العربية وخارجها، سواء من ناحية السبق في المشاركة السياسية، أو من ناحية المشاركة في المواقع الخدمية والنشاطات، التي تعددت صورها، وامتد

أثرها إلى مناطق عديدة في العالم، مما جعلها تقدّم نفسها على أنها نموذج مغاير لم ترتق إليه التيارات السلفية الأخرى في المنطقة العربية وخارجها.

هذا وقد صاحب انتشار (المدّ السلفي المعاصر) الكثير من الإشكاليات التي أثارها حيثما كان؛ مما جعل التحريف والتشويه يطولان صورة السلف الحقيقية التي احتفظت بها ذاكرة الأمة عبر التاريخ..!

أ- أسباب اختيار موضوع الدراسة:

لقد وقع الاختيار على (التيار السلفي) في مصر والكويت - دون غيره من التيارات السلفية في الدول الأخرى - في موضوع هذه الدراسة (السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد.. مصر والكويت نموذجا)، والذي شُغِلت به منذ زمن..، وذلك للأسباب التالية:

١- تجديد سيرة السلف الصالح، الذين كانوا أقل منا عدداً وعدة، بيد أنهم امتلكوا زمام العالم بجدارة، فكانوا أساتذة الدنيا في فن الحكم، ورعاية الجماهير، وحماية الحقوق، وتركيز السرائر، وبناء الأخلاق الحسنة، ودعم التقاليد الجميلة.. ذلك كله في سياق من التوحيد الخالص، والعبادة النقية.. وما كان ليتّم لهم ذلك كله إلا بالارتقاء العقلي والأدبي والتشريعي والسياسي؛ ولذا كان الارتباط بالسلف هو هدف المصلحين في عصرنا.

٢- حاجة السلفية المعاصرة إلى مراجعة ذاتية: تحدّد خطأ موقعها وصوابه من قواعد المنهج السلفي نفسه، في جوانبه الاجتماعية والثقافية والتربوية، وتخرجها من حالة الإصرار على التوقف عند قضايا العقيدة فقط، وعند بعض مسائلها فقط، وإثارة المشكلات حول قضية الذات والصفات بمناسبة وغير مناسبة، وبعث الخلافات التاريخية القديمة حول هذه القضايا من جديد..، إن إثارة هذه

المشكلات دليل على أن أصحابها يعيشون خارج العصر ومشكلاته؛ مما يدل على مدى حاجتهم الملحة إلى تفكير نقدي ذاتي يمكنهم من الإصلاح والتجديد.

٣- الإساءة إلى المنهجية السلفية: وذلك بما صدر على يد المنتسبين إلى التيار السلفي المعاصر من مظاهر تشويه، مثل:

- التنطع في دقائق العقائد دون داع شرعي، كالتقعر لا اليسر في تعليم التوحيد... وهو ما لا ينسجم مع منهج السلف القائم على البساطة، وتجنب الخوض في تلك الأمور إلا للضرورة.

- التشدد في فروع وجزئيات في الوقت الذي يضيِّعون من أجلها أصولاً وكمليات، فقد تأخذ سنن ونوافل وفروع تحتل الرأي - حجماً لم تأخذه فروض عين وكفاية، وشعب إيمان لا خلاف حولها..

- القصور في الفهم لكثير من القضايا... كفهم (الولاء والبراء) دون مقصده في الكتاب والسنة، وما ترتب على ذلك من غياب البعد الإنساني والعالمي في التعامل مع الآخر، وغير ذلك من القضايا التي تعرضت لها هذه الدراسة.

٤- التطلع إلى تقويم وتجديد فكر السلفية المعاصرة بمنهج السلف الصالح الذي اتسم بسلفية الأصول، وعصرية المواجهة..

ب- أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

- تناول (التيار السلفي) المعاصر الذي هو أولى وأحق بأن تتجه إليه الدراسات والبحوث بالتجديد والإصلاح؛ لأن تجديد هذا التيار وإصلاحه يمثل نقطة فارقة في حاضر الأمة ومستقبلها، فهو يعبر عن هوية الأمة وأصالتها

من جانب، كما أنه سيقود إلى خير كبير للمجتمعات العربية والإسلامية؛ نظرًا إلى حجم التيارات التي تأثرت به في مختلف أصقاع العالم الإسلامي من جانب آخر.

٢- الاهتمام بغرس المفاهيم والتصورات الصحيحة مكان تلك التصورات الخاطئة التي جانبها الصواب بسبب ما علق بفكر الأمة من غابر موروثات ثقافتها وتقاليدها، وبسبب ما نشب بين فرقها وعصبياتها من صراعات، بلغت بالأمة إلى ماهي عليه اليوم من حال يرثى لها. فتصحيح الأفكار المعوجة، والمفاهيم المغلوطة، والعودة بها من قامتها التي رُسمت في عقولنا وشكلت حياتنا إلى قامتها القرآنية، له الأولوية والتقديم على غيره..

٣- محاولة الغوص في أعماق الإشكاليات البنيوية للسلفية المعاصرة، والبحث في جذورها، سعيًا لتفكيك هذه الإشكاليات ومعرفة أسبابها الأولية والتراكمية، وصولاً لمعالجة قادرة على إعادة بناء تيار يرتبط بأصالة المنهج السلفي الأول، ويواجه أزمت العصر وتحدياته، وينفتح على فهم متجدد للنصوص ومقاصدها، يسمح بتنزيلها على الواقع بما يسهم في عمارة الأرض وتحقيق الشهود الحضاري للأمة.

٤- البعد عن إحياء القضايا أو المعارك القديمة التي تجاوزها الزمن، والتركيز على قضية الاجتهاد والتجديد تجاه (القضايا المعاصرة) - ذات الأهمية والفعالية والجوهرية المتعلقة بمصير الأمة حاضراً ومستقبلاً -، بعقول تعزز بماضيها، وتفقه حاضرها، وتستشرف مستقبلها.

ج- إشكالية الدراسة:

لاشك أن عنوان هذه الدراسة (السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد.. مصر والكويت نموذجًا)، يحدد الإشكالية التي يصبو البحث إلى معالجتها،

وهي واقع السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد، أو بتعبير آخر: ما واقع السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد؟

وفي خضم ذلك يمكن طرح التساؤلات الفرعية الآتية:

١- ما حقيقة السلفية المعاصرة بين المذهب والمنهج؟

٢- وما هي أصول المنهج السلفي وخصائصه عند السلفية المعاصرة في مصر والكويت؟

٣- وما واقع السلفية المعاصرة في مصر والكويت؟

٤- وهل واقع السلفية المعاصرة في مصر والكويت يستجيب لحركة الحياة، بمعاصرة القضايا المطروحة والقدرة على حلها، أم أن هناك إشكاليات تحول بينه وبين التجديد؟

٥- وهل السلفية المعاصرة في حاجة إلى التجديد لمواجهة قضايا العصر؟

٦- وما هي الأسس العامة لتجديد فكر الجماعات السلفية المعاصرة في مصر والكويت؟

هذه هي أهم التساؤلات التي سوف تجري الإجابة عليها في هذه الدراسة.

د- الدراسات السابقة:

فقد كتبت بحوث كثيرة حول (السلفية المعاصرة)، منها بعض الجهود المشكورة في بعض الكتب التي تعالج جانباً أو بعض الجوانب دون الأخرى، ومنها:

- دراسة بعنوان (الاتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة)^(١)، والتي انتهت

(١) أ.د. راجح الكردي رحمه الله الاتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة، دار عمار بعمان الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

إلى الحاجة إلى سلفية دعوية أصولية، تقدر أصل الاحتجاج قواعد، ومصادر. وتحترم تجارب علمائنا ومفكرينا في سلفياتهم السابقة.. وهذا البحث رغم صغره إلا أنه من البحوث المهمة التي خدمت هذه الدراسة من ناحية التأكيد على المنهجية السلفية في مواجهة مشكلات العصر.

٢- ومنها دراسة بعنوان (الدعوة السلفية في دولة الكويت واقعها ومشكلاتها من ١٣٨٥هـ إلى ١٤١٤هـ) بتاريخ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، نال بها صاحبها^(١) درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والدراسة تهتم ببيان واقع الدعوة السلفية في دولة الكويت، والبحث عن جذورها وأصالتها في المجتمع الكويتي، والتعرف على أهم المشكلات التي واجهتها، ونلاحظ أن الدراسة اقتصرت على التأصيل التاريخي للوجود السلفي في الكويت، دون التعرض للجانب النقدي أو الحاجة إلى الإصلاح والتجديد، ولذلك خلصت إلى فضل الدعوة السلفية في نشر الدعوة الصحيحة في كل مكان من العالم يمكن الوصول إليه، بالإضافة إلى العمل الإغاثي ولا سيما في المناطق المنكوبة من العالم..

٣- ودراسة بعنوان (ما بعد السلفية قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر)^(٢)، وهذه الدراسة تدور حول تحليل خطاب السلفية المعاصرة بتنوعاته المختلفة، وإظهار مآلات هذا الخطاب في تنوعاته واختلافه، ضمن الراهن اليوم، الذي تدل شواهد على تراجع وانحسار لجاذبية السردية الكبرى التي نسجتها السلفية المعاصرة، وقدمتها لواقعها، واجتذبت بها أنصارها. ولقد أفدت من هذه الدراسة من خلال تحليلها لواقع الاشتغال الأصولي عند السلفية المعاصرة..

(١) الباحث هو: عبد الحميد بن خليفة بن محمد الشايجي.

(٢) الدراسة للباحثين: أحمد سالم وعمر وبيسوي، وهي من إصدار مركز نداء للبحوث والدراسات، ط١، بيروت، ٢٠١٥م.

٤- ودراسة بعنوان (الاتجاهات السلفية في مصر في العصر الحديث)، وهي رسالة نال بها صاحبها^(١) درجة الدكتوراه من قسم الفلسفة الإسلامية بدار العلوم، جامعة القاهرة سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٧م. والرسالة خلصت إلى أن هناك اتجاهين للسلفية في مصر في العصر الحديث: اتجاه متشدد ويمثله الفكر التكفيري، وأنه لا يمثل المنهج السلفي الصحيح، واتجاه معتدل وتمثله الجماعات والجمعيات الدعوية على الساحة المصرية وأبرزها جماعة أنصار السنة المحمدية. ونلاحظ أن الباحث لم يتعرض من قريب أو من بعيد للجماعات السلفية التي ظهرت في السبعينيات من القرن الماضي، ووقف عند جماعة أنصار السنة المحمدية ولم يتجاوزها إلى ما بعدها.

ومع ما تقدم من دراسات عن السلفية المعاصرة وغيرها كثير، إلا أنه لم توجد دراسة سابقة - في مبلغ علمي - تعرضت للمقارنة بين (السلفية المعاصرة) في مصر والكويت من جانب، كما لا توجد دراسة تعرضت لموقف السلفية المعاصرة من قضايا التقدم والنهوض، والغوص في أعماق الإشكاليات البنيوية للسلفية المعاصرة وتقويمها، وتصحيح المفاهيم والعودة بها إلى قامتها القرآنية، والتركيز على قضية الاجتهاد والتجديد في ضوء المقاصد الشرعية، والمصالح الضرورية للأمة من جانب آخر، كما تعرضت هذه الدراسة.

هـ- صعوبات الدراسة:

- إن جماعات (السلفية المعاصرة) وإن كانت تجمعهم ملامح عامة إلا أنهم ليسوا نسقاً واحداً، فهم جماعات متعددة، إضافة إلى غياب المرجعية العلمية الموحدة، وهذا يتطلب من الباحث مزيداً من الجهد المتشعب في البحث والقراءة والاطلاع على جُلِّ ما كتب حول السلفية المعاصرة، مما جعل وفرة المادة العلمية

(١) الباحث هو: خليفة الصغير على محمد.

بغزارة وضعت مَنْ يكتب في حيرة شديدة، من أي النصوص يختار، وفي أي النصوص يكتب لدرجة أن ما تُرك أضعاف أضعاف ما كُتب!

- ندرة الكتب السلفية الصادرة عن شيوخ السلفية المعاصرة، فجلُّ ما صدر من أدبياتهم عبارة عن تسجيلات مفرّغة من محاضراتهم ودروسهم الشفهية، وهذا ما جعل أكثرها يفتقر إلى منهجية الكتابة، مما يتطلب من الباحث المزيد من الجهد والبحث والعناء، وطول النفس في تحرير المسائل وتأصيلها.

- ما أحيط بصاحب هذه الدراسة من حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيها، لولا ستر الله وفضله ورحمته.

هـ- منهج الدراسة:

إذا كانت هذه الدراسة يغلب عليها المنهج النقدي والمقارن، وذلك من خلال النقد والتقويم لمواطن الخلل والإشكاليات التي أثارها السلفية المعاصرة في مصر والكويت، إلا أن المناهج الأخرى كالوصفي والتحليلي والتاريخي قد تداخلت بصورة متكاملة، فرضتها طبيعة هذه الدراسة، فيبدو المنهج الوصفي في وصف واقع الجماعات السلفية وأفكارها كما هي في أرض الواقع، والمنهج التحليلي في محاولة الغوص في أعماق الإشكاليات البنيوية للسلفية المعاصرة، والبحث في جذورها، سعيًا لتفكيك هذه الإشكاليات ومعرفة أسبابها الأولية والتراكمية، وصولاً لمعالجة قادرة على إعادة بناء تيار يرتبط بأصالة المنهج السلفي الأول، والمنهج التاريخي في البحث عن أصول المنهج السلفي الأول؛ لنفهم في ضوئه واقع الجماعات السلفية المعاصرة..

ز- محتويات الدراسة:

قد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة ومدخل مفاهيمي وأربعة فصول وخاتمة:

١- المقدمة: وضحت فيها سبب اختيار موضوع الدراسة، وأهمية هذه الدراسة، كما بينت إشكالية الدراسة، والدراسات السابقة عليها، والصعوبات التي واجهت الدراسة، وأشارت إلى المنهج المتبع فيها، والتقسيم الذي سارت عليه هذه الدراسة.

٢- مدخل مفاهيمي: وقد اشتمل على التعريف بمفاهيم الدراسة، وهي: السلفية المعاصرة - الأصالة - التجديد - المذهب والمنهج.

٣- الفصل الأول: أصول المنهج السلفي وخصائصه: وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول تناولت السلفية بين المذهب والمنهج، وفي المبحث الثاني تناولت أصول المنهج السلفي والتمهيد له، وفي المبحث الثالث تناولت خصائص المنهج السلفي.

٤- الفصل الثاني: السلفية المعاصرة في مصر والكويت: وقد اشتمل على ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول تناولت واقع السلفية في مصر، وفي المبحث الثاني تناولت واقع السلفية في الكويت، وفي المبحث الثالث بينت أهم أوجه الاتفاق والاختلاف بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت.

٥- الفصل الثالث: إشكاليات التجديد عند السلفية المعاصرة: وقد اشتمل على أربعة مباحث، ففي المبحث الأول تناولت إشكالية الجمود الفكري، وفي المبحث الثاني تناولت إشكالية التعصب الديني، وفي المبحث الثالث تناولت إشكالية الغلو والتشدد، وفي المبحث الرابع تناولت إشكالية الخلل في ترتيب الأولويات.

٦- الفصل الرابع: ضرورة الاجتهاد والتجديد لفكر الجماعات السلفية المعاصرة: وقد اشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث، ففي التمهيد تناولت أهمية الاجتهاد والتجديد وموقف السلفية المعاصرة من الاجتهاد والتجديد، وفي المبحث الأول تناولت السلفية المعاصرة والأسس العامة للاجتهاد والتجديد، وفي المبحث الثاني تناولت التجديد لموقف السلفية المعاصرة من بعض القضايا (دراسة تطبيقية)، وفي المبحث الثالث تناولت الخصائص المنشودة للسلفية المعاصرة في مستقبلها التجديدي الواعد.

٦- الخاتمة: لخصت فيها أهم النتائج التي استخلصتها من هذه الدراسة.

- ومن المهم هنا أن ننوه إلى أمرين مهمين، هما:

١- أن هذه الدراسة، وإن كانت تتناول جماعات (السلفية المعاصرة) في مصر والكويت، إلا أن مجمل الأفكار تشمل معظم الجماعات السلفية في الأقطار الأخرى من جانب، ومن جانب آخر فهي قاسم مشترك - بنسب متفاوتة - عند معظم الجماعات العاملة للإسلام؛ بسبب الاستدعاءات التراثية والتصورات التي يحملها مجمل التيار الإسلامي..

٢- أن هذه الدراسة من قلب المعاناة؛ فصاحب هذه الدراسة قد عاش معاناة الصحوة الإسلامية منذ مطلعها في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، وأحس بالآلام وآمالها، وعرف ما كان يحمله أبناء الصحوة - على اختلاف فصائلهم - من آمال كبيرة، وعزائم صادقة، وبواعث خيرة، وعرف أيضاً أن بعض العاملين للإسلام لا ينقصهم الحماس والغيرة على الدين، وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه..؛ فإن سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل خطأ في الأصول والفروع، وإن حسن الفهم عن الله ورسوله أصل كل سعادة، وما أعطي عبد بعد الإسلام أفضل ولا أجل من صحة الفهم وحسن القصد..!

وبعد فإن هذا الجهد المتواضع الذي أقدمه عن (السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد - مصر والكويت نموذجا)، قد لا يخلو من نقص ككل عمل بشري، يُستدرَك عليه كلما أعيد النظر فيه، فإنه لا يخلو من الخطأ كتاب إلا كتاب الله تعالى، ولكن حسبي - ويعلم الله - أني لم أدخر جهداً ولا وسعاً من أجل أن تحظى هذه الدراسة بأكبر قدر من السداد والتوفيق..

أسأل الله أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه، وأن يجعله صواباً، وأن لا يجعل لأحد فيه شيئاً.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مدخل مفاهيمي
للتعريف بمفاهيم الدراسة

التعريف بمفاهيم الدراسة

- تمهيد.
- أولاً: السلفية المعاصرة.
- ثانياً: الأصالة.
- ثالثاً: التجديد.
- رابعاً: المذهب والمنهج.

تمهيد

إنَّ أولَ وأهمَّ ما نبدأ به هذه الدراسة: هو تحديد المصطلحات وضبط المفاهيم وتقويمها، وفق الأصول المرجعية (الكتاب والسنة)، ووفق ما يتواءم وروح الإسلام وقواعده الكلية؛ ووفق مقتضيات مشكلة البحث وطبيعته.

إنَّ أكثر ما يضرُّ بأمّتنا وبثقافتنا هو أن تكون المصطلحات هلامية - دون تحديد - تحتل أكثر من معني، وتفسّر أكثر من تفسير، فيفسرها مَنْ شاء بما شاء وفقاً لهوى، أو تبعاً لانتهاز معين، فتختلط المفاهيم، وتضطرب المعايير، ويبنى الناس تصوراتهم على مفاهيم مغلوطة، تُشيع البلبلة والفوضى الفكرية، وتكرّس التخلف والتبعية..

ولذا كان «الأصل في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد: اختلاط الأسماء، ووقوع اسم واحد على معان كثيرة؛ فيخبر المخبر بذلك الاسم وهو يريد أحد المعاني التي تحته، فيحمّله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والإشكال، وهذا في الشريعة أضرُّ شيء وأشدُّه هلاكاً لمن اعتقد الباطل، إلا مَنْ وفقه الله تعالى»^(١).

وبنظرة إلى واقعنا المعاصر، وما تموج به الساحة الفكرية من الفوضى الشائعة في مضامين المصطلحات، نجد أن معظم مثقفينا من العلمانيين قد أصبحوا أسرى المصطلحات الغريبة، بل ينظرون إلى المصطلحات ذات الأصول الإسلامية بعيون غريبة استشرافية، غافلين أنَّ لكل أمة مصطلحاتها التي تعبّر عن ثقافتها الخاصة، وأصالتها المتميزة..

(١) ابن حزم. ت (٤٥٦هـ) - الإحكام في أصول الأحكام: (٨/ ١٠١)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، د. ت.

وعلى سبيل المثال، فإن مفهوم (الأصالة) يختلف عندنا عن المفهوم الغربي الذي يخالطه كثير من الإحساس بالاستغناء أو التمرد على القديم؛ بسبب الفكر الذي ساقته نظرية التطور والعلمانية المادية، وبسبب ما عانته أوروبا في تاريخها الطويل مع ماضيها الكنسي؛ مما جعلهم يفصلون فكرهم الحديث عن تراثهم الديني..

كما أن مصطلح (التجديد) في الفكر الإسلامي يتميز عن مفهوم الإصلاح الديني في الفكر الغربي النابع من رجال الدين، وقراراتهم الشخصية، وحقهم المقدس المزعوم في التشريع. أما في الإسلام فإن (التجديد) مسألة شرعية وميزة من مميزات خلود الدين وبقائه، وقوة من القوى التي اعترف الإسلام بها باسم (الاجتهاد)، وعامل من عوامل الحراسة لدين الله وشرعه^(١).

والحق، أن المصطلحات والمفاهيم لم تتعرض للتحريف والتزييف من قبل المتغربين فحسب، بل تعرضت للجمود والتقزيم والتعصب من قبل بعض الجماعات العاملة للإسلام وغيرها، خاصة في عهود التخلف والتراجع؛ مما عوّق مسيرة الأمة عن التقدم والنهوض نتيجة هذا الفهم المأزوم للمصطلحات والمفاهيم، الذي بُعد بها عن روح الإسلام، وعن قواعده الكلية ومقاصده الشرعية..

أولاً: السلفية المعاصرة:

١ - السلفية:

أ - (السلف لغة): السين واللام والفاء أصل يدل على تقدّم وسبق، ومن ذلك السلف: الذين مضوا، لقوم (السُّلُوفُ): المُتَقَدِّمُونَ^(٢). و(السلف)، مُحَرَّكَ: السَّلَفُ،

(١) انظر: د. راشد بن سعيد شهوان - الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة الرياض، ١٤٠٧هـ، ص: ٢٠١.

(٢) أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين المتوفى سنة ٣٩٥هـ - معجم مقاييس اللغة - دار الفكر - ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٣ / ٩٥.

اسم من الإسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمُقَرَض، وعلى المقترض رُدُّه كما أخذه، وكل عمل صالح قدمته، أو فَرَطَ فَرَطَ لكَ، وكل من تقدمك من آبائك وقرابتك، ج: (سُلاف وأسلاف)^(١). و(سَلَفٌ) يَسْلُفُ بالضم (سَلَفًا) بفتحتين أي مضي. والقوم (السُلاف): المتقدمون. و(سَلَفٌ) الرجل آباؤه المتقدمون^(٢)..

ب - (السلف اصطلاحًا): قد أشار الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) إلى المعنى الاصطلاحي الذي يفيد أن لفظ (السلف) يعني خير القرون الذين أشار إليهم النبي ﷺ في حديثه، وأن الخلف مَنْ كانوا غير ذلك^(٣).

فإذا ذهبنا لتحديد مصطلح (السلف) عند كبار أهل الاختصاص من المعاصرين، نجده - غالبًا - لا يخرج عن مضمون التعريف السابق.. فالمراد تاريخيًا (بالسلف) الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الأولى، فأصبح مذهب السلف علمًا على ما كان عليه هؤلاء، وَمَنْ تبعهم من الأئمة..^(٤).

فإذا قيل (السلف) فإن اللفظ ينصرف إلى أهل القرون الثلاثة الأولى التي وصفها الرسول بأنها خير القرون، وأمرنا بالاعتداء بهم والأخذ عنهم والاحتجاج بسلوكهم وبرأيهم عند غياب النص^(٥).

إذن (السلفية) تعني العودة إلى الأصول، وإلى الجذور، وإلى منابع، إلى خير قرون هذه الأمة وأقربها إلى تمثيل الإسلام فهمًا وإيمانًا وسلوكًا والتزامًا.

وإذا ذهبنا لتحديد مصطلح (السلف) عند السلفية الإصلاحية المعاصرة أو

(١) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ - القاموس المحيط - مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ١٠٦٠.

(٢) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح - مكتبة لبنان ط ١٩٨٩ م، ص ٢٧٢.

(٣) أ.د. أبو اليزيد العجمي - فقه العقيدة عند الشافعي وأحمد - دار الصحوة للنشر - ط ١، ١٩٨٧ م، ص: ٥٨، وانظر: القاضي عياض - ترتيب المدارك، ٢ / ١٧٩، تحقيق: محمد بن تاووت الطنجي.

(٤) أ.د. مصطفى حلمي - قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - ط ٢ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص: ١٨٧.

(٥) أ.د. محمد الجليند - منهج السلف ص: ١٠.

رواد الدعوة السلفية المعاصرة، نجده لم يخرج عن المضمون السابق، فهو عند - السلفية الإصلاحية - : «فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى..»^(١).

و(السلف) - عند السلفية المعاصرة - هم «الصحابة، والتابعون، وتابعوهم من أهل القرون الخيرية الثلاثة الأول، التي أشار النبي ﷺ إلى خيريتها، فقال ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(٢)،^(٣).

وكما رأينا، يذهب الأكثرون على أن (السلف) هم أهل القرون الثلاثة الهجرية الأولى، إلا أن هذا «السبق الزمني المحدد بالقرون الثلاثة الأولى لا يكفي وحده لتحديد المراد بلفظ (السلف) والمقصود منه، وإنما لابد أن يضاف إلى ذلك ضرورة الموافقة التامة للكتاب والسنة نصاً وروحاً، فمن خالف الكتاب والسنة فلا يعتبر من السلف المقصودين بهذا اللفظ وإن كان يعيش بين أظهر الصحابة والتابعين»^(٤).

٢ - المعاصرة:

أ - المعاصرة لغة: على وزن مفاعلة من العصر، وللعصر عدة معان، أهمها وقت وجوب صلاة العصر، وهو الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس. وعاصر فلاناً لجأ إليه ولاذ به وعاش معه في عصر واحد (كما في المعجم الوسيط). والعصر، الدهر وجمعه: أعصار وعُصور وأعصر وأعصر. والعصر: اليوم واليلة.. وأعصر: دخل في العَصْر..^(٥).

(١) الإمام محمد عبده - الأعمال الكاملة - تحقيق وتقديم أ.د. محمد عمارة - دار الشروق، م. ١ - ط ١ - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ١٨٤، ١٨٣.

(٢) الحديث متفق عليه، البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) أحمد فريد - السلفية قواعد وأصول، جمع وترتيب - دار العقيدة، ط ٢، ٢٠١١ م، ص ٤.

(٤) أ.د. محمد الجليلند - قضية التأويل عند ابن تيمية - المكتبة الأزهرية للتراث - ط ٥ - ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م، ص ٤٧، وانظر منهج السلف ص: ١٠.

(٥) انظر / المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، والفيروز آبادي - القاموس المحيط باب الرء، فصل العين.

ب - المعاصرة اصطلاحاً: ورد لفظ العصر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: ١ - ٣]. يقول البيضاوي في تفسير الآية الأولى من هذه السورة: (أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها، أو بعصر النبوة، أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب).

والمعاصرة في الاصطلاح تعبير دقيق عن التطور مع كل عصر أو مواكبة كل عصر. ويقصد بها في الفكر الإسلامي: القدرة المنهجية الواعية على مواكبة حركة الحياة في تطوراتها المستمرة، ومجاراتها فاعلية الزمن بفيضه الذي لا ينقطع من الحوادث والتغيرات، والاستجابة - وفق مبادئ الإسلام ومنهجه - لشرائط التقدم ومقتضيات الحضارة والتمدن^(١).

والمعاصرة حسب هذا التعريف: هي المعيشة بالوجدان والسلوك للحاضر والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقية. وتستخدم المعاصرة في مقابل الأصالة، فيقال مثلاً: (الإسلام بين الأصالة والمعاصرة) بمعنى كيفية تمكن الإسلام من مسايرة العصر والوفاء بمتطلباته والتعامل مع مقتضياته المتغيرة بثوابته الأصلية^(٢).

وعند بحثنا عن روح هذه المعاصرة ومنابعها في القرآن الكريم نجد أنه يمكن تعرفها والبرهنة عليها من خلال حقائق عديدة أبرزها ما يلي:

١ - أن الطريقة التي تنزل فيها القرآن الكريم تكشف عن منطق وتجليات روح المعاصرة في هذا الكتاب، الذي ظل يتنزل متصلاً ومتفاعلاً مع الوقائع

(١) د. مفرح بن سليمان بن عبد القوسي - الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، مجلة الدراسات العربية، العدد: ١٧، مجلد ٣، يناير ٢٠٠٨ م، ص: ١٠٠٨.

(٢) أ. د. السيد محمد الشاهد - الموسوعة الإسلامية العامة - وزارة الأوقاف - ص: ١٣١٦.

والحوادث على اختلاف صفتها وطبيعتها، ومستجيباً لمقتضياتها، شارحاً ومعرفاً لأحكامها وقواعد السلوك في التعامل معها، وكاشفاً عن العبرة والموعظة فيها.

٢ - أن القرآن عرّف عن نفسه بوصفه كتاباً متصلاً ومتفاعلاً مع الواقع والحياة في نطاقات الفرد والمجتمع والأمة، وفي مختلف ميادين الحياة، في العقيدة والعبادة والإصلاح والسياسة والاقتصاد؛ لكي يلتمس الناس هذه الحقيقة، ويتخذون منها منطلقاً في النظر إلى القرآن الكريم الذي ظل محتفظاً بهذه الصفة والطبيعة التي تجعله شديد الارتباط بحركة الحياة وفاعلية الزمن.

٣ - أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يُجمع القرآن الكريم بطريقة لا تتحدد ولا تنحصر بزمان معين أو مكان معين أو مورد خاص، فقد جُمع بغير الترتيب والطريقة التي تنزل فيها؛ لكي لا يتحدد بذلك الزمان الذي نزل فيه، بل يكون كتاباً لكل الأزمنة والأمكنة، فهو لم يكن تبياناً لكل شيء لذلك الزمان فحسب، وإنما تبياناً لكل الأزمنة حتى قيام الساعة..

٤ - أن القرآن هو الذي اكتشف للفكر الإنساني مفهوم السنن والقوانين التاريخية والاجتماعية الثابتة والمطردة، التي تحكم حركة التاريخ بكليته، وفي كل مراحلها وعصوره وأطواره، وتوجه مسيرة المجتمعات والحضارات، تقدماً وتراجعاً، صعوداً وهبوطاً.

٥ - أن القرآن امتدح العقل ورفع قيمته وأعلى شأنه، وجعله أحد مصادر المعرفة الإنسانية، ومناطق التكليف الشرعي، ووسيلة الفهم والإدراك وأوجب النظر والتفكير والاعتبار، ومن ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]... كما دعا القرآن الكريم إلى تحرير العقل من الأوهام والخرافات،

ونهى عن التقليد الأعمى والهوى والتعصب لغير الحق، وحرّم كل ما من شأنه أن يضعفه أو يزيله بالكلية.

وكل ذلك له علاقة - بلا شك - بالتواصل والتفاعل مع تجددات الحياة وتعاقب الزمن وتطورات المعرفة والسير نحو المدنية. والكتاب الذي يعطي هذه المكانة المتعظمة للعقل لا بد أن يكون نبعا من منابع روح المعاصرة^(١).

إن القرآن الكريم نص حي متنام، إنه يُقرأ في كل عصر كأنه تنزل إلى هذا العصر، إنه نص غير تاريخي كما «يستخدم مثقفون وباحثون، مسلمون وغير مسلمين، ليبراليون أو يساريون مصطلح (السلفية) - أحيانا - لتحديد التوجه الفكري لكافة تيارات الإحياء الإسلامي، على اعتبار أن هذه التيارات جميعا تنادي بإحياء نموذج متصور للماضي، نموذج يخص سلفا ماضيا، انتهى ولم يعد من الممكن استعادته»^{(٢)(*)}.

وفي ضوء هذا المنهج (الموافقة التامة للكتاب والسنة نصا وروحا) نلقي الضوء على السلفية المعاصرة - من خلال هذه الدراسة - وعلى مدى اقترابها أو بعدها من هذا المنهج، ولا سيما أن «القرآن والسنة ليسا سلفا ماضيا، إنهما نص حي متنام في الوجود التاريخي لجميع البشرية، يدعوها للاجتهاد المستقبلي والتوبة الحضارية القائمة على الاعتبار والتبصر»^(٣).

ومع هذا الفهم للكتاب والسنة - إنهما نص حي متنام - نؤكد على أن «السبق في

(١) زكي الميلاد - منابع روح المعاصرة في القرآن الكريم، مجلة المنهاج، السنة الثالثة عشرة، ١٤٣ هـ - ٢٠٠٩ م، العدد ٥٢، ص: ١١ وما بعدها.

(٢) أ.د. بشير موسى نافع - الطاهرة السلفية - مجموعة من الباحثين - مركز الجزيرة للدراسات - ط ١ - ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ص ١٥.

(*) انظر، مثلا، نبيل عبد الفتاح، المصحف والسيوف: صراع الدين والدولة في مصر، مكتبة مدبولي ١٩٧٧ م. وانظر كتابات الجابري ونصر أبو زيد..

(٣) عبد الرحمن العضاوي - أسئلة الإصلاح وأجوبة المقاصد في سلفية ابن عاشور، ص: ١١٤.

الزمان ليس آية من آيات العرفان، ولا معلياً لعقول على عقول، فالسابق واللاحق يستويان في التمييز والفطرة، وهناك إمكانيات متوافرة أمام اللاحق لم تكن متاحة لمن سبقه، فاللاحق له (من علم الأحوال الماضية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بها وصل إليه من آثارها في الكون ما لم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائه)^(١).

ثانياً: الأصالة:

أ- الأصالة لغة: أَصْل، كَكَرَّمَ: صار ذا أصل، أو ثَبَّتَ ورَسَخَ أصله، كَتَأَصَّلَ. ويقال إن النخل بأرضنا أصيل: أي لا يزال باقياً لا يفنى، ورجل أصيل: أي ثابت الرأي عاقل. وأصل الشيء أسفله وأساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه، وما يبني عليه غيره ويستند إليه.. والأصالة في الرأي: جودته، وفي الأسلوب: ابتكاره، وفي النسب: عراقته. والأصلي ما كان أصلاً في معناه، ويقابله الفرعي أو الزائد أو الاحتياطي أو المقلد. وأصلت الشيء تأصيلاً: جعلته أصلاً ثابتاً يبنى عليه^(٢).

فالأصالة عندنا إذن لا تنافي إلا الزائف أو الدخيل الذي يراد أن يلصق بنا، وينسب إلينا، وهو غريب عنا.

ب - الأصالة اصطلاحاً: تُطلق الأصالة على كل شيء ارتبط بأصله ومصادره الأساسية.^(٣) والأصالة في ثقافة ما، هي جذورها الأصيلة، وثوابتها المستمرة، أي هويتها الممثلة (للبصمة) التي تميّزها عن غيرها من ثقافات أمم الحضارات الأخرى^(٤).

(١) أ.د. محمود حمدي زقزوق - الفكر الديني وقضايا العصر - مكتبة الأسرة ٢٠١٢ م، ص ٢٧، نقلاً عن الإمام (محمد عبده).

(٢) انظر: مادة (أصل) في القاموس المحيط ولسان العرب والمعجم الوسيط والمصباح المنير. ود. مفرح ابن سليمان بن عبد القوسي - الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي ص: ٩٨٧.

(٣) أ.د. السيد محمد الشاهد - الموسوعة الإسلامية العامة - وزارة الأوقاف - ص: ١٥٦.

(٤) أ.د. محمد عمارة - أزمة الفكر الإسلامي الحديث، ص: ٣٨.

فالأصالة إذن هي: المحافظة على الذاتية والميراث الثقافي والبنية الاجتماعية لمقاومة التبعية والتغريب^(١). ولذا، فهي التي تنبذ التقليد والنسخ على مثال الآخرين، أي تمثل مبدأ الخلق والإبداع وتوجيه الفاعلية الذاتية عن طريق التجديد والتميز والفرادة والحرية والتعبير عن الأنا أو الذات الفردية وعن الذات الجمعية بمفاهيم وآليات مبتدعة ومستنبطة من المعطيات الحية، لا من خلال آليات ومناهج ومعطيات ونظم العوالم الثقافية والاجتماعية والسياسية الأخرى^(٢).

وفي ضوء تحديد مصطلح (الأصالة) - لغةً واصطلاحاً - ومع هذا الاعتزاز بالانتماء للأصول الإسلامية، نحتاج إلى التأصيل المنهجي للمفهوم السلفي، وتوجيهه لصالح السلفية المعاصرة القائمة على سلفية علمية غير متكررة في قضية علمية، وإنما يتكرر المنهج الأصيل. هذا من جانب، ومن جانب آخر، نحتاج إلى الاجتهاد والتجديد، والعمل على المواجهة العصرية للإسلام في حل قضايا المجتمع، مع مراعاة حاجات الواقع المعاصر لمجتمعنا المسلم^(٣).

فإن الأصالة تحكم كل واقع متجدد، وتستجيب لحركة الحياة، بمعاصرة القضايا المطروحة - لا القضايا التاريخية - والكفاية في استيعابها، والقدرة على حلها.

ثالثاً: التجديد:

أ - التجديد لغةً: تجدد الشيء: صار جديداً، وأجدّه وجدّده أي صيّره جديداً، والجديدان: الليل والنهار. وجدّ يجدّ فهو جديد، والجديد ضد البلى..^(٤)

(١) أ.د. محمد المبارك - ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد ص ٣٤. وانظر: مفرح بن سليمان بن عبد القوسي - الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي ص ٩٨٧.

(٢) أ.د. فهمي جدعان - المجتمعات العربية تعيش أزمة قيم - مقال بالجزيرة نت في: ٣/ ١٠/ ٢٠١٨ م.

(٣) أ.د. راجح عبد الحميد الكردي - الاتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة - دار عمّار - ط ١ - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص: ٧، ٧٣.

(٤) انظر: القاموس المحيط ص ٣٤٦، ومختار الصحاح ص: ٨٤.

ب- التجديد اصطلاحاً: هو «جلاء الوجه الحقيقي للأصول الإسلامية، وتنقيتها من البدع والابتداع، وهو أيضاً، مد الفروع الجديدة والنابعة من هذه الأصول؛ لتظل الميادين الجديدة، ولتضبط الواقع الجديد بضوابط هذه الأصول»^(١).

والتجديد في القرآن الكريم: لم يرد في القرآن لفظ جدد أو تجدد، وإنما ورد لفظ جديد بمعنى الإحياء والإعادة لما كان موجوداً وبلي ودرس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَنْتِفِكُمْ إِذَا مِزَقْتُمْ كُلَّ مِزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]، ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

والتجديد في السنة: اشتملت طائفة من الأحاديث الصحيحة على هذا المصطلح، محددة ملامحه وأبعاده، ومستوعبة عدداً من المعاني التي تجتمع في مراد الإحياء والإعادة - عامة - بحسب الموضع الذي ذكر فيه الحديث والمعنى الذي اشتمل عليه.

وأوفي هذه الأحاديث، وأدلها على المقصود، وأشملها لبيان المراد وأوسعها لجوانب التجديد، هو حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا»^(٢) أي بإحياء ما اندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة وما ذهب من السنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة^(٣).

(١) محمد عارة - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٩٩٧م، ص: ١٧٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم: (٤٢٧٠) والحاكم في مستدركه في الفتن (٤/ ٥٢٢) والبيهقي في معرفة السنن والآثار (ص: ٢٥).

(٣) انظر: أ.د. عصام البشير - التجديد مفهومه وضوابطه وآفاقه ضمن بحوث مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٩٣٧، ٩٣٦.

لقد أفادت كلمة التجديد - كما رأينا - في اللغة والقرآن والسنة معنى: التنقية والتصفية، والتقوية، والبعث والإحياء، ولذا لا يتجه «التجديد هنا إلى الدين هنا كمنظومة من العقائد والأخلاق، وإنما يتجه إلى فهم الناس للدين بمعنى: تنقية أفهام الناس تجاه الدين من الأمور السلبية والقشرية، إذ إن من الآليات الطبيعية للتجديد في كل الأمم والشعوب والثقافات هي العودة بفهم جديد ومعاصر إلى الأصول الكبرى والقيم الكبرى التي صنعت الحقب التاريخية المجيدة والتي تحولت إلى حقب نموذجية ومرجعية في الفضاء التاريخي لتلك الأصول»^(١).

هذا من جانب، ومن جانب آخر، أفادت كلمة التجديد هنا أيضاً: ارتباط التجديد بالأصالة، مما يعني ارتباط الأمة بمنابعها الصافية وجذورها الصحيحة في إطار التأثير والتأثر الثقافي والأخذ والعطاء، والاقتراس بين الحضارات. ويعني أيضاً الحفاظ على الذاتية في مقاومة التبعية والتغريب، والتمسك بالثوابت والمحافظة على الأصول وتقدير قيمة التراث الإسلامي في إطار الصراع - المزعوم - بين القديم والجديد، ويعني أيضاً، تنقية الفكر الإسلامي مما علق به من اختلاط الوثنيات وما تسلل إليه من الفلسفات والأفكار الباطلة. فالتجديد في مجمله يعني الإطار الذي يضبط التحديث والمعاصرة، والتغير والاقتراس وفق منهج أصيل يفقه الواقع بعيداً عن الانحراف والضلال^(٢).

وفي ضوء هذا يكون التجديد للسلفية المعاصرة، فالسلفية تجديد وفي التجديد سلفية، وكل المجددين في مسيرتنا الحضارية كانوا سلفيين، وعليه فإنه يجب إعادة النظر في «فهم السابقين للحدث النبوي عن التجديد، فالإقتصار اليوم في

(١) أ.د. حسن حميد عبيد الغرابوي، تجديد الفهم للنص الإسلامي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٤، العدد الثاني ٢٠٠٨م، ص: ٥٦٠.

(٢) نفس المرجع السابق ص: ٥٦٣. وانظر: راشد بن سعيد شهوان - الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص: ١٣ - ١٥.

عصر المعلومات والاتصالات على فهم التجديد بأنه إحياء السنة وإماتة البدعة ليس كافيًا، فتصحيح الحاضر بالنظر إلى الماضي فقط - كمعيار - دون مراعاة للمستقبل ومستجدات العصر وظروف الحاضر وفقه الواقع يُعد تصحيحًا قاصرًا...»^(١).

ونظرًا لأن الإسلام في تعاليمه يُعد دينًا للحياة بكل أبعادها؛ فإن التجديد المقصود في الحديث النبوي يُعد أيضًا تجديدًا للحياة بكل جوانبها المختلفة، ويكون مبنياً على أساس (مشروع حضاري متكامل) ينطلق من اقتناع تام بضرورة التجديد والتغيير على المستويين المادي والمعنوي للنهوض بالمجتمع وتحقيق أهدافه في التقدم الحضاري الشامل^(٢).

رابعًا: المذهب والمنهج:

أ- المذهب لغةً واصطلاحًا:

- المذهب لغةً: ذَهَبَ: ذَهَابًا، وَذُهِبًا، وَمُذْهَبًا: مَرَّ وَمَضَى. وَذَهَبَ عَنْهُ: تَرَكَهُ، وَذَهَبَ عَلَيْهِ كَذَا: نَسِيَهُ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ: تَوَجَّهَ. وَيُقَالُ: ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ فُلَانٍ: أَخَذَ بِهِ. وَذَهَبَ مَذْهَبُ فُلَانٍ: قَصَدَ قَصْدَهُ وَطَرِيقَهُ. وَذَهَبَ فِي الدِّينِ مَذْهَبًا: رَأَى فِيهِ رَأْيًا أَوْ أَحْدَثَ فِيهِ بَدْعًا. وَذَهَبَ الشَّيْءُ فِي الشَّيْءِ: اخْتَلَطَ.

والمذهب: الطريقة والمعتقد الذي يُذهب إليه. يُقال: ذهب مذهبًا حسنًا. ويُقال: ما يُدرى له مذهب: أصل. والجمع: مذاهب^(٣).

- المذهب اصطلاحًا: المذهب عند العلماء: مجموعة من الآراء والنظريات

(١) انظر: أ.د. محمود حمدي زقزوق - تجديد الفكر الديني - وزارة الأوقاف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص: ٤٣.

(٢) انظر: أ.د. محمود حمدي زقزوق - الحضارة فريضة إسلامية - هدية هيئة كبار العلماء مع مجلة الأزهر - رجب ١٤٣٨ هـ، ص: ١٠.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة: ذهب، ص: ٣١٧.

العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة منسقة^(١). والمذهب: المعتقد الذي يذهب إليه والطريقة^(٢).

ومذاهب الإسلام أربعة: المالكي والشافعي والحنبلي والحنفي. والمذهب: مجموعة الآراء والمعتقدات في مجال ديني أو اجتماعي أو فلسفي^(٣).

ب- المنهج لغةً واصطلاحاً:

- المنهج لغة: (نَهَجَ) الطريقُ نَهْجًا، ونُهُوجًا: وضح واستبان. و(انتهج) الطريق: استبانته وسلكه. و(استنهج) الطريق: صار نهجًا. وسبيل فلان: سلك مسلكه. (المنهاج) الطريق الواضح؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

(النهج) البين الواضح. يقال: طريق نهج، وأمر نهج. والطريق المستقيم الواضح. يقال: هذا نهجي لا أحيد عنه^(٤).

- المنهج اصطلاحاً:

المنهج العلمي: هو خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة.

والمنهج السلفي: هو طريقة أصحاب رسول الله ﷺ خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله بعد النبيين.. قال تعالى - في حقهم -: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ أَوَّلِهِمْ وَأَوَّلِهِمْ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) انظر: القاموس المحيط، مادة: الباء، فصل: الذال، ص: ١١١.

(٣) انظر: معجم المعاني الجامع: مذهب: ٢٣/٢.

<https://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=3243>

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مادة: (نهج)، ص: ٩٥٧.

عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: ١٠٠]..

ومن فضل الله تعالى على المسلمين: أن جعل لهم قدوة يقتدون بها، تتجسد فيها مكارم الأخلاق التامة، التي أخذت من ميراث جميع الرسل وزادت عليه. وذلك هو رسول الله ﷺ الذي أثنى الله عليه فقال: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

هذا عن المصطلحات.. وتحرير مفاهيمها.. وما يمثله ضبط هذه المفاهيم وتأصيلها من إسهام في وضوح الرؤية وإدراك المقاصد التي نهدف إليها في ضوء هذه الدراسة.. موضوع رسالتنا: (السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد..).

الفصل الأول

أصول المنهج السلفي وخصائصه

- المبحث الأول: السلفية بين المذهب والمنهج.
- المبحث الثاني: أصول المنهج السلفي.
- المبحث الثالث: خصائص المنهج السلفي.

المبحث الأول

السلفية بين المذهب والمنهج

◀ أولاً: حقيقة مصطلح (السلف) عند السلفية المعاصرة.

◀ ثانياً: السلفية بين المذهب والمنهج.

◀ ثالثاً: رد شبهة بدعية مصطلح السلفية.

أولاً: حقيقة مصطلح (السلف) عند السلفية المعاصرة:

وبعد أن تم التعرف على مفاهيم الدراسة وتحرير مضامينها، نتعرف على حقيقة مصطلح (السلف) عند السلفية المعاصرة..

يرى أحد رموز السلفية المعاصرة (الألباني): أن التسمية بالسلفي جاءت تمييزاً عن المسلمين الذين لا يتبعون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح وإن تسموا بالإسلام، وذلك في الحوار الذي أجراه الشيخ (الألباني) مع الأستاذ (عبد الحليم أبو شقة) رحمته الله انتهى الحوار بقول الأول: لا يكفي أن تقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة، بل تقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح^(١).

ويؤكد الألباني ما ذهب إليه - في العبارة السابقة - بقوله: «الذي ينتسب إلى السلف الصالح؛ فإنه ينتسب إلى العصمة على وجه العموم»^(٢).

(١) أبو أسامة سليم بن عبيد اللّٰهي، لماذا اخترت المنهج السلفي؟، ص: ٤٠.

(٢) الألباني - مجلة الأصالّة، العدد التاسع، ص: ٨٧، ٨٦، وانظر: (الآجري) شبكة متخصصة في المتون وشروحها، وطلب العلم الشرعي.

وهذا المفهوم الضيق لمصطلح (السلف والسلفية) دفع السلفية المعاصرة إلى أن تتجه نحو دعوة سلفية انتزعتها من سياق تاريخي واجتماعي مختلف عن واقع الأمة، مع وجود مدرسة سلفية إصلاحية سابقة عليها.

وهذا ما يجعلنا نبين موقف السلفية المعاصرة من السلفية الإصلاحية في الفكرة التالية:

- موقف السلفية المعاصرة من السلفية الإصلاحية:

لقد تجاهلت السلفية المعاصرة السلفية الإصلاحية مع حاجة الواقع المعاصر إلى «فكر يتخذ منهجاً إصلاحياً دينياً وسياسياً؛ يستنهض العقول من سباتها، ويستنقذ القوى الفاعلة من استكانتها إلى الباطل، مستلهماً الدين في أصوله الأولى، آخذاً بوسائل العصر في الإحياء السياسي ليؤسس به فقه التحرر من ربقتي ظلم الحكام وطغيان المستعمر»^(١).

ولم تقف السلفية المعاصرة عند تجاهل السلفية الإصلاحية فحسب، بل وقف معظم روادها وأتباعها منها موقفاً معادياً^(٢)، مع أن المشروع الفكري والإصلاحي لجمال الدين الأفغاني (ت: ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م) يقوم على أربعة أركان: أولها الالتزام بمبادئ الإسلام، والاقتداء بسلف الأمة؛ والثاني، تحرير الأمة من الاستبداد الداخلي والخارجي؛ والثالث، توحيد الأمة في جامعة إسلامية؛ والرابع، الأخذ بأسباب القوة من العلوم والنظم^(٣).

(١) أ.د. محمد سليم العوا - المدارس الفكرية الإسلامية، ص: ٣٨٧.

(٢) ذكر أحد السلفيين أربع مؤاخذات على (جمال الدين الأفغاني) دون تمحيص، أخطرها قوله: (إن ربط السلفية بحركة الأفغاني ومحمد عبده

اتهام لها من طرف خفي بما رمى به هؤلاء من ارتباطات مشبوهة ودوافع غامضة). انظر: أبو أسامة سليم ابن عيد اللالي - لماذا اخترت المنهج السلفي؟، دار الإمام أحمد، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص: ٣٨.

(٣) انظر: أ.د. عبد المجيد النجار، الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، ج ٣، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩م، ص: ٨٨ و ١١١، وانظر: د. العوا، المدارس الفكرية، ص: ٢٩٣.

وكان (جمال الدين الأفغاني) الضمير الذي عكس الحركة الوهابية لدى العالم الإسلامي الحديث، منذ سقوط الدولة الوهابية الأولى^(١).

وقامت دعوة محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) على الإصلاح على منهج السلف، (فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى)^(٢).

وأبرز من دعا إلى السلفية - في العصر الحديث - ودافع عنها بمقالاته ومؤلفاته ومجلته التي ظلت بضعةً وثلاثين سنة تحمل راية السلفية الحديثة، هو محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، صاحب (مجلة المنار) التي نشر فيها (تفسير المنار) والتي سارت بذكرها الركبان في العالم الإسلامي مشرقه ومغربيه.

وقد كان (رشيد رضا) مجدد الإسلام في عصره، ومن قرأ تفسيره، أو قرأ فتاواه، أو قرأ كتبه مثل (الوحي المحمدي) و(يسر الإسلام) و(محاورات المصلح والمقلد)، وغيرها من الكتب والمقالات.. علم أن فكر هذا الرجل كان يمثل (مناراً) هادياً في مسيرة الإسلام في العصر الحديث. وكانت حياته العملية مصداقاً لفكرته السلفية.

لقد أثنى (رشيد رضا) على الدعوة الوهابية، واعتبرها «المذهب الذي أقام السنة بصورة لم يسبق لها نظير بعد الخلفاء الراشدين»، وبمجلته الإسلامية المهمة (المنار)، وبأثر فكره الكبير، كان هو القنطرة الأساسية التي عبرت عليها السلفية المعاصرة من نجد إلى القاهرة^(٣).

ولما كان لا يكتب عن المصلحين إلا من يعرف فضلهم، وجدنا المحدث

(١) مالك بن نبي - وجهة العالم الإسلامي - دار الفكر دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ - ١٩٨٦م، ص، ٤٩.

(٢) الإمام محمد عبده - الأعمال الكاملة - تحقيق وتقديم: محمد عمارة، دار الشروق، ج١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٣) أحمد سالم، عمرو بسيوني، ما بعد السلفية، ص: ٢٢١.

(أحمد شاكر، ت: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) يثني على مدرسة السلفية الإصلاحية، فيقول: «.. ثم جاءت النهضة العلمية الإسلامية الحاضرة، وقد نفخ في روحها رجال كانوا نبراس عصرهم، وفي مقدمتهم: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا.. فاستيقظت العقول، وثارَت النفوس على التقليد، ونبغ في العلماء مَنْ يذهب إلى وجوب الاجتهاد، وقد يكون اجتهاداً مبتسراً، وقد يكون اجتهاداً فيه خطأ كبير، ولكنه خيرٌ من الجمود، وأجدى إن شاء الله على الأمة»^(١).

وذهبت صيحة المحدث، أدراج الرياح، ولم تجد لها صدى عند السلفية المعاصرة، حتى «كادت أذكى مدرسة في العصر الحديث تختفي تحت وطأة الإنكار والجحود، أعني مدرسة (المنار) التي صالحت بين السلف والخلف، والعقل والنقل، والاجتهاد والتقليد، ورسمت أهدافاً واضحة للنهوض بالعقل الإسلامي، والطب لأمة عليلة»^(٢)!!

ولم يقتصر الموقف السلبي للسلفية المعاصرة من السلفية الإصلاحية فحسب، بل تجاوزها إلى كل دعوة إسلامية لم تنهج منهجها في تبني خيارات جزئية فقهية، قال بها بعض الأعلام في سياق التاريخ، وجعلوها إطاراً لتحديد الانتماء إلى السلف الصالح، وهذا مذهب ضيق..^(٣)!

والحقيقة أن هذه الإشكالات تدل على نقص تصور لمعنى مصطلح (السلف والسلفية) عند السلفيين المعاصرين.

في حين أن السلفية المنهجية أوسع؛ لأن المنهج الذي أنتج فكراً جديداً

(١) أحمد شاكر - الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر، دار الكتب السلفية، ط ٣، ١٤٠٧هـ، ص: ١٨.

(٢) محمد الغزالي - تراثنا الفكري، ص: ٥٣.

(٣) انظر: أ.د. عصام البشير - السلفية منهج أم مذهب؟، برنامج الشريعة والحياة، الجزيرة في ١٣ / ٨ / ٢٠٠٩م.

وفقها جديداً في زمان آخر، بمستجدات الظروف، مع المحافظة على الأصولية المنهجية. وبالتالي فهل حجم القضايا التي طرحتها السلفية فيما بعد، هو نفسه المطروح في هذه الفترة السلفية الزمانية، بحيث لا يصح أن تزيد عليه ولا أن تنقص منه؟^(١)!

ثانياً: السلفية بين المذهب والمنهج:

أ- واقع السلفية المعاصرة بين المذهب والمنهج:

لقد تم التعرف على الفرق بين المذهب والمنهج - في اللغة والاصطلاح -، وهذا ما يدعو للتعرف على واقع السلفية المعاصرة بين المذهب والمنهج، فالدارس لتاريخ الفكر الإسلامي يعلم أن «مدارسه المتعددة، وفرقه المختلفة يرجع كل منها في تاريخ نشأته إلى شخص معين يرتبط به تاريخ نشأتها فتنسب إليه، كما يرتبط تاريخ نشأة المعتزلة بواصل بن عطاء، وتاريخ نشأة الأشاعرة بأبي الحسن الأشعري، وكذلك فقه المذاهب الأربعة، كل مذهب منها يرتبط بتاريخ إمامه ومؤسس قواعده وأصوله كالشافعية والحنفية والحنابلة... إلخ، فإن هذه المذاهب الفقهية والكلامية ترتبط بمؤسس المذهب وإمامه الذي تنسب إليه.

أما (السلف) فإن أمرهم في نسبته يختلف تماماً عن هذه المذاهب أو تلك الفرق. فهم لا يرتبطون بشخص معين ينتسبون إليه.. ولا يعبرون في مسارهم التاريخي عن مذهب فكري خط لنفسه أصولاً، أو قواعد انفرد بها، كما فعلت المدارس الكلامية المختلفة. لا.. إنهم ليسوا كذلك، وإنما هم الأصل الأول الذي انشق عنه غيره من الفرق والمدارس الأخرى..

إن السلف ليسوا فرقة كلامية، ليسوا مذهباً فكرياً كما يحاول البعض أن يصورهم في كتاباته، فيجعلهم قسيماً للفرق المختلفة.. وهذا خطأ تاريخي ومنهجي معاً

(١) د. أ. د. راجح الكردي، الاتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة، ص: ١٦، ١٧.

ينبغي التنبيه إليه والحذر منه، بل يجب التحذير منه أيضاً، إنهم الجيل الذي أكرمه الله بشرف الصحبة، فتلقى عن الرسول مشافهة أو سماعاً، فعاصر نزول الوحي، وتبليغ الرسالة وتحمل مع صاحبها أمانة التبليغ لها فبلغها كما سمعها..

فإذا قيل السلف فإن اللفظ ينصرف إلى أهل القرون الثلاثة التي وصفها الرسول بأنها خير القرون، وأمرنا بالاقتداء بهم والأخذ عنهم والاحتجاج بسلوكهم وبرأيهم عند غياب النص..^(١).

وفي ضوء هذا المفهوم الإجرائي يتضح البون الشاسع بين المنهج والمذهب، والأصل والفرع، وبين المبادئ والمثل التي يُقاس عليها ويُقتدى بها، وبين المذاهب التي تمثل آراء الرجال واجتهاداتهم.. وعدم مراعاة هذا البون والتميز بين المنهج والمذهب، والأصل والفرع، جعل الساحة الإسلامية تعجّ بالفوضى الفكرية، مما كرّس التقسيم والتشردم والتنافر بين الجماعات العاملة للإسلام..

فقد كان المأمول من السلفية المعاصرة أن «تظل عبارة عن منهج في تمحيص الأدلة وترشيد التعامل مع اللغة وتبسيط المفاهيم وتوضيح غوامض الأحكام والكشف عن قدرة الشريعة الغراء على الاتساع لما يستجد من أحداث والإيمان العميق بأننا لا نقدم للناس معرفة نهائية في الفروع والنوازل..

لكن هذا للأسف لم يستمر كما أراده الأئمة العظام من أسلافنا حيث صارت السلفية لدى كثيرين مذهباً ينافس المذاهب الفقهية والعقدية السائدة مما سمح لأنصاف طلاب العلم بتحويل السلفية إلى عامل تقسيم وشرذمة للأمة عوضاً أن تكون أسلوباً لديمومة الاجتهاد الفقهي وترشيده.

حدث مثل هذا للتصوف فقد كان عبارة عن نزوع للتخفف من المتع و الشهوات وتدريب للنفس على تحمل مشاق العبادة وتحقيق معاني الإخلاص

(١) أ.د محمد الجليند - منهج السلف، ص: ٩، ١٠.

والصدق والإحسان... ثم تحول لدى كثيرين إلى طرق لها رسومها وطقوسها ورمزياتها وضلالاتها وبدعها... بعيداً عن العقل والنقل»^(١).

هذا الخلل في فهم منهج (السلف الصالح) جعل طائفة تحمل عنوان (السلف) وتجعله إطاراً لها، وتجعل سائر طوائف المسلمين المنتسبة إلى السلف الصالح والمنتسبة إلى القبلة خارجة عن هذا الإطار، مما أدى إلى مزيد من التشطي وإحداث الفرقة والإحن في واقع الأمة الإسلامية.

وقد عبّر عن ذلك أحد أهم رموز السلفية المعاصرة بقوله: «... يخطئ من يقول: إن أهل السنة والجماعة ثلاثة: سلفيون، وأشعريون، وماتريديون، فهذا خطأ. نقول: كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون!! (فماذا بعد الحق إلا الضلال). وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد على الآخر؟!، هذا لا يمكن إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين، فنعم وإلا فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة. فمن هو؟!، الأشعرية؟ أم الماتريدية؟ أم السلفية؟

نقول: من وافق السنة فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة فليس صاحب سنة. فنحن نقول: السلف هم أهل السنة والجماعة ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً، والكلمات تعتبر بمعانيها. للنظر كيف نسمي من خالف السنة أهل السنة لا يمكن، وكيف يمكن أن نقول: عن ثلاث طوائف مختلفة إنهم مجتمعون، فأين الاجتماع؟ فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة، إذا كان على طريق النبي ﷺ وأصحابه، فإنه سلفي»^(٢).

(١) انظر: أ.د. عبد الكريم بكار - من المنهج إلى المذهب، الموقع الرسمي على النت في ٢ / ١١ / ٢٠١٦ م.

(٢) محمد بن صالح العثيمين - قوله في شرح العقيدة الواسطية (٥٣ / ١، ٥٤) - موقع (الآجري)، مرجع سابق.

وانظر: مجموع الفتاوى للشيخ (ابن عثيمين) - دار الوطن للنشر، مجلد ١، ط ١، ١٤١٣ هـ، ص: ٥٠ وما بعدها.

وبهذا التشدد والغلو، يخرج السواد الأعظم للأمة عن إطار (أهل السنة والجماعة)!!

وفي ظل محاولات اختطاف لقب (أهل السنة والجماعة) لصالح جماعة بعينها، انعقد المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين^(١) - كما سموه وجلهم من علماء الصوفية-؛ ليخرج بيان يقرر فيه، أن أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة والماتريدية في الاعتقاد، (ومنهم أهل الحديث المفوضة) في الاعتقاد، وأهل المذاهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في الفقه، وأهل التصوف الصافي علماً وأخلاقاً وتزكية على طريقة سيد الطائفة (الجنيد) ومن سار على نهجه من أئمة الهدى، وهو المنهج الذي يحترم دوائر العلوم الخادمة للوحي، ويكشف بحق عن معالم هذا الدين..

وبهذا التشدد والغلو أيضاً، تخرج الوهابية والسلفية المعاصرة عن إطار أهل السنة والجماعة!!

ولقد انتقد أولو الغيرة من علماء المسلمين البيان الصادر عن المؤتمر الذي لا يزيد المسلمين إلا تفرقاً وتمزقاً. كان منهم (شيخ الأزهر) - الذي أقحم اسمه في البيان الختامي دون أن يحضره - والذي نفى بدوره علاقته بالبيان الصادر عن المؤتمر، وبين أن الأزهر معنيٌّ بوحدة المسلمين، وحينما نقول - والكلام لفضيلته - وحدة المسلمين، لا نعني حشد المسلمين في مذهب واحد أو في فكر واحد، أو في مدرسة فقهية أو مدرسة عقدية واحدة؛ لأن الإسلام دين حوارٍ فيما بين المسلمين أنفسهم وفيما بين المسلمين وغيرهم..، ثم ختم كلمته بأن أهل السنة

(١) مؤتمر انعقد في عاصمة الشيشان (غروزي) في مساء الخميس ٢١ من ذي القعدة ١٤٣٧هـ - ٢٥ أغسطس ٢٠١٦م.

رابط نص (بيان المؤتمر).

والجماعة: هم الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث - وهم السلفيون - وأن فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة لم يخرجوا من عباءة هذا المذهب..^(١)

لقد جاء البيان الختامي معبراً عن هوة سحيقة يحياها المؤتمرون والرعاة لهذا المؤتمر البائس، فبدلاً من أن يسعى لتجميع أهل السنة والجماعة صفّاً واحداً أمام الفرق المنحرفة عن الإسلام، فإذا بهؤلاء الذين يعيشون خارج العصر يريدون إثارة الخلافات الفرعية في مسائل العقيدة من جديد، وشغل الأمة بماضيها عن حاضرها ومستقبلها، وتمزيق الأمة أحزاباً وشيعاً، في الوقت الذي يجتمع عليها أهل الشرق والغرب، وينسق فيه أعداء الأمة؛ لينقصوا بلادهم من أطرافها..

ب - حقيقة المنهجية السلفية والانتفاء إليها:

هذه الفوضى الفكرية، والأزمة المنهجية التي رأيناها بين الفصائل الإسلامية المختلفة؛ تدعونا - وبصورة ملحة - للوقوف على صحة الفهم لثلاثة أمور أساسية، وهي:

١ - أهمية المنهجية السلفية:

إن الفهم الحقيقي للسلفية يقتضينا التأكيد على منهجيتها والحرص عليها؛ لاتساع مفهوم المنهجية السلفية عن مفهوم المذهبية السلفية؛ ولأنه يخدم الطبيعة الدعوية للإسلام، المتميزة بالعموم والخلود، ذلك أن الفهم المنهجي للأصولية السلفية يفتح الباب لامتداد الإسلام بأصليه الرئيسين: الكتاب والسنة، وأصول الفهم لخير قرون هذه الأمة إلى قيام الساعة، دون التحكم في إسقاطات الفهم المستجدة المتأخرة، بدعوي أن هذا سلفية شرعية وما دونه بدعية ضالة.

(١) انظر: تصريح فضيلة الإمام الأكبر (شيخ الأزهر) أ.د. أحمد الطيب، بأن السلفيين هم أهل السنة، ولا علاقة له ببيان المؤتمر - على هذا الرابط

لموقع «المركز الإعلامي للأزهر الشريف»:

وهذا هو روح المعنى الذي أكدته منهج القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ...﴾ [النساء: ٨٣]. وأكدته السنة النبوية بقوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه»^(١).

إنه لا مناص من سلفية المنهج القائم على أصولية الفهم والاستيعاب، القائم على مفهوم عالمية الدعوة وخلودها. ومن ثم فهو فهم للنصوص من القرآن والسنة الثابتة من رسول الله ﷺ بلغة عربية مبينة، دون الدخول بقوالب فكرية سابقة، قائمة على فكر دخيل، أو أعجمية في اللسان، وأخطر منها عجمة القلوب، التي إن فهمت لغة الكتاب والسنة، عاملتهما بظاهرية سطحية..

وعلى هذا فإذا رجعنا إلى العصور الثلاثة الأولى ووجدنا اختلافاً في الفهم لآيات الكتاب والسنة في موضوع ما، وارتضى أحدنا فهماً دون آخر لوجه ترجح عنده، فلا يبرر له هذا ادعاء أنه هو السلفي وأن غيره هو البدعي.

وإذا ما حافظنا على أصول المنهج في استنباطنا للمعاني من الكتاب والسنة في مسألة معاصرة، ثم خرج أحدنا بفهم أو رأي، وخالفه فيه آخر مع حرصه على نفس الأصول، مع تباين الأفهام دون تحريف ولا تأويل فاسد، فهل يبرر هذا أن يدعي أحدنا السلفية ويرمي أخاه بالبدعية؟

إذن فليس يحدد السلفية فهم الأفراد والهيئات والجماعات والتنظيمات مهما كانت أهميتها، وعلا شأنها، قديماً أو حديثاً. ودين الله تعالى بكتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ مرجع لكل المسلمين، ليس لطبقة معينة، من العلماء، أو مذهب محدد من الفقهاء، شريطة انضباط المسلمين بقواعد المنهج السلفي للإسلام، بمفهومه الأصولي الصافي^(٢).

(١) رواه مالك في الموطأ رقم (١٣٩٥)، وخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٧٦١) وقال: إسناده حسن.

(٢) انظر: أ.د. راجح الكردي - الاتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة، ص ١٩، ٢١، ٢٢.

٢- حقيقة الانتماء للمنهج السلفي:

أما عن حقيقة الانتماء للمنهج السلفي، فإن البعض يظنه مجرد التبني لخيارات جزئية فقهية، قال بها بعض الأعلام في سياق تاريخي، أو مجرد التزام بالهدي الظاهر، وجعلوا من ذلك إطاراً لتحديد الانتماء إلى السلف الصالح، وهذا لاشك مذهب ضيق لا يتواءم ومنهج السلف.

إن السلف الصالح ليس رؤية فقهية واحدة ولا اجتهداً فكرياً معيناً، السلف الصالح منهج رحب، التقوا فيه على الأصول وعلى الكليات وعلى الثوابت وعلى القطعيات وعلى المحكمات وما دون ذلك من الفروع اختلفوا فيها، كالاختلاف في فروع العقيدة، هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج؟، والاختلاف في مصادر الاستدلال الفرعية: الاستصحاب، والاستحسان، وبراءة الأصل، والاختلاف في فروع الفقه وما أكثر هذا الاختلاف، كما وقع الاختلاف في بعض التطبيقات لعلوم التزكية.

إذن حينما نقول الانتماء إلى السلف الصالح نحن نقول انتماء إلى منهج تنوعت فيه الآراء، وتعددت فيه الأفكار حول بعض المسائل، هذا الانتماء فيه رخص ابن عباس، فيه عزائم ابن عمر، فيه فقه أبي حنيفة، فيه أثرية ابن حنبل، فيه مقاصدية الشاطبي، فيه ظاهرية ابن حزم، فيه رقائق الإمام الجنيد، فيه اجتهد أبي حامد الغزالي..

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غُرْفًا من البحر أو رَشْفًا من الدِّيم^(١)

فلا ينبغي أن نجعل لاجتهادات بعض الأئمة أو بعض العلماء من الأقدمين عنواناً للانتماء إلى السلف الصالح، ثم نطرح بقية الرؤى وتنوع الأفكار خارج

(١) البوصيري (ت: ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) - بردة المديح، من منشورات دار التراث البوديلمي، د.ت، ص:

إطار هذه السلفية، هذا لون من الحزبية السلفية الضيقة الذي ضيق ما كان واسعاً عند سلفنا الصالح، ولذلك يُقال «إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة» فالاختلاف في الفروع مظهر من مظاهر الرحمة، وهذا من التوسعة التي جاءت بها شريعة الإسلام.

ولذلك أصبح من الضروري أن نحرّر مفهوم الانتماء إلى السلف الصالح تحريراً يعطيه السعة والشمول والغنى حتى نقوم بإخراجه من هذه الدوائر الضيقة التي حصرته في هذه الأبواب. فهناك من جعل مجرد اختيارات الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، وما رآه الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فقط هذه المحطات الأربعة هي عنوان للانتماء إلى السلف الصالح..

هؤلاء أعلام هدى ولكن ليسوا وحدهم الذين يعبرون فقط عن منهج السلف الصالح، فهذا خلل في هذا المفهوم بني على أن القضايا التي أثرت في تلك العصور من محاربة الشرك، ومواجهة البدع، ومن الحديث عن الفرق، هو فقط العنوان لقضية السلف والسلفية، ولكن هذه جزئيات لا ينبغي أن تكون وحدها عنواناً للانتماء إلى السلف الصالح، الذين اجتهدوا وجاهدوا، وأقاموا الدين وعمروا الدنيا، فانطلقوا في كل زوايا الأرض، ونشروا الخير..

لقد وجدت حركات إحياء إصلاحية انتمت إلى السلف الصالح في زاوية من الزوايا، في البناء التربوي الحركة السنوسية، في البعد الجهادي الحركة المهدية، هنالك الكواكبي، هنالك مدرسة المنار الشيخ رشيد رضا، هنالك ابن باديس، هنالك الخطابي، هنالك الفاسي، هنالك البناء، هنالك حركات إحيائية إصلاحية، استفادت من هذا التراث في جانب من الجوانب، وانتمت إلى السلف الصالح، ولكنها لم تدع الاحتكار لجانب من الجوانب على أنها هي المهيمنة أو الباسطة أو المالكة لمنهج السلف الصالح، فهو أوسع من أن تحتكره فرقة أو أن تنتمي إليه طائفة، وتُخرج بقية المسلمين وسائر الجماعات التي ائتمت بهذا الهدى المبارك من هذه الدائرة.

ومن ثم، فإن الانتماء إلى السلف يكون على اعتبار رحابة المنهج، فالسلف اجتمعوا على كليات الدين وثوابت الشريعة، وقواطع الملة، وكذلك اختلفوا في مسائل الفروع وظنيات الثبوت، وما سككت عنه الشريعة عفواً ليملاً هذا الفراغ التشريعي باجتهاد المجتهدين..^(١)

٣- معيار الانتماء للمنهج السلفي:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٧، ٨]. يقول العلامة ابن الوزير حول هذه الآيات: «فإذا كان هذا في ميزان الدرهم والدينار اللذين هما من جنس الأحجار، فما ظنك بالإخسار في ميزان البرهان الذي يعرف به الديان؛ فالله أنزل ميزاناً وهو الفرقان بين الحق والباطل، وهو المنهج الذي فهمه الصحابة من القرآن والسنة»^(٢).

فالمضمون هو منهج أهل السنة والالتزام به قولاً وعملاً، وليس الدعوى باللسان أو التحزب حول هذه الدعوى، وكأن السلفية حزب من الأحزاب لا يدخل فيها إلا مَنْ يوافق الحزب على دخوله^(٣).

فالمنهج السلفي هو الأصل الذي انبثق عنه الجميع، وبه تُقاس أفكارهم، ولذا فلا يُعد فرقة خاصة أو مذهباً ضمن المذاهب، وإنما هو الأصل والمرجع كما قلنا، وهو أيضاً الوسط المتوازن الذي لا يميل ولا ينحرف^(٤).

(١) انظر: أ.د. عصام البشير - السلفية منهج أم مذهب؟، مرجع سابق.

(٢) ابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ) - العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج١، مؤسسة الرسالة، ط٢،

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص: ١٧٤.

(٣) أ.د. محمد العبد - السلفية منهج وليست مذهباً - (المنار الجديد) العدد ٢٢، ربيع ١٤٢٤هـ - إبريل ٢٠٠٣م، ص: ٣٥.

(٤) أ.د. حسن الشافعي - المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة الثقافة العربية ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص: ٧٢.

إذن، السلف منهج واتباع لا سبق زمني ولا مجرد انتساب، وبهذا فإن لفظ السلف حين يطلق يجب أن ينصرف لا إلى مجرد سبق الزمني، بل إلى أصحاب الرسول وتابعيهم ومن بعدهم بشرط الالتزام بمنهجهم والذين يتأخر بهم الزمن يمكن أن يسموا سلفاً إذا كانوا على نهج أصحاب رسول الله ﷺ^(١).

ولا يخفى أن مجرد الانتساب للسلف ليس هو المقياس، ولا التلقّب بالسلفية هو المعيار؛ حيث إن جميع الطوائف السنية تعتقد أحادها أنها أولى بالسلف من غيرها. بل إن المتسبين للسلفية اليوم بينهم من الاختلاف ما وصل حد التبديع والإخراج من السلفية، فجماعة من التكفيريين ينتسبون للسلفية، وجماعة من غلاة السلفية يبدّع بعضهم بعضاً، فهذا خارجي، وهذا مرجعي، وهذا كذا وكذا... وقائمة طويلة من الألقاب للجماعات كلها تنتسب للسلف^(٢)..

هذا التشظي بين الجماعات السلفية فيما بينها من جانب، وبين سائر الجماعات الأخرى من جانب آخر، ليس من منهج السلف في شيء، فمن خصائص منهج السلف، الحرص على الائتلاف ووحدة الصف ولذلك سموا «بالجماعة لكرهم للفرق وللتحزب الذي يشتم الأمة ويبعث جهودها، ولذلك يرى العلماء أنه لا مانع من ترك بعض المستحبات إذا كان في تركها وحدة القلوب، فعندما ذكر (ابن تيمية) موضوع الجهر بالبسملة في الصلاة والخلاف فيه قال: «يستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه القلوب، بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا»^(٣).

وينوه (ابن تيمية) بأخلاق السلف مع بعضهم بعضاً، فيقول: «وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل

(١) أ.د. أبو اليزيد العجمي - فقه العقيدة عند الشافعي وأحمد، ص: ٦١.

(٢) موقع: أ.د. الشريف حاتم العوني - (الفرق بين السلف والسلفية)، مرجع سابق.

(٣) د. محمد العبد - (مجلة المنار) مرجع سابق، ص: ٣٩.

العملية وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسوق ولا بمعصية»^(١).

إن البون الشاسع بين السلفية المعاصرة ومنهج السلف جعل أحد المنصفين من دعاة السلفية المعاصرة، يقول: «فليس ثمة فرد ولا جماعة متحيزة تمثل السلفية بمعناها الشرعي، وإنما قد يوجد من ينتسب إليها، ويسعي أن يحيا بمنهجها، وقد يصيب وقد يخطئ، وأخطاؤه لا تنسب إلى المنهج، ولا إلى غيره من الأفراد أو الدعوات التي انتسبت إلى ذات المنهج»^(٢).

وحتى لا نتحدثنا بالألقاب والأسماء والعناوين، لا بد أن نعلم الإطار الذي يحدد دائرة الالتزام على المنهج المستقيم، وهو «الانضباط بالقواعد والأصول المتفق عليها في فهم النصوص العربية عامة ونصوص القرآن والسنة خاصة، بعد التقيد بمنهج المعرفة في التفريق بين العقائد والأفكار الباطلة الزائفة والعقيدة السليمة الصحيحة التي تنهض على دعائم المنطق والعلم.

فمن التزم بتلك القواعد التي تم الاتفاق عليها واجتهد فيما وقع الاجتهاد فيه منها، فهو واحد ممن وُفق إلى المنهج المستقيم، أيًا كان عصره الذي عاش فيه. وإنما للسلف الصالح عليهم مزية بما كانوا يتمتعون به - بسبب قربهم من رسول الله ﷺ من صفاء الرؤية إلى مبادئ الإسلام ونصوص القرآن والسنة، فكانوا بحق أساتذة لمن بعدهم في كيفية الالتزام بالمنهج وكيفية تطبيق القواعد المرسومة في تفسير النصوص. شأنهم في ذلك كشأن الرعيل الأول من العرب الذين كانوا بحق أساتذة لمن بعدهم من علماء العربية وقواعدها، في فهم تلك القواعد وتطبيقها وحدود العمل بها»^(٣).

(١) ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ٣ / ٢٢٩.

(٢) د. محمد يسري إبراهيم - فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر، دار اليسر، ط ٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص: ١٧.

(٣) انظر: أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي - السلفية مرحلة زمنية مباركة، دار الفكر، دمشق، ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٢٢٤.

وخلاصة القول: أن منهج الصحابة في التلقي والفهم عن كتاب الله وسنة نبيه هو الأصل والمعيار الذي ينبغي أن يُحتذى به ويُبنى عليه، نهضةً وتقدماً وريادةً كما كانوا!!

فلا يكفي السلفية المعاصرة الانتفاء للسلف، ولا الاعتزاز بالسلفيات السابقة، وهي تكرر حلول الماضي لغير مشكلات الماضي، ومشكلات الواقع، بل لابد من صحة الانتساب للسلف من تأكيد المنهجية السلفية القادرة على حل مشكلات العصر، بقدرة الإسلام على المواجهة، مع أصالة الانتفاء للمنهج..^(١)

وما أجمل ما ذهب إليه أحد دعاة السلفية المعاصرة في دعوته إلى «تحرير مصطلح السلفية من اللبس والاحتكار وتنقيته مما ران عليه من غبار الصحراء والفرعنة والرهينة، وبيان أن السلفية ليست مذهباً مغلقاً، إنما هي أصل وبوصلة وصورة.. فالأصل: مصباح الكتاب والسنة، في زجاجة التطبيق النبوي والراشدي، ومشكاة سنن الله في الإنسان والآفاق..^(٢).

ثالثاً: رد شبهة بدعية مصطلح السلفية:

يذهب الدكتور (البوطي)^(٣) - ومن ذهب مذهبه - إلى أن من الخطأ بمكان أن نعتمد إلى كلمة (السلف) فنصوغ منها مصطلحاً جديداً، طارئاً على تاريخ الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي، ألا وهو (السلفية) فنجعله عنواناً مميزاً تدرج تحته فئة معينة من المسلمين، تتخذ لنفسها من معنى هذا العنوان وحده مفهوماً معيناً، وتعتمد فيه على فلسفة متميزة، بحيث تغدو هذه الفئة بموجب ذلك جماعة

(١) انظر: أ.د. راجح الكردي - الاتجاه السلفي... ص: ٦.

(٢) انظر: د. حاكم المطيري - الحرية والطوفان، مقولة: عبد الله الحامد، ص: ٦٢.

(٣) محمد سعيد رمضان البوطي (١٣٤٧ - ١٤٣٤ هـ / ١٩٢٩ - ٢٠١٣ م)، عالم سوري متخصص في العلوم الإسلامية، ترك أكثر من ستين كتاباً في علوم الشريعة، والآداب، والتصوف، والفلسفة، والاجتماع ومشكلات الحضارة. راجع: (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

إسلامية جديدة.. تمتاز عن بقية المسلمين بأفكارها وميولاتها، بل تختلف عنهم حتى بمزاجها النفسي ومقاييسها الأخلاقية، كما هو الواقع اليوم فعلاً.

بل إنا - والكلام للبوطي - لا نعدو الحقيقة إن قلنا: إن اختراع هذا المصطلح بمضامينه الجديدة التي أشرنا إليها، بدعة طارئة في الدين، لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأمة ولا الخلف الملتزم بمنهجهم.

فإن السلف رضوان الله عليهم، لم يتخذوا من معنى هذه الكلمة بحد ذاتها مظهرًا لأي شخصية متميزة، أو أي وجود فكري أو اجتماعي خاص بهم يميزهم عن سواهم من المسلمين. ولم يضعوا شيئاً من يقينهم الاعتقادي أو التزاماتهم السلوكية والأخلاقية في إطار جماعة إسلامية ذات فلسفة وشخصية فكرية مستقلة..^(١)

ويرى الدكتور (البوطي) - أن حركة الإصلاح الديني - الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا - كان لها أثر كبير في الترويج لكلمة (السلف) في الأوساط الثقافية والاجتماعية العامة، بعد أن كانت كلمة ذات دلالة محدودة، لا تستعمل إلا في مناسبات علمية ضيقة..

وهكذا تحولت كلمة (السلفية) من شعار أطلق على حركة إصلاحية للترويج لها والدفاع عنها، إلى لقب لُقّب به مذهب يرى أصحابه أنهم دون غيرهم من المسلمين على حق، وأنهم دون غيرهم الأمناء على عقيدة السلف والمعبرون عن منهجهم في فهم الإسلام وتطبيقه.

ثم يبيّن أن التمذهب بالسلفية بدعة لم تكن من قبل.. وأن من عرّف نفسه بأنه ينتمي إلى ذلك المذهب الذي يسمى اليوم بالسلفية، فلا ريب أنه مبتدع؛ ذلك لأن ترجمة كلمة (السلفية) إن كانت تتطابق مع ما تدل عليه كلمة (أهل

(١) أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي - السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص: ١٣.

السنة والجماعة)، فقد ابتدع لجماعة المسلمين اسمًا غير الذي أجمع عليه السلف - رضوان الله عليهم -، وحسب هذه التسمية المبتدعة التي لا داعي لها أنها تثير الاضطراب والشقاق في صفوف المسلمين..^(١).

وينتهي في آخر كتابه - الذي خصّصه لذلك - ببيان الآثار الضارة اللاحقة بالأمة الإسلامية من جرّاء هذه البدعة، فيلخصها في أمرين، هما:

الأمر الأول: الأذى المتنوع البليغ الذي انحط في كيان المسلمين من جرّاء ظهور هذه الفتنة المبتدعة، فلقد أخذت تقارع وحدة المسلمين، وتسعي جاهدة إلى تبديد تآلفهم وتحويل تعاونهم إلى تناحر وتناكر. وقد عرف الناس جميعًا أنه ما من بلدة أو قرية في أي من أطراف العالم الإسلامي، إلا وقد وصل إليها من هذا البلاء شظايا، وأصابها من جرّائه ما أصابها من خصام وفرقة وشتات.

بل ما رأيت أو سمعت شيئًا من أنباء هذه الصحوّة الإسلامية التي تحتاج اليوم كثيرًا من أنحاء أوربا وأمريكا وآسيا، مما يثلج الصدر ويبعث على البشر والتفاؤل، إلا ورأيت أو سمعت بالمقابل من أخبار هذه الفتنة الشنعاء التي سيقّت إلى تلك الأوساط سوقًا، ما يملأ الصدر كربًا ويزج المسلم في ظلام من الخيبة الخانقة والتشاؤم الأليم.

ويضرب أمثلة للخلافات والخصومات الطاحنة التي تثيرها جماعة السلفية، أذكر منها: ولما اشتدت هذه الخصومات ذاتها واهتاجت، في أحد مساجد باريس، منذ ثلاثة أعوام، حتى اضطرت الشرطة الفرنسية إلى اقتحام المسجد. والمضحك المبكي بأن واحد، أن أحد أطراف تلك الخصومة أخذته الغيرة الحمقاء لدين الله ولحرمة المساجد، لما رأى أحد الشرطة داخلًا المسجد بحذاءه، فصاح فيه أن يخرج أو يخلع حذاءه. ولكن الشرطي صفعه قائلًا: وهل أُلجأنا إلى اقتحام المسجد على هذه الحال غيركم أيها السخفاء...؟!

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٢٣٥ إلى ٢٣٧.

الأمر الثاني: أن أولي الفكر اليساري، رأوا في ظهور جماعة جديدة يسمون أنفسهم بالسلفية، مرتعاً خصباً، ومادة غنية، في مجال تحليلاتهم الماركسية الجدلية للتاريخ والتراث..

لقد فتش منظرو المادية الماركسية الجدلية عن ظاهرة التناقض المطلوبة هذه، ليفسروا بها حركة التاريخ الإسلامي ويخضعوها لتصوراتهم المادية التي هي في نظرهم المحرك الأول والأخير للتاريخ البشري، وطال بهم التفتيش.. إلى أن عثروا أخيراً على مطلبهم الثمين الذي يمكن أن يحل لهم المعضلة وأن يخرجهم من زاوية الحرج.. إنه النزعة السلفية التي تشكل العصب التناقضي الممتد - في تصورهم - منذ فجر الإسلام إلى هذا اليوم، والذي من شأنه أن يهيج الصراع الحتمي بين القديم والحديث..^(١).

ويشيد الدكتور (محمد سليم العوا)^(٢) بكثير مما جاء في كتاب الدكتور (البوطي) عن (السلفية) إلا أنه لا يُسلم له بالقول ببدعية تسمية مذهب فكري معين بالسلفية، وبدعية الانتساب إليه؛ ذلك أن المدارس الفكرية لم تختَر أسماءها عمداً عن تخطيط سابق لنشأة كل مدرسة، وإنما وُجدت هذه الأسماء اتفاقاً، وجاء أكثرها من تسمية الناس لروادها لا من اختيار هؤلاء الرواد لها.

ويبين الدكتور (العوا) بأنه لا يُماري في أن اسم السلفية لحق بالذين وقفوا موقف الإمام (أحمد) في محنة خلق القرآن، وأنه سمي (ناصر السلفية). ويرد على (احتجاج البوطي) الذي يرى فيه أن الشافعي - بمنطق السلفيين - ليس سلفياً؛ لأنه لم يقف موقف أحمد وهو معاصر له^(٣)، بأن هذا الاحتجاج يتضمن

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٢٤٤ وما بعدها.

(٢) (محمد سليم العوا) دكتور ومفكر إسلامي مصري، وكاتب ومحامي متخصص، له العديد من المؤلفات، ولد بالإسكندرية ١٩٤٢ م.

(٣) أ.د. البوطي - السلفية...، مرجع سابق، ص: ٢٤١.

مغالطة واضحة أو خطأ لا يخفى؛ لأن (الشافعي) رحمه الله توفي في مصر سنة ٢٠٤هـ، والمحنة بخلق القرآن لم تبدأ إلا في سنة ٢١٨هـ، فكيف يُتصور موقف للشافعي فيها؟ وكيف يصح القول بأن (الشافعي) لم يشارك (أحمد بن حنبل) في موقفه من خلق القرآن؟!..!

ويقّر الدكتور (العوا) بما قاله الدكتور (البوطي) عن مثالب بعض المتسبين إلى السلفية - ولا سيما المدرسة الوهابية - وإن أنكره كثير من علمائهم.. وإن كان الحمل - عند توافر موجهه - يكون على العلماء لا العامة.

ويخلص الدكتور (العوا) إلى أن الذهاب إلى ما يدعو إليه الدكتور (البوطي) من التخلص من اسم المدرسة السلفية يؤدي إلى تجميع الحدود والفواصل بين المدارس الفكرية المختلفة، وقد رأينا وسنرى أن لكل مدرسة خصائصها المميزة لها، ونحن مع الإمام (مالك بن أنس) رحمه الله في أن «كل مخلوق يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم». والإسلام في النهاية يسع أهل القبلة كافة فلا تبديع ولا تفسيق ولا تكفير، أما الخطأ والصواب فبابه واسع، وليس في الدنيا دين، ولا مذهب فكري، يجعل للمصيب أجرين وللمخطئ أجراً واحداً إلا هذا الدين القويم العظيم فليسعنا ما وسّع فيه علينا نبينا صلى الله عليه وسلم ولنلتمس العذر بعضنا لبعض، ثم لنحسن الظن فإن إساءة الظن بالمسلم لا تجوز^(١).

والحق أننا إذا ذهبنا مذهب (البوطي) في إلغاء مصطلح (السلفية)؛ لأنه (بدعة طارئة في الدين، لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأمة ولا الخلف الملتزم بمنهجه) سنلغي كل المصطلحات التي استحدثت والتي لم يعرفها السلف الصالح؛ - بحجة أنها بدعة لم يعرفها السلف - كمصطلح الأخلاق، والتصوف، وعلم الكلام، والنحو والبديع والمعاني، والفقه وغير ذلك..

(١) أ.د. محمد سليم العوا - المدارس الفكرية الإسلامية، ص: ٣٣٥، ٣٣٦.

فالأسماء التي أصبحت علماً على علم أو فكر، لا مبرر ولا مجال لإنكارها، فقد أصبحت دلالة واضحة للتعريف والتمييز بين العلوم المتنوعة، والمذاهب الفقهية، والمدارس الفكرية المختلفة..

وفي هذا يقول (ابن تيمية): «بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها، مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفي والمالكي، والشافعي، والحنبلي أو إلى شيخ، كالقادري، والعدوي، أو مثل الانتساب إلى القبائل؛ كالقيسي واليماني، وإلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري - فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان»^(١).

وهذه القمة السامقة لابن تيمية - التي تجمع ولا تفرق، وتهدى ولا تضل - وجدنا رائد السلفية المعاصرة - في الكويت - يقترب منها بقوله: «إننا لا نتعصب لهذا الاسم (السلفية) ولا نعادي عليه ولا نجعله شعاراً بديلاً عن الإسلام بل نحن مسلمون أولاً وأخيراً إن شاء الله بهذا سمانا الله وقد رضيانا بالإسلام ديناً. والسلفية لا تعني عندنا أكثر من الإسلام الصحيح الموافق للكتاب والسنة والمتبع للسلف الصالح رضوان الله عليهم»^{(٢)(*)}.

بيد أن ممارسات وتطبيقات بعض الجماعات العاملة للإسلام عامة، وكثير من السلفية المعاصرة خاصة دون هذه القمة بكثير؛ فهي تفرق ولا تجمع، وتنفر ولا تحبب..

فإذا كان (ابن تيمية) قد جعل الولاء والبراء على الإسلام الجامع لا على الأسماء والجماعات، وأكد أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم في أي طائفة كانت..

(١) ابن تيمية - مجموع الفتاوى - ٤١٦ / ٣.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية للدعوة السلفية، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، ص: ١٢.

(*) ومع إشادتنا للشيخ (عبد الخالق) بهذا التصريح المتوازن إلا أننا سنرى أقوالاً له تتناقض مع هذا التصريح!

فهناك مَنْ يذهب غير ما ذهب إليه ابن تيمية، بل يرى أن الاسم الذي سمانا الله به - ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] غير كافٍ لصحة العقيدة والإسلام، بل لابد لصحة عقيدته وإسلامه أن يقول: أنا سلفي^(١)!!

ما أشد حاجتنا أن نجعل ولاءنا على الإسلام الجامع لا على الأسماء والجماعات؛ لأن «الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى عزمات تقف في وجه التحديات والمخاطر الكبيرة التي تواجهها، حيث بات أهل السنة بكل مسمياتهم وديار أهل السنة وحتى كعبتهم في خطر، ومسائل الاختلاف التي لم تتفق الأمة عليها طوال القرون الماضية، ولا أظنها ستفعل في قابل الزمان، هي آخر ما تحتاجه هنا^(٢)».

ومن ثمَّ يجب على كل طائفة من طوائف أهل السنة أن تنظر إلى الحق الذي عند غيرها؛ لكي تكمل نقصها - دون تبديع ولا تفسيق -، وتجعل من الاختلاف، اختلاف تنوع وتكامل، لا اختلاف تناقض وتضاد!!

وكما قال أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصر - وهو يعبر عن فلسفة التوازن في الإسلام -: «إن منهجي هو تسليف الصوفيّين وتصويف السلفيين»^(٣)

وفي نهاية هذا المبحث نخلص إلى أن الفهم الحقيقي لمصطلح السلف يشمل كل حركات الإحياء والإصلاح الإسلامية عبر التاريخ، ولا يقتصر على جماعة بعينها، ولا يحتكره تيار يدّعي أنه يمثله دون التيارات الأخرى العاملة للإسلام، وأن البون شاسع بين المذهبية السلفية المعاصرة وبين منهج السلف، الذي هو

(١) انظر إلى حوار (الألباني) بالكامل مع (أبو شقة) في كتاب: لماذا اخترت المنهج السلفي؟، ص: ٤٠. مرجع سابق.

(٢) وسام الكبيسي - مقال: السلف والسلفيون في مجلة (رؤية) العدد الحادي عشر، في ١٥ / ١٠ / ٢٠١٦م، ص: ١١-١٣.

(٣) محمد المبارك - الإسلام والتيارات الفكرية العالمية، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص: ١٢.

الأصل الذي انبثق عنه الجميع، وبه تقاس أفكارهم، ومن ثمّ لا يُعدّ فرقة خاصة أو مذهباً ضمن المذاهب، وإنما هو الأصل والمرجع..

وفي ضوء منهج السلف الصالح، الذي هو الأصل والمرجع، نناقش أصول المنهج السلفي وخصائصه عند شيوخ السلفية المعاصرة في مصر والكويت، في المبحثين القادمين.

* * *

المبحث الثاني

أصول المنهج السلفي

◀ تمهيد.

◀ أولاً: التوحيد.

◀ ثانياً: الاتّباع.

◀ ثالثاً: التزكية.

تمهيد:

بعد أن تم التعرف على البون الشاسع بين المنهج والمذهب، وبين المبادئ والمثل التي يُقاس عليها ويُقتدى بها، وبين المذاهب التي تمثل آراء الرجال واجتهاداتهم..، وأن منهج الصحابة في التلقي والفهم عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هو الأصل والمعيار الذي ينبغي أن يُحتذى به ويُبنى عليه، نهضةً وتقدماً وريادةً كما كانوا..!، نتعرف - في ضوء ما سبق - على أصول المنهج السلفي وخصائصه، كما كتبه وبَيَّته بعض شيوخ السلفية المعاصرة في (الكويت ومصر) حسب خطة هذه الدراسة..

والأصل في أصول المنهج السلفي وخصائصه، هو ما كتبه رائد السلفية المعاصرة في الكويت (الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق)^(١) في كتابه (الأصول

(١) (عبد الرحمن عبد الخالق): ولد بمصر عام ١٩٣٩ م، وحصل على العالمية من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة..

عمل في مجال البحث العلمي بجمعية إحياء التراث الإسلامي، ومنح الجنسية الكويتية ٢٠١١ م وهو من مؤسسي السلفية في الكويت. وقد توفي في يوم الثلاثاء ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠ م عن عمر يناهز ٨١ عامًا ﷺ، فقد كرّس حياته للدعوة إلى الله والدود عن الدين.

العلمية للدعوة السلفية)، وقد تأثر به رواد الدعوة السلفية في مصر، فكتب الشيخ (أحمد فريد)^(١) كتابه (السلفية قواعد وأصول)، الذي يسير فيه على خطى شيخه (عبد الخالق) شكلاً ومضموناً، بيد أننا نلاحظ أنه كتب في أصول المنهج السلفي دون خصائصه.

ويصف الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) كتابه (الأصول العلمية للدعوة السلفية) بأنه رسالة موجزة مختصرة، وأنها بيان واضح للأصول التي ابنتى عليها مذهب علماء السلف في فهمهم للكتاب والسنة والعمل بهما. وأنه أراد بها توضيح الطريق لسالكها حتى لا تختلط الدروب، ويعمى على الناس الصراط المستقيم من الطرق المعوجة الهالكة.

ثم يضيف: ولقد كانت - على صغر حجمها وافية - بحمد الله في موضوعها، واضعة معالم الطريق السلفي مرشدة لأهداف الرسالة الإسلامية، موضحة غايات الدعوة السلفية، واضعة أصول المنهج السلفي الذي هو المنهج القويم لفهم الإسلام والعمل به، والذي هو بحمد الله طريق الخلاص للأمة وسبيل عزتها ونصرها^(٢).

ولأهمية هذه الرسالة في الوسط السلفي تلقفتها أيدي إخوانه السلفيين في كل مكان، حيث استنسخها بعضهم بقلمه، وتداول آخرون النسخة الواحدة واحداً بعد واحد، وصورها آخرون ووزعوها ونشروها، وهذا ما أكدته الشيخ بنفسه، وأكدته تلاميذه^(٣).

(١) (أحمد فريد): هو الطبيب السكندري ولد عام ١٩٥٢م، أحد مشايخ أمناء الدعوة السلفية السكندرية وأحد المؤسسين، له رسالة في (تاريخ الصحوة والدعوة) يؤرخ فيها شهادته عن سيرته ومسيرته في الدعوة، له اهتمام كبير بباب الرقائق.. (انظر: أحمد شلاطة - الدعوة السلفية السكندرية، ص: ١٩٢).

(٢) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية للدعوة السلفية، ص: ٩، ٢٠.

(٣) نفس المرجع، ص: ٩. سيأتي أثر هذه الرسالة في أوساط الشباب السلفي عند تناولنا لنشأة وتكوين الجماعات السلفية في مصر.

ومما استوقفني كثيراً - والذي تمنيت أن أراه واقعاً - قول الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق): فالنماذج السلفية الفريدة التي تربت على هذا المنهج قد أثبتت بأخلاقيها وصفاتها وعلمها أنها على طريق السلف الصالح حقاً، وعلى مثال قرون الخير الأولى صدقاً! وأن هذا الدين لا تنتهي عجائبه، ولا تنفذ ذخائره وأنه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرهم الدجال.. إلى أن قال في حق إخوانه السلفيين:.. وجاهدوا بكل أنواع الجهاد المتاحة لهم وأعادوا للإسلام إشراقه وبهجته، وحياته وحركته وشبابه ونضرتة، ولا يزال ركب الخير والحمد لله كل يوم في زيادة^(١)!

هذا وسنقف مع أصول المنهج السلفي التي حددها الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) رائد السلفية المعاصرة في الكويت، كما سنقف مع السلفية قواعد وأصول للشيخ (أحمد فريد) أحد مؤسسي الدعوة السلفية المعاصرة في مصر؛ لنرى هل هي حقاً - كما ذهبنا - تمثل المنهج القويم لفهم الإسلام والعمل به؟!
أولاً: التوحيد:

أ- أصل التوحيد عند الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق):

إن الأصل الأول من أصول الدعوة السلفية هو التوحيد. ولا يعني هذا الأصل ما يؤمن به وما يفهمه كثير من الناس من معنى التوحيد وهو أنه لا خالق إلا الله، بل يفهم السلفي ويعلم من معاني التوحيد أصولاً عظيمة، وقضايا كبيرة، الإخلال بقضية منها إشراك بالله تعالى أو إلحاد في أسمائه، وكثير من المسلمين يجهل كثيراً من هذه الأصول والقضايا فيقع في الشرك ويظن نفسه مؤمناً موحداً. والحال أنه إما أن يكون ملحدًا في صفات الله وأسمائه مؤمناً بها على وجه آخر، أو مشركاً عابداً لغير الله سبحانه وتعالى. وأصول التوحيد في المعتقد السلفي كما يلي:

(١) نفس المرجع، ص: ٩، ١٠.

١- الإيمان بصفات الله سبحانه وأسمائه على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى دون تحريف أو تأويل. فالله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه في آيات كثيرة جداً ووصفه رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة جداً مدونة في كتب السنة، كالبخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وغير ذلك مما هو صحيح ثابت حسب قواعد مصطلح الحديث.

بل الإيمان بصفات الله سبحانه وتعالى هو أكبر قضية من قضايا العبادة والإيمان كما جاء في الحديث أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]^(١) تعدل ثلث القرآن وليس فيها إلا صفة لله سبحانه وتعالى، والمحرفون المؤولون عمدوا إلى هذه الآيات فحجبوا نورها عن المسلمين، فإما أن يقولوا: هي آيات متشابهة لا نخوض في معناها ونؤمن بها كما جاءت يعنون أنه لا يجوز للمؤمن أن يفهم من معناها شيئاً، فيكون عند ذلك ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] كقوله تعالى: ﴿الْمَ﴾ ﴿طَسَمَ﴾ فكما أننا لا نفهم معنى محددًا من هذه الحروف المقطعة فأيات الصفات عندهم كذلك، وبذلك حجبوا نور هذه الآيات أن ينفذ إلى قلوب المؤمنين، وأن يستشعر المسلم عظمة الله كما يليق بجلاله وعلو شأنه وذاته. وبذلك فرّغوا التوحيد من أعظم قضاياها وهو الإيمان بصفات الله جلّ وعلا..

وأما أن هؤلاء المؤلّين يعمدون إلى آيات الصفات فيحرفونها زاعمين أنه تأويل. فيؤولون مجيء الله يوم القيامة بمجيء أمره، وأن استواءه على عرشه باستيلائه عليه.. ويده بقدرته ووجهه سبحانه وتعالى بذاته..

والمهم هنا الإشارة إلى هذه الطوائف من المسلمين الذين زعموا الهداية لأنفسهم وهذا كذبهم على الله وافترائهم عليه.. وخلاصة هذا الأصل الأول أن

(١) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم: ١٣٩٧.

السلفي يؤمن بصفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى كما جاءت في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.. وبذلك يفترق السلفي عن جمهور كثير يظنون أنفسهم موحدين لله وما هم كذلك، وقد حرّفوا صفات الله، ومنعوا الناس عن الإيمان بها والتصديق بمعانيها أو بدّلوا لهم معانيها وأمروهم أن يؤمنوا بها على نحو آخر^(١).

٢- أفراد الله سبحانه وتعالى وحده بالعبادة وعندما نقول إفراده بالعبادة فلا نعني الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط، بل نعني كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من معانيها وعلى رأس ذلك الدعاء، فالدعاء هو العبادة فلا دعاء لغير الله كائنًا من كان، رسولًا أو وليًّا حقًّا، أو وليًّا مزعومًا. ويأتي بعد الدعاء السجود، والحب والتعظيم والخشية والخوف، وكذلك الذبح والنذر والرغبة، وكل هذه الأمور من حق الله سبحانه وتعالى وقد صرفها كلها أو بعضها كثير من الناس لغير الله، ويكفيك زيارة واحدة لقبر من القبور المشيدة حتى تشاهد كل ذلك الطلب الصريح من صاحب القبر بكل ما لا يجوز أن يطلب إلا من الله، كشفاء المرضى والانتصار من الأعداء، والشفاعة عند الله، والمدد، وبالجملة فإنه يطلب من هؤلاء الأموات خيري الدنيا والآخرة، وهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، ويفعل هذا طوائف كثيرة ينسبون إلى الإسلام..

والدعوة السلفية تجعل نصب عينها تطهير معتقد الناس من هذا الشرك الظاهر الجلي الذي لا يماري فيه إلا مشرك ولا يكابر فيه أو يدافع عنه إلا مطموس القلب بعيد عن نور التوحيد والإيمان^(٢).

٣ - الإيمان بأن الله وحده سبحانه وتعالى وليس لأحد سواه حق التشريع للبشر في شؤون دنياهم كما قال جلّ وعلا ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]. فالتشريع حق للرب جلّ وعلا. واعتداء سلاطين الأرض وملوكها ورؤسائها

(١) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية للدعوة السلفية، ص: ٢٣ - ٢٦.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٢٦، ٢٧.

على شرعة الله بتحليل ما حرم، وتحريم ما أحل عدوان على التوحيد وشرك بالله ومنازعة له في حقه وسلطانه جلّ وعلا، وأكثر سلاطين الأرض اليوم وزعماءها قد تجرؤوا على هذا الحق، وتجرؤوا على الخالق الملك سبحانه وتعالى فأحلّوا ما حرم، وحرّموا ما أحل، وشرعوا للناس بغير شرعه زاعمين تارة أن تشريعه لا يوافق العصر والزمن، وتارة أنه لا يحقق العدل والمساواة والحرية..

والشهادة لهؤلاء الظالمين بالإيمان عدوان على الإيمان وكفر بالله سبحانه وتعالى ونأسف إن قلنا إن سوادًا كبيرًا من الناس قد أطاعوا كبراءهم فيما شرعوا لهم من شرع مخالف لشرعه سبحانه وتعالى، وكثير من هذا السواد يصلي ويصوم - مع ذلك - ويزعم أنه من المسلمين.

والدعوة السلفية جهاد بكل معاني الجهاد لرد الحق إلى نصابه، وجعل الدين لله وحده، وتخليص الأمة من هذا الشرك الأكبر والكفر البواح الذي استشرى فيها. وذلك لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، ولا تكون كذلك في واقع الناس إلا إذا كان الحكم لله وحده. والتشريع لله وحده، وفق ما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ووفق ما يجتهد فيه أئمة العصر من المسلمين ليتوصلوا باجتهدهم إلى ما يرضي ربهم ويوافق شرعته. وتخليص الأمة من هذا الشرك بالبيان والدعوة والجهاد واجب؛ لأن هذه القضية إحدى قضايا المعتقد السلفي.

والمنهج السلفي يأخذ قضايا التوحيد الثلاثة السابقة جملة، ليظهر قلوب أتباعه من الشرك فيها جميعًا، لأننا نعتقد أن من مات وهو يدعو غير الله لم يكن من أهل الجنة، ونعتقد أيضًا أن بعض التحريف لمعاني الصفات والأسماء شرك بالله وكفر به، وإن كان بعضه لا يبلغ ذلك. ونعتقد كذلك أن من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، ومن اعتقد أن لأحد من البشر أن يشرع للناس في شؤون معاشهم ودنياهم دون الرجوع إلى شرع الله والالتزام به والسير بمقتضاه فقد عبد غير الله وأشرك به شركًا جليًا. كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿[النساء: ٦٥].

وبهذا الأصل (التوحيد) يفترق المنهج السلفي عن كثير من مناهج الإصلاح
المنسوبة للإسلام التي لا تدخل هذه القضايا في حسابها ولذلك نجد أن كثيراً
منهم يفتنون أعمارهم في قضايا فرعية عملية، وفي خلافات جزئية. وينسون أصل
الدين الأصيل وهو التوحيد الخالص الذي ما جاء الشرع إلا لأجله، وأمثال
هؤلاء لا يعنون من الشرك إلا عبادة المسيح والأصنام، وأما تلك الصور التي
عرضناها عليك آنفاً فإنهم لا ينكرونها بل يباركونها ويوافقون أصحابها وإن
حصل لها عند بعضهم إنكار فإنما هو كإنكار بدعة يسيرة لا تضر عندهم بالدين.
والحال إنها من أصول التوحيد وتفويتها قدح في العقيدة والإسلام^(١).

ب- أصل التوحيد عند الشيخ (أحمد فريد):

إن أصل الأصول هو التوحيد، فما بعث الله ﷺ رسولاً إلا بالتوحيد، قال ﷺ:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
[الأنبياء: ٢٥].

وهذه مقالة متكررة من كل رسول: ﴿..اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠].

فقضية الأنبياء واحدة كما أن قضية الدعاة إلى الله ﷺ واحدة. كما أن القضية
التي ينبغي أن تهتم بها كل دعوة تدّعي أنها على الحق، وأنها على السنة، وأنها
الفرقة الناجية، هي قضية التوحيد أي: تعبيد الناس لله ﷻ.

فهذا ربيعي بن عامر الذي فهم عن رسول الله ﷺ لما دخل على رستم سأله عما

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٢٨ - ٣١.

جاء به، فقال: «إن الله ابتعثنا لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

كيف فهم ربعي بن عامر قضية الإسلام؟!، وكيف تكون الدعوة إلى الله ﷻ؟! ما قال: إن الله بعثنا بالحب في الله، أو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لقضية الجهاد، بل قال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد؛ لأن الناس يعبدون الأشجار، والأحجار، والشمس، والقمر، والبقر، والطواغيت، والأموال، والهوى، والشياطين، الناس يعبدون آلهة متعددة.

فوظيفة الرسل وأتباع الرسل هي: أنهم يخرجونهم من هذه العبادة الباطلة، من عبادة غير الله، ويعبدونهم الله ﷻ، يعرفونهم التوحيد ويعرفونهم بالله ﷻ، وهي القضية التي خلق الله من أجلها الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والله ﷻ خلق الجن والإنس لعبادته.

فالرسل يوجهون الناس لهذه الوظيفة التي خلقهم الله ﷻ من أجلها، فهل ترون قضية أهم من قضية التوحيد؟ هل ترون أن الناس يمكن أن ينصلح حالهم؟ أو يستقيم أمرهم، وأن يسعدوا في الدنيا والآخرة بقضية غير قضية التوحيد؟

لذلك كانت قضية التوحيد هي القضية الأولى في هذه الدعوة؛ لأنها قضية الرسل، قضية تعبيد الناس لله ﷻ، والتوحيد ليس هو التوحيد عند المعتزلة - وهو توحيد الصانع -، وليس التوحيد عند الصوفية - وهو اعتقاد الحلول والاتحاد ووحدانية الوجود -، ولكن التوحيد أن تعتقد أن الله ﷻ واحد، وما ينبغي أن تتعرف به على الله ﷻ، وأن تثبته لله ﷻ من أسمائه وصفاته وربوبيته، وكذلك أفراد الله ﷻ بكل ألوان العبادة.

ويدخل - بلا شك - في قضية التوحيد الإيمان بالملائكة، والرسل، والكتب،

واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فكل هذا يدخل في قضية التوحيد: القضية الأولى عند الرسل.

فأي دعوة لا تهتم بقضية التوحيد، ولا تجعل قضية التوحيد نصب عينها، فهي دعوة على غير هدي المرسلين، مهما كانوا يقولون: دعوة عالمية، ودعوة عمرها ثمانون سنة، ودعوة منتشرة في بقاع الدنيا، فإن هذا لا يغني عنهم شيئاً إذا كانت هذه الدعوة لا تهتم بقضية التوحيد فهي دعوة على غير هدي المرسلين؛ لأن الرسل دعوتهم كانت للتوحيد، والله ﷻ أرسل كل الرسل بدين واحد وهو التوحيد ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].

فأصول العقائد واحدة لم تختلف من رسول إلى رسول، فالذي جاء به نبينا محمد ﷺ من التوحيد، هو ما جاء به موسى، وما جاء به عيسى، وما جاء به إبراهيم عليه السلام وهو الإسلام إسلام الوجه لله، والإيمان بأمور الإيمان الستة..

لذلك أي دعوة ينبغي أن تهتم بقضية التوحيد، وأن تعلم التوحيد الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ لقول الله ﷻ: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ۖ ﴾ [البقرة: ١٣٧] فعقيدة الصحابة: هي المقياس الصحيح للعقيدة، فأى معتقد يخالف اعتقاد السلف فهو باطل؛ لأن الحق هو ما تركنا عليه رسول الله ﷺ^(١).

ج- ملاحظات على ما قدمه عبد الرحمن عبد الخالق وأحمد فريد عن أصل (التوحيد):

إن ما قدمه الشيخان عبد الرحمن عبد الخالق وأحمد فريد عن أصل (التوحيد)، يستدعي بالضرورة عدة ملاحظات، أذكر منها:

(١) انظر: أحمد فريد - السلفية قواعد وأصول، ص: ١٨ - ٢٠.

١- إن ما عرضه الشيخان في شروط معرفة أصل (التوحيد) لا يتواءم وبساطة الإسلام ويسره في تعليم الناس، فلقد كان الرجل يأتي النبي ﷺ يتعلم منه أصول الإسلام وأركانه في يسر دون تقعر وتعقيد، وفي الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة: أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً، ولا أنقص منه. فلما ولى قال النبي ﷺ «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فليُنظر إلى هذا»^(١).

إن السلفية عودة إلى الإيمان السهل البعيد عن التقعر، البريء من المماحكات، إيمان القرآن وما يسكبه في القلب من يقين، وفي العقل من يقظة، وفي النفس من سكينة..!

٢- المبالغة في فهم معنى (التوحيد)، أو فهم معنى الشرك سمي دعاة هذه الدعوة باسم (التوحيد). وهنا في هذه المبالغة يمكن عامل (الفرقة) بينهم وبين بقية المسلمين، فبينما هم يرون أنفسهم موحدين أو أهل توحيد، ويرون غيرهم - ممن لا يسلك سبيلهم في المبالغة - مشركين، إذا بغيرهم ينظرون إليهم على أنهم: أهل تشدد وتزمت، وأصحاب ضيق في الأفق والفهم لهذا الأصل الإسلامي، وهو أصل (التوحيد). لأن زيارة القبور، أو إقامتها على وجه الأرض سوف لا يعيد الآن بحال وضع الوثنية العربية الأولى على عهد الدعوة الإسلامية، ومن ثم لا وجه لخشية الشرك، فضلاً عن وقوعه ممن يقيم القبر أو يزوره.

والوثنية التي يمكن أن توجد في عصرنا، ليست وثنية الأحجار أو الأموات، إنما هي وثنية الأحياء أصحاب السلطان والنفوذ. ولا يقضي على هذه الوثنية

(١) انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان رقم (٨).

بالدعوة إلى هدم القبور، وتحريم زيارتها، وإنما بتحقيق شعور المساواة بين الحاكم والمحكوم، وبتحقيق الإخاء والتعاون في الإسلام بين الفرد والمجموع، وتحقيق بقية المبادئ الإسلامية الأخرى في المجتمع الإسلامي^(١).

٣- الاستعجال في الحكم على الناس بالبدعية أمر مرفوض في مفهوم (السلفية الدعوية)، فالداعون إلى الله دعاة وليسوا قضاة على الناس في الدنيا، ولا حاكمين عليهم في الآخرة بجنة أو نار.

ومع إحساننا الظن بصاحب (الأصول العلمية) وما نظنه يقصد اتهام جمهور الناس حتى ممن يزورون الأضرحة، بالشرك، وخصوصاً ممن يزعمون العلم الشرعي وأظنه يتحوط، إلا أن العبارة أحياناً قد يلزم منها، ما لا يريد صاحبها بها إذ يقول: (ويكفيك زيارة واحدة لقبر من القبور المشيدة حتى تشاهد كل ذلك الطلب الصريح من صاحب القبر بكل ما لا يجوز أن يطلب إلا من الله، كشفاء المرضى والانتصار من الأعداء، والشفاعة عند الله، والمدد، وبالجملة فإنه يطلب من هؤلاء الأموات خيري الدنيا والآخرة، وهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، ويفعل هذا طوائف كثيرة ينسبون إلى الإسلام.. بل يصنعها كثيرون ممن يزعمون العلم الشرعي، ويحملون شهادات عريضة)^(٢).

وفي هذا تعجل واستعداد حتى لمن يحملون الشهادات العريضة في العلم الشرعي، فيوصفون بالشرك الأكبر، وما أظن أن الحكم على الناس وعلى علماء المسلمين بالشرك، يمكن أن يأخذ هذا التعميم، فالقضية خطيرة، وليس من طريق السلف، ولا من مصلحة مواجته الدعوية ومعاصرتة اتهام هؤلاء بالشرك.

(١) أ.د. محمد البهي - الفكر الإسلامي في تطوره، مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص: ٧٥.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية، ص: ٢٦، ٢٧.

فالناس يحتاجون إلى تعليم وبيان وتوضيح وإقامة حجة، والوصف بالكفر والشرك حكم على الفرد لا على الطوائف، يحتاج إلى مزيد من الحيلة والحذر بما لا يداخله احتمال أو شبهة، وفتح هذا الباب خطر، وقد يمزق وحدة العمل الإسلامي المنشودة..^(١).

وفي هذا يقول ابن تيمية: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين - وإن أخطأ وغلط - حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة»^(٢).

٤- لقد كانت العقيدة عقيدةً يحياها الإنسان، يطالعها في القرآن، ويؤكد لها نظره في الكون، وحسه الوجداني. ولذلك كان الجيل الأول من الصحابة والتابعين هم أعظم، وأول مَنْ تمثل عندهم الإيمان في الحياة، رغم أنهم لم يكتبوا رسائل، أو يعقدوا دروساً في الإيمان، ليشرحوا حقيقته وطبيعته والأدلة عليه..^(٣).

وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن (نبرهن) للمسلم على وجود الله، بقدر ماهي أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه باعتباره مصدراً للطاقة..^(٤).

لقد آن الأوان أن نتعد بالعقيدة عن مجرد المعرفة الذهنية التي لا تنفذ أشعتها إلى القلب فتضيئه، ولا إلى الإرادة فتحركها، وعن المراء والجدل الذي لا ينشئ إيماناً كإيمان القرآن الذي ينير العقل، ويوقظ المشاعر، ويحرك الإرادة، ويحيي

(١) أ.د. راجح الكردي - الاتجاه السلفي - ص: ٨٥ وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى - ١٢ / ٤٦٦.

(٣) أحمد سالم، عمرو بسيوني - ما بعد السلفية ص: ٩٧.

(٤) مالك بن نبي - وجهة العالم الإسلامي، ص: ٥٤.

الضمائر، ويصبغ حياة المسلم بأمر الله ونهيه.. إن إيمان القرآن هو الإيمان المنشود، هو الإيمان الأول، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ولا سيما أن «العقائد عندنا أقلّ كمًّا وكيفًا من الكتب التي تعرضها، ومجاذلات الفراغ التي حفت بها والتي شغبت قضاياها دونها سبب.. وهي تُستفاد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في وقت قليل، والمهم أن تتشبث بالقلب، وتتحوّل إلى قوة دافعة، ونور يضيء الطريق..»^(١).

٥- علوّ نبرة الاستعلاء في خطاب عبد الخالق وأحمد فريد وكأن الحق وحده عند الخطاب السلفي دون غيره. وتلك نماذج مما سبق تقديمه: (إن الأصل الأول من أصول الدعوة السلفية هو التوحيد. ولا يعني هذا الأصل ما يؤمن به وما يفهمه كثير من الناس من معنى التوحيد وهو أنه لا خالق إلا الله، بل يفهم السلفي ويعلم من معاني التوحيد أصولاً عظيمة، وقضايا كبيرة، الإخلال بقضية منها إشراف الله تعالى أو إلحاد في أسمائه، وكثير من المسلمين يجهل كثيراً من هذه الأصول والقضايا فيقع في الشرك ويظن نفسه مؤمناً موحداً. والحال أنه إما أن يكون ملحدًا في صفات الله وأسمائه مؤمناً بها على وجه آخر، أو مشركاً عابداً لغير الله سبحانه وتعالى)..

(وبذلك يفترق السلفي عن جمهور كثير يظنون أنفسهم موحدين لله وما هم كذلك، وقد حرّفوا صفات الله، ومنعوا الناس عن الإيمان بها والتصديق بمعانيها أو بدّلوا لهم معانيها وأمرؤهم أن يؤمنوا بها على نحو آخر).. (فأي دعوة لا تهتم بقضية التوحيد، ولا تجعل قضية التوحيد نصب عينها، فهي دعوة

(١) محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص: ٣٩.

على غير هدي المرسلين. مهما كانوا يقولون: دعوة عالمية، ودعوة عمرها ثمانون سنة، ودعوة منتشرة في بقاع الدنيا، فإن هذا لا يغني عنهم شيئاً إذا كانت هذه الدعوة لا تهتم بقضية التوحيد فهي دعوة على غير هدي المرسلين)..

تلك آفة تقديم الخطاب في إطار مدح الذات ونقد الآخرين «ذلك أن الجماعة التي ترى أنها مستقيمة جداً في سلوكها، ومصيبة جداً في اجتهادها ومذهبيتها، مضطرة إلى أن تنظر إلى مَنْ يخالفها أنه منحرف جداً ومخطئ جداً، لأن ذلك هو الذي يجعل رؤيتها لنفسها أشد وضوحاً وأعظم تبلوراً..

وهذا مما لاشك فيه يحجّم مساحات الحوار والتواصل بين المختلفين، ويشيع فينا - من حيث لا ندري - روح التحزب والشحناء والبغضاء.

أما الجماعة التي تعتقد أنها مستقيمة ومصيبة، أو عليها بعض الملاحظات في السلوك، وعندها بعض الأخطاء في الاجتهاد، فإنها تكون قادرة على رؤية الاستقامة في السلوك والصواب في الاجتهاد لدى من يخالفها في منهجيتها، وبذلك تتوفر أرضية لقبول النقد ومراجعة الذات وفهم الآخر والتعاون معه وإنصافه وإعذاره»^(١).

إن العاملين للإسلام سيظلون بخير ماداموا مع الرأي المخالف بأخلاق أئمة السلف، المتمثلة في قولهم: «رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب»!!

ثانياً: الاتّباع:

أ- أصل (الاتّباع) عند الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق):

يبين (الشيخ) أن السائر في المنهج السلفي بعد أن يعلم توحيد الله سبحانه

(١) أ.د. عبد الكريم بكار - خطوة نحو التفكير القويم، دار الأعلام، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص: ٣٧.

وتعالى حسب أركانه السالفة فإنه يتوجب عليه إفراد الرسول ﷺ بالاتباع. وذلك تحقيقاً لقوله (أشهد أن محمداً رسول الله). ويرى الشيخ أن هذه الشهادة لا تكون كاملة إلا بالأمور التالية:

١- أن يعلم أن محمداً رسول مبلغ عن ربه جلّ وعلا، وأنه قد جاء بوحين: الأول: كتاب الله، والثاني: سنته ﷺ لقوله: «ألا وإني قد أوتيت القرآن ومثله معه»^(١) فكلام رسول الله ﷺ سواء في الاعتقاد والعمل والقول؛ لأن هذا وهذا من الله سبحانه وتعالى، والرسول لا يأمر ولا ينهى ولا يحرم ولا يحل في أمور الدين بشيء من عند نفسه بل بأمر الله سبحانه وتعالى، ولا يخبر بشيء من الغيب إلا بوحى منه جلّ وعلا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

وإذا كان أمر السنة كذلك فإنه يشملها جميع أحكام التكليف من واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح. ويكون من رد الثابت الصحيح منها كمن رد القرآن.

٢- الدين هو المنهج والطريق والحكم والصبغة العامة وليس هو التقرب فقط كالمفهوم الشائع بين الناس اليوم. ومعنى هذا أن الرسول ﷺ هو المشرع بأمر الله لجميع شؤون الحياة التي له فيها أمر ونهي وحكم، وليس للطاعات والقربات فقط. فمعصية أحاديث الرسول ﷺ في شؤون البيع والتجارة والزواج والطلاق والحكم والسياسة، والحدود كمعصيته في شؤون العبادة كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها.

٣- للأمرين السابقين تصبح منزلة الرسول ﷺ في الطاعة المطلقة لا تدانيها منزلة لأحد من البشر. ولذلك فلا يقبل قول أحد سواء كان إماماً فقيهاً أو زعيماً

(١) رواه أبو داود وغيره بسند صحيح.

سياسيًا، أو مفكرًا أو مصلحًا يخالف قولاً للرسول ﷺ، ومن قدم قولاً لأحد على قول الرسول ﷺ فقد أساء وتعدى وظلم وخالف إجماع الأمة وكتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ.

٤ - لا تكمل هذه المتابعة للرسول ﷺ إلا بكمال الحب له، كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين»^(١)، ومما يعين على هذا الحب، التزام أمره دائماً، والمصارعة في طاعته، وتقديم قوله على كل قول، وتذكر مواقفه ومشاهدته، ومدارسة سنته وسيرته صلوات الله وسلامه عليه^(٢).

ويأسف الشيخ لأن الاتباع، والحب للرسول ﷺ قد ضعفا في أوساط المسلمين اليوم، ويرجع ذلك للأسباب الآتية:

١ - القول بجواز التقليد:

وذلك بعد تدوين الفروع الفقهية لكل مذهب من المذاهب الفقهية والإفتاء بالعمل بهذه الفروع الفقهية مطلقاً، سواء كانت موافقة أو مخالفة للحديث الصحيح. بل والإفتاء بأنها جميعاً صواب وإن كانت مختلفة متناقضة. وقد أدى هذا الركون إلى كل قول ينسب إلى الفقه، والقعود عن طلب الدليل من القرآن والسنة وبذلك ضعف العلم بكتاب الله وبالأحاديث الصحيحة.

٢ - الإفتاء بغير علم:

بعد الإفتاء بأن كل رأي فقهي في مذهب ما صواب. أفتى المفتون كل مستفت بما يناسبه من قول منسوب إلى الفقه بل بحث بعضهم على ما سمّاه بالأيسر من كل مذهب في كل مسألة فأفتى به، وناهيك بما في هذا من توهين العمل بالشرعة، بل

(١) الحديث، متفق عليه.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية.. ص: ٣٢، ٣٣.

بزوالها إذ ما من مذهب إلا وله كثير من الأقوال المتساهلة جداً التي جاء القرآن والحديث بخلافها، وليست هذه الرسالة لبيان ذلك، بل وتساهل بعض الناس أكثر من هذا فأفتى بأي قول يصدر عن عالم ما، وقد علم القاضي والداني ما أفتى به كثير من العلماء المحدثين في شأن الربا، والخمر، وملابس النساء، وحقوقهن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولو جمعنا الفتاوي الباطلة في هذه وغيرها خرجنا بأكثر من مجلد فيه ما يهدم الإسلام جملة وتفصيلاً..

٣- توعير دراسة القرآن والسنة:

وذلك بالتخويف والتحذير الذي لا نفتأ نسمعه من كل ناعق أن دراسة القرآن والسنة والتلقي منهما ضلال!! وأنه يجب أولاً عرض الآيات والأحاديث على أقوال الأئمة والفقهاء.. وكأن الأصل قد أصبح أقوال الناس لا قول الله ورسوله، وبهذا التخويف والتحذير وعَرَّ هؤلاء طريق الفهم السليم للكتاب والسنة وصدوا عن سبيل الله بعلم أو بغير علم وجعلوها معوجة للسالكين فيها، وقد خالفوا بذلك كتاب الله الذي يأمر باتباع الدليل مطلقاً، وبالبصيرة أبداً، وينهى عن التقليد والسير على منهاج الآباء والأجداد دون دليل وبرهان. وخالفوا الرسول ﷺ الأمر بتبليغ حديثه مما نطق به ﷺ، حيث يقول: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»^(١). وقوله: «بلغوا عني ولو آية»^(٢).

٤ - إيقاف العمل بالشرعية في كثير من نواحي الحياة:

لا يشك مسلم يفهم الإسلام في الوقت الحاضر أن الشريعة الإسلامية قد أقصيت إلا قليلاً عن مجالات حياة المسلمين وذلك في شؤون كثيرة كالحكم والسياسة وكثير من المعاملات والحدود، والتربية والآداب العامة.

(١) حديث صحيح، رواه الترمذي من حديث زيد بن ثابت.

(٢) حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه.

وكان لهذا أسباب كثيرة كغلبة الكفار على أرض الإسلام وغرس أفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم في بلاد الإسلام، وكان من ذلك أيضاً مما نحن بصددده: جمود حركة الاجتهاد الفقهي وذلك بالوقوف فقط عند ما دونه أئمة الفقه في عصور قديمة استحدثت بعدها كثير من الأقضية والحوادث في شتى شؤون الحياة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان لابد من حركة فقهية تحكم هذه الأمور لتعطي المسلم الحركة الصحيحة بإسلامه في المجتمع الذي يعيش فيه.

ولكن هذا الجمود في الفقه وانفصال السلطة السياسية عن المنهج الإسلامي أدى إلى فشل حركة المسلمين وجعلهم حيارى بين ما يأخذون وما يدعون فيما جد من أمورهم وكانت الغلبة بالطبع للتيار القوى الذي تقوم عليه أجهزة الحكم وتوجهه أجهزة الإعلام المسخرة للسلطة السياسية، وكان لهذا آثاره في انطباع طريق الإسلام وشريعته، وغياب المعنى الحقيقي لشهادة المسلم: أشهد أن محمداً رسول الله.

والمنهج السلفي لفهم الإسلام والعمل به يضع نصب عينه تذليل هذه العقبات التي حالت بين الناس ومتابعة الرسول ﷺ وذلك بأن ينادي دائماً بالقول بتحريم التقليد ويوجب على كل مسلم السؤال عن القول بدليله من الكتاب والسنة ولا يعني هذا أننا نوجب على كل أحد أن يكون مجتهداً، إنما نأمر كل أحد بأن يكون متبعاً للدليل باحثاً عن الحجة من كتاب ربه أو سنة نبيه، وبذلك تتوحد صفوف الأمة وينمو فيها معرفة الكتاب والسنة وتزكو فيها الروح العلمية والمساحة الأخوية، ولا يستطيع مضل أن يضلها بسهولة لأن ميزان الكتاب والسنة سيكون منصوباً لكل مفت ومتحدث في الدين وبذلك أيضاً يعظم عند المسلمين شأن الرسول ﷺ وتعظم شأن متابعته^(١).

(١) عبد الرحمن عبيد الخالق - الأصول العلمية.. ص: ٣٤ - ٣٧.

ب- أصل (الاتباع) عند الشيخ (أحمد فريد):

يبين الشيخ أن الاتباع يأتي بأحد معنيين: الاتباع الذي هو ضد الابتداع، كما قال ابن مسعود: «اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم» فالاتباع يأتي بمعنى اتباع هدي النبي ﷺ واتباع سنة النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

والأحاديث كثيرة، فمن ذلك قوله ﷺ: «.. فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»^(١). فالحاصل أن الله ﷻ تعبدنا باتباع رسوله ﷺ، كما حذرنا من مخالفة هديه ﷺ، فقال: ﴿.. فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رد»^(٢).

وبعد أن ذكر أدلة الكتاب والسنة على وجوب الاتباع بين الشيخ أن هذا المنهج كان واضحاً جداً للصحابة رضي الله عنهم، وضرب لذلك مثلين أذكر منهما:

فإنه لما طلب عمر بن الخطاب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يجمع القرآن، قال أبو بكر لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدرى بذلك، ورأيت فيه الذي رأى عمر، فقال لزيد بن ثابت - وعمر جالس عنده لا يتكلم - إنك رجل شاب لا أتهمك، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فقال زيد: فوالله! لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت:

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (١٢/ ٣٥٩، ٣٦٠) والترمذي (١٠/ ١٤٤) وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٥/ ٣٠١) الصلح، والنووي شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٦) الأفضية.

كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر^(١).

والمعنى الثاني: أن الاتباع يأتي أيضاً بمعنى الذي هو منزلة متوسطة بين الاجتهاد والتقليد: فالاتباع: أن تتبع العالم بدليله من الكتاب والسنة، فهي منزلة متوسطة بين الاجتهاد والتقليد.

والاجتهاد: أن تحصل أدوات الاجتهاد، تدرس القرآن، وتعلم ما به من ناسخ ومنسوخ، ومطلق ومقيد، وخاص وعام، وكذلك تدرس أحاديث النبي ﷺ، أو على الأقل تعرف مواقعها في كتب السنة، وتدرس اللغة العربية، وتدرس الأصول، أصول الحديث، وأصول الفقه، ثم إذا حصلت أدوات النظر المباشر والاجتهاد من حقك أن تجمع النصوص وأن تجتهد، فهذه منزلة الاجتهاد، وهي لخواص الأمة من العلماء الذين حصلوا أدوات الاجتهاد، في مقابل هذه المنزلة هناك منزلة التقليد.

والتقليد: جائز للجاهل المحض، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فإن الجاهل المحض الذي لا يقرأ ولا يكتب إذا تلوت عليه الدليل، أو إذا ذكرت له الآية والحديث لا يفهم المقصود، فهو إذا أراد أن يُطَلَّق زوجته يطلب منك أن يعرف كيف يُطَلَّق، وإذا أراد أن يحج بيت الله فسيريد منك أن يعرف كيف يحج، وإذا فهم ذلك فهذا حسبه، ولا يستطيع أكثر من ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

فالتقليد جائز في مواطن منها:

- ١- الجاهل المحض الذي لا يفهم المقصود من الآية أو الحديث.
- ٢- كذلك المسائل التي ليست فيها نص من الكتاب أو السنة صحيح صريح يدل على المعنى بوضوح، ولكن قد يكون هناك نص غير ظاهر الدلالة، فتختلف

(١) صحيح البخاري، باب: فضائل القرآن، رقم: ٤٦٠٣.

أنظار العلماء وأفهام العلماء للنص، وبعضهم يستدل به على قضية، والآخر يستدل به على عكس القضية. فمثل هذه المسائل أيضاً تكون من مسائل الاجتهاد، وهي التي فيها نص غير واضح الدلالة، فتكون أيضاً من مسائل الاجتهاد.

فمسائل الاجتهاد: هي المسائل التي ليس فيها نص بالمرّة، ويكون مستند العلماء فيها أن يقيسوا مسألة غير منصوصة على مسألة منصوصة للتشابه بينهما. والقياس: كما يقولون كأكل الميتة للمضطر، فإذا لم يجد العالم نصّاً في المسألة فإنه يلجأ للقياس، والذين يقيسون هم العلماء كما بيّنا.

فالحاصل: أن القياس يلجأ إليه عند عدم وجود النص، أو عند وجود نص غير واضح الدلالة أو غير صريح في القضية، فهذه المسألة تعتبر من مسائل الاجتهاد، فيجوز لك أن تُقلّد في مثل هذه المسائل الاجتهادية عالماً من علماء الأمة، وأن تأخذ بفهمه لهذه القضية، ولا يعترض مجتهد على مجتهد، ولا من قلّد، يعني: لا يعترض من قلّد مجتهداً على من قلّد مجتهداً آخر، طالما أن المسألة ليس فيها نص صريح من الكتاب والسنة.

٣- أيضاً من المواطن التي يصلح فيها التقليد، المواطن التي تنزل بالمسلمين فيها نازلة، وليس هناك وقت لمعرفة أقوال العلماء، ومعرفة اختلافهم، وأهم وفق الكتاب والسنة، فمثل هذه النوازل عند ضيق الوقت لا يسع الوقت لتدبر أقوال العلماء، فيجوز لنا أن نقلد عالماً من علماء الأمة.

فالاتباع هنا يعني الاتباع الذي هو منزلة متوسطة بين الاجتهاد، والتقليد، فنحن لسنا بعلماء مجتهدين، فنحن طلاب علم، كذلك لسنا من الصنف الآخر (الجاهل المحض)، ولكن نحن طلاب علم، فالذي يتعين علينا هو الاتباع، والمسائل المختلف فيها ينبغي علينا أن نعرف أقوال العلماء فيها، وأن نعلم أيهم أقرب للكتاب والسنة؛ لأن الله ﷻ تعبدنا باتباع رسوله ﷺ...

فلا بد أن يكون الاتباع للنبي ﷺ ووسيلة الاتباع: هي أن تعرف مَنْ يوصِّلُكَ إلى النبي ﷺ؛ لأن المقلد ليس من أهل العلم.

وينهي (الشيخ) كلامه، بأن المقلد ليس عنده خبر عن الله ﷻ، أو عن رسوله ﷺ، ليس عنده إلا قال الشافعي، قال أحمد، قال فلان... وقالوا: لا فرق بين مقلد وبين بهيمة تُقَاد، وللأسف بعض الجماعات في الساحة الإسلامية تربي أبناءها على التقليد، فلا تعودهم على السؤال عن الدليل، وإذا سأل أحد عن الدليل ربما يُضرب في وجهه، لأنه ليس من حقه أن يعرف الدليل.

ويبين الشيخ أن السؤال عن الدليل يدل على التَّحري والتَّقوى لله ﷻ وعلى أنك تريد أن تتأكد أنك خلف النبي ﷺ، وليس كما ذهب البعض أنه سوء أدب مع المفتي^(١).

ج- ملاحظات على ما قدمه عبد الخالق وأحمد فريد في أصل (الاتباع):

١ - ذهب الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) إلى تحريم التقليد في قوله (والمنهج السلفي ينادي دائماً بالقول بتحريم التقليد ويوجب على كل مسلم السؤال عن القول بدليله من الكتاب والسنة ولا يعني هذا أننا نوجب على كل أحد أن يكون مجتهداً، إنما نأمر كل أحد بأن يكون متبعاً للدليل باحثاً عن الحجة من كتاب ربه أو سنة نبيه).

ما ذهب إليه (الشيخ) من تحريم التقليد على جميع الناس، متعلميهم وأمميهم، يتنافى مع تفاوت طاقات الناس في المعرفة والفهم، والقدرة على تحصيل العلم، ويتنافى أيضاً مع ما قرره شيخه (ابن تيمية) في قوله: «أما في المسائل الأصولية، فكثير من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٢٢ - ٢٥.

على كل أحد حتى على العامة والنساء، حتى يوجبوه في المسائل التي تنازع فيها فضلاء الأمة.. وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك، فإن ما وجب علمه إنما يجب على من يقدر على تحصيل العلم، وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق، فكيف يكلف العلم بها؟ - وأيضاً، فالعلم قد يحصل بلا نظر خاص، بل بطرق آخر من اضطرار وكشف وتقليد من يعلم أنه مصيب، وغير ذلك.

ويضيف (ابن تيمية): وبإزاء هؤلاء قوم من المحدثين والفقهاء والعامة قد يجرمون النظر في دقيق العلم والاستدلال والكلام فيه، حتى ذوي المعرفة به وأهل الحاجة إليه من أهله، ويوجبون التقليد في هذه المسائل أو الإعراض عن تفصيلها. وهذا ليس بجيد - أيضاً - فإن العلم النافع مستحب، وإنما يكره إذا كان كلاماً بغير علم، أو حيث يضر، فإذا كان كلاماً بعلم ولا مضرة فيه فلا بأس به، وإن كان نافعاً فهو مستحب، فلا إطلاق القول بالوجوب صحيحاً، ولا إطلاق القول بالتحريم صحيحاً.

وكذلك المسائل الفروعية من غالبية المتكلمة والمتفقهة من يوجب النظر والاجتهاد فيها على كل أحد، وحتى على العامة! وهذا ضعيف؛ لأنه لو كان طلب علمها واجباً على الأعيان، فإنما يجب مع القدرة، والقدرة على معرفتها من الأدلة المفصلة تتعذر أو تتعسر على أكثر العامة، وبإزائهم من أتباع المذاهب من يوجب التقليد فيها على جميع من بعد الأئمة، علمائهم، وعوامهم ومن هؤلاء من يوجب التقليد بعد عصر أبي حنيفة ومالك مطلقاً، ثم هل يجب على كل واحد اتباع شخص معين من الأئمة يقلده في عزائمه ورخصه؟ على وجهين، وهذان الوجهان ذكرهما أصحاب أحمد والشافعي، لكن هل يجب على العامي ذلك؟

والذي عليه جمهور الأمة: أن الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد، ولا يوجبون التقليد

على كل أحد ويحرمون الاجتهاد، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد..^(١).

وأما قول الشيخ: (إنما نأمر كل أحد بأن يكون متبعاً للدليل باحثاً عن الحجة من كتاب ربه أو سنة نبيه)، إذا كان الهدف هو أن يتسلح العامة بالأدلة الشرعية، وهم غير قادرين على النظر فيها، وترجيح أوجه استدلال الفقهاء، فهذا لون من العبث بأصول الإسلام، الكتاب والسنة، وفهمه بغير ما قرره السلف بلا استثناء، وهو تكليف لهم بما لا يستطيعونه فضلاً عن أنه ينشئ جرأة على آيات الكتاب وسنة رسوله ﷺ.

يقول الشيخ: (وكذلك نلجم الألسنة التي تفتي دائماً بغير دليل عندما تعلم أن الناس لا يقبلون قولاً إلا بدليل وحجة.. وإذا قال للناس هذا حكم الشارع طالبه الناس بدليله من قول الله وقول رسوله ﷺ).^(٢)

ومن هؤلاء الناس الذين يملكون أن يحكموا بأن قول هذا القائل صادر عن علم صحيح، وما هي عدتهم في الحكم عليه؟ هل بمجرد سوق الدليل لهم على لسانه؟ أم بصحة الاستدلال؟ وأنى لهم أن يعرفوا صحة الدليل فضلاً عن صحة وجه الاستدلال، فإن كانوا قادرين على ذلك فهم علماء مثله ولا داعي لامتحانه. وإن كانوا أجهل منه، فلا يستطيعون كشفه. وخوف الشخص وتوجسه من أن يكشفه الناس بمجرد سوق الدليل ليس دائماً كافياً للجزم لسانه^(٣).

ونعجب للشيخ أحمد فريد فقد خالف (شيخه) وقال - كما سبق -: (والتقليد: جائز للجاهل المحض، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فإن الجاهل المحض الذي لا يقرأ ولا يكتب إذا تلوت عليه الدليل، أو إذا ذكرت له الآية والحديث

(١) مجموع الفتاوي - ٢٠/٢٠٢، ٢٠/٢٠٣، ٢٠/٢٠٤.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية، ص: ٣٧.

(٣) أ.د. راجح الكردي - الاتجاه السلفي.. ص: ٧٨، ٧٩.

لا يفهم المقصود، فهو إذا أراد أن يُطلّق زوجته يطلب منك أن يعرف كيف يُطلّق، وإذا أراد أن يحج بيت الله فسيريد منك أن يعرف كيف يحج، وإذا فهم ذلك فهذا حسبه، ولا يستطيع أكثر من ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها..).

ثم يؤكد حاجة المقلد للعالم أو المفتي بقوله: (فلا بد أن يكون الاتباع للنبي ﷺ ووسيلة الاتباع: هي أن تعرف من يوصلك إلى النبي ﷺ؛ لأن المقلد ليس من أهل العلم).

ثم ما لبث أن عاد وقال بقول شيخه: (بأن المقلد ليس عنده خبر عن الله ﷻ، أو عن رسوله ﷺ، ليس عنده إلا قال الشافعي، قال أحمد، قال فلان..، وقالوا: لا فرق بين مقلد وبين بهيمة تُقاد، وللأسف بعض الجماعات في الساحة الإسلامية تربى أبناءها على التقليد، فلا تعودهم على السؤال عن الدليل، وإذا سأل أحد عن الدليل ربما يُضرب في وجهه، لأنه ليس من حقه أن يعرف الدليل.

وأن السؤال عن الدليل يدل على التّحري والتقوى لله ﷻ وعلى أنك تريد أن تتأكد أنك خلف النبي ﷺ، وليس كما ذهب البعض أنه سوء أدب مع المفتي!!

٢- قول الشيخ (أحمد فريد): - (والقياس: كما يقولون كأكل الميتة للمضطر، فإذا لم يجد العالم نصّاً في المسألة فإنه يلجأ للقياس) - يخالف جمهور علماء المسلمين الذين ذهبوا بحجة شرعية (القياس) على الأحكام العملية، وأنه في المرتبة الرابعة من الحجج الشرعية، بحيث إذا لم يوجد في الواقعة حكم بنص أو إجماع، وثبت أنها تساوي واقعة نص على حكمها في علة هذا الحكم، فإنها تقاس بها ويحكم فيها بحكمها، ويكون هذا حكمها شرعاً. ويسع المكلف اتباعه والعمل به.

واستدلوا على أهمية (القياس) وحجته الشرعية بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة وأفعالهم، وبالمعقول.

فمن القرآن الكريم: قوله تعالى في سورة يس: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ

مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٩]. الآية جواباً لمن قال في الآية السابقة: ﴿.. مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الله سبحانه استدل على ما أنكره منكروا البعث بالقياس، فإن الله سبحانه قاس إعادة المخلوقات بعد فنائها على بدء خلقها وإنشائها أول مرة، لإقناع الجاحدين بأن مَنْ قدر على بدء خلق الشيء وإنشائه أول مرة قادر على أن يعيده، بل هذا أهون عليه. فهذا الاستدلال بالقياس إقرار لحجية القياس وصحة الاستدلال به.

وهذه الآية - وغيرها كثير - الدالة على حجية القياس أيدها في دلالتها أن الله سبحانه في عدة آيات من آيات الأحكام قرن الحكم بعلته مثل قوله سبحانه في المحيض: ﴿.. قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ..﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقوله في إباحة التيمم: ﴿.. مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ..﴾ [المائدة: ٦]، لأن في هذا إرشاداً إلى أن الأحكام مبنية على المصالح ومرتبطة بالأسباب، وإشارة إلى أن الحكم يوجد مع سببه وما بني عليه.

ومن السنة: حديث معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعثه إلى اليمن، قال له: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله»^(١) ووجه الاستدلال بهذا الحديث، أن رسول الله ﷺ أقر معاذاً على أن يجتهد إذا لم يجد نصاً يقضي به في الكتاب والسنة. والاجتهاد بذل الجهد للوصول إلى الحكم. وهو يشمل القياس لأنه نوع من الاجتهاد والاستدلال، والرسول ﷺ لم يقره على فرع من الاستدلال دون فرع.

(١) أخرجه أحمد والدارمي وأبو داود والترمذي. وقد ضعفه جمع من أهل العلم، وصححه بعضهم كابن عبد البر وابن القيم.

وأما أفعال الصحابة وأقوالهم فهي ناطقة بأن القياس حجة شرعية. فقد كانوا يجتهدون في الوقائع التي لا نص فيها، وقيسون ما لا نص فيه على ما فيه نص ويعتبرون النظر بنظيره، قاسوا الخلافة على إمامة الصلاة، وبايعوا أبا بكر بها وبينوا أساس القياس بقولهم: رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدينانا. وقاسوا خليفة الرسول على الرسول، وحاربوا مانعي الزكاة الذين منعوها استناداً إلى أنها كان يأخذها الرسول؛ لأن صلاته سكن لهم لقوله تعالى: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ...﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال (عمر بن الخطاب) في عهده إلى أبي موسى الأشعري: «ثم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس فيه قرآن ولا سنة، ثم قايس بين الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق»، وقال (على بن أبي طالب): «ويُعرف الحق بالمقايضة عند ذوي الألباب»^(١).

وما أنكر الرسول ﷺ في حياته على من اجتهد من صحابته، وما أنكر بعض الصحابة على بعض اجتهد الرأي وقياس الأشباه بالأشباه، فإنكار حجية القياس تخطئة لما سار عليه الصحابة في اجتهدهم وما قرروه بأفعالهم وأقوالهم. وأما المعقول: فأظهر أدلتهم منه ثلاثة: أولها: أن الله سبحانه ما شرع حكماً إلا لمصلحة، وأن مصالح العباد هي الغاية المقصودة من تشريع الأحكام.. ولا يتفق وعدل الله وحكمته أن يحرم شرب الخمر لإسكاره محافظة على عقول عباده، ويبيح نبيذاً آخر فيه خاصية الخمر وهي الإسكار؛ لأن مآل هذا المحافظة على العقول من مسكر، وتركها عرضة للذهاب بمسكر آخر.

وثانيها: أن نصوص القرآن والسنة محدودة ومتناهية، ووقائع الناس

(١) ابن القيم - إعلام الموقعين، كتاب عمر في القضاء وشرحه، ج١، ص: ٨٦، ٢٠٣.

وأقضيّتهم غير محدودة ولا متناهية، فلا يمكن أن تكون النصوص المتناهية وحدها هي المصدر التشريعي لما لا يتناهى، فالقياس هو المصدر التشريعي الذي يساير الوقائع المتجددة. ويكشف حكم الشريعة فيما يقع من الحوادث ويوفق بين التشريع والمصالح.

وثالثها: أن القياس دليل تؤيده الفطرة السليمة والمنطق الصحيح، فإن من نهى عن شراب لأنه سامّ يقيس بهذا الشراب كل شراب سامّ، ومن حرّم عليه تصرف لأن فيه اعتداء وظلمًا لغيره يقيس بهذا كل تصرف فيه اعتداء وظلم لغيره، ولا يعرف بين الناس اختلاف في أن ما جرى على أحد المثلين يجري على الآخر ما دام لا فارق بينهما^(١).

فهل يصح بعد هذا، أن نقول: والقياس: كما يقولون كأكل الميتة للمضطر؟!!

٣- قول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: (فمعصية أحاديث الرسول ﷺ في شؤون البيع والتجارة والزواج والطلاق والحكم والسياسة، والحدود كمعصيته في شؤون العبادة كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها) - يحتاج إلى ضوابط ومعرفة بمستوى الخطاب النبوي الذي فرّق بين الأمور العبادية والعقدية - الأصل فيها التوقف والطاعة والامتثال - والأمور العملية التي تخضع لظروف وملايسات كل زمان ومكان..

وعدم التمييز بين مستويات الخطاب النبوي، أدّى إلى اضطراب الأحكام، واختلاط الجهات بين ما هو تشريع عام، وما هو ليس بتشريع عام، مما عطل العقل الإسلامي عن الإبداع والتجديد، وعوّق مسيرة الأمة عن النهوض والتقدم...!!

(١) عبد الوهاب خلاف - علم أصول الفقه، ص: ٥٤ - ٥٩، دار القلم، ط ٢٠٠٦، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

ثالثاً: التزكية:

أ- أصل التزكية عند الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق):

يبين (الشيخ) أن التزكية هي إحدى المهمات التي من أجلها بعث الرسول ﷺ، بل هي غاية الرسالات وثمرتها، قال تعالى: - مِمَّا بَعَثْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ أَنْ يَكُونَ رَسُولٌ مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿[الجمعة: ٢]﴾. وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ويطرح (الشيخ) بعض الأسئلة ويحيب عليها، فيسأل: ماهي التزكية التي عرفنا آنفاً أنها إحدى وظائف النبي ﷺ؟ التزكية للنفوس: تطهيرها وتطبيخها، وتنقيتها من قبائحها. فالنفس الزكية هي الطيبة الطاهرة البعيدة عن كل ما يندس النفوس من غش وحقد وحسد وظلم وسخيمة. وهذا المعنى مأخوذ من قول العرب: زكا الزرع إذا نما وأينع. والرائحة الزكية هي الطيبة.

وقد أقسم سبحانه وتعالى أن الفلاح منوط بتزكية النفس وتطهيرها وذلك في سورة (الشمس) بعد أحد عشر قسماً، وليس في القرآن أقسام متوالية بهذه الكثرة على حقيقة واحدة إلا في هذه السورة. قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١ - ١٠].

وجاء في آيات أخر أنه لا يدخل الجنة إلا من اتصف بهذه الزكاة والطيبة والطهر، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا

خَلِيدِينَ ﴿ [الزمر: ٧٣]. والطيبة هنا هي سبب دخولهم الجنة وهي ثمرة العبادة وغايتها، وهي تركية النفس التي جاء الرسول ﷺ من أجلها.

وبهذا البيان يخلص (الشيخ) إلى حقيقتين: أولهما: أن التزكية إحدى مهمات النبي وغاية من غايات رسالته، بل سنعلم أنها غاية الرسالة والوجود الإنساني كله. وثانيهما: أنها السبب في دخول الجنة بل هي الصفة الواجبة التي من لم يتصف بها لم يكن من أهل الجنة.

ثم يسأل (الشيخ) سؤالاً آخر وهو: ما الوسائل التي شرعها سبحانه وتعالى وبينها رسوله للوصول إلى هذه الغاية؟ وبمعنى آخر، كيف تزكو النفس وتصبح طيبة؟ وما الذي صنعه الرسول حتى يقوم بهذا الواجب؟

وللإجابة على هذا السؤال، يقول (الشيخ): يجب أن نستعرض شرائع الإسلام كلها ونستقرئها جميعاً سواء كانت عقائد أو عبادات أو معاملات. وننظر ارتباط هذا بالتزكية والتطهير. وسنتبين بهذا الاستقراء أنه ليس للتزكية أعمال خاصة من مجموع أعمال الدين وعقائده، بل جميع شرائع الإسلام وعقائده وآدابه، إنما هي أعمال غايتها ونهايتها التزكية والتطهير. ما دمنا عرفنا أن الزكاة هي الطيبة والطهر والبعد عن الدنس.

فالتوحيد تزكية لأنه اعتراف وإقرار بالآله الواحد الذي لا رب غيره وهذا الاعتراف والشهادة تزكية لأن الاعتراف بالحق فضيلة وجحده وإنكاره رذيلة وأي رذيلة. وليس هناك حق أكبر من الله ولا أجلى وأظهر منه عند كل ذي لب وعقل، وإنكاره الله وجحده والشرك به أكبر الرذائل والتدسية، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾ [التوبة: ٢٨]. وذلك لنجاسة قلوبهم ونفوسهم بما تلبسوا به من شرك وجحود ونكران لصفات الله سبحانه وتعالى وليست نجاستهم لما على أبدانهم من نجاستهم، فقد يتطهر كثير منهم ظاهراً ولكن ما دام أحدهم متلبساً بالشرك والكفر فهو متلبس بالنجاسة المعنوية المدنسة للنفس والشعور.

والعبادات كلها مالية أو بدنية ماهي إلا عمليات تزكية لأنها تربط القلب بالخالق سبحانه وتعالى وتذكره به، وبذلك تحصل التقوى للقلب ومن اتقى وخاف ربه ابتعد عن المحرمات، والمحرمات قاذورات، وفعل الخير طيبة وإحسان وبر وعدل..

ولقد فصل (الشيخ) ما أجمله من أن العبادات كلها ماهي إلا عمليات تزكية.. إلى أن خلاص أنه لا يجوز لنا أن نفصل بين عبادات الإسلام وغايتها وثمرتها.. فقد قرن الله سبحانه وتعالى دائماً بين العمل والثمرة كما قال سبحانه في غاية العبادة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. وقال تعالى في الصوم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وبهذا نصل إلى المعنى الثالث من معاني التزكية وهي أن شرائع الإسلام كلها من توحيد وعبادة وصلاة وصيام وزكاة وحج وبر الوالدين وصلة أرحام ونهي عن الفواحش والمنكرات ومعاملات تحقق العدل والإحسان، ما كل ذلك إلا لتحقيق هذه التزكية وهذه الأوامر والنواهي إما أن تكون هي بذاتها من أركان هذه التزكية ولوازمها وإما أن تكون مما يورث هذه التزكية ويؤدي إليها.

ويبين (الشيخ) كيف انفتح على المسلمين باب دخل منه بلاء عظيم في مناهج إصلاح النفس والتربية التي اندرجت تحت اسم التصوف قد جمعت في طياتها بلاء لا حصر له ولا حد. وامتد الفساد من حقل التربية والأخلاق والتعبد إلى وضع الحديث وإفساد العقيدة وتخطيم الشرع الذي سموه الظاهر، وفتح الباب للخرافات والخزعبلات والترهات.. ثم الفلسفات الهالكة كالقول بوحدة الوجود، والحلول وغير ذلك..

وفي مقابل هذا الفكر الصوفي قام الجمود الفقهي الذي جعل النصوص

حرفيات مرادة لذاتها، وظواهر لا معنى وراءها، وخاصة بعد أن صبت أحكام الكتاب والسنة في قوالب من صنع البشر أشبه بقوالب التقنين، وبعد أن بعد الناس عن المصدر الأصيل كتاب الله وسنة رسوله.. سهل عليهم التحايل على هذه القوالب، فأحلت معاملات كثيرة ظاهرها العقد الشرعي وباطنها الحرام ومن ذلك نكاح المحلل، والربا في صور البيع، والزنا بصورة الهبة دون ولي وإشهاد.. وبذلك ضعف الوازع وانهدم ركن الأخلاق وفسدت مناهج التزكية التي ما جاء الإسلام إلا لأجلها.

ويبين (الشيخ) أن المنهج السلفي يقوم بين المنهجين السابقين: منهج التصوف ومنهج الظاهر الفقهي فيحل التزكية محلها من دين الله سبحانه وتعالى، فيجعلها غاية المسلم يسعى لها ويتخذ لها الوسائل المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فلا تزكية بغيرهما. وبذلك يبطل في هذا المنهج جميع الاجتهادات العبادية والسلوكية التي ابتدعت في المنهج الصوفي.. ويبطل في المنهج السلفي هذه الظاهرية الجامدة التي تتعامل مع نص وتنسى أهدافه وغاياته..

ويبين (الشيخ) أن المنهج السلفي للإصلاح والتربية والسلوك والتزكية لا يجعل مثلاً أعلى في هذا إلا رسول الله ﷺ إذ هو أظهر البشر نفساً وأعلاهم مقاماً، وأقومهم خلقاً، وأرشدتهم طريقة ومنهجاً، كما قال ﷺ: «إن أعلمكم بالله وأنقاكم لله أنا»^(١)، ولذلك يجعل هذا المنهج السلفي سنة الرسول ﷺ وخلقته هي الأساس بعد كلام الله في التزكية والتطهير والاتباع.

وكذلك يجعل سيرة الصحابة الأول ورجال الصدر الأول الذين تمثلوا القرآن والسنة قولاً وعملاً وخلقاً قدوة في التزكية فهم المثل الحية لزكاة النفس وطهارتها، ويأتي بعدهم التابعون بإحسان والعلماء العاملون في كل عصر وفق ذلك المنهج السلفي..

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ «أنا أعلمكم بالله».

وبهذا يتحدد المنهج السلفي في التزكية: إنه امتثال حقيقي لا ظاهري صوري لكلام الله وكلام رسوله، ونعني بالامتثال الحقيقي الذي يكون باطنًا وظاهرًا، حقيقة لا تصنعًا، إيمانًا لا نفاقًا، وزكاة وطهرًا، لا خبثًا ولؤمًا، وطيبة يستحق المرء معها أن تسلم عليه ملائكة الله على باب الجنة ﴿طَبَّتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]^(١).

ب- أصل التزكية عند الشيخ (أحمد فريد):

بدأ (الشيخ) كما بدأ شيخه، مبينًا أن (التزكية) من المهمات التي بُعث من أجلها النبي ﷺ كما جاء في القرآن في الآيات التي سبق الاستشهاد بها، وبين (الشيخ) أن النبي ﷺ كان يطلب التزكية لنفسه ويقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»^(٢)، كما منَّ الله ﷺ على المسلمين بمثل هذه الزكاة، وقال ﷺ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

وبين (الشيخ) أثر (التزكية) على صاحبها، فيقول: من زكى نفسه يعيش في روضة من رياض الجنة، يأنس بالله، ويسعد بالله ويستغني بالله ﷻ، كما قال النبي ﷺ: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(٣).

وكان ﷺ يواصل وينهى عن الوصال، فيقولون: إنك تواصل، فيقول: «إني لست كهيتكم؛ إني أبيت لي مطعم يطعمني، وساق يسقيني»^(٤) فكان يفيض على قلبه من المعاني، والأحوال الإيمانية، ومن حلاوة الإيمان ما يُغنيه عن الطعام، والشراب، كما قال بعضهم:

(١) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية...، ص: ٣٨ - ٤٧.

(٢) رواه مسلم (١٧ / ٤١) باب الذكر بزيادة في أوله وآخره، وأحمد (٤ / ٣٧١)، و (٦ / ٢٠٩) بلفظ: (اللهم أعط).

(٣) رواه النسائي (٧ / ٦١) عشرة النساء.. والحاكم (٢ / ١٦٠) النكاح، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه... وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٤ / ٢٠٢) الصوم، ومسلم (٧ / ٢١٢) الصيام، ومالك في الموطأ (١ / ٣٠٠) الصيام.

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد

وكذلك المؤمن عنده من الإيمان، ومن الأحوال الإيمانية ما يغنيه عن كثير من الطعام والشراب.. فالحاصل أن صلاح العباد في تزكية نفوسهم، وخيبتهم وخسارتهم في تدسية نفوسهم..

ثم يبين (الشيخ) مراتب التزكية وأولوياتها، فيقول: وأول التزكية عند أهل المنهج الصحيح، أي عند السلفيين أو أهل السنة والجماعة هو التزكية بالتوحيد، لأن أعظم النجاسات هي نجاسة الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ..﴾ [التوبة: ٢٨]. فالنفس تزكو بالتوحيد، وتصلح، وتكمل كذلك بأداء الواجبات، والإكثار من نوافل الطاعات، كما أن النفس تصير دنيئة حقيرة لا تكاد ترى من حقارتها، ودناءتها بالشرك بالله ﷻ، وبمعصية الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ﴾ [١] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ [الشمس: ٩، ١٠].

وبعد أن أجمال (الشيخ) مراتب التزكية أخذ في التفصيل ابتداء بالتوحيد ومروراً بأداء الواجبات وانتهاء بالإكثار من نوافل الصلاة والصيام والذكر والدعاء.. إلى أن قال: فأبواب الخير كثيرة جداً، ووسائل الشرع كثيرة جداً للتزكية..

فالإنسان لو فتح له باب من هذه الأبواب العظيمة، واجتهد في هذا الباب، لا بد أن يدخل من هذا الباب على الغني الوهاب، ومن وجد ربه ﷻ فقد وجد كل شيء، ومن فاته ربه ﷻ فقد فاته كل شيء. ولم يفت (الشيخ) أن ينبّه إلى أمرين مهمين، وهما:

● أن أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرّم الله، وحسن النية فيما عند الله ﷻ، كما جاء في الحديث القدسي «.. وما تقرب إلي عبدي بشيء

أحب إليّ مما افترسته عليه..»^(١). فالإنسان: لا يكون ممن لا يخرج زكاة ماله، ويعتمر كل عام، أو يبني المساجد، وكما يقولون: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور - لأنه مشغول بما هو أحب إلى الله ﷻ، وأكثر تقرباً إلى الله ﷻ وهو الفرض - ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

● أن الشرع غنيّ بوسائل التزكية، فلا نحتاج أن نبتدع طرقاً ووسائل لتزكية النفس، كالتطويح والرقص عند الصوفية، أو الذكر بالاسم المفرد -الله، الله - أو الذكر المبهم - هو، هو- أو تحريم ما أحل الله ﷻ من الأطعمة والأشربة، وغير ذلك.. بل ينبغي أن نتحب إلى الله ﷻ بما ثبت عن النبي ﷺ، وأن نعتقد أن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ^(٢).

ج- ملاحظات على ما ذهب إليه عبد الخالق وأحمد فريد في أصل التزكية:

إن أصل التزكية الذي قدمه (الشيخان) يشتمل على الكثير من الجوانب المضیئة، تتلخص في النقاط التالية:

١- شمول التزكية عند الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) «فليس لها أعمال خاصة من مجموع أعمال الدين وعقائده بل جميع شرائع الإسلام وعقائده وآدابه، إنما هي أعمال غايتها ونهايتها التزكية والتطهير..».

والحق ما ذهب إليه (الشيخ) من شمول التزكية، فوسائل التزكية في القرآن شاملة لكل نشاط المؤمن وعمله، ولا تقتصر على نوع دون نوع، أو على جانب من حياته دون جانب. وعندما نجعل النظر في وسائل التزكية المنصوص عليها في كتاب الله تعالى نلاحظ تنوعها وشموليتها. وهذه نماذج منها:

(١) رواه البخاري (٤ / ٢٣١)، وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٤٢ / ٢)، وانظر الحديث في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٤٠).

(٢) أحمد فريد - السلفية قواعد وأصول، ص: ٢٥ - ٣١.

- الصدقة (فرضًا ونفلاً): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ..﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٧، ١٨].

- غص البصر وحفظ الفرج: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ..﴾ [النور: ٣٠].

- الرجوع دون حرج عند زيارة الغير إذا طلب ذلك: ﴿..وَأِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى..﴾ [النور: ٢٨].

- عدم منع النساء المطلقات من الرجوع إلى أزواجهن: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجْلِهِنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ..﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وهكذا فكل إتيان للطاعات واجتناب للمعاصي هو طريق إلى تزكية النفس ووسيلة من وسائلها.. ولكن - للأسف - كثير من المسلمين يقصرون التزكية والتربية الإيمانية في شعب معينة فقط، أي في أعمال القلوب وبعض الشعائر التعبدية، والصحيح أنه إذا كانت التربية الإيمانية تهدف إلى زيادة الإيمان، فإن وسائلها في كل طاعة لله ﷻ لا يقتصر في ذلك على ميدان دون ميدان.

وذلك الفهم المبتور يؤدي إلى التشوه والاختلال في فكر المسلم وسلوكه ومنهج نظره، إذ يولي كبير الاهتمام والعناية بجانب من الدين دون غيره، وربما يصل الأمر إلى معاكسة مراد الشرع وهو لا يدري.

ومع شمولية وسائل التزكية لكل عمل صالح يأتيه المؤمن، لا بد أيضًا من التوازن في الأخذ بهذه الوسائل، فلا يطغى نوع على نوع، ولا بد من ترتيبها الترتيب الذي قدره لها الشرع وأراد به. لقد أرسى الشرع بين المأمورات والمنهيات

توازنًا لا يجوز الإخلال به، تمامًا كنسب أجزاء الدواء الواحد، قد يؤدي تغييرها إلى إفساده وإلغاء خصائصه إن لم ينقلب إلى سم قاتل^(١).

إذن التزكية (التربية الإيمانية) تحتاج إلى عودة صادقة إلى الإسلام كله إذا أردنا أن نحيا ونرشد، عودة علمية وعملية، نظرية وتطبيقية، لا نفرط في ذرة من ديننا، لا نتازل عن شعبة من شعب الإيمان.. فأجزاء الدين كعناصر الدواء لا يتم الشفاء إلا بها كلها، ومن ثم فلا تنازل عن شيء منها^(٢).

٢- ولقد أحسن الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) حين ربط بين العبادات ومقاصدها، وبين أنه لا يجوز الفصل بينها وبين ثمرتها وغايتها، فقد قرن الله - سبحانه وتعالى - دائماً بين العمل والثمرة، كما قال سبحانه في غاية العبادة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. وقال تعالى في الصوم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فَفُهِمَ من هذا أن غاية العبادة كلها التقوى، وقد عبّر الله هنا بكلمة (لعل) التي تفيد الترجي والله لا يرجو شيئاً لأنه ما شاء كان - سبحانه وتعالى -، ولكن الرجاء هنا بالنظر للعابد لأنه ليس كل مؤد لهذه العبادة متقيًا. بل المنافقون يؤدون الطاعات والعبادات ظاهراً وهم كافرون جاحدون. ونفهم من هذا أيضاً أن من لم تحصل له هذه التقوى مع أدائه للعبادة كان غاشياً في عبادته مبطلاً فيها، فمن شأن العابد أن يكون تقيًا خائفاً من ربه محسناً، وهذه التزكية والطيبة والطهر، والعبادة قد وضعت لذلك، ولا يكون المرء طيباً طاهراً بغير العبادة، لأن الطاعة من التزكية، فطاعة الله الذي له الفضل علينا والمنة والنعمة، هي أول

(١) انظر: د. سعد الدين العثماني - فقه مراتب الأعمال، دار الكلمة ط ١٤٣٧هـ، ١ - ٢٠١٦م، ص: ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٢.

(٢) انظر: محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية، ص: ٢١.

صور المعروف والإحسان والاعتراف، ولذلك لا يتصور زكاة وطهر بغير طاعة أمر الله واجتناب نواهيه^(١).

والحق فيما ذهب إليه (الشيخ) من ربط بين العبادات وثمرتها وغايتها، فما فسدت الأديان ولا ضاعت الأخلاق إلا بعد أن فرغ الدين من مضمونه ومحتواه، وأصبحت العبادات رسومًا وأشكالًا تُؤدَّى بلا روح وبلا غاية.. ولذا، شدد الإسلام في الربط بين العبادات وثمرتها، في أكثر من دليل، أذكر منها، قوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^{(٢)(*)}.

فمن صام أو صلى ولكنه لا يكثر ثمره العبادات في سلوكه، ولا يكثر لقضايا الأمة الكبرى، كيف تصح له تزكية؟ أو يكمل له إيمان؟!

٣- وقد أحسن الشيخ (أحمد فريد) حين راعى الأولويات في مراتب التزكية، فجعل بعد التزكية بالتوحيد، التزكية بأداء الواجبات: «إن أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرّم الله، وحسن النية فيما عند الله ﷻ، كما جاء في الحديث القدسي: «.. وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه..». فالإنسان: لا يكون ممن لا يخرج زكاة ماله، ويعتمر كل عام، أو يبني المساجد، وكما يقولون: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور - لأنه مشغول بما هو أحب إلى الله ﷻ، وأكثر تقريبًا إلى الله ﷻ وهو الفرض - ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور»^(٣).

(١) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية، ص: ٤٢، ٤٣.

(٢) رواه البخاري - كتاب الصوم، باب: من لم يدع قول الزور، رقم (١٨٠٤)، فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(*) مسائل فقهية موضع خلاف، وهي عندهم شبه عقائد.

(٣) أحمد فريد - السلفية قواعد وأصول - ص: ٢٨.

والعمل بأولويات مراتب الشرع، لا ينتبه إليه الكثيرون، والغفلة عنه من تلبس إبليس «وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثرُوا من صلاة الليل، وفيهم من يسهره كله، ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة. أو يقوم فيتهاها فتفوته الجماعة، أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته»^(١).

وهذه آفة الكثير من المتدينين وهي غياب فقه الأولويات عنهم، فكثيراً ما يهتمون بالفروع قبل الأصول، وبالجزئيات قبل الكليات، وبالمختلف فيه قبل المتفق عليه..

وقد لفت (ابن القيم) إلى معنى عظيم الفائدة في أفضل العبادة، فقال: «إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته. فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأولاد، من صلاة الليل وصيام النهار. بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن...»

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاء، أو البدن، أو المال: الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلواتك... وهكذا، فالأفضل في كل وقت وحال: إثارة مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه^(٢).

٤- ومع ما قدمه الشيخان من أهمية (التركية) عند المنهج السلفي إلا أن الواقع العملي للسلفية المعاصرة يشهد بغير ذلك، وهذا ما أقرّ به أحد أهم

(١) ابن الجوزي - تلبس إبليس، رسالة دكتوراه لـ (د. أحمد بن غصان المزيدي)، دار الوطن للنشر، د:ت، ص: ٨٠٨.

(٢) ابن القيم - مدارج السالكين، دار الحديث، تحقيق: عماد عامر، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص: ٨٨، ٨٩.

الشيوخ المؤسسين للسلفية في العصر الحديث بقوله: «نحن المسلمين في آخر الزمان حيث نجد صحوة علمية، لكننا - مع الأسف - لا نجد معها صحوة سلوكية أخلاقية، فلا تأخذوني إذا قلت لكم: إنني أشعر حينما تدخلون في هذا المكان تتزاحمون وتتنافرون، وهذا ليس من الأخلاق الإسلامية، فيجب أن نمثل الصحوة في جانبيها في العلم وفي السلوك والأخلاق»^(١).

وفي موطن آخر يقول: «نحن الآن في صحوة علمية ولسنا في صحوة تربوية، ولذلك نجد كثيراً من الأفراد من بعض الدعاة يُستفاد منه العلم، لكن لا يُستفاد منه الخلق، لماذا؟ لأنه هو نشأ نفسه على العلم، ولكنه لم يكن في بيئة صالحة رُبِّي فيها منذ نعومة أظفاره، فلذلك فهو يحيا ويعيش وهو يحمل الأخلاق التي ورثها من ذاك المجتمع الذي عاش فيه وولد فيه، وهو مجتمع بلا شك ليس مجتمعاً إسلامياً، لكنه استطاع بشخصه أو بدلالة بعض أهل العلم أن ينحو منحى علمياً صحيحاً، لكن هذا العلم ما ظهر أثره في خلقه وسلوكه وأعماله...»^(٢).

ويؤكد أحد المهتمين بالفكر الإسلامي كلام (الألباني) رحمه الله بقوله: إذا كانت الحركة السلفية قامت تدعو إلى تصحيح الاعتقاد، فإنه بكثرة التقييدات والتحوطات، كادت علاقة المسلم بربه وبنبيه تخلو من منزع روحاني يضيء به التوحيد جوانب النفس، ويُفَعِّل الإرادة لتمضي في طريق العمل، فإن الإرادة لا يدفعها التصور العقلي القانوني الصارم إذا لم يكن معه انفعال روحاني يقترب به المسلم من ربه وبنبيه^(٣).

(١) محمد ناصر الدين الألباني - فتاوي جدة - موقع: مندتيات كل السلفيين، سلسلة (قال الألباني).

(٢) محمد ناصر الدين الألباني - موقع الأجرى وهو شبكة متخصصة في المتون وشرورها وطلب العلم الشرعي. (فوائد مستخلصة).

(٣) د. أحمد بوعود - الاجتهاد بين حقائق التاريخ ومتطلبات الواقع، ط١، دار السلام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥ م، ص: ١٠٧.

إذن، لا قيمة لأي فكر ديني إذا لم يدرك أن الدين تربية، وأن مهمته الأولى هي صقل النفس الإنسانية وتهذيب طباعها^(١).

إن الحياة لا تصلح ولا ترشد إذا بقي القلب الإنساني دون تعهد، فالتربية أساس في تكوين الأمم، والتربية التي لا بد منها كي تكون النفوس راشدة والمجتمعات فاضلة، هي التي تقوم على فهم مقام (الإحسان)، أو رقابة الله على الضمير البشري في سلوكه كله، ليله ونهاره.. هذه الرقابة التي ينشأ عنها الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والمحبة والورع والتوبة ومعرفة المعاصي الكبيرة التي هي أخطر من معاصي الأبدان، بمعنى أنه كيف تغسل النفوس من حب الظهور.. من الأنانية.. من الحقد.. من طلب الرئاسة.. من العراك على المآرب الخسيسة.. من الذهول في طلب الدنيا عن الآخرة؟.. هذا كله إذا فقدناه فإن هيكلاً تشريعياً كبيراً لا يغني مكانه^(٢).

ولأهمية هذا الجانب العاطفي من الإسلام نجد أن «ابن تيمية رصد جزأين من فتاواه تقريباً في القلوب والحديث عن الله وخشيته والعمل له والإخلاص والإحسان، وما إلى ذلك من المعاني التي خاض فيها الصوفية بدون وعي فقهية.. وجاء تلميذه (ابن القيم) وفصل هذا في كتابه (طريق الهجرتين) وكتابه (مدارج السالكين).. وكتابه (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) وغيرها كثير.. وكان أكبر من أستاذه توسعاً في هذه النواحي... هذه المعاني معدومة الآن، ونجد من يعلم حركات الصلاة من ركوع وسجود، ولا يحسن تعليم الخشوع وتقديس الله وسجود القلب مع سجود الجوارح..»^(٣)!

(١) محمد الغزالي - الإسلاميون حوارات حول المستقبل، مكتبة التراث العربي ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م، ص: ١٨.

(٢) محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٤١.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق، ص: ١٤١، ١٤٢.

إن من الظلم للإمامين (ابن تيمية وابن القيم) أن يُذكر الجانب العلمي والفكري في حياتهما، وتُنسى الجوانب الأخرى المضيئة في سيرتهما الحافلة.

وجدير بالذكر هنا أن ننوه إلى أن تنمية الشخصية وتزكيتها لا تقوم على التوعية بقضايا الإيمان واليقين والالتزام بشعائر الإسلام التعبدية فحسب، وإنما هي إلى جانب هذا كله تقوم على تنمية قدرات الإنسان، وإمكاناته الشخصية عقلاً وروحاً ونفساً وبدناً، لتصبح شخصيته قوية قادرة على حمل الرسالة وأعبائها بكفاءة واقتدار. و «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»^(١).

وإن أبرز وأهم مكونات الشخصية هو العقل الذي هو أداة التفكير.. ولعل تنمية التفكير لدى الإنسان وإصلاحه تعد أساساً في الإصلاح والتنمية التي تستهدف الإنسان، لأن جوانب الشخصية الأخرى كلها تابعة للتفكير الذي هو السيد وباقي مكونات الشخصية تبع له. فإذا ما حسنت ملكة التفكير لدى الإنسان كان ذلك أساساً ومنطلقاً ليحسن كل ما عداه..^{(٢)(*)}

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: أ.د. عبد الكريم بكار - خطوة نحو التفكير القويم، ص: ١١، ١٢.

(*) موقف السلفيين من العقل والتفكير يتنافى مع دعوة القرآن إلى التفكير واستشارة العقل.. انظر: أحمد فريد وقد جمع بين الكتب الفكرية، وكتب أهل البدع.. (السلفية قواعد وأصول)، ص: ١٧.

المبحث الثالث

خصائص المنهج السلفي

◀ أولاً: تحقيق التوحيد.

◀ ثانياً: تحقيق الوحدة.

◀ ثالثاً: تيسير فهم الإسلام.

أولاً: تحقيق التوحيد:

أ- يبين الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) أن من الحقائق الأساسية لفهم الدين أن ندرك غاية الدين وهدفه النهائي، وهو توحيد الله سبحانه وتعالى، فإذا جئت إلى مسائل الإيمان وجدت أن أصلها أن لا إله إلا الله ووجدت أن الإيمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر والرسل والقضاء والقدر.. كل هذه الأركان تعود إلى الركن الأول، فالعقيدة كلها والإيمان كله راجع إلى شيء واحد هو الإيمان بالله الإله الواحد سبحانه وتعالى.

وكذلك الأعمال فهي تعود كلها إلى التوحيد: فأشرف الأعمال على الإطلاق هي العبادات وأشرف العبادات وأعلاها منزلة هي أركان الإسلام الأربعة بعد التوحيد وأشرف هذه الأركان بعد التوحيد هي الصلاة.. والعبادات ما سميت عبادات إلا أنها يتقرب بها إلى الإله الواحد سبحانه وتعالى..

وأشرف التقرب هو الصلاة وذلك أنها خطاب ومناجاة بين العبد وربّه وفيها تظهر العبودية وخاصة وقت السجود الذي يصور كمال ذل المخلوق نحو ربّه وخالقه ومولاه سبحانه وتعالى، ولذلك قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد»^(١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم ٤٨٢.

وهكذا سائر الأركان، فالصوم تذكير بالله، وتعليم لتقواه، والزكاة كذلك رأفة وإعانة للفقير ابتغاء مرضاة الله، والحج ما قصد به إلا تعظيم الخالق سبحانه وتعالى وتوحيده.

وإذا تركت العبادات وأتيت إلى حدود الإسلام وجدت أن الحدود هي شرع الله.. وأنها العقوبات التي رتبها على أهل معصيته في الدنيا ولذلك كانت الحدود توحيداً أو هي من أجل التوحيد وعبادة الإله الواحد، وهكذا سائر المعاملات هي من حدوده وشرعه سبحانه الذي ارتضاه لخلقه والذي يأبى أن ينازعه فيه منازع كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾ [يوسف: ٤٠].

وكذلك الأخلاق لا تكون أخلاقاً صالحة إلا إذا كانت وفق شرعه، ولا يثاب عليها صاحبها إلا إذا أدت ابتغاء مرضاته، فالإحسان إلى الوالدين والأقارب والزوجات والأولاد والجيران والأصدقاء والخلان والعدل بين الناس ورحمة المسكين والعطف على الفقير والصدق والشجاعة وكل هذا من الأخلاق الطيبة لا يكون طيباً إلا إذا كان في حدود أمر الله وابتغاء مرضاته، كما قال جلّ وعلا: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

ويأتي بعد هذا الأصل من أصول التوحيد أصول أخرى من محبة هذا الإله والتقرب إليه وحده ونبذ جميع أصناف الشرك من دعاء غيره والرغبة إلى سواه والخوف مما عداه ونبذ الخرافات والأوهام، ومن أصول التوحيد نسبة الفضل إلى الله وحده فمنه الخير لا من سواه وهو الذي يدفع الضر ولا يدفعه غيره.. ويأتي بعد ذلك من أصول التوحيد إقامة شرعه في الأرض والتحاكم عند الخلاف إلى ما أنزله وإلى ما حكم به رسوله لا إلى شيء غير ذلك..

والدعوة السلفية المعاصرة والسالفة لا همّ لأصحابها وحاملي لوائها ولا يجوز أن يكون لهم همّ إلا إخلاص الدين لله وتحرير قضية التوحيد وتفهمه على وجهه الصحيح.. التوحيد بكل معانيه فمعرفة الرب كما وصف نفسه ووصفه رسوله هو أصل التوحيد وبدايته فلا بد من معرفة الرب معرفة صحيحة ولا طريق لهذه المعرفة إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فمن آمن برب ما ولكنه لا يعرف هذا الرب فما وحد الله كما ينبغي له بل لا بد أن يشهد الله بما شهد لنفسه سبحانه من الصفات الجليلة كالرحمة والعلم والسمع والبصر والعلو عن خلقه ومحبه للطائعين وبغضه للعاصين الكافرين..

ثم بعد أن بين (الشيخ) وفصل أن الغاية من وراء العقيدة والعبادات والأخلاق تحقيق التوحيد لله وحده، ولا همّ لأصحاب الدعوة السلفية إلا إخلاص الدين لله وحده.. أخذ يبين الفرق بين الدعوة السلفية وما عداها من دعوات الإصلاح الجزئية التي تنسب إلى الإسلام وذلك أن هذه الدعوات تبدأ من جزئية من جزئيات الدين كأن تحاول تصحيح الحكم والسياسة، وهذه جزئية من جزئيات الدين وترى أن الوصول إلى تحقيق هذه الجزئية لا يكون إلا بتجميع الناس وعدم تنفيرهم حتى يساعدتهم الناس في الوصول إلى الحكم، ويرون أن تجميع الناس لا يتأتى لهم إلا بالسكوت عن أخطائهم العقائدية وبذلك يندس فيهم المشركون، والذين يدعون غير الله..

ونرى (الشيخ) يتجاوز الظاهر إلى النيات والباطن في نقد الدعوات - التي انتهجت نهج (إصلاح الحكم والسياسة أولاً) - حيث يقول: فإنهم يشرقون ويغصون لو أن حاكماً دعا إلى شيء من الإسلام وطبق شيئاً من أحكامه وذلك أنهم يريدون أن يبقى التناقض قائماً بين الحاكم والإسلام لتستمر دعوتهم ويكون هناك مبرر لوجودهم وذلك أنهم يرون أن توجه الحكام إلى الإسلام نهاية لوجودهم وسرقة لدعوتهم وقد يشعرون بهذا ويحاربون هذا عن علم وقد

لا يشعر بهذا كثير منهم، ولذلك حملهم هذا أيضاً على العصبية في الدعوة وحب الظهور والرغبة في ألا يأتي الخير للناس إلا من طريقهم، ولذلك عادوا إخوانهم في الدعوة كما تعادي الأحزاب السياسية بعضها بعضاً..

ولم يقتصر نقد (الشيخ) على ما سبق من الدعوات بل شمل كل دعوة اتخذت جزئية من جزئيات الإسلام مراداً ومنطلقاً وغاية لها كالدعوات إلى الإصلاح الاجتماعي من محاربة شرب الخمر والاختلاط وأندية الفسق والفجور ونحو ذلك، وكذلك دعوات البر والإحسان والعطف على الفقراء واليتامى، هذه الجمعيات والدعوات التي تتوقف عند جزئية من جزئيات الدين يضل سعيها ولا تصل إلا أقل القليل من النتائج، وقد يبقى أفرادها في دوائر ضيقة من العلم والعمل ثم يتفرون ويتمزقون بل قد يجتمع معهم أهل النيات الفاسدة ومحبي الظهور والمدح، وهذه الأمور من جزئيات الإسلام وإن كانت مطلوبة مراده إلا أنها يجب أن تبقى في الإطار العام من دعوة الإسلام الشاملة العامة وأن تكون أجزاء في هيكل التوحيد وإخلاص الدين لله سبحانه وتعالى.

ويخلص (الشيخ) إلى أن المنطلق السلفي في إخلاص الدين لله أولاً وتحقيق التوحيد ثم إنزال جميع تكاليف الإسلام منازلها بعد ذلك من إصلاح الحكم والسياسة والقضاء وإقامة الحدود وتطهير المجتمعات من الفساد، وتربية الرجال والنساء على الدين الحق من عبادات ومعاملات وأخلاق. ثم يقرر (الشيخ): أن هذا المنطلق السلفي هو المنطلق الصحيح السليم وهي دعوة الرسل وعلى رأسهم محمد بن عبد الله ﷺ الذي دعا إلى التوحيد أولاً وأخيراً ثم أنزل الأعمال منازلها حيث مناسبتها فنزل تحريم الأطعمة بمكة حيث يستطيع المسلمون تنفيذ ذلك.. وكذلك نزلت الصلاة والأخلاق والدعوة والصبر على الأذى وبعض المعاملات في المجتمع المكي ثم تدرج التشريع من قتال وزكاة وحج وغير ذلك في مجتمع المدينة...^(١).

(١) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية...، ص: ٦٣ - ٧٠.

ب- ملاحظات على ما ذهب إليه عبد الرحمن عبد الخالق في ميزة (تحقيق التوحيد):

نؤمن بما ذهب إليه (الشيخ) بأن من الحقائق الأساسية لفهم الدين أن ندرك أن غاية الدين وهدفه النهائي من وراء كل ماجاء به من عقيدة وعبادات وتشريعات ونظم وأخلاق: هو توحيد الله سبحانه وتعالى وإخلاص العبودية لله وحده، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ..﴾ [البينة: ٥]. وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ..﴾ [الزمر: ٣]، بيد أننا نقف مع الملاحظات التالية:

١- سبق أن أسلفنا في الملاحظات على أصل (التوحيد)، أن دعوة السلفية المعاصرة للتوحيد لا تتواءم وبساطة الإسلام ويسره في تعليم الناس أصول دينهم، فضلاً على أن المبالغة في ذلك الأمر (فالدعوة السلفية لا هم لأصحابها.. إلا التوحيد بكل معانيه..) يرسخ الفرقة بينهم وبين بقية المسلمين، فبينما هم يرون أنفسهم موحدين أو أهل التوحيد، يرون غيرهم ممن لا يسلك سبيلهم مشركين..^(١)!

٢- لا يصح التماهي مع السلفيات السابقة في الدعوة إلى التوحيد ومسائله (فالدعوة السلفية المعاصرة والسلفية لا هم لأصحابها وحاملي لوائها ولا يجوز أن يكون لهم هم إلا إخلاص الدين لله وتحرير قضية التوحيد وتفهمه على وجهه الصحيح.. التوحيد بكل معانيه..)^(*) فلقد كان فقه السلف أنهم تجاوزوا مع حاجات عصرهم وتفاعلوها معها، وكان لا هم لهم إلا مواجهة ما يدركونه في الواقع من انحرافات.. فكانوا - بالفعل - أبناء عصرهم..

(١) انظر: الملاحظات على أصل (التوحيد) في المبحث السابق من هذه الدراسة.

(*) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية..، ص: ٦٦.

إن «كل مصطلح تسمّى به أهل السنة إنما كان في مواجهة انحراف معين، فهم أهل السنة في مقابلة أهل البدع، والمقالات المحدثّة، كالشيعة والخوارج.. وإنه لظروف تاريخية خاصة، صار يتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ السلف مسائل الأسماء والصفات من كلام ورؤية... إلخ.

أي أن هذه المسائل غدت فاصلاً بين السلف والخلف، وبهذا اختلط التاريخي المؤقت بظرف خاص بالشرعي العام المطرد الشامل.

فما الذي فعلته السلفية المعاصرة في هذا العصر؟ الذي فعلوه أنهم استحضروا مسألة ترك التأويل في الصفات وجعلوها عدل التوحيد، عليها يوالون وعليها يعادون. واستحضروا مع هذه المسألة خصوم الإمام أحمد رحمه الله فيها وأخذوا يناقشونهم ويعنفونهم ونسوا مواقف الإمام أحمد وغيره من مخالفة الحكام، أعني خلفاء عصره، فما بالك بطواغيت عصرنا؟! واستحضروا مسألة شرك القبور والتمائم والرقي.. وجعلوها شغلهم الشاغل، وهمّهم الوحيد دون بقية قضايا العقيدة.

وليس هناك اعتراض على تعليم الناس الحق، ولا على ضرورة توضيح هذه المسائل المهمة، ولكن الاعتراض أن تجعل هذه المسائل موضوع الإصلاح والنهضة الوحيد، وألوية العمل الإسلامي في هذا العصر، مع وجود الانحراف الأكبر، وهو الانحراف عن شرع الله سبحانه، والشرك في طاعته، وعدم الخضوع لحكمه، الذي ينبغي أن يكون موضوع التغيير، لا أن يوضع على الرف أو يذكر على استحياء رفعا للعتب^(١).

كما عارض ابن تيمية وابن عبد الوهاب شرك القبور، علينا أن نرفض شرك القصور. لكن السلفية المعاصرة قزّموا (التوحيد) وحصروه في مسائل معينة،

(١) انظر: إبراهيم العسّس - السلف والسلفيون رؤية من الداخل، دار البيارق، ط ٢، ١٤١٨ / ١٩٩٨ م، ص: ٥٦، ٥٧.

فشوّها حقيقة الدعوة إلى منهج السلف، بحيث أصبحت الدعوة إلى «السلفية» دعوة إلى شعبة من شعب الإيمان.

ومن يقرأ كلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب - رحمهما الله - ثم ينظر في أقوال من ينتسب إليهما يجد البون شاسعاً، ويكفي قراءة النص التالي لابن عبد الوهاب ليُقارن بين فقه الإمام وقضيته وبين سلفية هذا العصر.. قال - ﷺ «فالله الله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره ورأسه، ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال ما عليّ منهم، أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب على الله وافترى، فقد كلفه الله بهم، وافترض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم»^(١).

٣- جَعْلُ (التوحيد) الهمّ الأول والآخر للسلفية المعاصرة، يدل على غيابها عن أسئلة العصر ومتطلبات الواقع، فهي بذات التفكير والمنطلق (ولذلك كان المنطلق السلفي في إخلاص الدين لله أولاً وتحقيق التوحيد ثم إنزال جميع تكاليف الإسلام منازلها..) كأنها تواجه أو تتعامل مع مجتمع كمشريكي مكة.

المشكلة - كما أسلفنا من قبل في أصل التوحيد - ليست في أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن (نبرهن) للمسلم على وجود الله، بقدر ماهي أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه باعتباره مصدرًا للطاقة..

إن إصلاح جماهير الأمة يهدف إلى توفير الدافع الداخلي لديها، تلك الجماهير المتعطشة إلى (انتفاضة قلب)، كيما تنتصر على ما أصابها من خمود.. فموسى

(١) مجموعة التوحيد، دار البيان دمشق ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص: ١ / ١٤١. وانظر: إبراهيم العسّس، السلف والسلفيون رؤية من الداخل، ص: ٥٩.

وعيسى ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - لم يكونوا علماء كلام، ينطقون أفكارًا مجردة، ولكنهم في الحق كانوا مجتمعين لتلك الطاقة الأخلاقية، التي أوصلوها إلى نفوس فطرية^(١).

وعليه، فإن على السلفية اليوم ربط العقيدة بحياة الناس وبالواقع، وإبراز أثرها على الفرد والمجتمع، لأن الإيثار بالله وإن كان مطلوباً لذاته باعتباره حقيقة عليا، فإنه يطلب أيضاً لما يحدث في الحياة العملية للإنسان من آثار تنعكس عليها بالتوفيق والصالح، على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة: على مستوى الفرد بما ينمي فيه طاقات الخير والفاعلية، ويظهره من شوائب الشر والالتكالية، وبما يجعله مفتاحاً لكل مصلحة مغلاقاً لكل مفسدة..^(٢).

٤- منطلق (التوحيد) وجعله الهم الأول والأخير، كما أثر في نظرة السلفية المعاصرة للمجتمع - كما أسلفنا - أثر أيضاً في نظرتها لكل الجماعات العاملة للإسلام، بأنها قد ضل سعيها ولا تصل إلا إلى أقل القليل من النتائج، (وبهذا تفرق الدعوة السلفية عن كل ما عداها من دعوات الإصلاح الجزئية التي تنسب إلى الإسلام وذلك أن هذه الدعوات تبدأ من جزئية من جزئيات الدين وترى أن الوصول إلى تحقيق هذه الجزئية لا يكون إلا بتجميع الناس وعدم تنفيرهم حتى يساعدتهم الناس في الوصول إلى الحكم..)، وكذلك في كل دعوة اتخذت جزئية من جزئيات الإسلام مراداً ومنطلقاً..^(٣).

كأن المجتمع الإسلامي كمجتمع مشركي مكة، لا يحتاج إلا إلى تعليم التوحيد

(١) انظر: مالك بن نبي - وجهة العالم الإسلامي، ص: ٥٤، ٥٥.

(٢) د. بشير شام - الفكر السلفي ما له وما عليه مكتبة تونس، ط ١، ٢٠١٥م، ص: ٥١.

(٣) والعجيب أن السلفية المعاصرة تتهم كل الجماعات بالجزئية وفي القلب من هذا الاتهام بالجزئية، (تلك الجماعات التي قامت على فكرة الشمول، وهي الإضافة الأساسية - لمؤسسها - إلى مسيرة الفكر الإسلامي في العصر الحديث).. انظر: أ.د. محمد سليم العوا - المدارس الفكرية.. ص: ٤٣٣. وانظر: المستشار طارق البشري - اجتهادات فقهية، ص: ١٠٢.

بكامل معانيه، وبالتالي فدعوات الإصلاح التي تبنتها الجماعات المختلفة لا قيمة لها لأنها جزئية لا تؤتي ثمارها..!

تلك آفة ومشكلة تنزيل التاريخ على الواقع، في نقل حالة المجتمع الذي واجهه النبي ﷺ إلى حالة مجتمع مسلم يعاني من مشكلات مختلفة، وتحتاج إلى وسائل مختلفة ومتنوعة في معالجتها.

مع أنه يجب أن «يتنوع العمل، فقد تعمل جماعة ما في ميدان (العقيدة) تحاول تثبيتها ودفع الشبهات عنها، وتنقيتها من الخرافات، ومطاردة الشريكات والقبوريات. وتعمل أخرى في ميدان (العبادات) لربط الأمة بأركان الإسلام العملية وعباداتها الشعائرية الكبرى.. وقد تعمل جماعة أخرى في ميدان (الفكر والثقافة)، لتقاوم الغزو الفكري، والاستعمار الثقافي، وتحرر العقل من آثار التغريب الذي خرب العقول، وأفسد الكثير من النخب والمثقفين.. وقد تقوم جماعة أخرى بدورها في مجال (التربية والتعليم).. وقد تنهض جماعة أخرى في ميدان مهم وخطير، وهو ميدان (الإعلام): المقروء أو المسموع أو المرئي.. وقد تخوض جماعة أخرى معركة (السياسة) على خطورتها، وتقدم للشعب برنامجها في الإصلاح والتغيير، وتستخدم الوسائل السلمية المشروعة في تحقيق أهدافها..

فالساحة تحتل كل هؤلاء العاملين وأضعافهم في المجالات المختلفة، والميادين المتعددة، بشرط أن يعتقد الجميع أن العمل في هذه الميادين كلها مطلوب، ومن سد ثغرة فيه، وقام بحقها، فقد أدى فرض الكفاية عن الأمة، وأسقط الحرج والإثم عنها. أن يكون بين الجميع قدر من التفاهم والتنسيق، بحيث يخدم بعضهم بعضاً، ولا يكيد بعضهم بعضاً، ولا يتصور أحدهم أن يبني نفسه على أنقاض أخيه^(١).

(١) انظر: أ.د. يوسف القرضاوي - كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف؟، مكتبة وهبة، ط ١، ١٣٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص: ٢١٣ وما بعدها.

٥- استشعار وهم التسامي والتطابق مع دعوة الرسول ﷺ (هذا المنطلق السلفي هو المنطلق الصحيح السليم وهو دعوة الرسل وعلى رأسهم محمد بن عبد الله ﷺ الذي دعا إلى التوحيد أولاً وأخيراً ثم أنزل الأعمال منازلها حيث مناسبتها..)^(١).

وهذا التسامي والتطابق المتوهم مع دعوة الرسول ﷺ بارز عند السلفية المعاصرة، وحاضر بوضوح في أدبيات بعض الجماعات العاملة للإسلام؛ وهذا يؤدي بلا شك إلى الاستعلاء عن بقية الأمة، ويزيد من تشرذمها وتمزقها..

ثانياً: تحقيق الوحدة:

أ- بعد أن بين الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) أن الإسلام دعوة عامة، وأن الناس مختلفون في شأن هذه الرسالة العظيمة، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ...﴾ [التغابن: ٢]. بين أن الله أوصى عباده الذين آمنوا بأن يكونوا إخوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢). ويعني هذا انتفاء الأخوة.

ولذلك كان من علامات النفاق، الفُجر في الخصومة وهو المبالغة فيها وقد جاءت الأوامر القرآنية الكثيرة والأحاديث الصحيحة الكثيرة بالحرص على هذه الأخوة، وتشديد بنائها والنهي والوعيد الشديد على الفرقة والتفريق، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية...، ص: ٧٠.

(٢) البخاري: باب الإيذان (١٣)، ومسلم: باب الإيذان (٤٥).

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).

والحق أن الإسلام لم ينشر إلا بهذه الأخوة العجيبة التي ربطت بين الصحابة رضوان الله عليهم في صدر الإسلام، فلولا إيواء الأنصار لإخوانهم المهاجرين، وحب المهاجرين وعفتهم مع إخوانهم الأنصار لما كانت هذه الفتوح العظيمة، وهذا الانتشار الواسع للإسلام شرقاً وغرباً. ولذلك من أعظم البلاء على أمة الإسلام ما وقع بينهم من فرقة وخلاف وشقاق جعل السيف بينهم بعد أن كان على أعدائهم..^(٢).

ويرى (الشيخ) أن أهم الأبواب التي دخل منها التنازع والفرقة على المسلمين، هي:

١ - الاختلاف في العقائد ومسائل الإيمان: وقد بدأ هذا الخلاف يسيراً في مسائل قليلة كالحكم على مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب منها، أكافر هو أم مسلم؟، وفي سبيل ذلك نشأت بدعة الخوارج ثم المعتزلة ثم بدأ الخلاف حول صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه، ثم توسع الخلاف العقائدي ليشمل مسائل كثيرة ويمزق المسلمين إلى نحل وعقائد شتى.. واختلاف العقائد بالطبع يؤدي إلى اختلاف القلوب والأعمال.

ويبين (الشيخ) أن الدعاة السلفيين منذ الصدر الأول دعوا الناس إلى التمسك في أمور العقائد بالكتاب والسنة وترك التأويل الباطل، والهوى والتعصب، وكان لدعوتهم من البركة أن بقي جمهور المسلمين وعامتهم على سنن الحق متمسكين في عقائدهم بالكتاب والسنة. والدعاة السلفيون في هذا العصر السائرون على منهج السلف الأول في دعوتهم وجهادهم يدعون الأمة

(١) صحيح مسلم: باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم.. رقم: (٤٦٩١).

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية، ص: ٧١، ٧٢.

كذلك إلى أخذ عقائدها من الكتاب والسنة فقط ونبد جميع البدع العقائدية، والاجتهادات والتصورات الغيبية التي جاء بها المشعوذون والدجالون والمتكلمون على الله بلا علم. وذلك لجمع شمل الأمة على كلمة سواء فيكون إيمانهم واحداً وبذلك تكون قلوبهم واحدة.

٢- الاختلافات العملية: وهذه الاختلافات في أمور العمل من عبادة ومعاملة ونحو ذلك وإن كان ضرره أخف من أضرار الاختلاف في العقائد. إلا أنه يجر أحياناً إلى الشقاق والخلاف ولذلك كره رسول الله ﷺ الخلاف مطلقاً حتى في هذه الأمور العلمية الفقهية. وهدد عمر بالضرب على خلاف يسير وقال في مسألة الغسل: هل يجب من الإنزال أم من مجرد التقاء الختانين. أسألوا عائشة، فلما ذكرت حديث الرسول ﷺ: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل»^(١)، قال عمر لو سمعت أن أحدكم أفتى بغير ذلك لجعلته نكالا!!

ولما كان الاجتماع على رأي واحد في كل المسائل الفرعية العملية متعذراً فإن الله سبحانه وتعالى أمر برد الاختلاف إلى كتابه وسنة رسوله، وقد أمر أيضاً بأن يعذر بعضنا بعضاً فيما لم نستطع التوصل فيه إلى رأي واحد. وكان هذا هو منهج الصدر الأول من سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم يختلفون أحياناً ولكن يعذر بعضهم بعضاً، ولا يتعصبون لأقوالهم ويردون ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله. وكان هذا شأن أئمة الإسلام الأعلام وفقهاء الإسلام في جميع الأقطار، ومن هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم يفتون ولا يتعصبون ويدعون تلاميذهم إلى نبذ التعصب لأقوالهم، وأخذ الحديث أينما وجد، وترك آرائهم وأقوالهم إذا خالفت الدليل. ولذلك استمرت وحدة الأمة التشريعية الفقهية زماناً طويلاً.

(١) حديث صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها، السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٢٦١).

ولكن نشأ في المسلمين مَنْ حرّم الاجتهاد والرجوع إلى الكتاب والسنة، وحرّم استخدام الدليل زعماً أن فهم الدليل والحجة قد ولى، وحرّم على الناس العمل إلا بأقوال الأئمة الأربعة... فأصاب أهل الدعوة السلفية من هؤلاء شر مستطير. وذلك لأن هؤلاء المقلدين الملتفين حول سلاطين السوء أغروا عامة الناس بأن من يطلب الدليل والحجة ويأمر بالاجتهاد فإنه يرفض علم الأئمة الأربعة..

ثم يبين (الشيخ) أنه رغم هذه الصحوة وهذا التنادي من كل مكان بوجوب تنظيم معاملتنا وفق الكتاب والسنة... فإن هناك ما زال في المسلمين من يعتقد هذا ويدعو الناس إلى ذلك. ومعلوم يقيناً أن لكل إمام الرأي والرأيين المختلفين في المسألة الواحدة كما نقول قال الشافعي في القديم وقال في الجديد بل والثلاثة والأربعة. ومعلوم أن القوانين العملية يجب أن تكون واحدة فقوانين الزواج والطلاق، والبيوع، والحدود وصنوف المعاملات يجب أن تكون واحدة وإذا كان هناك اختلاف بين الفقهاء في هذه المسائل فكيف تضمن الوحدة التشريعية..؟

ويخلص (الشيخ) إلى أن الحق واحد لا يتعدد، وأن السلفيين طلاب حق لا عباد رجال، لذلك حافظوا على وحدة الأمة فالرجال المتبعون كثيرون ولو كان كل رجل سيتبعه من الأمة جماعة لتعددت الجماعات وإذا كان الرجال يختلفون فمعنى هذا أن الجماعات ستختلف وذلك تتمزق الأمة وتشتت، أما إذا كان الارتباط بالحق وللحق. وكان الرجال يقاسون بالحق ولا يتعصب لأقوالهم كان هناك جماعة واحدة هي جماعة الحق.. ويختم بقوله: الدعوة السلفية دعوة وحدة الأمة في نظام تشريعي عملي واحد مستند إلى الكتاب والسنة يأخذ بأقوال الأئمة ولا يتعصب لرأي منهم^(١).

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٧٣-٧٨.

ب- ملاحظات على ما ذهب إليه عبد الرحمن عبد الخالق في خاصية (تحقيق الوحدة):

لقد أحسن (الشيخ) عندما جعل من خصائص ومميزات الدعوة السلفية، (تحقيق الوحدة) وأيد ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، بما يدعو إلى الأخوة والاتحاد والألفة بين المسلمين.. والحق فيما ذهب إليه الشيخ فما عزّ المسلمون وانتصروا إلا بفضل وحدتهم وتآلف قلوبهم، وما ضعفوا وما استكانوا إلا بتفرق كلمتهم واختلاف قلوبهم..

ولأهمية الاتحاد عبر القرآن عنه بالإيمان، ولخطورة التفرق عبر القرآن عنه بالكفر، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١).

ومع إشادتنا بدعوة (الشيخ) إلى الأخوة والاتحاد والألفة بين المسلمين، إلا أننا نقف عند بعض الملاحظات، وهي:

١- دعوة (الشيخ) إلى وحدة الأمة التشريعية في أمورها العملية بأخذ الأقوال المؤيدة بالدليل.. ويعلل ذلك بقوله: معلوم يقينًا أن لكل إمام الرأي والرأين المختلفين في المسألة الواحدة كما نقول قال الشافعي في القديم وقال الشافعي في الجديد بل والثلاثة والأربعة. وأن كثيرًا من المسائل الفقهية العملية فيها اختلاف واضح، ومعلوم أن القوانين العملية يجب أن تكون واحدة.. ويخلص (الشيخ) إلى الدعوة إلى جماعة واحدة هي جماعة الحق.. وبهذا تكون الدعوة السلفية دعوة وحدة للأمة في نظام تشريعي عملي واحد مستند إلى الكتاب والسنة..^(٢).

(١) الحديث أخرجه مسلم (٦٥)، وأخرجه البخاري، باب، الإنصات للعلماء (١٢١)، والنسائي (٤١٤٢)، وابن ماجه (٣٩٤٢).

(٢) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق، الأصول العلمية، ص: ٧٦، ٧٧، ٧٨.

ما دعا إليه (الشيخ) يختلف مع طبيعة هذا الدين الذي وسع رخص ابن عباس، وعزائم ابن عمر، وقياس أبي حنيفة، وأثرية ابن حنبل، ومقاصدية الشاطبي، وظاهرية ابن حزم، ورقائق الجنيّد.. كما أن تعدد الروايات لبعض الأئمة في المسألة الواحدة، يعطي متسعاً من الاختيار والترجيح، وقول الشافعي في الجديد، بعد قوله في القديم، جعل في المذهب سعة للاختيار والانتقاء.. وهذا من الرحمة والتوسعة على الأمة، فضلاً على أنه يُثري به الفقه، وينمو ويتسع..

وجدير بالذكر هنا أن نسجل القرار القوي للمجمع الفقهي في دورته العاشرة المنعقدة برابطة العالم الإسلامي بشأن موضوع (الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها)، والذي جاء فيه:

«إن مجلس المجمع الفقهي قد نظر في موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب المتبعة، وفي التعصب الممقوت من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم تعصباً يخرج عن حدود الاعتدال، ويصل بأصحابه إلى عقول الناشئة العصرية وتصوراتهم حول اختلاف المذاهب الذي لا يعرفون مبناه ومعناه، فيوحي إليهم المضللون بأنه ما دام الشرع الإسلامي واحداً، وأصوله من القرآن العظيم والسنة النبوية الثابتة متحدة أيضاً، فلماذا الاختلاف؟ ولم لا توحد حتى يصبح المسلمون أمام مذهب واحد، وفهم واحد لأحكام الشريعة؟

كما استعرض المجلس أيضاً أمر العصبية المذهبية والمشكلات التي تنشأ عنها، ولا سيما بين أتباع بعض الاتجاهات الحديثة اليوم في عصرنا هذا، حيث يدعو أصحابها إلى خط اجتهادي جديد، ويطعنون في المذاهب القائمة التي تلقفتها الأمة بالقبول من أقدم العصور الإسلامية، ويطعنون في أئمتها أو بعضهم ضللاً ويوقعون الفتنة بين الناس. ولذا قرر المجلس توجيه البيان التالي إلى كلا الفريقين المضللين والمتعصبين تنبيهاً وتبصيراً:

● حول اختلاف المذاهب:

إن اختلاف المذاهب الفكرية القائم في البلاد الإسلامية نوعان:

أ- اختلاف في المذاهب الاعتقادية.

ب- واختلاف في المذاهب الفقهية.

فأما الأول: وهو الاختلاف العقائدي، فهو في الواقع مصيبة جرّت إلى كوارث في البلاد الإسلامية، وشتت صفوف المسلمين، وفرت كلمتهم، وهي مما يؤسف له ويجب ألا يكون، وأن تجتمع الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يمثل الفكر الإسلامي السليم في عهد رسول الله ﷺ، وعهد الخلافة الراشدة التي أعلن الرسول أنها امتداد لسنته بقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(١).

وأما الثاني: وهو اختلاف المذاهب الفقهية في بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته، ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة، ومنها: الرحمة بعباده، وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد حصراً لا مناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما، أو في أمر ما، وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً، سواء أكان ذلك في شؤون العبادة أم في المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات على ضوء الأدلة الشرعية.

فهذا النوع الثاني من اختلاف المذاهب، وهو الاختلاف الفقهي، ليس نقيصة ولا تناقضاً في ديننا، ولا يمكن أن لا يكون، فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي الاجتهادي.

(١) سبق تحريجه.

فالواقع أن هذا الاختلاف لا يمكن أن لا يكون، لأن النصوص الأصلية كثيراً ما تحتل أكثر من معنى واحد، كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة لأن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة كما قال جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى، فلا بد من اللجوء إلى القياس والنظر إلى علل الأحكام وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة، وتحكيمها في الواقع والنوازل المستجدة، وفي هذا تختلف فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات، فتختلف أحكامهم في الموضوع الواحد، وكل منهم يقصد الحق ويبحث عنه، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد، ومن هنا تنشأ السعة ويزول الحرج.

فأين النقيصة في وجود هذا الاختلاف المذهبي الذي أوضحنا ما فيه من الخير والرحمة وأنه في الواقع نعمة ورحمة من الله بعباده المؤمنين، وهو في الوقت ذاته ثروة تشريعية عظيمة ومزية جديرة بأن تتباهى بها الأمة الإسلامية، ولكن المضللين من الأجانب يستغلون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم، ولا سيما الذين يدرسون لديهم في الخارج، فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا كما لو كان اختلافاً اعتقادياً، ليوحوا إليهم ظملاً وزوراً بأنه يدل على تناقض الشريعة دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين، وشتان ما بينهما.

● وأما تلك الفئة الأخرى التي تدعو إلى نبذ المذهب، وتريد أن تحمل الناس على خط اجتهادي جديد لها، وتطعن في المذاهب الفقهية القائمة وفي أئمتها أو بعضهم، ففي البيان الآنف عن المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها ما يوجب عليهم أن يكفوا عن هذا الأسلوب البغيض الذي ينتهجونه، ويضللون به الناس ويشقون صفوفهم، ويفرقون كلمتهم، في وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام، بدلاً من هذه الدعوة المفرقة التي لا حاجة إليها^(١).

(١) مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مجلة دورية محكمة برابطة العالم الإسلامي، السنة الثانية ١٤٠٩ هـ -

وبعد هذا القرار القوي الحاسم - من المجمع الفقهي الإسلامي -، حري بالسلفية المعاصرة أن تعود لما كان عليه أئمة السلف الأربعة وغيرهم من أئمة السلف، وأن تراجع موقفها من التمدّج، وعدم التمسك بدعوى الألباني، وبكثير من المسائل التي تراجع عنها بعد أن ظهر له خطؤها..

وبالرغم من أن «الألباني قد جعل التعصب المذهبي بين أهل المذاهب مبرراً لطريقته الجديدة، إلا أنه قد ظهر بسببها تعصب مذهبي جديد للمذهب الألباني أو المسلك الحادث الوليد في الفقه والحديث والاعتقاد.

ومع مرور الوقت أدرك الألباني خطورة هذه الدعوى، وتراجع عنها فأوجب التقليد حتى على أهل العلم الثقات، من بعد أن كان أنكره من قبل للعوام!

يقول الألباني في (سلسلة الهدى والنور): «نحن نقول للمقلدين بعبارة أخرى نحن لا ننكر مجرد التقليد، وهذه أرجو أن تكون الفكرة ظاهرة لدينا جميعاً، نحن لا ننكر مبدأ التقليد، وإنما ننكر التدين بالتقليد وجعله مذهباً وديناً لا يحد عنه قيد شعرة، هذا الذي ننكره، أما الاتباع لعالم نثق بعلمه سميتموه تقليداً - على الرأس والعين - هذا واجب». وكذلك تراجع فأوجب على العامة التقليد، إذ يقول في نفس الشريط: «إن عامة الناس لا يستطيعون أن يعرفوا دقائق المسائل، ولا أن يعرفوا أدلتها، ولو أراد العالم أن يشرحها له لا يستطيع أن يفهمها».

ويتراجع في شريط (التقليد والاتباع)، حيث سئل عن معنى قول الشاطبي في الموافقات: «إن فتوى العالم بالنسبة للعامي كالدليل بالنسبة للمجتهد»، وهل يأثم العامي إذا خالف فتوى الإمام، كما يأثم العالم إذا خالف الدليل؟ فأجاب: بلا شك أقول بقولة الإمام الشاطبي، لا شك أن العامي إذا خالف فتوى المفتي له دون عذر شرعي، متبع لهواه أولاً، ثم هو مخالف لمقتضى قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ويتراجع في (فتاوى المدينة) فيقول: لا أعلم دليلاً على تحريم التقليد، بل التقليد لا بد منه لمن لا علم عنده، وقد قال الله تعالى: ﴿.. فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ فهذه الآية جعلت المسلمين من العلم قسمين: عالم وأوجب عليه أن يجيب السائل، وغير عالم وأوجب عليه أن يسأل العالم، فلو كان رجلاً من عامة الناس جاء لعالم فسأله فأجابه العالم فقد طبق هذا الرجل هذه الآية^(١).

٢- ولكي تعمل السلفية المعاصرة على تحقيق الوحدة يجب أن تتجاوز كل ما من شأنه أن يوسّع دائرة الخلاف ويعمّق الفرقة بين المسلمين، كالمحور حول مسائل الخلاف الاجتهادية، والانشغال بالمظاهر والشكليات، والاستغراق في الفروع والجزئيات، وأن تهتم بعظائم الأمور، وقضايا الأمة المصرية، حتى لا تُبدّد طاقة الأمة في جزئيات فرعية، وتنشغل بها الجماهير عن أعمدة الإسلام التي انهارت أو تكاد..

ثالثاً: تيسير فهم الإسلام:

أ- بيّن (الشيخ) أن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الدين سهلاً ميسراً، ليس في العمل فقط بل في الفهم والإدراك. فحقائق الدين الأساسية سهلة ميسرة سواء كانت حقائق عقائدية إيمانية. أو حقائق علمية تشريعية، فتوحيد الله سبحانه وتعالى من الممكن أن يعلم بكلمات قليلة وبمجالسات يسيرة لأهل العلم الحقيقي المستند إلى الكتاب والسنة، وكذلك فرائض الإسلام الخمس يستطيع الفرد الذي أوتي نصيباً قليلاً من الفهم أن يلم بأحكامها في وقت يسير، فالوضوء والصلاة يمكن تعلم أصولها في وقت لا يتعدى الساعة أو الساعتين وكذلك الصوم والزكاة والحج. والخلاصة أن الإسلام دين ميسر في الفهم والعلم وكذلك هو دين ميسر في التطبيق والعمل فلا مشقة فيه بوجه من الوجوه..

(١) انظر: خالد القاضي - ترددات الألباني في المذهبية وأثرها على الحركة السلفية - مقال بمدونات الجزيرة في ٣٠ / ٧ / ٢٠١٨.

وأيد (الشيخ) قوله السابق بدليل من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٣٢]، وهذه الآية دليل واضح على أن القرآن وهو أساس الإسلام الذي حوى جميع علومه ميسر للذكر، والذكر يتضمن العلم والعمل. وقال ﷺ: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»^(١)، وهذا دليل على يسر الإسلام في العمل والفهم أيضاً.

ثم يبين (الشيخ) بعد ذلك الحُجُب التي حجبت الناس عن الاستفادة من الكتاب والسنة وجعلت الإسلام أشبه بالأحاجي والألغاز وذلك بإكثار المصطلحات الخاصة في كل فرع من فروع العلوم الإسلامية، ونشأت علوم ومعارف ليست من الإسلام في شيء.. وحدث التغالي بعد ذلك في علوم الآلات الموصلة إلى فهم القرآن والسنة، فنشأ التغالي في علوم النحو والصرف وأصول الفقه إلى الحد الذي أعجز المتخصصين فيه عن أن يصلوا إلى غاية ذلك من فهم القرآن والحديث..

ومن آثار هذه الحجب - كما يرى الشيخ - أننا نجد العالم المتخصص في علوم العربية لا يفقه من الكتاب والسنة إلا قليلاً، وقد يكون عالماً بأصول الفقه لا يحسن التوحيد بل لا يحسن الوضوء^(٢) ولا استنباط حكم صحيح من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، بل الأدهي والأمر من ذلك أن تخرج الجامعات الإسلامية علماء يعتلون المنابر ويخطبون في الناس وهم لا يميزون بين حديث صحيح ثابت عن الرسول وبين الأقوال الموضوعة المنسوبة إلى النبي ﷺ زوراً وبهتاناً.

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب: الدين يسر.

(٢) هل هذا تعبير يتواءم مع مكانة العلماء، وهل يصدقه الواقع؟ كيف يكون عالماً بأصول الفقه ولا يحسن الوضوء؟!

وهكذا ساهم تعقيد الدراسة الإسلامية في نشأة أشباه العلماء الذين يعرفون فرعاً من فروع الدين ولا يملكون رؤية شمولية له، وكذلك ساهم هؤلاء في نشأة كهانة دينية جعلت الدين الذي أنزله الله للعالمين محجوباً عن الناس بعلماء ادّعوا أنهم الأوصياء عليه..^(١)

وإزاء هذا التعقيد، يقول (الشيخ): والدعوة السلفية تجعل همها الأول تذليل فهم الإسلام للناس، فهي تفتح الطريق أمام الناس جميعاً لدراسة الكتاب والسنة دراسة علمية سهلة واضحة وبذلك يكون العلم مشاعاً للجميع ويرتبط الناس بالقرآن فيتدبرونه وبالسنة فيفقهونها ويصبح فهم الدين والعمل به ليس حكراً على طائفة معينة تلبس لباساً خاصاً وتكلم بلهجة خاصة وإنما يصبح الإسلام للناس جميعاً علماً مشاعاً كالهواء الذي نتنفسه.

ثم يبين أثر ذلك في إخوانه الذين درسوا المنهج السلفي حتى كانوا علماء في مدة يسيرة جداً، هذا مع امتلاكهم الرؤية الواضحة لمجمل هذا الدين عقيدة وشرعية وسلوكاً. ثم يذهب أبعد من ذلك، بأن الطالب في المنهج السلفي يعرف أصول الإسلام ومراجع معرفة العقائد والأحكام، ويعرف كيف يكون ذا فكر مستقل غير مقلد، وكيف يحترم العلماء ولا يتعصب لأقوالهم، وكيف يأخذ الحق أنى وجده ما دام مؤيداً بالدليل..

ويخلص (الشيخ) إلى أن المنهج السلفي لتعليم الإسلام وتعلمه هو المنهج الأكمل الأسلم لأنه يأخذ من الفرد أقل الأوقات ويعطيه أعظم الفوائد.. وهذه هي الميزة الثالثة (تيسير فهم الإسلام) للسير في الطريق السلفي طريق النبي محمد ﷺ الذي علّم أمة كاملة بأيسر الجهود وأقل التكاليف..^(٢)

(١) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية.. ص: ٧٩ - ٨١.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٨٢، ٨١.

ب- ملاحظات على ما ذهب إليه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في خاصية (تيسير فهم الإسلام):

١- لقد أحسن (الشيخ) حين قال: (إن الله جعل هذا الدين سهلاً ميسراً ليس في العمل فقط بل في الفهم والإدراك. فحقائق الدين الأساسية سهلة ميسرة سواء كانت حقائق عقائدية إيمانية، أو حقائق علمية تشريعية..).

والحق ما ذهب إليه (الشيخ) فالتيسير والتيسير ورفع الحرج عن الناس أصل أصيل في هذا الدين، والنصوص في ذلك واضحة ووافرة مثل قوله تعالى: ﴿..يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ..﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿..وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾ [الحج: ٧٨]. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم الله به»^(١).

كما أحسن (الشيخ) حين أشار إلى التعقيد الذي أحاط بدراسة العلوم الإسلامية، وعلوم الآلات الموصلة إلى فهم القرآن والسنة، كعلم النحو والصرف وأصول الفقه.. مما حجب معظم الناس عن الاستفادة من الكتاب والسنة.. وكان من أسباب ضعف الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية.. والحق ما أشار إليه (الشيخ) «فلا بد من الاعتراف بأن فقه العبادات، وجوانب من فقه المعاملات اتسع عندنا اتساعاً أكثر من اللازم، وأن الاستبحار التشريعي في أمور الطهارة والصلاة والحج والزكاة وما إلى ذلك كان أكثر مما يطيقه الفرد المسلم، وقليل منه كان يكفي الناس»^(٢).

(١) البخاري، كتاب: الأدب، باب: (يسروا ولا تعسروا)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: مباحثته ﷺ للأثام واختياره من المباح أسهله..

(٢) محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٣٩.

٢- قول (الشيخ): (والدعوة السلفية تجعل همها الأول تذليل فهم الإسلام للناس، فهي تفتح الطريق أمام الناس جميعاً لدراسة الكتاب والسنة دراسة علمية سهلة واضحة وبذلك يكون العلم مشاعاً للجميع..) - لا يشهد له ما قدمه من قبل في (الأصول العلمية)، كما لا يشهد له واقع السلفية المعاصرة ولا ممارسات معظم المنتسبين إليها، وللتدليل على ذلك أكتفي بذكر أمرين، هما:

أ- «تحول بعض الجماعات السلفية المعاصرة إلى ما يشبه المدرسة الكلامية التي تطنب في الحديث عن دقائق العقائد دون داع شرعي، وهو ما لا ينسجم مع منهج السلف القائم على البساطة، وتجنب الخوض في تلك المباحث إلا لضرورة، وقد كان جديراً بالسلفيين أن يأخذوا العبرة من المعارك التي مزقت لحمة المجتمع الإسلامي، وأهدرت طاقاته الفكرية والعملية في الجدل حول أمور لا جدوى من الخوض فيها»^(١).

لقد عابت السلفية المعاصرة علم الكلام القديم ولكنها اشتغلت بعلم كلام جديد، «فهل يصلح أن تكون حادثة سؤال النبي ﷺ للجارية أين الله؟ أساساً لتعليم الناس الاعتقاد؟ فإن الحكمة من سؤاله ﷺ لها لتُعرف أصنامية هي - تعبد أصناماً أرضية - أم أنها تعبد الله تعالى؟ فإذا تكررت الحكمة من السؤال في حادثة معاصرة تكرر السؤال. وهذا منهج السلف الصالح..»^(٢).

وهذا مخالف لسلفية الإمام أحمد الذي كان إذا سأل أحد عن أمر كلامي، قال: «لست صاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب أو سنة أو حديث عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»^(٣).

(١) - د. محمد بن المختار الشنقيطي - مخاض الفكر السلفي، المنار الجديد، العدد (مرجع سابق)، ص: ٢٥، ٢٦.

(٢) حديث الجارية التي سأها النبي: "أين الله؟"، قالت: في السماء.. والحديث بطوله أخرجه (مسلم) بشرح النووي في باب: تحريم الكلام في الصلاة برقم (٥٣٧)، المجلد: ٣، ص: ٢٤.

(٣) محمد أبو زهرة - تاريخ المذاهب الإسلامية، ص: ٤٦٨.

وإذا تأملنا كتاب (التوحيد) للإمام ابن عبد الوهاب والذي تناوله رموز السلفية المعاصرة (ابن باز وابن عثيمين والألباني) - رحمهم الله جميعاً - شرّحاً وبسطاً واختصاراً، ودعوة وتعليماً وتحقيقاً، حتى تحول الكتاب - على اختصاره الشديد، وطبيعة لغته - إلى ما يشبه النص الملزّم الذي يُقدّم للعامي والمتعلم، والعربي وغير العربي على السواء، دون تفكير جاد في تقديم العقيدة الصحيحة بلغة أقرب لفهوم المعاصرين وألسنتهم وأحوالهم ومستوياتهم الحضارية والعلمية..^(١).

ب - اختيار الأعت والأشد في الفتوى مع ضعف الدين وعموم البلوى، وسأضرب لذلك مثلين من أمثلة كثيرة:

- تارك الصلاة: فإنه لا يخلو من إحدى حالتين: الأول: أن يتركها جاحداً لوجوبها فهذا يكفر إجماعاً، لأنه ترك ركناً من أركان الإسلام معلوماً بالضرورة جاحداً لوجوده. والثانية: أن يتركها تهاوياً وكسلاً مع إقراره بوجوبها، فهذا يكفر في أصح قولي العلماء لقوله ﷺ: «من ترك الصلاة متعمداً برئت منه ذمة الله ورسوله» (رواه الإمام أحمد) وهذا يدل على إباحة قتله، وقوله ﷺ: «بين العبد وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» (رواه مسلم)، فهذا يدل على كفره^(٢).

وهم بإزاء هذا الرأي الأشد، ينسبون حديث أصحاب السنن - في أن الرجل لا عهد له عند الله - بتكاسله - إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه! - عن النبي ﷺ أنه قال: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة من حافظ عليهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عهد عند الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»^(٣).

(١) انظر: عبد السلام البسيوني - قراءة في السلفية المعاصرة، كتاب على الشبكة الإلكترونية، ص: ٦٦.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة: المجلد: ٦، السؤال الثاني من الفتوى رقم (٢٢٥٥)، ص: ٣٠، والسؤال الثاني من الفتوى رقم (٢١٩١)، ص: ٣٧ ومابعداها.

(٣) أبو داود في الصلاة (٤٢٥)، والترمذي في التفسير (٣٢٧٦)، وقال "هذا حديث حسن صحيح"، والنسائي في الصلاة (٤٦١)، والدارمي في الصلاة (١/ ٣٧٠).

ودخول هذه «الجريمة فيما دون الشرك، أعني إمكان العفو الإلهي عنها، هو رأي جمهور المسلمين، ومذهب الأحناف ألا يقتل الكسول.. وعلينا بالتلطف والنصح الحسن، أن نقوده إلى المسجد لا إلى المشنقة..»^(١)!

- حديث إسبال الإزار: لقد ذهب شيوخ السلفية المعاصرة (ابن باز، والألباني، وابن عثيمين) وعلماء اللجنة الدائمة للإفتاء إلى أن الإسبال محرم مطلقاً، ولو لم يكن من الخيلاء. واستدلوا على ذلك بعدة أدلة، أذكر منها ما رواه البخاري (٥٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»^(٢).

وهم بإزاء هذا الرأي الأشد - بتحريم إطالة الثوب إلى أسفل من الكعبين، واعتبار فاعله في النار، وجماهير الأمة الإسلامية واقعة في ذلك، كما هو مشاهد - ينسون الأدلة الأخرى، ومنها حديث عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» قال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه! فقال النبي ﷺ: «لست ممن يصنعه خيلاء»^(٣).

قال الإمام النووي «وأما قوله ﷺ (المسبل إزاره) فمعناه: المرخي له الجار طرفه خيلاء كما جاء مفسراً في الحديث الآخر «لا ينظر الله إلى من يجر ثوبه خيلاء، والخيلاء: الكبر، وهذا التقييد بالجر خيلاء يخص عموم المسبل إزاره، ويدل على أن المراد بالوعيد من جره خيلاء، وقد رخص النبي ﷺ في ذلك لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: «لست منهم»^(٤).

(١) محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٠٣.

(٢) فتاوي اللجنة الدائمة (٢٤ / ٢٣٣٢).

(٣) رواه البخاري في باب (من جر إزاره من غير خيلاء) رقم (٥٧٨٤).

(٤) الإمام النووي شرح صحيح مسلم، حديث رقم (١٠٦)، باب: الإيمان، كتاب: بيان غلط تحريم إسبال الإزار، والمن.

وفي مقابل هذا التشديد، نرى التسهيل والتيسير إذا عدنا للحنيفية السمحة، وسأضرب هنا مثلين من أمثلة كثيرة:

- عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب، فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿.. وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فضحك النبي ﷺ ولم يقل شيئاً^(١).

مما يدل على إقراره ﷺ لهذه السنة بمقتضى سكوته عنها، وهي حقيقة في تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال، إن الأصل: وجوب الغسل لو وجد الماء.

- عن سعيد بن سعد بن عباد قال: كان بين أبياتنا رويحل ضعيف فلم يرع الحي إلا وهو على أمة من إمائهم يخبث بها، فذكر ذلك سعد بن عباد لرسول الله ﷺ وكان ذلك الرجل مسلماً، فقال: «اضربوه حده، قالوا: يا رسول الله إنه أضعف مما تحسب، لو ضربناه مائة قتلناه، فقال: خذوا له عثكالا فيه مائة شمراخ، ثم اضربوه به ضربة واحدة، قال: ففعلوا»^(٢).

فقد «عُرف كيف تغيرت فتوى رسول الله ﷺ في هذا من حالة الشدة إلى حالة التيسير، إذ الأصل في جلد الحد، تفريق الضربات حتى تأخذ كل ضربة مكانها من جسده. ونظراً لضعف حاله، جعلها رسول الله ﷺ جلدة واحدة بعثكول فيه مائة شمراخ»^(٣).

وفي ذلك يقول ابن القيم: «هذا فصل عظيم النفع جدًّا، وقع بسبب الجهل

(١) رواه أبو داود (٣٣٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٣) وعلقه البخاري.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الحدود، باب: الكبير والمريض يجب عليه الحد (٧/ ٤٨١) رقم (٢٥٦٤)، وأحمد في مسنده (٤٤/ ٤٠٥).

(٣) محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص: ١٢١.

به غلطٌ عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليفٍ ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رُتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل..»^(١).

٣- قول الشيخ: (وهكذا ساهم تعقيد الدراسة في نشأة أشباه العلماء.. وكذلك ساهم هؤلاء في نشأة كهانة دينية جعلت الدين الذي أنزله الله للعالمين محجوبًا عن الناس بعلماء ادعوا أنهم الأوصياء عليه.. وقوله: (ويصبح فهم الدين ليس حكرًا على طائفة معينة تلبس لباسًا خاصًا وتتكلم بلهجة خاصة وإنما يصبح الإسلام للناس جميعًا علمًا مشاعًا كالهواء الذي نتنفسه).

إن هذا الدين الذي أنزله الله للعالمين، لا يملك أحد - فردًا كان أو جماعة - أن يحتكره لنفسه أو يتحدث باسمه، فالكل يُؤخذ من كلامه ويُرد إلا النبي المعصوم ﷺ. ويظهر أن انعدام (طبقة الكهان والقساوسة) من المجتمع الإسلامي، وإحساس كل تابع لهذا الدين بأنه رجل له، محاسب أمام الله وحده عنه، جعل انطلاق الإسلام في المشارق والمغارب أثرًا لهذا الشعور القوي»^(٢).

ولذا لا نحب أن يُوصَف العلماء بالكهنة أو بأي وصف يقلل من شأنهم، أو يسقط هيبتهم من النفوس. كيف وقد رفع الله قدرهم، وأعلى من شأنهم في أكثر من آية في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

(١) ابن القيم - إعلام الموقعين ج٣، المكتبة التجارية الكبرى ط ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥ م، ص: ١٤.

(٢) محمد الغزالي - مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، دار الكتب الحديثة، ط ٤، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م، ص: ١٧٤.

أَلْعِلْمُ دَرَجَتٌ.. ﴿ [المجادلة: ١١]، وقال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]..

ومع إيماننا العميق بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة إلا أننا «في عصر يمتاز بالتخصص العلمي، وتكثر فيه ألوان الثقافة كثرة يصعب استيعابها على ذهن واحد مهما بلغ من المضاء والالتماع. حتى إن الطبيب يتوفر على دراسة عضو واحد من أعضاء البدن؛ لأن الإحاطة بعلوم الجسم كله أضحت مستحيلة. فإذا استبحرت المعارف على هذا الاتساع البعيد جاز أن يختص فريق من العلماء بدراسة الدعوة إلى الإسلام فحسب. وأن يستكمل - لهذا الاتجاه وحده - ما يتطلبه من ثقافة معينة ومن دربة خاصة»^(١).

وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فلم يوجب على كل المسلمين النفير لطلب العلم، إنما أوجبه على طائفة في كل فرقة..

فهل بعد ذلك يُوصف العلماء بأنهم (طائفة معينة تلبس لباساً خاصاً وتتكلم بلهجة خاصة..)؟!

وهل كل المسلمين مطالبون بأن يكونوا علماء؟ كلا..، فحسب المسلم كما ذهب (الشيخ) بنفسه في قوله: - للذي يريد التعلم - «فيتعلم أصول التوحيد ليصح إيمانه وعقيدته، وأصول العبادات ليصح عمله ويكون صالحاً، وأصول التزكية والأخلاق لتزكو نفسه وتطهر»^(٢).

(١) نفس المرجع السابق، ص: ١٨٠.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية، ص: ٨٢.

٤- قول الشيخ: (وقد وجدنا ذلك بحمد الله في إخواننا فما أن درسوا الإسلام بالمنهج السلفي حتى كانوا علماء فيه في مدة يسيرة جداً، هذا مع امتلاك الرؤية الواضحة لمجمل هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكاً)، ويقول: (فالطالب في المنهج السلفي يعرف أصول الإسلام ومراجع العقائد والأحكام، ويعرف كيف يكون ذا فكر مستقل غير مقلد..).

وهذا ما يجعلنا نتساءل، كيف لمن درس الإسلام بالمنهج السلفي في مدة يسيرة يكون عالماً؟!، وهل هذا يستقيم مع كلام (الشيخ) نفسه: «لا بد من أن ينشأ في الأمة العلماء المجتهدون العاملون الذين يستوعبون مرحلتهم الراهنة ويفقهون أوضاع المسلمين الحاضرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والخلقية ويشرعوا للمسلمين في هذه الأحوال جميعاً وفق الكتاب والسنة..»^(١).

وهل يستقيم - أيضاً - مع كلام (الشيخ) نفسه: «وقد رأيت غلماناً لم يجاوزوا السابعة عشرة من عمرهم لم يحصلوا من العلم إلا قليلاً، إذا ذكر له اجتهد إمام يقول: (نحن رجال وهم رجال)، ويتساءل (الشيخ متعجباً: متى كنت رجلاً في العلم حتى تضع نفسك على قدم المساواة مع أولئك؟..»^(٢).

إنَّ نبيَّ الله موسى ﷺ قال عن رحلته العلمية، كما عبّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

فنبى الله موسى من أولي العزم ﷺ وهو في رحلة من أجل العلم يهون عليه فيها بذل الجهد والوقت.. ويتبين هذا من قوله: «أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا» (فيتابع السير، لا يبرح ولا يزول عن هدفه ولو أمضى السنين بعد السنين.. والحقب لغويًا: ثمانون سنة.. والمقصود هنا هو: العزم والتصميم).

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٧٧، ٧٨.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ١٣.

والذي يستوقفنا هنا، هو الجهد المبذول، والإصرار على الهدف، حتى يقول نبي الله موسى - وهو من أولي العزم من الرسل - ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].. وسار هو وفتاه على الجوع يقصان الأثر حتى أدركا الصخرة ووجدا العبد الصالح^(١).

وما أوتي نبي الله موسى العلم إلا بعد أن بلغ أشده واستوي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤].

يقول ابن القيم: «ولما كان التبليغ عن الله يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالماً بما يبلغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله..؛ وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا يُنكر فضله، ولا يُجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يُعدَّ له عُدتَه، وأن يتأهب له أهْبَتَه، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه..»^(٢).

وقال أبو الفرج بن الجوزي: «تأملت عجباً، وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله. فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة. حتى قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس»^(٣).

(١) انظر: أ.د. عبد العزيز كامل - دروس من سورة الكهف، المكتب المصري الحديث، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ص: ١٧٢، ١٧٧، بتصرف.

(٢) ابن القيم - إعلام الموقعين، ج ١، ص: ١٠، ١١.

(٣) أبو الفرج بن الجوزي - صيد الخاطر، دار الحديث، القاهرة ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، فصل: ثمن العلياء، ص: ٢٨٢.

ذكرت ذلك - وغيره كثير وكثير.. في همم السلف العالية - لأن المنهج (الذي خرّج لنا علماء في مدة يسيرة جدًّا، وطلابًا في المنهج السلفي يعرفون أصول الإسلام ومراجع العقائد والأحكام، ويعرفون كيف يكونون ذوي فكر مستقل غير مقلدين) أحدث مشكلات ثقافية واجتماعية لا حصر لها، منها «أن تسمع حدّثًا يقول: (مالك) لا يعرف حديث الاستفتاح، ولا سنة الاستعاذة ولا يدرك خطورة البسملة، وهو يخرج من الصلاة دون أن يتم التسليمتين، فهو جاهل بالسنة النبوية..!!

وحدّثًا آخر يقول: (أبو حنيفة) لا يرفع يديه قبل الركوع ولا بعده ويوصي أتباعه ألاّ يقرؤوا حرفًا من القرآن وراء الإمام، وربما صلى بعد لمس المرأة. فهو يصلي بلا وضوء، إنه هو الآخر جاهل بالإسلام»^(١)..!!

إن حماية الثقافة الإسلامية واجب شرعي من «ناس قيل فيهم: يطلبون العلم يوم السبت، ويدرسونه يوم الأحد، ويعملون أساتذة له يوم الاثنين. أما يوم الثلاثاء فيطاولون الأئمة الكبار ويقولون: نحن رجال وهم رجال!!». وهكذا بين عشية وضحاها يقع زمام المسلمين الثقافي بين أدعياء ينظر إليهم أولو الألباب باستنكار ودهشة»^(٢).

إننا في حاجة إلى رجال أصول يعيدون لمبدأ الاجتهاد حيويته ونضارته من جديد.. يعيدون صياغة الواقع وضبطه على القواعد الكلية لعلم أصول الفقه أكثر من حاجتنا إلى علماء في الفروع، يحلّلون ويحرّمون ويفسّقون ويبدّعون بنصوص، يحفظونها ولا يفقهونها لها معنى في معظم الأحيان»^(٣).

(١) محمد الغزالي - فقه السنة النبوية بين أهل الفقه.. وأهل الحديث، دار الشروق، ط ٨، ١٩٩٠م، ص: ١٥.

(٢) نفس المرجع السابق، ص، ٧.

(٣) أ.د. محمد السيد الجليلند - منهج السلف، ص: ١٧٣.

٥- قول الشيخ: (إن المنهج السلفي لتعليم الإسلام وتعلمه هو المنهج الأكمل الأسلم لأنه يأخذ من الفرد أقل الأوقات ويعطيه أعظم الفوائد...، وهذه هي الميزة الثالثة (تيسير فهم الإسلام) للسير في الطريق السلفي طريق النبي محمد ﷺ الذي علم أمة كاملة بأيسر الجهود وأقل التكاليف).

ما تقدّم في هذا الفصل من (أصول المنهج السلفي وخصائصه) وما سُجّل عليه من ملاحظات، وما ينطق به واقع السلفية المعاصرة، كل ذلك لا يشهد للشيخ بأن المنهج السلفي - كما قدّمه هو وجماعته - هو الأكمل والأسلم.. أو يمثل السير في طريق النبي ﷺ.

ولا تشهد له شهادة أحد أهم المختصين والمهتمين بالفكر السلفي، التي يقول فيها: «إنّ على السلفية المعاصرة أولاً بمراجعة الذات وأين موقعها صواباً وخطأً من قواعد المنهج السلفي نفسه، في جوانبه الاجتماعية والثقافية والتربوية.. إن نمط الحياة المعاصرة يحتاج إلى رؤية واضحة المعالم لهذه الجوانب الثلاث في هذا المنهج، وهي واضحة جلية لا تحتاج إلى كبير عناء..^(١).

وكثيراً ما يتساءل، «لماذا يهمل السلفيون الكشف عن هذه الجوانب المضئية، ولماذا الإصرار على التوقف عند قضايا العقيدة فقط. وعند بعض مسائلها فقط، هل مشكلة المسلم المعاصر هي التعرف على المشكلات المثارة حول قضية الذات والصفات بمناسبة وغير مناسبة؟ هل مشكلة حياته اليومية الآن هي تأويل الصفات أو عدم تأويلها؟..

هل المسلم العامي الآن بحاجة إلى بحث الخلافات التاريخية القديمة حول هذه القضايا من جديد...؟!

(١) نفس المرجع السابق، ص: ١٧٤.

إن إثارة هذه المشكلات دليل على أن أصحابها يعيشون خارج العصر ومشكلاته.

إن مشكلة المسلم المعاصر الآن هي أن يكون أو لا يكون؛ وإذا سُمح له بالوجود فلا بد أن يكون خارج الملعب؛ مشكلتنا المعاصرة هي قضية الوجود أو العدم جملة وتفصيلاً»^(١).

تلك شهادة مهمة مجملة، عن أصول المنهج السلفي وخصائصه، والذي في ضوئه جاءت أفكار وممارسات (الجماعات السلفية المعاصرة في مصر والكويت)، وهذا ما سنناقشه في الفصل القادم.

* * *

(١) نفس المرجع السابق، ص: ١٧٥.

الفصل الثاني

السلفية المعاصرة في مصر والكويت

- المبحث الأول: واقع السلفية المعاصرة في مصر.
- المبحث الثاني: واقع السلفية المعاصرة في الكويت.
- المبحث الثالث: أهم أوجه الاتفاق والاختلاف بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت.

المبحث الأول

واقع السلفية المعاصرة في مصر

تمهيد:

بعد مناقشة أصول المنهج السلفي وخصائصه عند السلفية المعاصرة في مصر والكويت، نناقش واقع الجماعات السلفية في مصر والكويت، مع التعرف على أهم الأفكار والخصائص التي تنفرد بهما كل جماعة..

◀ أولاً: العوامل الممهدة لنشأة السلفية المعاصرة في مصر.

◀ ثانياً: أهم الجماعات السلفية المعاصرة في مصر.

- الدعوة السلفية.
- السلفية الحركية.
- السلفية المدخلية.
- السلفيون المستقلون.
- السلفية الجهادية.

أولاً: العوامل الممهدة لنشأة السلفية المعاصرة في مصر:

■ الحركة الإصلاحية في مصر:

ترجع نشأة السلفية المعاصرة في مصر لعدة عوامل، أذكر منها:

- ١- ترجع نشأة السلفية في مصر إلى محمد رشيد رضا (١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م - ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، والذي بدأ تأثره الكبير بشيخ الإسلام (ابن تيمية) والشيخ (محمد بن عبد الوهاب) وذلك في قوله عن ابن تيمية: «ناصر مذهب السلف

بالأدلة العقلية^(١)، وقوله عن الوهابية: «هو المذهب الذي أقام السنة بصورة لم يسبق لها نظير بعد الخلفاء الراشدين»^(٢).

ولذا، «كان بأثره الفكري الكبير ومجلته الإسلامية المهمة (المنار) هو القنطرة الأساسية التي عبرت عليها السلفية المعاصرة من نجد إلى القاهرة»^(٣).

ومن اللافت للنظر هنا أننا لم نجد تأثيراً بفكر وفقه (رشيد رضا) عند السلفية المعاصرة، بل وقف معظم روادها منه موقفاً معادياً كما بينا من قبل.

ويرى أحد الباحثين^(٤) أن مبدأ ظهور (السلفية) كان في مصر، على يد رواد حركة الإصلاح الديني الأفغاني ومحمد عبده، ويعود السبب في ذلك إلى واقع مصر آنذاك، والتي كثر وتنامي في أرجائها الكثير من البدع والخرافات، مما حمل أقطاب هذه الحركة الإصلاحية لرفع مصطلح السلفية كشعار، وكان يعني الدعوة إلى نبذ كل هذه الرواسب التي عكرت على الإسلام طهره وصفاءه؛ ولذا كان لحركة الإصلاح الديني أثر كبير في الترويج لمصطلح السلف والسلفية في الأوساط الثقافية والاجتماعية العامة، وأصبحت عنواناً على مجلات، واختيرت اسماً لمطابع ومكتبات، كالمكتبة والمطبعة السلفية المشهورتين في مصر..

ولما كان بين المذهب الوهابي في نجد والدعوة التي حملها رجال الحركة الإصلاحية في مصر قاسم مشترك، يتمثل في محاربة البدع والخرافات لا سيما بدع المتصوفة، فقد لقيت كلمة السلف والسلفية هوى في نفوس كثير من الذين يتبرمون بكلمة الوهابية، ودعاهم إلى أن يستبدلوا بكلمة الوهابية هذه، كلمة السلفية^(٥).

(١) رشيد رضا - (مجلة المنار)، مطبعة المنار، مجلد (٢٢)، جـ (٣) في ٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٩ هـ، ص: ١٩٠.

(٢) نفس المرجع، مجلد (٢٩)، جـ (٦)، في ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٧ هـ، ص: ٤٢٢.

(٣) أحمد سالم، وعمرو البسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) انظر: د. محمد سعيد رمضان البوطي - السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص: ٢٣٣.

(٥) انظر: أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي - السلفية مرحلة زمنية مباركة..

ومع الإيمان بما ذهب إليه الباحث من إحياء مصطلح السلف والسلفية على يد رواد الحركة الإصلاحية في مصر إلا أن جذور نشأتها، ترجع - كما أشار الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) - إلى المعنى الاصطلاحي الذي يفيد أن لفظ (السلف) يعني خير القرون الذين أشار إليهم النبي ﷺ في حديثه، وأن الخلف من كانوا غير ذلك..^(١)

ومع إحياء كلمة (السلفية) على يد رواد الإصلاح إلا أنها لم يكتب لها الانتشار آنذاك في مصر؛ لأن (السلفية) لم تكن قد طورت خطابها بالصورة التي ترفع درجة جاذبية أفكارها، ولم تكن قد استطاعت في تلك الفترة أن تولد رموزها الذين تتعلق بهم الأعين، والفضاء العام يموج بموانع الانتشار متمثلة في غلبة الأمية واستبداد الهم السياسي وجاذبية الأفكار الإصلاحية.. فضلاً عن استغراق أنصار السنة في معركة جدلية محمومة مع الأزهر تارة ومع الجمعية الشرعية تارة أخرى»^(٢).

وحتى وقت قريب، لم يكن السلفيون في مصر يعرفون بهذه التسمية، وإنما كانوا يسمون بالسنيّين، فيما ترى بعض المصادر أنهم وفدوا إلى مصر حديثاً مع أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونزحوا إليها عقب حملة إبراهيم باشا على نجد وإسقاطه مدينة الدرعية، وكان لهم فضل سبق في نشر الدعوة السلفية، ومنهم من تولى مشيخة رواق الحنابلة في الأزهر، حيث نفى بعضهم في مصر برغبتهم^(٣).

■ الصحوة الإسلامية في مصر:

وإذا نظرنا لبداية ازدهار الصحوة الإسلامية في عمومها في سبعينيات

(١) راجع مصطلح (السلف) في المدخل المفاهيمي لهذه الدراسة.

(٢) أحمد سالم وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٢٢٧.

(٣) محمد حامد عبد الوهاب - السلفيون في مصر، مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع، ط، ٢٠١١م، ص: ٩٥.

القرن الماضي، لا يمكن استبعاد هزيمة يونيو ١٩٦٧ م وما أحدثته من زلزال في الأعماق المصرية والعربية أدى إلى إبراز الصحوة الإسلامية؛ إذ إن الثابت أن عدد المساجد زاد في مصر بنسبة ثلاثين في المائة في الفترة التي أعقبت الهزيمة مباشرة بين ١٩٦٧، ١٩٦٩ م، وفضلاً عن ذلك فإن أول معسكر لشباب الجماعة الإسلامية - وهم طلاب من مختلف الجامعات وتنمى حجمهم ودورهم لاحقاً - أقيم بجامعة القاهرة في عام ١٩٦٨ م، أي بعد الهزيمة بعام واحد فقط.. أي أن الصحوة الإسلامية وليدة مرحلة الهزيمة والإحباط العربي^(١).

والمرقب لمسيرة الصحوة يرى صدق ما تقدم - بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ م - في «زيادة أعداد الشباب المتدين وتعمير المساجد في صلوات الجماعات والجمع، والالتزام بالسلوك الإسلامي في الزي بين النساء والفتيات، والإقبال المنقطع النظير على رحلات العمرة والحج، وتجاوب أقطار الإسلام بين الشعوب الإسلامية مع محن إخوانهم.. كذلك يلاحظ اتساع حركة تأليف الكتب الإسلامية مع إعادة نشر كتب التراث وتحقيق المخطوطات في معظم قضايا الدين..»^(٢).

فلم «تنتعش الحركة السلفية من جديد إلا بعد إخفاق الأنظمة التقدمية والقومية في تحقيق مشاريع التحرر والتقدم. ومن الثابت أن التراجع العميق والمرير الذي أصاب الحركة الوطنية العربية بعد يونيو ١٩٦٧ م، قد أدى دوراً حاسماً في تعاظم السلفية في صورة ما يطلق عليه اسم (الصحوة الإسلامية)»^{(٣)(*)}.

(١) فهمي هويدي - التدين المنقوص - دار الشروق، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ص: ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) أ.د. مصطفى حلمي - الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص: ٧.

(٣) أ.د. فهمي جدعان، الماضي في الحاضر دراسات في تشكيلات ومسالك التجربة الفكرية العربية، دار الفارس للنشر، ط ١، ١٩٩٧ م، ص: ٨٢.

(*) ومما يؤكد تعاظم السلفية بعد هزيمة ١٩٦٧، ما قاله أحد مشايخ الدعوة السلفية عندما سئل، لماذا اخترت المنهج السلفي؟ فقال: الحقيقة نشأنا في ظروف يحارب فيها الدين جملة، وتنشر الاشتراكية والقومية العربية مع الهزائم المتلاحقة والنكسات والنكبات على الأمة التي من أعظمها سقوط القدس في يد اليهود ودخولهم إلى المسجد الأقصى، فكان رد الفعل الدفاعي لكل من يحب الإسلام، العودة إلى هذا =

ومما ساعد في هذا الانتعاش الإسلامي وانتشاره، ما أدت إليه الأوضاع السياسية والاقتصادية في مصر في سبعينيات القرن الماضي إلى فتح الباب من قبل نظام الدولة أمام الدعوة الإسلامية للعمل، حيث واجه النظام معارضة شرسة من الناصريين واليساريين، ولهذا أراد أن يحدث قدرًا من التوازن بين القوى المعارضة له، فاعتمد على ركيزة دينية لشرعية الحكم، فأدخل على دستور ١٩٧١م عبارة تنص على أن مبادئ الشريعة هي أحد مصادر التشريع، وأطلق سراح الكثير من المعتقلين الإسلاميين، وأتاح لهم العمل بحرية في الخدمات الاجتماعية وخاصة في الجامعات.^(١)

■ علماء الدعوة النجدية:

ولا ننسى هنا المملكة العربية السعودية التي كانت إحدى أهم مصادر إلهام الحراك السلفي الكبير في عقدي السبعينيات والثمانينيات، والتي شهدت هي الأخرى آنذاك بدايات حراك إسلامي جديد. ولحرص المملكة دائماً على تأكيد التزامها بالهوية السلفية؛ أخذت في استقبال المئات، وربما الآلاف من الطلاب العرب في كليات الدراسات الإسلامية في الجامعات السعودية، حيث تأثر هؤلاء بالرؤية السلفية - الوهابية، ووزعت عشرات الآلاف من الكتب المؤسسة للمدرسة السلفية الوهابية، بما في ذلك الأعمال الكاملة للشيخ (محمد بن عبد الوهاب) في البلاد العربية والإسلامية مجاناً أو بأسعار زهيدة.

كما قامت المؤسسات السعودية، بما في ذلك رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، بتقديم مساعدات مباشرة في بعض الحالات لتعزيز

= الدين بمصادره الصافية. (انظر: شهادة ياسر برهامي على نشأة الدعوة السلفية، حوار على عبد العال، موقع (الإسلاميون) في ٢٠ / ١ / ٢٠١٦ م).

(١) انظر: عبد الفتاح ماضي - أوراق العالم العربي في حالة انتقالية، مؤسسة قرطبة بجنيف، ٢٠١٣م، ص: ٧.

نشاطات وأعمال الجماعات الإسلامية القريبة من الرؤية السلفية السعودية في بلاد مختلفة..^{(١)(*)}.

ولا يخفى متابع لحركة المد السلفي في مصر، في سبعينيات القرن الماضي من أثر السلفية الوهابية في التكوين الفكري لكثير من الشباب، فقد كانت الكتب الإسلامية تأتي من السعودية بالمئات بل بالآلاف، وكانت كلها هدايا لا تكلف الشباب شيئاً.. كانت دائماً (تُهدى ولا تباع) وكان الشباب الإسلامي يوزعون الكثير منها على الطلاب..

وكانت رحلات العمرة إحدى روافد الفكر الوهابي، فقد كان بعض الطلاب يبقى هناك متخلفاً عن العودة مع الرحلة حتى موعد الحج، وكان يلتقي بعلماء السعودية، فيعود من الرحلة حاجاً معتمراً وشيخاً سلفياً وهابياً^(٢).

■ جماعة أنصار السنة:

أ- نشأة الجماعة:

تأسست جماعة أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة على يد الشيخ محمد حامد الفقي^(٣) وبمشاركة مجموعة من إخوانه.. في

(١) انظر: أ.د. بشير موسى نافع - الظاهرة السلفية، ص: ٢٧، ٢٩.

(*) ومع ما ذكرناه - وما لم نذكره - من أسباب تنامي ظهور الصحوة الإسلامية إلا أنها تعبر في بداية تكوينها عن العودة إلى الذات، ومن رجع إلى تراثنا وجد علماءنا يقولون: (ما جاء على الأصل لا يُسأل عن علته) فالصحوة بدأت في سبعينيات القرن الماضي بتدين ذاتي (فهو دعوة الله) ثم عبر تجمع مجموعات شبابية تحت مظلة (الجماعة الإسلامية) في معظم جامعات مصر ولم يكن السلفية قد ظهرت ولا الإخوان كما شهد أحد رموز الدعوة السلفية في سيرته الذاتية (ولم يكن ظهر اسم السلفية وكذا لم يكن هناك تواجد لمنهج الإخوان، فكان العمل تحت اسم الجماعة الإسلامية، ولكن الكتب التي ندرُسُها ونُدَرِّسُها سلفية كتب ابن تيمية وابن القيم، وأذكر أنه في سنة من السنوات تم تدريس كتاب: الأصول العلمية للدعوة السلفية للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق)، انظر: السيرة الذاتية - أحمد فريد على صفحته في الفيس.

<https://www.facebook.com/pg/shikh.ahmedfarid/about/>.

(٢) انظر: حسام تمام - أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر..، ص: ٦٧، ٦٨.

(٣) ولد محمد حامد الفقي في سنة (١٣١٠هـ / ١٨٩٢م) بمحافظة البحيرة، نشأ في كنف والدين كريمين.. تلقى تعليمه بالأزهر ونال الشهادة العالمية.

الوقت الذي كانت تعجّ فيه مصر ومعظم بلدان العالم الإسلامي بالشركات والبدع والخرافات بسبب تسلط التصوف والصوفية على المناحي الفكرية والمؤسسات الدينية، فكان تأسيس الجماعة للدعوة لتجديد الدين على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة ومحاربة الشرك والبدعة في صورها كافة^(١).

بعد أن استوى عود الجماعة وبلغت أشدها، أسس الشيخ محمد حامد الفقي مجلة الهدى النبوي لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة عن عقيدتها ودعوتها والناطقة بمبادئها، وتولى هو رئاسة تحريرها.. ومع تطور أعمال الجماعة أنشأ الشيخ (الفقي) مطبعة السنة المحمدية لنشر كتب السلف وبوجه خاص كتب (ابن تيمية وابن القيم)، فجمعت محبته لهما بينه وبين شيخي الأزهر^(٢)، اللذين أيدا دعوة الفقي.

ولما اشتد الصراع بين الجماعة وأصحاب الطرق الصوفية من ناحية وبين الجماعة وأصحاب دعوات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى، علا صوت الشيخ الفقي في الإنكار عليهم وعلى واضعي القوانين الوضعية، قائلاً: «من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء، والفروج، والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهو مشرك كافر مرتد، إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها..

= دعا إلى التمسك بالسنة بالسنة الصحيحة والبعد عن البدع ومحدثات الأمور بعد أن أمعن في دراسة الحديث ومطالعة كتب السلف والأئمة الكبار كابن تيمية وابن القيم.. وحقق الكثير من الكتب معظمها لابن تيمية وابن القيم، توفي في عام (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م). انظر: موقع ويكيبيديا: الموسوعة الحرة.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، ط ٤، المجلد الأول ١٤٢٠هـ، ص: ١٨٢.

(٢) شيخا الأزهر هما: الشيخ (محمود شلتوت) والشيخ (عبد المجيد سليم).

وهذا الرأي الصريح يعبر عن طبيعة الشيخ، إذ كان من أهم صفاته تسمية الأشياء بأسمائها بدون مdahنة في القول أو مجاملة في الحق..^(١).

ولما تولى رئاسة الجماعة الشيخ محمد على عبد الرحيم^(٢)، توسعت الجماعة في بناء المراكز الإسلامية التي تقدم خدمات متكاملة لعموم المسلمين، وبناء المستشفيات والمستوصفات الإسلامية، بالإضافة إلى تقديم المساعدات والكفالات للأيتام والمحتاجين، وتضاعفت أعداد مجلة (التوحيد) في عهده من خمسة آلاف إلى ست وثلاثين نسخة.

كان لدروس الشيخ وعلماء الجماعة أثرها البالغ على الشباب وبخاصة بجامعتي الإسكندرية والقاهرة، إذ عمّقت مفاهيم الدعوة والمنهج السلفي الذي قاد تيار الصحو الإسلامية الذي يدعو إلى التوحيد ويبين السنة ويحارب الشرك ويدحض البدعة، وأصبح الكتاب الإسلامي السليم واسع الانتشار، بعد أن كان سوق الكتاب حكرًا على كتب الصوفية وأهل الأهواء والتغريب، وعاد الحجاب وانتشرت الفضيلة، وانحسر تيار التصوف في بيئات محدودة..^(٣).

ب- عقيدة الجماعة وفكرها:

عقيدة جماعة أنصار السنة واضحة، أذكر منها:

١- الاعتقاد بأن الأصل في الدين هو الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

٢- الاعتقاد بأن صفات الله ﷻ هي كما وصف نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ

حقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل..

(١) انظر: نفس المرجع السابق، ص: ١٨٣. بتصرف.

(٢) ولد الشيخ (محمد على عبد الرحيم) في سنة ١٩٠٤ م بالإسكندرية، وبعد تخرجه عمل في حقل التعليم وترقى في الوظائف التعليمية، وقد تعرف على الشيخ (محمد حامد الفقي) عام ١٩٤٨ م، في إحدى رحلاته للحج، وقد كان الشيخ صاحب أطول مدة في رئاسة الجماعة بعد مؤسسها الأول إذ تولى رئاستها من ١٩٧٥ م حتى توفي في عام ١٩٩١ م. ويعتبر سبباً أن انتشرت دعوة التوحيد في الإسكندرية. [موقع: ويكيديا، الموسوعة الحرة].

(٣) الموسوعة الميسرة..، ص: ١٨٧، ١٨٦.

٣ - الاعتقاد بإفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة من نذر وحلف واستغاثة واستعانة، ثم مقاومة كل من يوجه شيئاً من ذلك، صريحاً أو تأويلاً بتغيير اسمه، إلى غير الله.

٤ - الإيمان هو التصديق الإذعاني الذي ينتج العمل ويظهر على الجوارح، لا مجرد الحكم بثبوت الشيء أو ادعائه أو التلفظ به، وإنما هو قول واعتقاد وأخلاق وسلوك وعمل.

٥ - البدعة هي كل جديد في العبادات على غير مثال سابق من سنة رسول الله ﷺ سواء كان في أصله أو طريقة أدائه^(١).

ج- الأهداف العامة للجماعة:

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ حباً صحيحاً صادقاً يتمثل في الاقتداء به واتخاذ أسوة حسنة.

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخلقاً.

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مُشرّع غيره - في أي شأن من شؤون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

٥ - التحذير من خطر الفرق وأهل الأهواء على الفرد والمجتمع، والتصدي لغلاة المتصوفة ومنكري السنة والبهائية والرافضة والباطنية، والتصدي لحمالات التغريب والعلمنة، والإلحاد والزندقة.

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ١٩٢.

٦ - العمل على توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة ومنهج تشريعي واحد، على أساس من المنهج السلفي..

٧ - الدعوة إلى تجديد الدين على هدي السلف وأئمة السنة والاجتهاد لمعرفة حكم الله في النوازل والمستجدات حسب الضوابط الشرعية واتباع السياسة الحكيمة دون استعجال أو صدام لإقامة شرع الله في الأرض^(١).

هـ- ملاحظات على جماعة أنصار السنة:

ولقد وُجه إلى جماعة أنصار السنة بعض الملاحظات، أذكر منها:

١ - قصور المنهج وعدم شموله، إذ إن أنصار السنة اقتصر في دعوتها على جوانب العقيدة والعبادة فقط وأهملت جوانب الدعوة الأخرى، فعزلت نفسها سياسيًا واجتماعيًا..

٢ - عدم الاهتمام بتربية النشء، فلم تول عنايتها لإنشاء مدارس أو رياض أطفال، في الوقت الذي كانت فيه مدارس التبشير تستولي على خيرة أطفال المسلمين وتسيطر عليهم.

٣ - عدم المشاركة في القضايا السياسية والابتعاد عن الكفاح الديني والوطني ضد أعداء الإسلام.

٤ - الخلاف بين أنصار السنة والجمعيات العاملة في حقل الدعوة.. فلا تكاد تسلم جمعية من الجمعيات من السنة أنصار السنة والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى^(٢).

(١) انظر: مجلة (التوحيد)، العدد الرابع - ربيع آخر ١٤٢٤ هـ - السنة الثانية والثلاثون، والموسوعة الميسرة.. ص: ١٩٣.

(٢) محمد عبد العزيز داود، الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة، الزهراء للإعلام العربي، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص: ١٩٢، ١٩٣.

و- جماعة أنصار السنّة والتيارات السلفية الأخرى:

تتحفظ أنصار السنّة على الدعوة السلفية وتحرص دائماً على التأكيد أنها هي التي «تحمل الدعوة السلفية، وعلى من ينتمي إلى هذا المنهج، أو يبحث عنه أن يرجع إلى أنصار السنّة، فعندهم منهج واضح ومجلة التوحيد تبين آراءهم، ولهم تواجد فعلى من خلال موافقة الجهات الرسمية على أعمالهم»^(١).

والنقطة الأساسية لتحفظ جماعة أنصار السنة على الدعوة السلفية هي وجود (التنظيم)، حيث ترفض أنصار السنة التحزب وما ينجم عنه...، كذلك لم تبتعد (السلفية الحركية) عن تحفظات أنصار السنة حيث الخلاف معها بسبب تكفير المعين؛ فمشايخ السلفية الحركية تكفر الرئيس الذي لا يحكم بالشرع، بينما ترى أنصار السنة أن الحاكم المتغلب ولي أمر أيضاً، وترفض المظاهرات والاعتصامات. ورغم أن بعض مشايخ هذا التيار يتحرك من خلال مساجد أنصار السنة ويجمعها بعض الندوات، إلا أن نظرة السلفية الحركية إليها في الجملة أنهم (علماء سلطة)...، ورغم هذه التوترات، تعتبر أنصار السنّة مرحلة مهمة في تاريخ الدعوة السلفية، ولا ينكر شيوخ الدعوة دور وفضل الجماعة عليهم؛ خاصة علمياً في مرحلة التكوين، حيث تمثلت السلفية بمنهج أنصار السنّة..

وتثير (السلفية المدخلية) رفضاً داخل الخط العام لجماعة أنصار السنة، رغم وجود من يتبنى هذه الفكرة على رؤوس بعض فروعها، ما تسبب في حدوث صدامات بين المركز العام للجماعة وبين هذه الفروع، وبخاصة أن هناك لا مركزية في إدارة فروع الجماعة؛ فكل فرع مستقل ولا يخضع لتدخلات المركز العام^(٢).

(١) حوار مع عبد الله شاكر - انظر: أحمد شلاظة - السلفية السكندرية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٦٢، ٢٠١٦م، ص: ٥٥.

(٢) محمد عبد العزيز داود، الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة، الزهراء للإعلام العربي، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص: ٥٦، ٥٥.

ومع ما وُجه إلى جماعة أنصار السنّة من نقد وملاحظات إلا أن لها آثارًا وجهودًا لا تُجحد في ميدان الدعوة الإسلامية، أذكر منها:

١ - أنها امتداد فكري وتاريخي لمدرسة ابن تيمية وابن القيم - وإن كانت دونها - ومحمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله جميعًا، فلقد نقلت وحقت الكثير من تراث تلك المدرسة التي لا ينكر أثرها في اليقظة الإسلامية المعاصرة.

٢ - أنها والجمعية الشرعية قد شاركتا مشاركة فعّالة في محاربة البدع والخرافات التي ترتكب باسم الدين كبدع المآثم والأفراح والموالد وغير ذلك من العادات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة.

٣ - أنها وقفت من العقيدة موقف الحارس الأمين والمدافع العنيد، توضح جوهرها وتذيب عنها الشبه التي علقت بها من خلال الأمية والتقليد والثقافات التي وفدت على الفكر الإسلامي فعكرت صفاءه وألبست الباطل ثوب الحق.

٤ - أنه من خلال المعركة الضروس بين أنصار السنة والتصوف، ومع ما تركته تلك المعارك من جراح لا تندمل بين العاملين في ميدان الدعوة، فإن تلك المعارك الفكرية بين الفريقين قد أثرت المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات والأبحاث التي حاولت كل جماعة أن تؤيد فكرها بما تسوقه من أدلة وبراهين لتأييد ما تعتنقه وتدعو إليه^(١).

هذه الآثار السابقة من العوامل التي ساعدت على اليقظة الإسلامية المعاصرة التي تتبع المنهج السلفي وترفض ما عداه.

ومما تقدم، نخلص إلى أن التكوينين المهمين اللذين شكّلا معالم نشأة السلفية المعاصرة في مصر، هما:

(١) محمد عبد العزيز داود، الجمعيات الإسلامية في مصر، ص: ١٩١.

١ - علماء الدعوة النجدية المنضوون تحت راية الدولة السعودية الثالثة..

٢ - جمعية أنصار السنة المحمدية التي أنشأها أحد كبار المتأثرين ب (محمد رشيد رضا) وهو (محمد حامد الفقي) الأزهري الذي تبنى أفكار (أفكار ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب)، وأنشأ هذه الجمعية التي قامت مقام الرابطة للسلفيين عام (١٩٢٦م) وتطورت على يديه شبكة من العلاقات جمعتهم بعلماء الدعوة النجدية..^(١)

وإذا كانت (جماعة أنصار السنة المحمدية) هي المعبر الأساسي الذي انتشر عن طريقه الدعوة الوهابية في مصر بعد دخولها لمصر على يد رشيد رضا إلا أن شعار (السلفية) لم يكتب له الانتشار والرواج - كما أسلفنا - ويتحول إلى تيار فيما بعد إلا على يد «مجموعة صغيرة في الإسكندرية - وذلك في منتصف السبعينيات من القرن الماضي - كان لهم ميل للعمل الجماعي والدعوة..، ولهم خلفية تيمية وهابية من خلال معبر أنصار السنة المحمدية أحياناً وبالاطلاع المباشر أحياناً أخرى، وهم من شكلوا بعد سلفية الإسكندرية..»^{(٢)(*)}

ثانياً: أهم الجماعات السلفية المعاصرة في مصر:

■ الدعوة السلفية:

أ- نشأة الدعوة السلفية:

نشأت هذه الدعوة في الفترة من بداية السبعينيات إلى بداية الثمانينيات من

(١) أحمد سالم وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٢٢٤.

(٢) أحمد سالم - اختلاف الإسلاميين - مركز تفكر للبحوث والدراسات، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص: ٢٧.

(*) وبالتوازي مع هذه المجموعة التي اختارت المنهج السلفي كان هناك شباب مستقل لم ينضم لأي مجموعة ولا اشتغال له سوى بالتعلم وتكوين رؤاه الخاصة، منهم من بقي في مصر كمحمد عبد المقصود وأبي إسحاق الحويني، وكشباب تربى في أنصار السنة المحمدية، ومنهم من سافر خارجها؛ كمصطفى العدوي.. (نفس المرجع السابق، ص: ٢٧).

القرن الماضي، إبان تصاعد وتيرة الحركة الطلابية في الجامعات المصرية، وذلك عندما بدأ طالب كلية الطب^(١) درسه الأسبوعي بمسجد عمر ابن الخطاب بالإسكندرية، الذي أصبح نواة لتجمع مجموعة صغيرة لا تتجاوز عشرة من الطلبة المتدينين المتأثرين بدروسه عن التوحيد والعقيدة.

وقد تأثر مؤسس الدعوة السلفية بشيوخ أنصار السنة وعلماء سلفيين سعوديين، ورفض هو وزملاؤه الانضمام مع غيرهم من طلاب الجماعة الإسلامية بالجامعة إلى جماعة الإخوان.. ثم تطور العمل السلفي وبدأ النشاط داخل الجامعة سنة ١٩٨٠م، واختارت المجموعة اسم (المدرسة السلفية). ومع منتصف الثمانينيات توسع النشاط السلفي في المدينة، واعتمد اسم (الدعوة السلفية) وشُكل مجلس تنفيذي، كما شُكلت لجان عمل في المحافظات واللجنة الاجتماعية، لجنة الزكاة، لجنة الشباب.

حظيت الدعوة السلفية بزيارة بعض علماء السعودية لمقراتها في الإسكندرية، كما صحب بعضهم أبرز علماء السعودية: ابن باز، وابن عثيمين لمدة أشهر في المملكة، ما أكسبهم ثقة وتمسكاً بمنهجهم.

وبالرغم من اتصال مؤسس الدعوة السلفية بمشايع أنصار السنة المحمدية، إلا أنهم اختلفوا معهم في بعض الآراء الفقهية..^(٢).

(١) طالب كلية الطب هو (محمد إسماعيل المقدم) ولد بالإسكندرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، نشأ في جماعة أنصار السنة المحمدية.

أسس الدعوة السلفية إلى جانب آخرين من إخوانه وهو طبيب حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة، له العديد من المؤلفات الدينية بالإضافة إلى المحاضرات المسموعة والمصورة. (موقع ويكيديا، الموسوعة الحرة).

(٢) انظر: عمار أحمد فايد - السلفيون في مصر من شرعية الفتوى إلى شرعية الانتخابات، ضمن كتاب (الظاهرة السلفية)، ص: ٥٦، ٥٧.

وانظر: على عبد العال - الدعوة السلفية بالإسكندرية - النشأة التاريخية وأهم الملامح (موقع الحوار نت)، وانظر: شهادة ياسر برهامي على نشأة الدعوة السلفية.

ب- أهم أفكار الدعوة السلفية:

١- الدعوة إلى التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة ونبذ مظاهر الشرك والتوسل غير المشروع والزيارة البدعية لأضرحة وقبور الأولياء^(١).

٢- العناية بالقضايا الفكرية المشكّلة داخل التيارات السلفية؛ كقضية الجهاد، وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم بغير ما أنزل الله، وضوابط العمل الجماعي، وفقه الخلاف، ومسائل الإيمان والكفر، والعذر بالجهل، ونشر ذلك وتدرسه بين كوادر وأتباع المدرسة، بل والحث على تبني تلكم التوجهات^(٢).

٣- انتهاج مبدأ العمل الجماعي المنظم نسبياً في الدعوة والتربية، فالاجتماع والإجماع أصل من أصول هذه الدعوة المباركة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿.. وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وذكر أننا في أقل وأقصر الاجتماعات نؤمّر علينا واحداً: «إذا كنتم ثلاثة في فلاة فأمروا عليكم أحداكم»^(٣)، فكيف بما هو أعظم من ذلك؟^(٤).

وفكرة (العمل الجماعي) ساعدت كثيراً الدعوة السلفية على العمل في إطار منظم محكم حافظ على تمايزها عن غيرها من السلفيين بصور مختلفة، ومكنها من تنظيم صفوفها في سنوات ما بعد يناير ٢٠١١م^(٥).

(١) أحمد سالم - اختلاف الإسلاميين، ص: ٧٢.

(٢) انظر: (الجهاد في سبيل الله)، و(العمل الجماعي)، (فقه الأمر بالمعروف) - مجموعة دروس مفرغة لياسر برهامي (أنا السلفي).

وانظر: محمد إسماعيل المقدم: محاضرات (قضايا الإيمان والكفر) - موقع: أنا السلفي.

(٣) أخرجه البزار بإسناد صحيح بلفظ «إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا أحداكم..».

(٤) سعيد عبد العظيم - جواب فتوى على طريق الإسلام: <http://iswy.co/e3nnpn>.

(٥) أحمد شلاطة - الدعوة السلفية السكندرية، ص: ١٥.

٤ - رؤية الدعوة السلفية لقضية التغيير: يذكر أحد شيوخ الدعوة السلفية منهجية التغيير في النقاط التالية:

الأولى: الدعوة إلى الإيمان بمعانيه وأركانه كلها من معرفة الله بأسمائه وصفاته والتعبد له بها وتوحيد الربوبية والألوهية والكفر بالطاغوت ومحاربة الشرك في كل صورته القديمة والحديثة من شرك القبور والخرافات وشرك الحكم والولاء وغير ذلك.. وتحقيق الاتباع للسنة ومحاربة البدعة..

الثانية: إيجاد الطائفة المؤمنة: إن إيجاد الطائفة المؤمنة الملتزمة بالإسلام المجتمعة على إقامة فروض الكفاية المضیعة.. من أهم الواجبات والأولويات، وهذه الطائفة تسعى إلى أن يكون أفرادها في خاصة أنفسهم يؤدون الواجبات العينية عليهم في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة والخلق، ويتركون المحرمات، كما أنهم ملتزمون بالتعاون المنضبط على إقامة الفروض التي خوطبت بها الأمة ككل؛ كالتعلم والتعليم، قال تعالى: ﴿...فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

الثالثة: كيفية إقامة الدين: نحن لا نوجب على الله أمراً معيناً نعتقد حتميته ولزومه، وأنه لا سبيل سواه، بل قد قص الله علينا من قصص أنبيائه ورسله من آمن قومه كلهم بدعوته بالحكمة والبيان، ومنهم من نصره الله بإهلاك أعدائه بقارعة من عنده أو بأيدي الرسل وأتباعهم، وقد جعل الله في سيرة نبينا ﷺ هذه الأمور أيضاً، ففتح الله عليه المدينة بالقرآن، وكذا فتح عليه البحرين واليمن وكثيراً من جزيرة العرب..، فالتمكن منة من الله ووعد غايته تحقيق العبودية لله، والأخذ بالأسباب المقدورة لنا واجب علينا والنصر من عند الله لا بالأسباب، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ

لَهُمْ وَلَيَبْذُلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].^(١)

ج- موقف الدعوة السلفية من (السياسة):

يعبر أحد شيوخ الدعوة السلفية عن موقفها من السياسة بقوله: «الدعوة السلفية إذ ترى أهمية التركيز على إصلاح الأفراد وتربيتهم تربية إيمانية صحيحة مستمدة من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة مع تصنيفاتها من شوائب الشرك والبدع القديمة منها كالعقلانية، والحديث كالعلمانية، مع الربط بين هؤلاء الأفراد للتعاون فيما بينهم للقيام بأي صورة ممكنة من صور أعمال الأمة وفروض الكفايات، ترى أن الخوض في جزئيات السياسة التي يعينها هؤلاء هو نوع من تضييع الوقت من التصفية والتربية إلى أمور هي أشبه بأحاديث السمر، بيد أن أحاديث السمر يقطع بها الليل وهذه الأحاديث يقطع بها العمر»^(٢).

وهذا الموقف من السياسة هو الذي دفع الدعوة السلفية على أن تصدر بياناً عام ١٩٨٧م لخصت فيه أسباب هذا الموقف في العوامل التالية:

١- أنها تسمح لغير المسلمين بأن يعرضوا مناهجهم وعقائدهم على الناس، وأن يكون الشعب هو الحكم بينهم وبين المنهج الإسلامي، وهذا باطل مخالف للتسليم والانقياد لحكم الله.

٢- أن الدستور يلزم أصحاب المنهج الإسلامي أن يظلوا محافظين على النظام الديمقراطي، ولو حصلوا على الأغلبية

(١) انظر: ياسر برهامي - السلفية ومناهج التغيير، بحث نشر بمجلة صوت الدعوة، منشور على موقع طريق الإسلام.

وانظر: أحمد سالم - اختلاف الإسلاميين، ص: ٧٣، ٧٤.

(٢) عبد المنعم الشحات - مقال (السياسة ما تأتي منها وما نذر) في ١٧ / ٣ / ٢٠٠٨ م على موقع (أنا السلفي).

- ٣ - أن المشاركة تتضمن الجلوس مع مَنْ يخالفون الشريعة ويعرضون عنها.
- ٤ - أن المشاركة تؤدي إلى تميع العقيدة الإسلامية، وبخاصة قضية الولاء والبراء والحاكمة
- ٥ - أن الجماعات الإسلامية الداخلة هي الخاسرة، والأعداء هم الكاسبون، بتنظيف سمعتهم أمام الجماهير بأنهم لا يضطهدون الإسلاميين، ويسمحون لهم بالمشاركة.
- ٦ - الإصلاحات الجزئية التي يهدف إليها الإسلاميون غير مؤثرة، وسرعان ما يزول أثرها، وتبقى الآثار السيئة لتميع القضية^(١).
- هـ - ملاحظات على أفكار وممارسات الدعوة السلفية:

وفي ضوء ما تقدم من أولويات واهتمامات الدعوة السلفية، نلاحظ أن التصفية والتربية هي الأصل وليس الانشغال بالسياسة والاهتمام بإقامة الدولة وتطبيق الشريعة..

وموقف الدعوة السلفية من السياسة يبدو فيه التأثير الواضح بالألباني أحد شيوخ السلفية المعاصرة، الذي رفض تقديم الانشغال بالعمل السياسي على الاهتمام بالتربية والتصفية للأجيال الجديدة، كما تفعل الجماعات الأخرى، وذلك في قوله: «نحن نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه النقطة، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معاً، أما أن نبدأ بالأمور السياسية فلا، والذين يشغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم خراباً يباباً، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيداً عن الشريعة، والذين يشغلون بتكتيل الناس

(١) بيان أعادت الدعوة السلفية نشره بعنوان (الانتخابات البرلمانية في الميزان) في ربيع الأول ١٤٢٩ هـ - إبريل ٢٠٠٨ م، موقع صوت السلف.

وتجميعهم على كلمة (إسلام) عامة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتلين حول أولئك الدعاة، ومن ثم ليس لهذا الإسلام أي أثر في منطلقهم في حياتهم، ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء وهؤلاء لا يحققون الإسلام في ذوات أنفسهم، فيما يُمكنهم أن يُطبّقوه بكل سهولة ^(١).

وهذا المنهج الذي خطه (الألباني) كان له أثره الكبير على موقف السلفية المعاصرة من السياسة، فقد «غاب التيار السلفي بشكل عام عن المشهد السياسي بالرغم من الحراك السياسي في السنوات العشر الأخيرة قبل الثورة، وبالرغم من امتلاكه أدوات تعبئة إعلامية فضائية، وانتشار في أغلب المحافظات؛ فقد اكتفت رموزه بمواعظ عامة، ردًا على سؤال أو تعليقًا على موقف، معتقدين أن واجب الوقت هو التربية والتصفية.. وأن الانشغال بتفاصيل السياسة نوع من أحاديث السمر التي يقطع بها العمر دون فائدة..» ^(٢).

لكن بعد الثورات العربية رأينا حدوث تحوّل إلى الحديث عن أهمية الدولة وتطبيق الشريعة، وهو تحوّل جوهري لم يكن متوقعًا، على حسب موقفهم المعروف من العمل السياسي. بل قد أظهرت الدعوة السلفية براغماتية مذهشة عقب ثورة يناير. فالمقولات التبريرية، والفتاوي الشرعية، التي حصّنت خيارات ما قبل الثورة، وُظفت هي ذاتها لإنتاج تحولات ما بعد الثورة (موازن القوة تغيرت، وتجنب الصدام لم يعد خيارًا، لأن الفرصة قد وادت لتواجد التيار السلفي في المشهد، وأصبحت المجالس التشريعية بالتالي وسيلة الحفاظ على الشريعة..) ^(٣). لقد تمت هذه التحولات دون أية مراجعة حقيقية لإرث

(١) محمد ناصر الدين الألباني - التصفية والتربية، تراث الألباني الموقع المرجعي الشامل، د.ت، على هذا الرابط:

https://www.alalbani.info/alalbany_misc_0078.php

(٢) عمار أحمد فايد - الظاهرة السلفية، ص: ٦٢.

(٣) ياسر برهامي - مقال: لماذا تغير موقف السلفيين من المشاركة السياسية؟، في ٢ إبريل ٢٠١١م، موقع أنا السلفي.

الماضي، ولم تُوضع في سياق اجتهاد جديد، بل رُوج لها باعتبارها برهاناً على سلامة وصواب الاجتهاد القديم^(١).

ومن العجيب أن أغلب ما أنكرته الدعوة السلفية على غيرها من الإسلاميين، وقعت فيها هو أشد منه، مما عرّضها لحمولات التشهير والتشنيع من قبل المتربصين والإعلام المغرض من جانب، ولخسارة قطاع كبير من الإسلاميين الذين لم يرضوا عن المواقف السياسية الأخيرة للدعوة، ولم يقتنعوا بمبررات الحزب الأيديولوجية من جانب آخر. بل «كان هذا التحول بمنزلة نهاية الارتباط بين المدرسة السلفية السكندرية والتيار الإسلامي بشكل عام؛ لأنه يمثل ضربة قاصمة للمشروع الإسلامي.. بحسب ما تراه القوى الإسلامية المختلفة المهتمة بالشأن السياسي^(٢)».

وما انتهت إليه الدعوة السلفية من مواقف كانت عليها لا لها؛ حمل بعض الباحثين إلى القول: «لقد تشظت الدعوة السلفية المصرية على نحو يصعب جبره»^(٣)، وعارضها بعض شيوخها قائلاً: «أصبح حزب النور عاقاً للدعوة السلفية، ولم يعد يعبر عنها»^(٤).

■ السلفية الحركية:

في ذات الوقت الذي نشأت فيه الدعوة السلفية في الإسكندرية، كان هناك في حي (شبرا) في القاهرة مجموعة من الشباب شكلت تياراً آخر، أطلق عليه فيما بعد: السلفية الحركية^(٥).

(١) عمار أحمد فايد، الظاهرة السلفية، ص: ٧٢، ٧٣.

(٢) انظر: أحمد شلاطة - السلفية السكندرية، ص: ١٦٥.

(٣) أحمد سالم وعمر و بسوني، مابعد السلفية، ص: ٤٦٨.

(٤) أحمد شلاطة - السلفية السكندرية، ص: ١٨٦.

(٥) من أبرز المجموعة التي شكلت السلفية الحركية: الشيخ محمد عبد المقصود، ولد بالمنوفية في ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، تخرج في كلية الزراعة وحصل على درجة الدكتوراه.. (موسوعة ويكيبيديا). والشيخ =

أ- أهم أفكار السلفية الحركية:

١- السلفيون الحركيون لا يكتفون بتكفير الحاكم حكماً فقط، ولكن يذهبون إلى تكفيره عينياً إذا لم يحكم بما أنزل الله، ويجهرون بذلك في خطابهم الدعوي.

٢- يعتقدون أن مظاهر المجتمعات الإسلامية الآن من تبرج وسفور ومعاص كلها من أمر الجاهلية، لكن لا يُكفّر بها..

٣- ما خالف الإسلام فهو جاهلية في الكبيرة والصغيرة، وأن الكفر المراد في الآية الكريمة ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة، الآية: ٤٤]، يقصد به الكفر الأكبر لا الأصغر^(١).

وترجع هذه الشدة في الحكم على الحاكم والمجتمع إلى طبيعة تكوين السلفية الحركية، فهي «عبارة عن مزيج من السلفية كنهج اعتقادي، والحاكمة القطبية كمنهج حركي»^(٢).

٤- مشروعية العمل الجماعي عندهم له ضوابط وشروط، منها: عدم التحزب أو التعصب لفكرة بعينها غير كلام الله ورسوله يوالي أصحابها عليها ويعادون.

٥- لا يضعون الجماعات الإسلامية العاملة على الساحة ضمن الفرق النارية الثنتين وسبعين؛ لأنهم يفرقون بين الجماعات والفرق؛ فالجماعات أصولها هي أصول أهل السنة والجماعة، لكنهم ينفون عن هذه الجماعات أن يكونوا هم الطائفة المنصورة، بل هم من الفرقة الناجية فقط.

= نشأت إبراهيم من مواليد أسوط بمصر، درس في كلية أصول الدين ومعهد القراءات وكلية التجارة، عين شمس (موقع طريق الإسلام). وهناك آخرون كالشيخ فوزي السعيد، والدكتور محمد يسري إبراهيم وغيرهما..

(١) صلاح الدين حسين - التيارات السلفية في مصر.. خريطة معلوماتية، مقال بتاريخ: ٩/ ٣/ ٢٠١٠م.
http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_news.php?main_id=9245

(٢) د. هاني نسيرة - موسوعة: الحركات الإسلامية في الوطن العربي، المجلد ١، ص: ١٠٠٨

٦- السلفية الحركية ترفض تكوين جماعة خاصة بهم؛ كي لا تزيد افتراق الأمة، لكن تشجع أتباعها على التعاون مع جميع الجماعات العاملة على الساحة فيما اتفقوا عليه، وتعتزلهم فيما تفرقوا فيه وفرقوا الأمة بسببه؛ ولذلك فلا يرفض هؤلاء السلفيون العمل مع أي جماعة أو تنظيم أراد أن يقيم دولة الإسلام، أو أن يعيد دولة الخلافة، ومن هنا تأتي تسمية هذا التيار بالحركي^(١).

ويعلل أحد السلفيين شدة خطاب السلفية الحركية بطبيعة شيوخها «فهم ذوو طباع شخصية حادة انعكست في آرائهم»، كذلك كان بعضهم ذوي خلفيات جهادية انعكست فيما بعد على مواقفه وتصوراته الفقهية^(٢).

ب - بين الدعوة السلفية والسلفية الحركية:

مرت العلاقة بين الدعوة السلفية والسلفية الحركية بمرحلتين، الفاصل بينهما حدث الثورة في ٢٥ يناير ٢٠١١م؛ فقبل الثورة كانت المدارس السلفية تشترك جميعها في رفض العمل السياسي بالمشاركة البرلمانية، كذلك موقفها الرافض للديمقراطية، وتطبيق القوانين الوضعية، وبعضها راجع بعض أفكاره فيما يخص العمل السياسي. ورغم أن هناك نوعاً من التقارب على المستوى الشخصي والمنهجي بين سلفيي الإسكندرية والقاهرة، إلا أن خطاب السلفية الحركية يتسم بالشدة مقارنة بخطاب السلفية السكندرية. وعند النظر في أوجه الاختلاف بين المدرستين نجدها تتمحور حول الأمور التالية:

١- يرى شيوخ الإسكندرية العمل الجماعي ما بين الجواز - وهذا رأي أغلب الشيوخ - وما بين الوجوب.. في حين ترى السلفية الحركية أن العمل الجماعي

(١) صلاح الدين حسين: التيارات السلفية في مصر، مرجع سابق في مقال بحثي..

(٢) انظر: تصريح محمد الكردي (مسؤول الدعوة السلفية بالجيزة). أحمد شلاطة - السلفية السكندرية، ص: ٥٦.

نوع من الحزبية ويرون الجواز، ويؤكدون أن عملهم دائماً يكون منظماً، فالعمل في المساجد جماعي.

٢- فتاوى الإسكندرية متأثرة بالسعودية، على العكس من فتاوى القاهرة، المؤسسة على الواقعية؛ لاختلاف المدارس والمشارب.

٣- ترى السلفية الحركية تكفير العين في حين ترى الدعوة السلفية تكفير النوع، وتؤكد أن تكفير العين يفتح باب التكفير، وكلا الفريقين له أدلته^(١).

استمرت العلاقات جيدة في الجملة بين سلفيي القاهرة وسلفيي الإسكندرية بعد الثورة، حيث اقتفى تيار السلفية الحركية مسار التيار السكندري شبراً بشبر وذراعاً بذراع، إلى أن بدأ التباين يحدث بين التيارين بدرجات مختلفة، فانطلقت الانتقادات العلنية إيداناً بحدوث تحول في العلاقات بسبب التباين في المواقف السياسية، وظلت الخلافات تتسع، وشن شيوخ السلفية الحركية هجوماً حاداً على الدعوة السلفية، واتهموهم بممارسة أمور الكفر، ورأوا ما حدث خيانة للمشروع الإسلامي ككل..^(٢)

ج - ملاحظات على أفكار السلفية الحركية:

لقد جاءت مواقفهم السياسية منسجمة مع طبيعتهم المتشددة فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م قام رموز تيار السلفية الحركية بالتبرير في أكثر من محاضرة لهم للهجوم الذي قامت به القاعدة، وامتدح بعضهم زعيمها، ووصفوا الولايات المتحدة الأمريكية بالطاغوت الأكبر، وأفتوا بأن جهادها كجهاد إسرائيل، وبعدها تعرض هذا التيار لحصار أمني شديد... بل والاعتقال والمحاكمة في قضايا مختلفة..^(٣)

(١) أحمد شلاطة - السلفية السكندرية، ص: ٥٦، ٥٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ٥٨، ٥٩.

(٣) صلاح الدين حسين - التيارات السلفية في مصر.

والسلفية الحركية رغم أنها الأقل حضوراً في مصر بين السلفيات المتعددة، إلا أنها تعد النمط المؤهل للتطور سياسياً، كما هو حادث في الكويت والسعودية والبحرين، أو التحول إلى الجهادية العنيفة، كما هو الحال بالنسبة إلى السلفية الجهادية التي تطورت عقب حرب الخليج الأولى عام ١٩٩٠م^(١).

ومع رفضنا الشديد لتوجه خطاب (السلفية الحركية) نحو التشدد في الأحكام والآراء إلا أننا نستبعد تحولها إلى الجهادية العنيفة؛ لبيان «موقفهم الواضح برفض العمل المسلح أو إنشاء منظمات إسلامية سرية»^(٢).

■ السلفية المدخلية^(٣):

أ- النشأة:

السلفية المدخلية في مصر هي امتداد للتيار السلفي المدخلي في المملكة العربية السعودية، والذي كان قد برز إبان حرب الخليج الثانية ١٩٩١م، والتي كانت نتيجة لغزو العراق تحت حكم صدام حسين للكويت.

وبدأ هذا التيار في الظهور كتيار مضاد للتيارات المعارضة لدخول القوات الأجنبية كتيار الصحوة الإصلاحية، فذهبت أبعد مما ذهبت إليه مؤسسات الدولة الرسمية مثل هيئة كبار العلماء، والتي أفتت بجواز دخول القوات الأجنبية على أساس أن فيها مصلحة، إلا أنهم لم يجرّموا من حرم دخولها أو

(١) د. هاني نسيرة - موسوعة الحركات الإسلامية.. ص: ١٠٠٨.

(٢) عبد النعم منيب - دليل الحركات الإسلامية المصرية - مكتبة مدبولي، ط ١، ٢٠١٠م، ص: ١٣٣.

(٣) أهم شيوخ المدخلية في مصر: (محمود لطفي عامر): ولد بدمنهور، محافظة البحيرة مصر في ٤ فبراير ١٩٥٧م - حاصل على ليسانس شريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. تأثر بابن تيمية وابن القيم، تلقى العلم على يدي (ابن باز) و (ربيع المدخلي)، وهو رئيس جمعية أنصار السنة بدمنهور.

(محمد سعيد رسلان): ولد في ٢٣ نوفمبر ١٩٥٥م بقرية سبك الأحد - مركز أشمون، محافظة المنوفية، يشير خصومه إلى ميله لرؤي (محمد أمان الجامي) وبعثه لأدبيات الطاعة الجامية.. حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة وحاصل على الدكتوراه في علم الحديث. ومن شيوخ المدخلية أيضاً: أسامة القوسي - طلعت زهران - أبو بكر ماهر بن عطية - جمال عبد الرحمن.. (انظر: موقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة).

أنكر ذلك، فجاء الجامية واعتزلوا كلا الطرفين وأنشأوا فكرًا خليطًا يقوم على القول بمشروعية دخول القوات الأجنبية، وفي المقابل يقف موقفًا معاديًا لمن يحرم دخولها أو ينكر على الدولة ذلك، وهذا على أساس مرجعية سلفية تتمترس في أدلة من القرآن والسنة.

ب- أهم أفكار السلفية المدخلية:

السلفية المدخلية تؤمن بالأفكار التالية:

١- لا يجوز معارضة الحاكم مطلقًا، ولا حتى إبداء النصيحة له في العلن، ويعتبرون ذلك أصلًا من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، ومخالفة هذا الأصل يعد خروجًا على الحاكم المسلم.

٢- الاعتراف بالحاكم والولاء له وحده لا يكفي، إذا لم يتم الاعتراف بمؤسسات الدولة الأخرى كمؤسسة الإفتاء ومؤسسة الأزهر، وليس لأحد أن يخرج عن فتوى علماء البلاد الرسميين، فإذا حلل هؤلاء العلماء فوائد البنوك فإنه على الرعية المسلمة في هذا البلد الإذعان لتلك الفتوى وعدم مخالفتها، ومن يخالف ذلك فإنه على طريق (الخوارج).

٣- الجماعة المسلمة هي الدولة والسلطان، ومن ثم فالمدخلية تشن هجومًا حادًا على الجماعات الإسلامية وتصفها بالحزبية؛ لأنها ضد مفهوم الجماعة في رأيهم، ومن ثم فهم «خوارج» على النظام، ومبتدعة في الدين، وهجومهم عليهم يهدف إلى إنهاء الفرقة في الأمة، والتفافها حول سلطانها.

٤- الحكم بما أنزل الله أمر فرعي، وليس أصلًا من أصول العقيدة، ولذلك فإن من يحكم بغير ما أنزل الله ويشرع القوانين الوضعية لا يكون قد ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام بأي حال من الأحوال^(١).

(١) نفس المرجع السابق.

ج- نقد المدخلية الحاد لمخالفيهم:

يعتبر المداخله أنهم الطائفة المنصورة، وأن منهجهم هو منهج أهل السنة والجماعة؛ ولذا فهم يتصفون بالحدة في نقدهم لمخالفيهم إلى درجة يصفها البعض «بالتجريح»، فيكاد يكون الهجوم المدخلي قد نال كل الرموز السلفية وتياراتها في مصر تقريباً، فكل من يخالف منهجهم هاجموا، وهم في ذلك يحتسبون الأجر عند الله؛ لأن كشف زيغ المخالفين وانحرافهم عن العقيدة السلفية واجب شرعي يثابون عليه، وبالطبع فكل من ليس على منهجهم فهو ليس على المنهج السلفي وفهم السلف.

لكن يبدو أن الهجوم على السلفية الحركية والعلمية كان الأشرس؛ فكثيراً ما ينتقد أحد شيوخ(*) المدخلية السلفيين الحركيين، ويصفهم بأنهم أهل ثورة وفتن، ومن أهل إحداث القلق والفوضى، ثم يهون من نتيجة دعوتهم ويصفها بالفشل في كل البلاد التي عملوا فيها والتي أوصلوها للخراب والدمار، كما نذر شيخ مدخلي آخر(*) نفسه للهجوم على رموز السلفية العلمية، وسلفيي الإسكندرية بمجموعة من الخطب وكثير من المقالات، وصفهم فيها بأنهم قطبيون، واعتبر أن ما يقولونه ليس من منهج أهل السنة، ووصف بعض الدعاة بأنهم «قوم مراوغون مخادعون يريدون طمس الحقائق بزيف العواطف والتعصب والهوى»^(١).

د- السلفية المدخلية والدعوة السلفية:

عند النظر في التمايزات بين الجماعتين، نجد أن هناك الكثير من التحفظات والملاحظات التي دارت بين السكندريين والمداخله الذين يرون الأحكام ولاية أمور شرعيين، لهم حق السمع والطاعة حتى لو كانوا مبدلين ومخالفين لشرع

(١) نفس المرجع السابق.

(*) محمد سعيد رسلان.

(*) محمود لطفي عامر والدعاة الذين وصفهم هم: محمد حسان، ومحمد حسين يعقوب، ومحمد إسماعيل المقدم.

الله، وذلك خلاف السكندريين. أيضًا لا يجيزون المشاركة السياسية بسبب الوضع الشرعي الحالي، فهذه الممارسات منازعة في الحقوق ونابعة من الهوى، بينما يرى السكندريون جوازها طبقًا لباب المصالح والمفاسد^(١).

أما الانتقاد الأساسي للسكندريين، فبسبب اهتمامهم بالتنظيم والعمل الجماعي^(*)، حيث خصص أحد شيوخ المدخلة عدة خطب للحديث عن العمل التنظيمي عند الدعوة السلفية، فقال في إحدى خطبه - كلامًا لا يليق أبدًا بأهل العلم: «عندما كان البغاء الجسدي رسميًا مُصرحًا به، كان هناك وظيفة لا يستطيعها كثير من البشر لأنها تتطلب مواصفات نفسية وقدرات جسدية، هي (صبي العاملة)، ومضت تلك الأيام وانقضت وصار البغاء الفكري والدعرة العلمية مأذونًا لهما ومصرحًا بهما، فنشأت وظيفة صبي عالمة»^(٢).

هـ- السلفية المدخلة والسلفية الحركية:

وامتدادًا لموقف المدخلة الحاد من سلفية الإسكندرية، كان للمدخلة موقف حاد من السلفية الحركية

وبخاصة أنهم يعلنون التكفير العيني للحاكم، ويجيزون الخروج عليه، وهو ما يرفضه المداخلة حيث قال أحد شيوخهم: «إنه لا يجوز الخروج على الحاكم ولو كان كافرًا إلا بشروط، وهي:

أن ترى أنت كفرًا بواحا مقطوعًا به لا يختلف فيه اثنان، ثم عندك فيه من الله

(١) أحمد شلاطة - السلفية السكندرية، ص: ٦٠.

(*) انظر: محمد سعيد رسلان: خطبة الجمعة بعنوان (فتنة العمل الجماعي) في ١١ شوال ١٤٢٧ هـ - ٣ نوفمبر ٢٠٠٦ م.

(٢) محمد سعيد رسلان: صبي علمه، جاءت هذه الكلمة في سياق هجوم رسلان على برهامي وأبرز تلاميذه عبد المنعم الشحات.

برهان، أي حجة قاطعة، ثم توافر الشروط وانتفاء الموانع النبوية، كذلك امتلاك العدة^(١).

ودارت ملاسنات بين أحد شيوخ المدخلية وأحد شيوخ السلفية الحركية، كَفَّر كل منهما الآخر، اتهمه شيخ السلفية الحركية بأنه «من عباد الطواغيت، وكلامهم يستند إلى الجهل، وإما أنهم لا يقرؤون أو قرؤوا ولا يفهمون، وإن أخذوا وضعية في العهود المظلمة»^(٢). ورد عليه شيخ المدخلية قائلاً «هو بين الإفراط والتفريط، لا يستقر على حال، بدأ مكفراًتياً وانتهى مبرراتياً، قاعدته (هو يكفر إذن هو موجود) فهو يتنفس التكفير، وبعد نسائم الحرية صارت قاعدته هو (يسب إذن فهو موجود)..^(٣).

و- السلفية المدخلية والسياسة:

١- المدخلية تدعو بإلحاح إلى اعتزال السياسة.

٢- في سبيل ذلك انخرطت في بحث أغلب المضامين السياسية المعاصرة، كحكم الانتخابات، والمظاهرات، والاضرابات، والمعارضة، وإن كان من الوجهة الشرعية.

٣- اشتباكها الواقعي في الدفاع عن الحكم، والرد على (الشبهات) ضدهم.

٤- إبداء الرأي في الأحداث السياسية الكبرى، إما دفاعاً أو قطعاً للطريق على الحركيين (الخوارج)^(*)^(٤).

(١) محمد سعيد رسلان - شروط الخروج على الحاكم الكافر، على (اليوتيوب) في ٤ / ١٠ / ٢٠١٨ م.

(٢) محمد عبد المقصود يكفر رسلان، على اليوتيوب في ٢ يونيو ٢٠١٤ م.

(٣) رد رسلان على محمد عبد المقصود عندما كفره. (كم هائل من الهجوم المتبادل على اليوتيوب).

<https://www.youtube.com/watch?v=f8CZmKfg4q4>

وانظر: أحمد شلاطة - السلفية السكندرية، ص: ٦١.

(٤) أحمد سالم وعمر بيسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٤٨١

ومن ثم فإنه وإن لم يكن من الصحيح أن المدخلية تيار حركي؛ لأنه لا يتسم بالتأسيس الذي ذكرناه من قبل، إلا أن خطابه الثقافي والدعوي مشحون بالجانب السياسي، بل إنه لم يختص بتلك النسبة والتسمية إلا ليميز عن بقية التيارات السلفية حول محدد معياري هو التصور المغاير لطبيعة العلاقة مع الحاكم. ذلك الجانب السياسي الموجود في الخطاب المدخلي يتنوع على نوعين: سلبي: وهو الخطاب الكموني الداعي لاعتزال السياسة، والسمع والطاعة لولي الأمر، وإن ضرب ظهره وأخذ مالك. وإيجابي: وهو الخطاب التحذيري الدفاعي السجالي، مع الحركيين والجهاديين^(١).

ن- ملاحظات على الفكر المدخلي:

١- إذا كان المنهج السياسي للمدخلية ومعظم الحركات السلفية بعيداً عن المنهج السياسي لابن تيمية الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويجهز للحكام في حضورهم وغياهم وهذه التصرفات تراها المدخلية من الخروج على الحكام فمنهجهم أقرب إلى منهج الإمام أحمد، ولكن الجديد الذي أضافته المدخلية لمنهج أحمد هو الزيادة والمبالغة في إيجاب السمع والطاعة وسائر الحقوق الشرعية للدولة الجورة، فضلاً عن معاداة كل من يخالفهم، ولو كان سلفياً^(٢).

٢- ترسيخ الطريقة المدخلية السياسية لا شك أنه يستلزم تغوّل الحكام، وفسادهم السياسي والمالي، وانسداد أي أفق لمحاولة الإصلاح ولو من الداخل، ويحرم الأمة حقها وواجبها في النصيح، والإرشاد، والمراقبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذلك ليس للطريقة المدخلية في معاملة الحكام، على صورتها الحالية، تحقق تاريخي سلفي. فكل ما مع المدخلية نصوص في عدم الخروج على الحكام، وبعض النصوص المرشدة لعدم الجهر لهم بالنصح. ولكن

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٤٨٢.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ص: ٤٨٢.

ليس معها نصوص بالتدين بطاعة الحاكم الجائر، فإن هناك فرقاً بين نصوص السمع والطاعة التي يمثلها العبد تديناً وموردها الحاكم العادل، ونصوص الصبر وعدم الخروج، التي يمثلها العبد تديناً وموردها الحاكم الجائر، فالخلط بين نوعي النصوص بجعل طاعة الحاكم الجائر تديناً، كالصبر عليه؛ هو مورد الخلط الرئيس في التفقه المدخلي في تلك النصوص.^(١)

٣- يرتكز منهج المداخل في الحكم على الناس على ركيزتين: الأولى: إبطال منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات، فهم يرون أنّ الرد على المخالف يستوجب ذكر مساوئه فقط، ولا يجوز ذكر شيء من محاسنه، لأن هذا يستلزم التزكية له، والرفع من قدره ومنزلته، وهذا أمر لا يجوز. وهذا ما بينه ربيع المدخلي شيخ المدخلية بعدما ذكر ما يراه من مفاصد في منهج الموازنات: «وبهذا القول والتقرير يسقط المذهب المبتدع المخترع: مذهب وجوب الموازنات بين الحسنات والسيئات»^(٢)، وبهذا من ثبتت له سيئة مُحيت حسناته، ووجب تحذير الناس منه ومن منهجه.

الثانية: أن من حكم عليه رموز المنهج وبخاصة المدخلي، بأنه حزبي أو سروري أو قطبي أو ضال مارق أو من كلاب أهل النار؛ فقد وجبت فيه الكلمة ولا يجوز بحال من الأحوال التلقي عنه، أو مجرد مدحه ولو في جزئية معينة، كمدح أسلوبه أو تمكنه في فنه، أو غير ذلك؛ لأن ذلك يعتبر تزكية له^(٣).

ويرجع هذا الحكم المدخلي السابق: من حكم عليه رموز المدخلية.. فقد وجبت فيه الكلمة إلى ما صرح به شيخ المدخلية في قوله: «مذهب الموازنات مذهب

(١) أحمد سالم وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٤٨٥، ٤٨٤.

(٢) ربيع المدخلي - المحجة البيضاء في الذب عن السنة الغراء، ص: ٢٤ وما بعدها، الكتاب على موقع الشيخ بدون ط ولا تاريخ.

(٣) مي محمد - التيار المدخلي وقائمة بأهم الردود على مرتكزاته الفكرية، موقع (تبيان) في ٢٤ مارس ٢٠١٨م.

باطل؛ اخترع مكيدة للإسلام والمسلمين، ولرمي حملة الإسلام العدول الثقات، الذين لا يقوم الإسلام إلا بهم، ويسقط إذا سقطوا - لا سمح الله - بسبب هذا المنهج. ذلك بأنهم فقهاء الأمة، ومحدثوها، ومفسروها، ومن يقبل قولهم في جرح الرواة، وأصحاب العقائد المنحرفة، وتعديلهم لمن قامت به العدالة.

فمن رام الطعن فيهم فو الله ما يقصد إلا الطعن في الإسلام، وهذه مكيدة للإسلام وأهله، انخدع بسرابها وبريقها أقوام^(١).

وبهذا التسامي مع الإسلام ونقائه، أصبحوا هم حملة الإسلام العدول الثقات، الذين لا يقوم الإسلام إلا بهم، ويسقط إذا سقطوا؛ ولهذا أعملوا منهج الجرح والتعديل في سائر علماء الأمة وجميع الجماعات العاملة للإسلام، الذين يستقيم الإسلام، وتصلح الأمة بدونهم^(٢)!!

وماذا بعد تجريح العلماء، وتحطيم القدوة، وإفراغ الساحة الإسلامية من الدعاة العاملين..!!؟

٤- يرى بعض الباحثين - والحق معهم - أن طريقة (الألباني) الشديدة في التعامل مع الدعاة المخالفين، كالبوطي، والغزالي، والطحان، وغيرهم، بأعلى مما كانت تستحقه الموضوعات المطروحة؛ أثرت هذه الطريقة في اعتماد طريقة علماء الجرح والتعديل في الحديث، في الأحكام العامة على الدعاة، مما كان إرهاباً بظهور المداخلة. ولا ننسى أن الألباني كان قد أثنى على ربيع المدخلي بوصفه حامل راية الجرح والتعديل في هذا العصر، والحق أن طريقة الألباني تتحمل جزءاً من مسؤولية الخلل الذي أحدثته المدخلة في البناء السلفي^(٣)!

(١) ربيع المدخلي - المحجة البيضاء في الذب عن السنة الغراء، ص: ١١٢.

(٢) انظر: محمد سعيد رسلان في قوله: «هؤلاء تصح الأمة بدونهم» (محمد حسان، ويعقوب، والحويني، وعبد المقصود، وعبد الرحمن عبد الخالق وغيرهم..)؛ لأنهم من الضلال المبتدعة، موقع الشيخ رسلان، مقطع من الدرس الثامن من سلسلة التبديع بتاريخ الخميس ١٦ رجب ١٤٣٥ هـ - ١٥ / ٥ / ٢٠١٤ م.

(٣) أحمد سالم وعمر وبيوني - ما بعد السلفية، ص: ٢٧١.

وحيال ما آل إليه التيار المدخلي، وما أحدثه من خلل في البناء السلفي، صرّح كثير من كبار العلماء، بموقفهم من التيار المدخلي، بل وحقيقة نسبته إلى السلفية. فأحد كبار العلماء يرى خطر المداخلة على الإسلام «حيث يدعون السلفية وهم يقعون في الكثير مما يخالف منهج السلف، وانعكاس ذلك على الناس، إذ ينسبون هذه الكوارث التي وقعوا فيها للمنهج السلفي»^(١).

كما سئل آخر - من كبار العلماء - في أحد دروسه: مَن علماء الجرح والتعديل في عصرنا الحاضر؟ فأجاب: والله ما نعلم أحداً من علماء الجرح والتعديل في عصرنا الحاضر، علماء الجرح والتعديل في المقابر الآن، ولكن كلامهم موجود في كتبهم، والجرح والتعديل في علم الإسناد وفي رواية الحديث، وليس الجرح والتعديل في سب الناس وتنقصهم، ومدح بعض الناس وسب بعض الناس، هذا من الغيبة والنميمة، وليس هو الجرح والتعديل»^(٢).

■ السلفية المستقلة:

أ- النشأة:

يعد هذا التيار امتداداً للتيار السلفي القديم في مصر، وقد مثله العديد من المجموعات والجمعيات منذ بدايات القرن العشرين مثل جمعية الهداية التي قادها الشيخ محمد الخضر حسين، وكانت تقوم على الدعوة إلى الالتزام بالسنة ومحاربة البدع، وكان منتموها يهتمون بالهدي الظاهر في المسائل المتعلقة بشكل الملابس واللحية وشعر الرأس والحجاب، وغيرها من هذه الأمور، ثم امتد

(١) محمد المنجد - مختارات من الفتاوي السلفية المعاصرة، بتاريخ: الجمعة ٣ مايو ٢٠١٩ م.

https://fatawaeslam.blogspot.com/201905//blog-post_81.html?fbclid=IwAR1_6-AmjqUUb2V8pX-n-vjzbajERd85HVh4VjixKPhQbcR8M71TZ-7wCc8

(٢) انظر: صالح الفوزان - أثناء دروس شرح السنة للبرهاري في ١٤ / ١ / ١٤٢٧ هـ بجامع الأمير متعب بن عبد العزيز.

حتى - لا - تُظلم - السلفية - ١ وانظر: <http://islamion.com/news>

هذا التيار إلى سبعينيات القرن الماضي متأثراً أيضاً بالتيارات السلفية القادمة من المملكة السعودية، لكنهم لا يجمعهم تنظيم معين ولا يسعون لذلك، ولا يجمعهم إلا شيخ يتلمذون على يديه، ويلتفون حوله حتى كونوا عدداً من المجموعات تلتف حول عدد من المشايخ.

ب- أهم أفكار السلفية المستقلة:

يؤمن هذا التيار بالتغيير القاعدي؛ فهم يفسرون قول الله تعالى: ﴿...إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١]، بأن واقع الأمة الإسلامية لن يتغير إلا إذا غير كل فرد من نفسه وأصلح من حالها وفق معايير الإسلام، ثم يبدأ في تغيير من حوله من أهله وجيرانه وزملائه في العمل، فيغيرون هم أيضاً بنفس الطريقة، وهكذا تنصلح الأمة.

يدعون إلى تنقية الدين من البدع، والاهتمام بالهدي الظاهر كاللحية وتقصير الثوب... شأنهم كشأن باقي الفصائل السلفية.

٣- تطورت وسائل هذا التيار في نشر الدعوة من الخطابة وإلقاء الدروس إلى الدخول في الفضاء الإلكتروني والإعلامي.

ج- السلفية المستقلة والسياسة:

١- لا يؤمن هذا التيار بالعمل الجماعي التنظيمي.

٢- لا يشغل هذا التيار بالسياسة ولا ينشغل بها أصلاً.

٣- رموز هذا التيار يبدون آراءهم في الشأن السياسي في جلسات سرية لأتباعهم المقربين، ويقتصر كلامهم السياسي على شرح تصوراتهم للواقع السياسي ومشكلاته، ويعتبرون هذا الكلام من الأسرار التي يكون من المحظور على الجميع إذاعتها خارج نطاق الذين حضروا هذه الجلسات.

٤- لا يمانع أكثر هذا التيار من المشاركة في التصويت في الانتخابات النيابية وغيرها من أنواع الانتخابات لدعم محاولات الإصلاح، وهم في ذلك يتفقون مع جماعة أنصار السنة^(١).

ونقف مع نموذج من هذا التيار، وهو «تلميذ (الألباني) وسائر على دربه في علم الحديث^(٢)»، وضخ المفاهيم السلفية وإن اكتفى في موقفه من السياسة بتزهد طلبة العلم فيها، وبالتعليق النادر على الأحداث، والنشأة العلمية المؤصلة والعميقة للشيخ جعلته يسير على هذا المسار العلمي النقي بلا اشتغال سياسي أو حركي وإن كانت المضامين الحركية تجد طريقها إلى خطابه أحياناً، كما أن للشيخ قبولاً عند معظم التيارات الإسلامية بسبب تجنبه الدخول في الخلافات، وحرصه على العبارات الضبابية في كثير من محال النزاع بين التيارات الإسلامية؛ توقياً للدخول في الفتن كما يرى^(٣).

يمثل الشيخ حلقة مهمة في الاشتغال بالحديث في السياق المصري السلفي، بعد فترة طويلة من الركود الحديثي. فأحاديث الشيخ وندواته الدعوية الكثيفة، منذ أواخر التسعينيات، واستمرارها، مع ما كان يدمج فيها من إشارات حديثية تبعث على إعجاب الحاضرين وانبهارهم كانت من العوامل التي جذبت انتباه الشباب السلفي البسيط (عوام السلفيين) إلى أن هناك علماً يسمى علم الحديث..

إن الأثر الأساسي والحقيقي للشيخ في الاشتغال الحديثي السلفي، ليس الإنتاج الحديثي أو التحريرات الحديثية في حقيقة الأمر، ولكن في إضفاء البعد الشعبي على علم الحديث في مصر، وبخاصة في الأوساط السلفية. مع فارق

(١) صلاح الدين حسين - التيارات السلفية في مصر..

(٢) هو أبو إسحاق الحويني واسمه: حجازي بن محمد بن شريف، ولد سنة ١٣٧٥ هـ، وبدأ طلب علم الحديث في الحادية عشرة من عمره، وحضر دروس الشيخ محمد نجيب المطيعي في الفقه الشافعي، تخرج من كلية الألسن قسم الأسباني، درس على يد الألباني من خلال كتبه وسافر إليه ونزل عليه مدة ليست بالطويلة، له الكثير من المصنفات العلمية.

(٣) أحمد سالم - اختلاف الإسلاميين، ص: ٥٤.

الرتبة والإنتاج والأثر بينه وبين الألباني.. كما أنه كان قنطرة لطريقة الألباني ومنهجه في الحديث إلى مصر^(١).

د- ملاحظات على فكر السلفية المستقلة:

يهتم هذا التيار بالعلوم الشرعية، والاشتغال الدعوي والتربوي، والبعد شبه التام عن السياسة والتنظيم، وعن مواجهة مستجدات العصر وتحدياته، وهذا ما صرح به أحد مشايخ هذا التيار في قوله: «إن حياة الأمة قائمة على حفظ هذا المصدر المهم لشريعتنا الغراء ولو سقط صحيح البخاري يوماً ما ستسقط الأمة كلها، واليوم نجد أن الغزو العسكري والشأن السياسي هو الذي يحظى بالاهتمام والإنكار العام، وفي رأيي أن الهجوم على صحيح البخاري وصحيح مسلم أشد على الأمة من دخول الأمريكان إلى العراق أو من أخذ الأعداء لبلاد المسلمين. فالسلفيون العاملون المحسنون في العالم قليلون جداً جداً، آتي عليهم وأهاجمهم، أمر والله عجيب جداً»^(٢).

وماذا بقي إذن من فاعلية صحيح البخاري ومسلم في حياة المسلمين إذا رضوا باحتلال البلاد، وإذلال العباد، وتسلط الأعداء على رقابهم !!؟

إن التوحيد في أسمى معانيه ومقاصده، هو تحرر الإنسان من سيطرة الغير سواء كان الغير محتلاً وطنياً أو أجنبياً!

وقال آخر: «إننا لسنا في حزب، ولسنا ندعو إلى حزب، ولا نعترف بالديمقراطية: لا حقيقة، ولا آلات، ولا أدوات، ولا أجزاء، كما أننا ندعو إخواننا من طلبة العلم بألا ينخرطوا في هذا المستنقع، وعليهم بتربية الأمة ونفعها، عليهم بمنهج التصفية والتحلية، عليهم بمنهج النبي ﷺ»^(٣).

(١) أحمد سالم - ما بعد السلفية، ص: ٢٧٣، ٢٧٢.

(٢) من حوار لأبي إسحاق الحويني مع مجلة الفرقان الكويتية في جزئين، العبارة وردت في ج١ من الحوار، بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ - ١٥ إبريل ٢٠١٥ م، (موقع الشيخ، قسم المقالات)

(٣) د. أحمد عبد الرحمن النقيب - لماذا الدعوة السلفية؟، دار طابة للدراسات والنشر، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م، ص: ٨٥.

وهذا النهج الذي اتخذه تيار السلفية المستقلة، جعل أحد الباحثين يعنون له بـ (سلفية التزكية أو السلفية التعبدية) ويعلل ذلك بقوله «ونجد في هذا الاتجاه ميلاً صوفيّاً سنياً وتبليغياً في التركيز على الدعوة وإصلاح الفرد وتجنب العنف، ويمكننا ملاحظة أن معظم هذا الاتجاه لم يمتحن السياسة ولم يهتم بها سواء بعد الثورة أو قبلها، فهو يحافظ على استقلاليته ودعوته التي لا تخلو من حقيقة صوفية أو تركيز تربوي أو روحي بالأساس..»^(١).

وتركيز هذا التيار على الدعوة وإصلاح الفرد وتجنب العنف، يعد من الإيجابيات التي تحسب له، ما لم يشغب على غيره من التيارات التي ركزت على الإصلاح الاجتماعي والسياسي.

■ السلفية الجهادية^(٢):

أ- النشأة:

رغب عدد من الجهاديين العرب - في أوائل التسعينيات - في دفع تهمة طالما أثارها بعض السلفيين تجاه التيار الجهادي، وهي أنهم يهتمون بالجهاد فقط بينما لا يهتمون بالعلم، فأطلق هؤلاء اسم (السلفية الجهادية) على التيار الجهادي، وأصبح اسم السلفية (الجهادية) ذائع الصيت بعد عدد من العمليات المسلحة في دول الخليج والشام، وبدأ بعض المتعاطفين مع القاعدة في مصر وغيرها يستحسنون التسمي بهذا الاسم لا سيما وأنه أقل إثارة للشبهات الأمنية من اسم القاعدة، مع أن فكرهم الحقيقي هو نفس فكر منظمة القاعدة.

(١) انظر: د. هاني نسيرة، السلفية في مصر.. تحولات مابعد الثورة، كراسات إستراتيجية، العدد ٢٢٠ السنة الحادية والعشرون، ٢٠١١م، ص: ١٩، بتصرف.

(٢) فكر السلفية الجهادية كان مخاضه بشكل واضح في صفوف العرب الأفغان، وبعد حرب الخليج الثانية ١٩٩٠م، وصعود دعوي أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، إلا أن البلورة الفعلية للسلفية الجهادية تمت مع تأسيس القاعدة في شباط/ فبراير ١٩٩٨م، (هاني نسيرة - القاعدة والسلفية الجهادية، مركز الدراسات السياسية (الأهرام) السنة الثامنة عشرة، العدد ١٨٨. يونيو ٢٠٠٨م، ص: ١٩).

وبهذا يتبين لنا أن اسم (السلفية الجهادية) لا علاقة له بالسلفية المعاصرة الموجودة في مصر، وفي أغلب الدول العربية، والذين يُطلق عليهم اللفظ الدارج والمشهور (السلفيون)^{(١)(*)}.

ب- فكر السلفية الجهادية:

فالسلفية الجهادية لها من خصوصية فكرية وحركية وعالمية مختلفة عن باقي الجماعات السلفية الأخرى، نذكر منها:

١- الجهاديون يرون أن أغلب الحكام والحكومات المعاصرة تقع في دائرة الكفر والضلال، بينما طيفٌ من السلفية الحركية يرى ذلك، وطيفٌ آخر منهم يرى جواز الخروج على الحاكم الظالم الفاجر، أو الذي لا يمتلك الشرعية السياسية، مع اشتراط القدرة والإمكانية الواقعية، ومع ترجيح كفة المصالح على المفساد، بالألّا يؤدي الخروج على الحاكم - أو بعبارة معاصرة: الثورة - إلى مفساد ودماء وفوضى، وهو ما يصطلح السلفيون تاريخياً على تسميته بالفتنة، وهذا هو الأساس في تحديد الهوية الفرعية التي تميز السلفية المعاصرة من السلفية الجهادية.

٢- يلقي الجهاديون في وجه السلفية المعاصرة تهمة (الإرجاء)؛ أي الفصل بين الإيمان والعمل، بعدم تكفير الحاكم الذي لا يحكم شرع الله؛ فعلى النقيض من السلفية المعاصرة يرى الجهاديون بأن مسألة الحكم تدخل في صميم العقيدة والإيمان، لكن على قاعدة معاكسة تماماً، تتمثل بالقول بأن الحاكم الذي لا يطبق الشريعة هو حاكم كافر، وبأن القبول بالقوانين الوضعية الراهنة

(١) انظر: عبد المنعم منيب - دليل الحركات الإسلامية المصرية، ص: ١٣٣، ١٣٤.

(*) السلفية في نسقها التاريخي الغالب لا تميل للعمل المسلح، بل «يكاد يتفق رموز السلفية التقليدية على عدم جواز الخروج المسلح على الحكام، ولو كانوا ظالمين، لما في ذلك من مفسدة غالبية..» انظر: أحمد سالم، عمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٥٠٨.

وتطبيقها هو خروج على الدين، لأن الحق في التشريع لله، وهذا من مقتضيات التوحيد الرئيسة.

٣- يدخل الجهاديون في دائرة البراء الأنظمة العربية المعاصرة والدساتير والقوانين وعلماء السوء والفرق المنحرفة عن طريقهم المتمثل بالحاكمية واعتماد الجهاد بوصفه المسار الوحيد لاستعادة الحكم الإسلامي^(١).

ج- ملاحظات على فكر السلفية الجهادية:

إن مفهوم (السلفية الجهادية) كعنوان لحركة أو جماعة غير دقيق من جوانب عدة، منها:

١ - أن (السلفية) أوسع من مفهوم الجهاد، الذي هو باب من أبواب الفقه، بينما السلفية منهج في الاعتقاد والفقه وسائر فروع الشريعة.

٢ - أن نحت تعبير (السلفية الجهادية) منتج سجالى أرادت به القاعدة تشويه واتهام الدعوات والاتجاهات السلفية الأخرى بالقعود والموالة للحكام والإرجاء كفقهاء للسلطان لا يكفرون ولا يخرجون !

٣ - أن مفهوم (السلفية الجهادية) يحتكر الانتساب للسلفية الصحيحة، عبر ادعائه التطابق بين التوحيد والجهاد، كما يختزل الأخير في القتال، فلا معنى للجهاد في سبيل الله عند القاعدة في غير القتال^(٢).

وإذا كانت (السلفية) أوسع من مفهوم (الجهاد)، فإن الجهاد أوسع من مفهوم (القتال) الذي لم تعرف التيارات الجهادية غيره من مفهوم الجهاد؛ لأن الجهاد يشمل: عمل القلب بالنية والعزم، وعمل اللسان بالدعوة والبيان، وعمل العقل بالرأي والتدبير، وعمل البدن بالقتال وغيره^(٣).

(١) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢١٢، ٢١٣.

(٢) د. هاني نسيرة - السلفية في مصر.. تحولات ما بعد الثورة، ص: ٤٥.

(٣) انظر: مصطفى السيوطي الرحباني وحسن الشطي - مطلب أولي النهى في شرح غاية المنتهى -

من هنا يتبين خطأ وانحراف الذين حصروا الجهاد في القتال، بل قد ذهب بهم الشطط إلى تأثيم المسلمين جميعاً لأنهم تاركون للقتال، يقول أحد الشيوخ: «إني أرى أن كل مسلم في الأرض اليوم منوط في عنقه تبعة ترك الجهاد (الجهاد في سبيل الله) وكل مسلم يحمل وزر ترك البندقية، وكل من لقي الله - غير أولي الضرر - دون أن تكون البندقية في يده يلقي الله آثماً، لأنه تارك للقتال، والقتال الآن فرض عين على كل مسلم في الأرض غير المعذورين. وترك الفرض إثم..»^(١).

طبعاً هذا الكلام وإن قيل بعاطفة جهادية جياشة أثناء حرب روسيا في أفغانستان إلا أنه يفتقر إلى الضوابط الشرعية، وفي حاجة إلى تدقيق علمي؛ لأن الجهاد في الوقت الحالي لا يمكن أن يُحتزل في حمل البندقية، فأين منازلة الباطل في مجالات الحياة المختلفة، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والإعلامية...^(٢).

لقد حوّل الغرب - بقوته وبفكره - ديار الإسلام وثوراتها وشعوبها إلى هامش لمركزه الحضاري.. ففرض علينا الجهاد بمعناه الواسع والشامل لكل ميادين الحياة، للتحرر السياسي والاقتصادي.. والتحرر الثقافي والإعلامي.. والتحرر الحضاري.. ولتوحيد وطن الأمة الحضاري.. ولحماية ثغورها المهددة.. وللعودة بالأمة وبالإسلام إلى مكان الصدارة والإمامة في (متدى الحضارات) العالمية، كي تسهم في إثراء وإغناء الفكر الإنساني من جديد...^(٣).

المكتب الإسلامي ط ١، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١، الجزء الثاني، ص: ٥٠١. وانظر: ابن القيم - زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية، ج ٢، د: ط، ت، ص: ٣٩.

(١) وصية عبد الله عزام - السلفية الجهادية الحلقة الثانية، أرشيف موقع العهد الإخباري..
<https://archive.alahednews.com.lb/details.php?id=304886>

(٢) انظر: د. بشير شمام - الفكر السلفي ما له وما عليه، ص: ١٥ بتصرف.

(٣) أ.د. محمد عمارة - في فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص: ٢٠٩.

كما فرضت علينا جماعات التطرف والعنف ضرورة البحث عن أسباب هذا التطرف الفكري وإزالتها كعلاج وحيد لتصحيح المفاهيم والاعتراف بالأخطاء، ولتتحمل في ذلك كل جهات التربية والتوجيه والتثقيف والتقنين مسؤوليتها^(١).

إنّ من أشدّ الخطر، أن يُفهم الجهاد على غير وجهه، ويوضع في غير موضعه، وتستباح باسمه دماء معصومة، وأرواح بريئة، وتستحل باسمه حرّات وأموال وديار بغير حق، ويتهم بسبب ذلك المسلمون والإسلام بالعنف والإرهاب، والإسلام بريء كل البراءة من هذا الاتهام..

ولذا كانت مشكلاتنا الكبرى مع هؤلاء المتشددّين الغلاة المتصلّبين الذين لو عرفوا ما سبّبوه من صدٍّ عن سبيل الله وتخويف من الإسلام وتشويه لسمعته العالمية، لغطوا وجوههم خجلاً ممّا فعلوه، ولكنّ طبع الله على قلوبهم وعقولهم فلا يفرّقون بين النافع والضار والمعروف والمنكر..^{(٢)(*)}

وتلك مصيبة المصائب، أن يعمل هؤلاء الغلاة ضدّ أنفسهم وضدّ سمعتهم وسمعة دينهم، وسواء دروا أم لم يدروا، فتلك نتيجة تسود لها الوجه..!

إنّ أهل السنّة والجماعة ينظرون إلى تلك الحركات التي تتسم بالعنف - وهم قلة بين المسلمين - على أنهم غلاة، وفكرهم إنما هو ميراث من غلاة الخوارج الذين ذمتهم الأحاديث النبوية.. إنهم منحرفون عن صراط الإسلام المستقيم، وعن هدي خير المرسلين ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

* * *

(١) انظر: أ.د. أبو اليزيد العجمي - فكر التطرف بين انحراف الفهم والاعتراف بالخطأ وتصحيحه، المركز العالمي للوسطية، سلسلة الأمة الوسط ٢٣، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠١١ م، ص: ٨٥.

(٢) انظر: أ.د. عبد الكريم بكار - صفحته الرسمية على الفيس، في ٢ يونيو ٢٠١٦ م.

(*) لم نقف على الأدلة - التي استند عليها فكر الجماعات الجهادية - ولا مناقشتها؛ لأنها خارج سياق السلفية المعاصرة (موضوع دراستنا).

المبحث الثاني

واقع السلفية المعاصرة في الكويت

◀ أولاً: العوامل الممهدة لنشأة السلفية المعاصرة في الكويت:

◀ ثانياً: أهم الجماعات السلفية في الكويت:

- جمعية إحياء التراث السلفي.
- التجمع السلفي.
- الحركة السلفية.
- حزب الأمة.
- تجمع ثوابت الأمة.
- مدخلية الكويت.

أولاً: العوامل الممهدة لنشأة السلفية المعاصرة في الكويت:

يعد (التيار السلفي) امتداداً للحركة الوهابية التي ظهرت في الجزيرة العربية، وكان أول ظهور لهذا التيار في الكويت في منتصف الستينيات من هذا القرن على شكل خلايا، تركز نشاطها في البداية في مناطق الفيحاء وكيفان والقادسية. واتخذ أفراد التيار السلفي من المساجد مكاناً لممارسة نشاطهم الديني، الذي كان يتركز حول إقامة أنشطة دينية يتم فيها شرح الأحاديث النبوية..^(١).

(١) انظر: فلاح عبد الله المديرس - الجماعة السلفية في الكويت... دار قرطاس للنشر ط ١، ١٩٩٩ م، ص: ٦، بتصرف.

لم تكن نشأة السلفية في الكويت في بدايتها منظمة، بل كان العمل والممارسة أقرب إلى الطابع العفوي غير المؤسسي، حيث تعمل كل مجموعة من الدعاة في منطقة أو مسجد، وكانت أهدافها دعوية بحتة تركز على مسائل التوحيد ومحاربة البدع، دون اهتمام خاص بالعمل أو النشاط السياسي^(١)، ولكن وجدت عدة عوامل داخلية وخارجية، ساعدت على ظهور التيار السلفي في الكويت من أهمها:

١- قدوم بعض علماء السلف وعودة الطلاب السلفيين من السعودية:

في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات قدم إلى الكويت السلفي البارز الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وإليه يرجع الفضل في انتشار الفكر السلفي والعمل على ترشيد انكفائيته وانغلاقه من خلال تأليف الكتب ودروس العلم والفتاوي والأحاديث المسجلة، وعزز مسيرة التيار السلفي عودة الطلبة الكويتيين إلى بلدهم في أواخر السبعينيات بعد دراستهم العلم الشرعي السلفي على كبار العلماء في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إذ مع رجوعهم ترعرع الفكر السلفي في ما يعرف بالمناطق الخارجية في الكويت؛ أي المناطق غير الحضرية وكثر رواه ومريدوه، وقد كان للخصائص البيئية المشتركة والثقافات المتقاربة في هذه المناطق مع البيئة السعودية عامل إضافي أشاع هذا الفكر ونشر أدبياته، بينما بقيت المناطق الداخلية (الحضر) إلى يومنا هذا لا تشكل ثقلًا للتيار السلفي^(٢).

٢- المنافسة بين الجماعات الدينية في الكويت:

يكمن العامل الرئيسي وراء ظهور التيار السلفي في الكويت في طموحه بأن يكون منافسًا للجماعات الدينية التي بدأت في الظهور في الكويت منذ عام

(١) محمد بدري عيد - التيار السلفي في الكويت الواقع والمستقبل ضمن بحوث (الظاهرة السلفية) مرجع سابق، ص: ٢٠٧.

(٢) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات في ٧ / ٤ / ٢٠٠٩ م. http://saoudelmawla.blogspot.com/2009/04/blog-post_5546.html

١٩٤٧م، مثل: جماعة الإخوان المسلمين، وحزب التحرير وجماعة التبليغ. يقول الشيخ عبد الله السبت^(١): «من دواعي قيام التيار السلفي في الكويت أننا وجدنا أن الجماعات القائمة آنذاك، وهي الإخوان أو جماعة التبليغ، لم تقم بالتمييز العقائدي، ولم تقم بإظهار العلم والدعوة إليه».

وانتقد التيار السلفي في الكويت جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ بأنها لم تكن تخدم العقيدة الصحيحة، ولم تكن تميز منهج السلف عن غيره من المناهج، وأن هذه الجماعات تهدف إلى غايات حزبية ضيقة^(٢).

٣- هزيمة يونيو ١٩٦٧م:

أخذ (التيار السلفي) يكسب مساحة واسعة داخل المجتمع الكويتي خاصة بعد تراجع التجمعات والحركات القومية بدءاً من هزيمة العرب في الخامس من يونيو ١٩٦٧م، التي أدت إلى تراجع الخطاب السياسي القومي، وكذلك انهيار المعسكر الاشتراكي وسقوط الاتحاد السوفيتي الذي أدى بالتالي إلى انحسار المد اليساري، حيث خلت الساحة السياسية في الكويت من هذه القوى التي فرضت سيطرتها على الساحة السياسية منذ الخمسينيات من هذا القرن.

وفي ظل تراجع التنظيمات القومية واليسارية عن مواقعها، زحفت القوى الدينية، التي من ضمنها التيار السلفي مما أدى إلى احتلاله مواقع مهمة في الخريطة السياسية الكويتية^(٣).

(١) هو الشيخ أبو معاوية عبد الله بن خلف السبت، ولد في الكويت سنة ١٩٤٦م، بدأ دعوته إلى السلفية في آخر عام ١٩٦٨م في الكويت بمسجد أحمد بن حنبل في منطقة الفحاح.. للشيخ جهود كبيرة في نشر التوحيد والمنهج السلفي في الكويت وغيرها من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية..

https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الله_السبت

(٢) مقابلة مع الشيخ (عبد الله السبت)، منشورة في مجلة (الفرقان)، العدد التاسع والثلاثون، يوليو ١٩٩٣م، الكويت وانظر أيضاً: فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٧.

(٣) فلاح مديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٥.

٤ - التركيز في بداية النشأة على العقيدة الصافية والبعد عن السياسة:

ومما شكّل - أيضاً - أساساً كبيراً في انخراط العديد من الكويتيين في النشاط الدعوي والخيري والإقبال على تعلم العلم الشرعي السلفي، تركيز السلفيين في بداية النشأة على الدعوة للعقيدة الصافية ومحاربة (البدع والخرافات والشركيات) بعيداً عن السياسة ودهاليزها، في وقت كان الكويتيون يعزفون فيه عن المشاركة في التيارات والتجمعات السياسية أو الانتماء إليها^(١).

٥ - تأثير التراث السلفي النجدي:

تأثر البيئة الدينية الكويتية بتراث السلفية من خلال المذهب الحنبلي المنتشر في نجد خاصة، عن طريق الدارسين في جامعات المملكة العربية السعودية، لذلك تجد أن معظم أساتذة كلية الشريعة في جامعة الكويت من السلفيين، ومن خريجي الجامعات السعودية، مما أدى إلى تبادل واقتباس الكثير من الأفكار والأساليب^(٢).

وكذلك بدأ النشاط السلفي في تجميع الأتباع وبناء الجماعة خلال سبعينيات القرن العشرين، معتمداً على ثلاثة مصادر:

أ- أعضاء جماعة الإخوان القريبين فكرياً وعقدياً للسلف.

ب- جملة المتدينين والمحافظين والمداومين على الصلاة في المساجد التي كانوا ينشطون فيها.

ج- طلبة المناطق القبلية في جامعة الكويت.

(١) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت .. البدايات والمآلات.

(٢) خالد أبو الفضل - السرقة الكبرى، ترجمة على أحمد عبدالله، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٨م، ص: ٧٦.

وانظر: خليل على حيدر - الحركات الإسلامية في الكويت، ضمن بحوث (الحركات الإسلامية في الوطن العربي)، ص: ٢٢٣٧.

ولذا، يعتبر التيار السلفي في الكويت - من الناحية الفكرية والعقدية - مجرد امتداد للفكر السلفي واجتهاداته، من دون أن يبذل الجهد في دراسة المجتمع الكويتي من ناحية التركيب والتاريخ والمصالح والتوازنات وغير ذلك، ولا يزال يتأثر بالاجتهادات والفتاوي الواردة من المرجعية السلفية خارج الكويت، وبخاصة كبار شيوخ الدين في الهيئات الدينية السعودية..^(١)

٦- العمل البرلماني والنشاط الطلابي:

تحول التيار السلفي مع الوقت إلى قوة استقطاب وتأثير لأبناء القبائل، وأداة فعالة في العمل البرلماني والطلابي والجمعيات التعاونية وغيرها. فقد ارتفعت اليوم نسبة المكوّن القبلي إلى ما يقارب أو يزيد على خمسين بالمائة من السكان الكويتيين، ووجد الكثير من شباب القبائل ونخبتها أنفسهم بعيدين عن مواقع التأثير السياسي والاقتصادي، وغير قادرين على ترجمة قوتهم العددية إلى نفوذ ملموس. ولما كان التيار السلفي في فكره وشعاراته وأسلوب ممارسته للتدين أقرب إليهم، وبخاصة إلى البسطاء والشعبيين منهم، ازداد الفكر السلفي نفوذاً في أوساطهم.^(٢)

٧- احتواء ضغوط الثورة الإيرانية:

احتواء ضغوط الثورة الإيرانية ١٩٧٩م، وبخاصة المذهبية، وذلك بإتاحة المجال لجماعة سنية منظمة، تتبنى مواقف متشددة في الاتجاه المضاد للثورة الإيرانية والمذهب الشيعي. وقد وجدت القوة المحافظة الأشد تحوفاً من شعارات هذه الثورة، الحليف الأفضل في التيار السلفي، وبخاصة أن جماعة الإخوان في مصر والكويت، لم تكن واضحة وحاسمة في التصدي لهذه الشعارات، بل وتؤيد سياسة التقريب بين المذاهب..^(٣)

(١) خليل علي حيدر - الحركات الإسلامية في الكويت، ضمن بحوث (الحركات الإسلامية في الوطن العربي)، ص: ٢٢٣٦.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٢٢٣٤.

(٣) نفس المرجع السابق، ص: ٢٢٣٣.

٨- الدور الإيجابي لقيادات التيار السلفي في مقاومة الغزو العراقي :

تواجد قيادات (التيار السلفي) في الكويت إبان الغزو العراقي للكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠م، وعدم خروجها طوال فترة الاحتلال. ولا شك أن وجود هذه القيادة بين الناس، وعلاقاتها اليومية بها خلال تلك المحنة، قد عززت مكانة التيار السلفي.

وتشير مصادر التيار السلفي إلى أنه كان وراء تشكيل اللجان الشعبية أثناء الاحتلال في مختلف مناطق الكويت، والمساهمة في المقاومة المسلحة، وتوزيع المنشورات السياسية، والتعليمات الإرشادية للمواطنين. كذلك اتخذ التيار السلفي موقفاً صريحاً من الجماعات والحركات الدينية التي أيدت النظام العراقي من احتلاله للكويت..^(١).

٩- تأييد بعض الأسرة الحاكمة للتيار السلفي :

أيد البعض من داخل الحكومة الكويتية وأسرّة الحكم، فكرة إيجاد شيء من التعددية التنظيمية والمنافسة الحزبية بين جماعات الإسلام التي تعمل بالسياسة، مما يوفر لها هامشاً أوسع للتحرك السياسي، وهذا ما أكدّه برلماني سلفي^(٢) في شهادته بحق الشيخ (فهد الأحمد الجابر الصباح) شقيق أمير الكويت السابق، ويقول: إن الشيخ فهد كان بطلاً قومياً وعروبياً وإسلامياً محباً لدينه، وإنه «كان من المؤسسين لجمعية إحياء التراث الإسلامي»^(٣).

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٢٢٣٥.

(٢) هو (وليد الطبطبائي)، ولد في الكويت في ٤ إبريل ١٩٦٤م، وحصل على ليسانس الشريعة.. والماجستير، ثم حصل على الدكتوراه في الشريعة من جامعة الأزهر، قسم التفسير عام ١٩٩٢م. عمل أستاذاً للتفسير في جامعة الكويت (١٩٩٢-١٩٩٦)، وقد شغل منصب عضو نائب في مجلس الأمة الكويتي، وينتمي إلى كتلة التيار السلفي.. (وليد الطبطبائي - ويكيبيديا.. الموسوعة الحرة).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص: ٢٢٣٣. وانظر: خليفة الوقيان- الثقافة في الكويت: بواكير- اتجاهات- ريادات، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ط ١، ٢٠٠٦، ص: ٢٣٣.

ثانيًا: أهم الجماعات السلفية في الكويت:

■ جمعية إحياء التراث السلفي:

أ- النشأة:

قبل إنشاء جمعية إحياء التراث الإسلامي كان المتتمون للفكر السلفي يعملون ضمن إطار جمعية الإصلاح الاجتماعي باعتبار أن هذه الجمعية تضم بشكل عام جميع الكويتيين من أصحاب التوجهات الإسلامية.

في أوائل الثمانينيات نجح أعضاء (التيار السلفي) في إقناع السلطة بأن يكون لها مقر دائم، حيث سمحت لهم بإشهار جمعية إحياء التراث الإسلامي في ١٩ / ١٢ / ١٩٨١ م، والتي تم تأسيسها على أساس جمعية نفع عام تشرف عليها وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل. وبذلك أصبحت جمعية إحياء التراث الإسلامي ممثلة رسميًا في كيان اجتماعي قانوني..^(١).

ب- أهم أفكار وأهداف جمعية إحياء التراث الإسلامي:

وضعت جمعية إحياء التراث الإسلامي جملة من الأفكار والأهداف، التي شملت:

١- العمل على إبراز فضائل التراث الإسلامي، ودوره في تطوير الحضارة الإنسانية.

٢- تجميع المخطوطات، والكتب الإسلامية من جميع أنحاء العالم، وتوثيقها، وتنظيمها في مكتبة جامعة.

٣- تشجيع العلماء والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية، والعمل على نشر بحوثهم، ونتائج عملهم.

(١) د. فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٨، ٩.

- ٤- دعوة الناس للتمسك بدين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.
- ٥- العمل على تنقية التراث الإسلامي من البدع والخرافات التي شوهت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين.
- ٦- إنشاء صندوق للزكاة، والإشراف على صرفها في الوجوه المشروعة.
- ٧- إنشاء المساجد والمراكز، والمؤسسات التعليمية والاجتماعية والصحية ورعايتها لخدمة الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم^(١).
- وتتويجاً لجهود جمعية إحياء التراث الإسلامي الفكرية والعملية، أصدر التيار السلفي مجلة الفرقان في الكويت، وقد جاء في افتتاحية العدد الأول بأن مجلة الفرقان «لا تهدف الربح من وراء إصدارها.. ولكن هدفها هو قول الحق، وتيسير سبل الوصول إليه متمثلة سنة النبي ﷺ، وسنة السلف الصالح»^(٢).
- وتعتبر مجلة الفرقان المنبر الإعلامي الرئيس في التعبير عن خطاب جمعية إحياء التراث الإسلامي الفكري في المشهد الكويتي، وكرّست المجلة الاهتمام الأكبر من صفحاتها لتقديم مواقف التيار السلفي من الأحداث المحلية والإقليمية والعالمية، ولنشر الفكر السلفي والدفاع عن المشروع الإسلامي في مواجهة الأفكار العلمانية والسياسية الأخرى، والرد على خصوم التيار والجمعية^(٣).

ج- ملاحظات على جمعية إحياء التراث:

١- الارتباط بعلماء السعودية: ترتبط جمعية إحياء التراث الإسلامي بعلماء

(١) جمعية إحياء التراث الإسلامي، النظام الأساسي، الكويت: شركة المطبعة العصرية ومكتباتها، د.ت، ص: ١.

وانظر: د. فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت...، ص: ٩.

(٢) مجلة الفرقان، افتتاحية العدد الأول يناير ١٩٨٩ م.

(٣) خليل علي حيدر - الجماعة السلفية في الكويت ماضيها وحاضرها، ص: ٢٥٩-٢٦٠، ضمن بحوث كتاب (الإخوان المسلمون والسلفيون في الخليج)، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط ٢، ٢٠١١ م.

السعودية ارتباطاً وثيقاً في مجال الفتوى وتنمية الوعي السلفي لدى أنصارها؛ إذ تستضيفهم في منتدياتها وأنشطتها ومحافلها.

ورغم بعض النداءات من داخل التيار السلفي نفسه والتيار الإسلامي بشكل عام التي تدعو إلى ضرورة أن تكون الفتوى في القضايا الشائكة والمحورية صادرة عن علماء الكويت لدرايتهم بالشأن المحلي وتفصيله؛ فإن السلفية التراثية لم تلتفت لهذه المطالب، وما زالت ترجع إلى كتب ابن باز وابن عثيمين في بناء الثقافة الشرعية للمتممين إليها، وإلى هيئة كبار العلماء في السعودية لاستفتائها في عظام الأمور، خاصة بعد إنكارها على الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق الذي كان بمثابة الأب الروحي لها بما قدمه من اجتهادات ورؤى متقدمة في مجموعة من الرسائل والكتب؛ إذ أصل لمشروعية العمل الجماعي في كتابيه أصول العمل الجماعي وشيخ الإسلام ابن تيمية والعمل الجماعي، كما أصل الاشتغال بالعمل البرلماني والسياسي في كتبه المسلمون والعمل السياسي وفصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله والشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، وقد رأى السلفيون التقليديون أن الاجتهادات تخرج من مشكاة فكر الإخوان المسلمين، ولهذا حكموا عليه بأنه سلفي العقيدة إخواني المنهج^(١).

٢- تطور في فكر ورؤية جمعية الإحياء والتيار السلفي:

مع أن جمعية إحياء التراث الإسلامي حافظت في أهدافها على الالتزام بالدعوة إلى الأفكار السلفية والعمل الخيري، إلا أن ما قام به عبد الرحمن عبد الخالق من التأسيس الفكري للحالة السلفية الجديدة، عبر كتاباته، شكل قفزة كبيرة في الخطاب السلفي عمومًا، الذي كان يخضع للتأثير السعودي، ويقف موقفًا سلبياً من العمل الجماعي والسياسي والحزبي، مما خلق جدلاً وحواراً

(١) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات.

داخل جمعية إحياء التراث الإسلامي نفسها وفي الأوساط السلفية الكويتية حول مشروعية العمل الجماعي والسياسي، فضلاً عن ولوج التجربة النيابية^(١).

وبعد الهزة الكبيرة التي تعرضت لها صفوف جمعية إحياء التراث الإسلامي عقب تحرير الكويت من الغزو العراقي سعت الجمعية إلى إعادة ترتيب أوراقها، فقامت بإنشاء ذراع سياسي باسم التجمع السلفي خاضت به غمار العمل البرلماني.. وهي خطوة اختلف عليها السلفيون كثيراً، وكانت محل جدل وانقسام بينهم خاصة في ظل ما تبعه الانخراط في العمل السياسي من قبول للآلية الديمقراطية، طالما أكد السلفيون على تناقضها مع مبدأ الشورى الإسلامي.

وهكذا حدث تطور في فكر ورؤية التيار السلفي، استجابة لمتطلبات الواقع السياسي، في ظل مسارعة كل القوى الإسلامية والليبرالية والوطنية لتشكيل تيارات وحركات سياسية بعد تحرير الكويت. ويؤكد رموز الجماعة السلفية على أن برنامجهم «أقرب إلى الإستراتيجية الدعوية منه إلى البرنامج العلمي السياسي»^(٢).

■ التجمع السلفي:

أ- النشأة:

التجمع السلفي، هو التيار السلفي التقليدي والأوسع انتشاراً، ويمثل توجه جمعية إحياء التراث الإسلامي، غير أن الجمعية عادة ما ترفض ربط نفسها به إعلامياً، حيث يمنع القانون الكويتي جمعيات النفع العام من التدخل في السياسة أو المشاركة في الانتخابات، وقد أسس السلفيون التجمع السلفي

(١) انظر: حول تعريف الجمعية بنفسها على موقعها الإلكتروني، وانظر: محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٥٨.

(٢) محمد بدري عيد - التيار السلفي في الكويت الواقع والمستقبل، ضمن بحوث (الظاهرة السلفية)، ص: ٢١١.

بعد تحرير الكويت في سنة ١٩٩١ ليكون الواجهة السياسية لجمعية إحياء التراث الإسلامي^(١).

ب- أهم أفكار (التجمع السلفي) ورؤيته للإصلاح:

والمتتبع لمسيرة التيار السلفي في الكويت، يلحظ أن جمعية إحياء التراث السلفي قد «رفعت خلال الفترة التي سبقت الانتخابات البرلمانية عام ١٩٨١م لواء رفض دخول مجلس الأمة من منطلق كونه يمثل سلطة التشريع الوضعي المخالف للقاعدة التي يقوم عليها الحكم الإسلامي»^(٢).

واستجابة لمتطلبات الواقع السياسي، أصبحت لا ترى جمعية إحياء التراث الإسلامي الإصلاح إلا من خلال النظام السياسي، كما جاء في منظور التجمع السلفي للإصلاح بأنه «يسعى في جميع مناشطه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في حياة الأمة وذلك من خلال النظام السياسي الذي ارتضينا أن نبذل جهدنا في تحقيق مقصد الشرع الحكيم من خلاله».

وسبيل التجمع السلفي لتحقيق هدفه: دعوة الناس إلى تبني هذا الحق، ومن وسائله في هذا المجال: الدفع ببعض شباب الدعوة للمشاركة وخوض غمار الحياة السياسية، فضلاً عن دعم من يتوافق مع رؤيته الإصلاحية، ومنهجيته في التغيير من أجل تصحيح المسار وإصلاح حال الأمة. ومن أهم هذه المواقع السياسية عضوية مجلس الأمة ليكونوا بذلك قدوات ودعاة لبيان ما تحمله هذه الدعوة المباركة من قيم ومثل عليا، يرى فيها السبيل الأمثل لإصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد والنهوض بها^(٣).

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٢١٥.

(٢) محمد بدري عيد - التيار السلفي في الكويت الواقع والمستقبل، ص: ٢٠٩.

(٣) منظور (التجمع السلفي) لإصلاح الأوضاع المحلية، ٢٠٠٨ م، ص: ١.

ولذا، أكد التجمع السلفي من خلال بيانه الأول الذي حمل عنواناً، حول تحكيم الشريعة الإسلامية، والذي انتقد فيه المسؤولين الذين استغلوا المناصب من أجل أغراض شخصية، وانتقد البيان إبعاد الشعب الكويتي عن حقه في المشاركة في اتخاذ القرار السياسي، وإبعاده عن الرقابة الشعبية على السلطة التنفيذية وطالب بيان التجمع السلفي بالنظر في جميع التشريعات التي تخالف الشريعة الإسلامية وتحكيم شرع الله في الكويت، وإصلاح النظام القائم، وإيجاد مناخ من الحرية والديمقراطية من خلال الشريعة ومن خلال الدستور..^(١).

وكبديل للأحزاب، ينادي التجمع السلفي بإطلاق نظام سياسي معتدل ومتكامل يكون لمجلس الأمة الرأي فيه لمنح الثقة المسبقة لتكليف رئيس الوزراء واختيار أعضاء الحكومة، غير أنه لم يحدد ماهية هذا النظام ومحاوره وآليات تنفيذه واختصاصاته^(٢).

شارك التجمع السلفي في الانتخابات البرلمانية، التي تمت بعد تحرير الكويت، لانتخاب أعضاء مجلس الأمة السابع، في الخامس من أكتوبر ١٩٩٢م بسبعة مرشحين وأعلن عن مساندته لأحد عشر مرشحاً، وهكذا لأول مرة يعلن التيار السلفي عن برنامجه الانتخابي، الذي يعتبر خطوة متقدمة في مجال المشاركة السياسية، وقد تضمن البرنامج الانتخابي جملة من النقاط التي تمس الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية..^(٣).

وبهذا التطور لم يعد سلفيو الكويت يعتبرون السياسة رجساً من عمل الشيطان كما يذهب نظراؤهم في دول أخرى، فقد انخرطوا في مسالكها ودروها الوعرة

(١) بيان التجمع الإسلامي الشعبي حول (تحكيم الشريعة الإسلامية)، الكويت، د.ت. وانظر: فلاح المديرس - الجماعة السلفية.. ص: ٣٣، ٣٢.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٢١٥. وانظر: رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات.

(٣) فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٣٣.

ودهاليزها المتعرجة غير مبالين بتحذيرات بعض علمائهم الذين قالوا: «من السياسة ترك السياسة»^(١)، وأصبح منهم الوزير والنائب في البرلمان والناشط السياسي والحقوقى والقيادي الطلابي^(٢).

ج- ملاحظات على فكر التجمع السلفي:

الحقيقة أن تأسيس التجمع السلفي الواجهة السياسية لجمعية إحياء التراث الإسلامي، لم يكن نتاج تطور في فكر ورؤية التيار السلفي، بقدر ما جاء استجابة لمتطلبات الواقع السياسي في ظل مسارعة كل القوى الإسلامية والليبرالية والوطنية لتشكيل تيارات وحركات سياسية بعد تحرير الكويت، خاصة أن مؤسسيه ما زالوا يرون أن الأحزاب من المفاصد التي ترسخ الطائفية وتذكي نيران الصراع الطائفي والحزبي في المجتمعات.^(٣)

ومما يؤكد موقف (التجمع السلفي) من الأحزاب، ما جاء في منظوره لإصلاح الأوضاع المحلية للكويت عام ٢٠٠٨: «أن الدعوة لتبني الأحزاب، لا تنسجم مع توجهاتنا للنهوض بأعباء الإصلاح السياسي بالنظر لما تسبب فيه نظام الأحزاب من مفاصد في بعض الدول العربية، وما أدى إليه من ترسيخ للطائفية وإذكاء لنيران الصراع الطائفي والحزبي..»^(٤).

ومع المشاركة السياسية واتساع مساحة الديمقراطية التي تشهدها الكويت، إلا أن معظم السلفيين ما زالوا يصرون على اجتهاداتهم القائلة بوجوب طاعة الحاكم ومبدأ المناصحة السرية لولي الأمر، كما يتمسكون برؤاهم الراضية

(١) هذه المقولة لناصر الدين الألباني التي تتبناها معظم الجماعات السلفية التقليدية.

(٢) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق.

(٤) منظور (التجمع السلفي) لإصلاح الأوضاع المحلية، ٢٠٠٨ م، ص: ١.

لكل مظاهر الاحتجاج والتظاهر السلمي للتعبير عن الحقوق خشية إثارة الاضطرابات والفوضى، وهذه مواقف لم تعد تنسجم مع ضرورات العمل السياسي ومتطلباته التي تقوم على المكاشفة والشفافية، والتعاطي مع جميع القضايا بالوسائل السلمية والديمقراطية المنصوص والمتعارف عليها^(١). وبهذا، ظلت (جمعية إحياء التراث الإسلامي) و(التجمع السلفي) على الفتاوي السلفية التقليدية، والطابع المحافظ تجاه الحكام والحكومات.

■ الحركة السلفية:

أ- النشأة:

تأسست الحركة السلفية العلمية عام ١٩٩٦م، على خلفية اختلاف علماء السلف بشأن الاستعانة بالقوات الأجنبية في تحرير الكويت، وقد مثل ذلك نقطة تحول كبيرة على صعيد تجديد الفكر السلفي، واختراق المحرمات السلفية التاريخية في مراجعة العلماء وانتقاد تصوراتهم، ومناقشة الإشكالات العلمية الشرعية في الدعوة السلفية، وقد نجحت نخبة^(٢) من الأكاديميين والمثقفين الذين خرجوا من معطف السلفية التراثية، وعارضوا التدخل الأجنبي في المنطقة في قيادة هذا المسعى نحو توجيه المزاج السلفي لجهة الاهتمام بالقضايا الكبرى^(٣).

(١) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات.

(٢) من أبرز مؤسسي (الحركة السلفية) الجديدة: حامد العلي (تولى أمانتها العامة ١٩٩٦-٢٠٠٠م) وهو أبرز رموز السلفيين في الكويت، وحاكم المطيري (تولى أمانتها العامة ٢٠٠٠-٢٠٠٥م) وهو أحد مؤسسي الحركة السلفية العلمية ومؤسس حزب الأمة وأمينه العام من مواليد ١٩٦٤، حاصل على الدكتوراه من جامعة بيرمنغهام ومن أهم ما كتب: الحرية أو الطوفان. انظر موقعه الإلكتروني:

www.dr-hakem.com

(٣) انظر: رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت البدايات والمآلات. وانظر: محمد بدري عيد - التيار السلفي في الكويت الواقع والمستقبل، ص: ٢١٥.

وعلى الرغم من أن الحركة السلفية شاركت في انتخابات ١٩٩٩ و ٢٠٠٣م ونافست بقوة التجمع السلفي إلا أنه لم يكتب لها التماسك والصمود، إذ شهدت اختلافات بين أعضائها أدت إلى استقالة أعضاء بارزين فيها.. قبل أن يعلن عن تغيير اسمها إلى (الحركة السلفية)، وحذف كلمة (العلمية) منها^(١).

ب- أهم أفكار وأهداف الحركة السلفية:

حددت (الحركة السلفية) في بيانها التأسيسي أهدافها، التي تمحورت حول أربع نقاط رئيسة:

١- الدعوة إلى الله تعالى كما أمر سبحانه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ [النحل: ١٢٥].

٢- نشر العلم الشرعي كما أمر الله ﷻ ﴿..فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ..﴾ [التوبة: ١٢٢].

٣- بيان خطورة الانحرافات الفكرية والنحل الضالة، وكشف زيف التيارات الإلحادية التي تهدف إلى مسخ هوية الأمة وتجريدها من أهم خصائصها.

٤- الإسهام في إيجاد الحلول للمشكلات الاجتماعية والتربوية والثقافية ورصدها ومشاركة جميع الخيرين في حماية قيم المجتمع وأخلاقه وثقافته الإسلامية والعربية^(٢).

ويرى أعضاء الحركة أن استقرار هذا البلد الطيب (الكويت) وأمنه مسؤولية وأمانة في عنق كل مواطن، فيحرم زعزعة أمنه واستقراره، وأنه يجب على الجميع

(١) انظر: محمد أبو رمان- الصراع على السلفية، ص: ٦٣، وانظر: محمد بدري عيد- التيار السلفي في الكويت الواقع والمستقبل، ص: ٢١٦.

(٢) انظر: البيان التأسيسي لـ (الحركة السلفية العلمية) المنشور في جريدة الرأي العام، ١٦ مايو ١٩٩٧، ١٥ نوفمبر ١٩٩٧م.

المحافظة على نعمتي الأمن والحرية اللتين تفتقدتهما كثير من الشعوب، دون استغلال لهذه الحرية في الطعن في الإسلام الذي هو دين الدولة والمجتمع أو انتهاك حدود الشريعة الغراء، أو الطعن في لغة القرآن ودون إثارة الفتن الطائفية أو القبلية أو الحزبية التي تمزق المجتمع وتعصف بكيانه^(١).

ج- وسائل (الحركة السلفية) لتحقيق الأهداف:

تؤمن (الحركة السلفية) بضرورة العمل - من أجل تحقيق أهدافها - بالوسائل والقنوات المشروعة كالصحافة والممتلكات العلمية، وتقديم الدراسات والبحوث وإصدار البيانات، ونبد كل وسيلة غير مشروعة.

ومن منابر الحركة السلفية، مجلة (المشكاة) البحثية، ومركز (المشكاة) الإعلامي.

وترى الحركة السلفية أنها رافد من روافد الدعوة الإسلامية عامة والسلفية خاصة، وتؤمن بضرورة العمل وفق مبدأ التكامل والتنافس في الخيرات ﴿.. وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].. متبينة في ذلك ما جاء في (بيان طلبة العلم) الصادر في الكويت عام ١٤١٥ هـ، يحدوها في ذلك الأمل في نهوض الأمة واجتماع الكلمة^(٢).

د- ملاحظات على فكر الحركة السلفية:

تتنوع مواقف السلفيين التقليديين إزاء نظرائهم الجدد، فهناك فريق يخفف من حدة الانقسام، فيقول إنها مجرد اجتهادات ضمن الإطار العام للفكر السلفي، ويذهب آخرون إلى أنهم خرجوا عن منهج السلف، وارتموا في عباءة الإخوان المسلمين فكراً ومنهجاً، ويرى تيار ثالث أن الحركة السلفية تتشابه في

(١) انظر: نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع السابق. وانظر: فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص، ٥٨، ٥٩، ١٠٤.

منطلقاتها مع منهج السروريين^(١).. وحقيقة الأمر أن السلفيين العلميين ما زالوا يكتنون الاحترام لكبار علماء السلفية، غير أنهم لا يجدون حرجاً في نقد آرائهم ومخالفتهم خاصة في المسائل السياسية المتعلقة بإشهار الأحزاب والحريات، وتداول السلطة ومعارضة الحاكم^(٢).

وبهذا تكون (الحركة السلفية) مثلت تطوراً جديداً في مسار السلفية الكويتية نحو بلورة مطالب الإصلاح السياسي، ومن خطاب المعارضة، وأقرب إلى مسار الصحوة السعودية^(٣)، في النزعة النقدية تجاه الفتاوي السلفية التقليدية وطابعها المحافظ تجاه الحكام والحكومات، والتي استمرت جمعية إحياء التراث، والتجمع السلفي على الالتزام بها^(٤).

■ حزب الأمة:

أ- النشأة:

تأسس هذا الحزب في ٢٠٠٥م كذراع سياسية (للحركة السلفية)، وهو أول حزب سياسي في الكويت ومنطقة الخليج، وقد جاء إشهاره بالمخالفة للقانون الكويتي خطوة مفاجئة للمراقبين والمشتغلين بالعمل السياسي، وقوبل من جانب البعض بالإشادة والاستحسان لجرأته في الطرح وانفتاحه على الآخر بغض النظر عن انتماؤه، أما البعض الآخر فقد انتقد هذا المسلك واعتبر مؤسسيه

(١) السروريون: نسبة إلى محمد بن سرور، السوري الأصل الذي جاء إلى السعودية وأسّس منهجاً يجمع بين الفكر الحركي الإخواني والأفكار السلفية. (انظر: محمد أبو رمان - السلفية في السعودية، ضمن بحوث (الحركات الإسلامية في الوطن العربي)، ص: ١١٠٧).

(٢) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات.

(٣) تيار الصحوة السعودية بلغ ذروته في التسعينيات، يزواج بين الأفكار السلفية والحركة الإخوانية، يمثلها سفر الحوالي وسليمان العودة وغيرهم.

(انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٤٤).

(٤) د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٦٢.

خارجين على القانون، وهو الموقف نفسه الذي انتهجته الحكومة إذ لم يرق لها هذا التطور، حيث تصدت له، وأحالت مؤسسيه إلى المدعي العام بتهمة السعي لتغيير نظام الحكم^(١).

وبتأسيس حزب الأمة يكون المسار السلفي قد مثّل قفزة كبيرة، ليس فقط في الكويت، بل على العموم؛ فقد سبق عملية تأسيس الأحزاب السلفية المصرية التي قامت بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م.

ب- أهم أفكار وأهداف حزب الأمة:

تتلخص الأفكار والأهداف التي يؤمن بها (حزب الأمة) في النقاط التالية:

١- الأمة هي مصدر السلطات، وأن اختيار السلطة يتم عن طريق الانتخاب الحر.

٢- الإيمان بالتعددية السياسية، وبالتداول السلمي للسلطة، وبمبدأ الفصل بين السلطات، واستقلال كل من السلطة التشريعية، والسلطة القضائية.

٣- المحافظة على الحريات، بما في ذلك حرية التجمع، وحرية الصحافة، وحرية قيام الأحزاب السياسية والنقابات المهنية والجمعيات الخيرية، وكل مؤسسات المجتمع المدني.

٤- رفض الحزب لكل أشكال الاستبداد السياسي وصوره، والإيمان بحق كل إنسان في العدل والحرية والمساواة دون أي تمييز عنصري أو طبقي أو طائفي أو قومي أو بسبب الجنس أو اللون.

٥- تأكيد المبادئ بوجوب احترام حقوق الإنسان وحياته السياسية والدينية والفكرية والمهنية والاقتصادية.

(١) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات. وانظر: محمد بدري عيد - التيار السلفي في الكويت...، ص: ٢١٦.

٦- التأكيد على حق الأمة في المحافظة على ثرواتها، واستثمارها، وتوزيعها توزيعاً عادلاً...

ويؤكد (حزب الأمة) على أنه يسعى إلى تحقيق أفكاره وأهدافه بالوسائل القانونية والسلمية^(١).

ج- ملاحظات على أفكار ومواقف حزب الأمة:

تجاوز حزب الأمة في خطابه السياسي الكويت إلى الأمة، فقد خرج مؤسسو الحزب عن السياق السياسي الكويتي في أفكارهم، واتجهوا نحو الإطار الجغرافي العربي والإسلامي الأوسع، عبر ما يسمى بـ (تيار الأمة)، فأسسوا فروعاً في بلاد الشام واليمن والسعودية، وبدأوا يتحدثون عن تيار إسلامي واسع، يؤمن بالتعددية والحرية وتداول السلطة، وفي الوقت نفسه يؤكد على المشروع الإسلامي، وعلى الهدف البعيد في إقامة الخلافة الإسلامية الراشدة^(٢).

هذا التوسع في خطاب تيار الأمة وتجاوز أيديولوجيا الحزب المشهد الكويتي، أخرج به برأي بعض الباحثين عن صلب الحالة السلفية الكويتية، وبقي تأثيره فيها مقتصرًا على نخب قيادية، من دون الشباب السلفي هناك^(٣).

وهذا من أكبر التحديات التي تواجه حزب الأمة أنه تيار نخبوي قبلي، اعتمد في تشكيله على حملة الدكتوراه والمثقفين والخطباء والكتّاب، فضلاً عن

(١) انظر: تعريف الحزب بنفسه على موقعه الإلكتروني، وانظر: محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٦٤.

(٢) مقابلة خاصة لمحمد أبو رمان - في مكتبه في مركز الدراسات الإستراتيجية في الجامعة الأردنية - مع مروان شحادة أحد أعضاء تيار الأمة في ٩ / ٨ / ٢٠١٢ م. انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٦٥، ٦٦.

(٣) مقابلة خاصة لمحمد أبو رمان في مكتبه بمركز الدراسات.. مع أسامة شحادة، الباحث في شؤون الجماعات السلفية في ٨ / ٨ / ٢٠١٢ م. انظر: نفس المرجع، ص: ٦٦.

أن مؤسسيه يمثلون القبائل، وليس للحزب وجود يذكر في المناطق الحضرية، مما يحول دون انتشار فكره واجتهاداته الجديدة في أوساط المجتمع، ولعل هذا يفسر فشل أعضاء حزب الأمة في الفوز بأي مقعد في برلمان ٢٠٠٨م، أو إحراز أي مواقع سياسية متقدمة^(١).

ومع الاختلافات التي دبّت في الحركة السلفية، ومن ثم بروز حزب الأمة بتوجهه السياسي الذي يتجاوز التمثيل السلفي، كل ذلك أبقى من التجمع السلفي وجمعية إحياء التراث بمثابة الجماعة الأكثر تعبيراً وانتشاراً لدى السلفيين في الكويت..^(٢).

■ تجمع ثوابت الأمة:

أ- النشأة:

أُعلن عن (تجمع ثوابت الأمة) في أواخر عام ٢٠٠٣م، ويضم إسلاميين وبعض أساتذة كلية الشريعة، ونواب مجلس أمة ومحامين، وبعض النشطاء السياسيين، وذلك لتشكيل جبهة ضاغطة تجاه بعض القضايا الإسلامية المرتبطة بالمجتمع^(٣).

وقد تولى أمانة تجمع ثوابت الأمة - ومازال إلى الآن - رئيس لجنة الفردوس للزكاة سابقاً، وعضو جمعية إحياء التراث الإسلامي^(٤).

(١) رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات.

(٢) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٦٧.

(٣) انظر: القوى السياسية والكتل النيابية في الكويت - صادر عن المركز البلوماسي للدراسات الإستراتيجية في ٢٥ / ٥ / ٢٠١٣م.

(٤) هو محمد هايف المطيري من مواليد ١٩٦٤م وحاصل على شهادة ماجستير في الدراسات الإسلامية، وعمل خطيباً في وزارة الأوقاف، حاز عضوية مجلس الأمة في ٢٠٠٨ و ٢٠١٢، ٢٠٠٩م.

أهم أفكار وأهداف (تجمع ثوابت الأمة):

يسعى (تجمع ثوابت الأمة) - حسب وثائقه - إلى تحقيق الأفكار والأهداف التالية:

- ١ - الدفاع عن ثوابت الأمة، والمطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية وتطبيقها.
- ٢ - بيان الحق للأمة والدعوة إليه، والتحذير من الباطل والمنكر والنهي عنه.
- ٣ - تعظيم شعائر الله تعالى في نفوس الأمة، والحض على التمسك بها.
- ٤ - محاربة التغريب والغزو الفكري، وفضح الأفكار الهدامة والدخيلة على الأمة، والتحذير منها.

٥ - إنكار الظواهر السلبية وبيان خطرهما على الأمة.

٦ - الدعوة إلى الوسطية الحقيقية للإسلام، ومحاربة التطرف والغلو.

٧ - تفعيل القوانين الموجودة التي تخدم القضايا الإسلامية وتوافق الشريعة^(١).

ج- ملاحظات على تجمع ثوابت الأمة:

لا يمتلك تجمع ثوابت الأمة قواعد جماهيرية مؤدجة لها رؤية واضحة، غير أن توجهاته تحظى بالقبول لدى قطاعات جماهيرية عريضة، نظراً لغلبة القضايا ذات البعد الأخلاقي على خطابه، كالدعوة إلى تنقية البرامج الإذاعية والتلفزيونية من المواد التي يراها فاسدة ومحرفة، وتشدده في منع الأفلام الأجنبية التي تروج للفاحشة والانحلال، وتصديه للحفلات الفنية واستضافة المطربات والمغنيات، فضلاً عن تبنيه مواقف متشددة من حق المرأة في المشاركة السياسية^(٢).

(١) انظر: محمد بدري عيد - التيار السلفي في الكويت الواقع والمستقبل، ص: ٢١٧، بتصرف.

(٢) انظر: أحمد شهاب - خريطة الكتل السياسية الكويتية بعد التحرير، شبكة النبا المعلوماتية في ٢٩ أيلول ٢٠٠٨.

ويتخذ (تجمع ثوابت الأمة) هذه المواقف المتشددة من حق المرأة في المشاركة السياسية؛ إذ يرى أن جميع علماء الإسلام أفتوا بعدم جواز إعطاء هذا الحق للمرأة؛ لأن المجال النيابي يعتبر ولاية عامة، وأن أي دعم لهذا الحق يعتبر من قبيل تغريب المرأة وطمس هويتها الإسلامية، وتجاوز فتاوي العلماء وتشجيع العلمانية^(١).

■ المدخلية الكويتية:

أ- النشأة:

قد نشأ التيار المدخلي في الكويت^(٢) عام ١٩٩١م، على يد أفراد انفصلوا عن التيار السلفي، عندما دخل السلفيون العملية السياسية في عام ١٩٨١م، وخلال حرب الخليج أصبحوا قريبين من دائرة (ربيع المدخلي) في أوائل تسعينيات القرن الماضي، انجذب الكثير من الشباب - الذين رفضوا الخط الإيديولوجي الرئيس لجمعية إحياء التراث الإسلامي - إلى المدخلين.

فجمعية إحياء التراث مُتهمة من قبل مدخلية الكويت بخيانة مبادئ السلفية؛ لمشاركتها في الانتخابات البرلمانية والحفاظ على البنية المؤسسية، فالمشاركة في الحياة السياسية وإقامة مؤسسات رسمية، بالنسبة إليهم، تؤدي إلى فساد عقيدة

(١) انظر: رجب الدمنهوري - الحالة السلفية في الكويت.. البدايات والمآلات.

(٢) من أهم رموز السلفية المدخلية في الكويت: فلاح منديكار) ولد في ١٩٥٠م، وتفرغ للعلم الشرعي وعمره آنذاك ٢٦ سنة، واستأنف دراسته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولازم العلماء حتى حصل على رسالة الدكتوراه.. درس على كثير من مشايخ السلفية منهم رموز السلفية الكبار ابن باز، وابن عثيمين والألباني وتأثر بمؤسس السلفية محمد أمان الجامي وقد أخذ عنه العلم الكثير، له جهود علمية والدعوة مع مؤلفاته الكثيرة. (فلاح منديكار، ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

- (سالم الطويل) ولد في ١٩٦٠م وهو شيخ كويتي بدأ طلبه للعلم في صغره على يد الشيخ (عبد الرحمن عبد الصمد)، حضر محاضرات الشيخ (الألباني) في الكويت وعمان والتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حيث تلقى تعليمه الجامعي في كلية أصول الدين، والتقى بالشيخ (ابن باز) وكان ملازمًا لـ (ابن عثيمين) واستفاد منه وكان يلقبه (ابن عثيمين) بولدي. له عمود أسبوعي في صفحة الإبانة في جريدة الوطن الكويتية. (سالم الطويل، ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

المرء؛ لأن هذه التصرفات تجعل الناس موالين للمنظمات وقادتها بدلاً من موالاة الله ﷻ..^(١)

ب- تحذير (علماء الكويت) من خطر المدخلية:

يحذر علماء الكويت: فقهاء ودعاة من هذه الفرقة المسماة بالجامية أو المدخلية؛ لأنهم لا يمثلون منهج السلف الصحيح، بل هم خارجون عن هدي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في الدعوة إلى الله وحفظ مقام العلماء وكرامتهم.. وقد حذر رئيس رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون^(٢) من الجامية أو المدخلية، وبين أن فكرهم قائم على عدة مبادئ خاطئة من أهمها:

١- مبدأ التجريح للعلماء الكبار وهذا الذي أورث جفوة بينهم وأقرانهم من أهل العلم.. وتأثر بمنهجهم بالجرح تلامذتهم، فبالغوا أشد المبالغة وجعلوا من التجريح لكبار العلماء منهجاً..

وخطورتهم أشد ما تكون في هذا العصر الذي تحتاج فيه الأمة إلى وحدة صفوفها وتوحيد كلمتها والتقارب بين جماعاتها في وجه خصوم الدعوة والدعاة، في هذا الوقت الحرج ظهرت هذه الفرقة وجعلت همها من حيث الواقع تجريح علماء الفقه والدعوة من السلف والإخوان وغيرهم. يجمعون تسجيلات ومقالات وخطب الفقهاء والدعاة ثم يبدأون بالنقد الجارح ويحملون عباراتهم مالا تحتمل، ويحملونها على أسوأ المحامل الجارحة ويستخدمون عبارات نابية غير معهودة بين العلماء ولا بين طلبة العلم، ويتدرجون في التجريح، يبدأون بتبديع الفقهاء والدعاة والجماعات، ثم تفسيقهم، ثم وصفهم بالخوارج، ثم إخراجهم من أهل السنة والجماعة.

(١) انظر: سلطان بال - السلفية الكويتية ونفوذها المتنامي في بلاد الشام، مركز كارنيغي للشرق الأوسط في ٧ مايو ٢٠١٤ م.

(٢) هو الدكتور عجيل النشمي من علماء الكويت.

٢- مغالاة المدخلية في حربهم على الجماعات جعلتهم يقفون ضد كل ما تراه الجماعات حقاً وواجباً شرعياً، فالتغييرات في العالم الإسلامي.. كلها باطلة عندهم، لأنها خروج على الحاكم، وأول من تنبه إلى خطورة هؤلاء علماء المملكة العربية السعودية وبخاصة هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء^(١)، وغيرهم من العلماء. وخاصة بعد أن نال الجاميون من مقام العلماء الكبار من هيئة كبار العلماء ومن غيرهم^(٢).

ج- مخاطر الفكر المدخلي:

يبيّن أحد أهم مشايخ (السلفية) في الكويت مخاطر منهج المدخلية في النقد والحكم على الرجال، وحذر من آثاره المدمرة في النقاط التالية:

١- الفكر المدخلي جعل العدل والإحسان، وشهادة الحق، والقيام بالقسط من مناهج المبتدعة، وليس منهج أهل الحديث والسنة.

٢- جعل التمسك بسقطات الناس وأخطائهم ديناً، وأن الناس لا يوزنون عنده إلا بهذه الأخطاء والسقطات، فالحكم على الناس من خلال زلاتهم، وأخطائهم، وكل زلة أو خطأ تهدم كل إحسان وبر.

٣- لقد أخرج منهج المدخلية في النقد مجموعات من أهل التكفير والتفسيق، الذين ضللوا سلف الأمة، وأثمتها، وحرّموا كتب أهل العلم كفتح الباري وشرح النووي لصحيح (مسلم) وشرح العقيدة الطحاوية، وغيرها.. وهؤلاء هم تلاميذ هذا المنهج الفاسد في النقد والحكم على الرجال!

٤- هذا المنهج الفاسد لم يجعل لعالم من علماء الإسلام مكاناً في الأمة؛ لأنه يقوم على تتبع السقطات والزلات والأخطاء، ولا يوجد من له عصمة من ذلك.

(١) انظر: فتاوي اللجنة الدائمة في المدخلية - المجموعة الثانية، ج٢، ص: ٣١٦، فتوى رقم: ١٦٨٧٣.

(٢) انظر: تصريح (عجيل النشمي) للوطن الكويتية - الجامية فرقة خطرة فاحذروها، في ٣١ / ١ / ٢٠١٣ م.

٥- هذا المنهج الفاسد جرّاً صغار طلبة العلم على التناول والوقوع في أعراض العلماء والدعاة إلى الله، والبحث عن أخطائهم، والحال أن هؤلاء الطلاب ما زالوا في مبدأ الطلب، وقد أدى هذا إلى انحراف كثير منهم، وتركهم الدين وفساد أخلاقهم، وطويتهم، والعجب أنهم لقنوا أن هذا الثلب والشتيم والتجني دين يُتقرب به إلى الله!

٦- لقد أدى منهج المدخلية إلى تشويه منهج أهل السنة والجماعة عند من لا يفهم طريقة أهل السنة في العدل والإحسان، وظن الجاهل بمناهج علماء السنة أن منهج أهل السنة هو السب والتشهير والرمي بالبدعة بلا مبدع، وتتبع سقطات الناس وزلاتهم، فانصرف كثير من الناس عن منهج أهل السنة والجماعة.

٧- لقد أوقع هذا المنهج الباطل أتباعه في التناقض والكيل بمكيالين، والحكم في المسألة الواحدة بقولين متناقضين، ولذلك أصبح كثير منهم من أهل التقية والكذب، فلهم أقوال في السر يبدعون بها سادات الناس لا يستطيعون قولها في العلن!

٨- لقد أدى هذا المنهج الباطل في النقد والتجريح إلى انطماس بصائر كثير من طلاب العلم، حتى أنهم أصبحوا يقفون في صف أعداء الإسلام ضد إخوانهم المسلمين.

٩- لقد أوقع هذا المنهج من الفرقة في أهل الإسلام عامة، وأهل السنة منهم خاصة ما لم يحدثه أي منهج آخر، حيث إنه يقيم الولاء والبراء على مسائل محدودة من فروع الدين.. بل إنه جعل (السلفي) هو من يقول بكذا وكذا، ويخرج المسلم من السنة، واتباع منهج السلف إذا خالف في مسألة من مسائل الرأي والاجتهاد.. ويوجب البراء منه بذلك!، وقد كان تدميره الأشد في السلفيين خاصة فقد فرقهم جماعات وأحزاباً وأهواءً.

١٠- لقد أدى هذا المنهج إلى انشغال المسلمين عن حرب أعداء الله، وشغل الدعاة إلى الله بالدفاع عن أنفسهم وبالردود المستمرة على سيل الشبهات، والأكاذيب، والافتراءات التي باتت تُوجه إليهم، وبذلك خلا الجو لأعداء الإسلام، وخصومه..^(١)

وتصدى شيخ آخر من مشايخ (السلفية) في الكويت لهذا الفكر المدخلي، وآل على نفسه أن يخرج مذهبهم كله للناس.. ما خفي منه وما ظهر، وسينشر على الجميع حقيقة مذهبهم الباطني الذي يخفونه ولا يظهره، وتعاهدوا على كتمانهم، ليعلم الناس حقيقة المنهج الباطل الذي يسمونه، منهج أهل السنة في الحكم على الطوائف والكتب والرجال.

ولذلك عمد (الشيخ) إلى جمع الأصول التي أصلها أصحاب هذا الاتجاه الجديد في السلفية، وأقاموا على أساسها الولاء والبراء مع غيرهم، وصنفوا الناس على ضوءها، فكانت هذه الأصول الثلاثون التي جمعها في الطبعة الأولى، ثم جمع إحدى وخمسين في الطبعة الثانية، وذلك من باب التحذير من هذه الأصول الفاسدة، وبيان أنها ليست من أصول أهل السنة والجماعة كما يدعون، وليست أصلاً من أصول المنهج السلفي كما يقولون..^(٢).

وانتهى إلى أن منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف الذي ادّعاه شيخ المدخلية، وكتب فيه، ودعا إليه يقوم على الظلم وتكفير المسلمين وهو منهج الخوارج في تكفير المسلم، بل إن الخوارج لم يقولوا مثل هذا في الذين يكفرونهم، وهذا يوضح جلياً أن المدخلية أدخلت في السلفية ما ليس

(١) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - الرد الوجيز على الشيخ ربيع المدخلي وكتابه: جماعة واحدة لا جماعات.. دار التجديد، ط ٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، بتصرف.

(٢) انظر: د. عبد الرزاق الشايحي - أضواء على فكر دعاة السلفية الجديدة، دار التجديد للنشر والتوزيع ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص: ٣.

فيها، وأنهم خوارج مع الدعاة... مرجئة مع الحكام... رافضة مع الجماعات... قدرية مع اليهود والنصارى والكفار^(١).

والحقيقة أن منهج المدخلية في نقد الدعاة والجماعات، والحكم على الناس ليس هو منهج أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة كانوا أرحم الناس بالمخالفين فإنهم لم يكفروا الخوارج، ولا المتأولين في الصفات، ولم يتهموا الناس بالباطل.. وكان نقدهم ووزنهم للناس كموازين الذهب..!

* * *

(١) انظر: د. عبد الرزاق الشايحي - كسر الصنم المدخلي (خطاب مفتوح إلى ربيع المدخلي) في الأحد ٢ نوفمبر ٢٠١٤ م. وانظر: د. عبد الشايحي - الخطوط العريضة لأصول أدعياء السلفية، دار التجديد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦ م، ص: ٣.

المبحث الثالث

أهم أوجه الاتفاق والاختلاف

بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت

◀ أولاً: أوجه الاتفاق بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت.

◀ ثانياً: أوجه الاختلاف بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت.

◀ ثالثاً: نقد وتقويم.

أولاً: أوجه الاتفاق بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت:

تتمثل أوجه الاتفاق بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت في الأمور التالية:

الأول: ظروف النشأة والتكوين:

خضعت ظروف النشأة والتكوين للسلفية المعاصرة في مصر والكويت لعدة مؤثرات بارزة، من أهمها:

١ - هزيمة يونيو ١٩٦٧ م:

إذا نظرنا لبداية ازدهار الظاهرة الإسلامية في عمومها في مصر خلال سبعينيات القرن الماضي، لا يمكن استبعاد هزيمة يونيو ١٩٦٧ م وما أحدثته من زلزال في الأعماق المصرية والعربية و« أنها لعبت دوراً رئيسياً في إبراز الظاهرة الإسلامية وتحريكها.. إذ إن الثابت مثلاً أن عدد المساجد زاد في مصر بنسبة ثلاثين في المائة في الفترة التي أعقبت الهزيمة مباشرة بين ١٩٦٧، ١٩٦٩ م^(١).

(١) فهمي هويدي - التدين المنقوص، ص: ٢٩٣، ٢٩٤.

وما حدث في مصر بعد هزيمة ١٩٦٧م، حدث في الكويت، فقد أخذ التيار السلفي يكسب مساحة واسعة داخل المجتمع الكويتي خاصة بعد تراجع التجمعات والحركات القومية إثر الهزيمة التي أدت إلى تراجع الخطاب السياسي القومي، فضلاً عن انهيار المعسكر الاشتراكي بسقوط الاتحاد السوفيتي الذي أدى بدوره إلى انحسار المد اليساري، حيث خلت الساحة السياسية في الكويت من هذه القوى التي فرضت سيطرتها عليها منذ الخمسينيات من هذا القرن.

وفي ظل تراجع التنظيمات القومية واليسارية عن مواقعها، زحفت القوى الدينية، وفي مقدمتها التيار السلفي مما أدى إلى احتلاله مواقع مهمة في الخريطة السياسية الكويتية^(١).

ففي كلا الدولتين مصر والكويت لم تنتعش الحركة السلفية من جديد إلا بعد إخفاق الأنظمة التقدمية والقومية في تحقيق مشاريع التحرر والتقدم. ومن الثابت أن التراجع العميق والمرير الذي أصاب الحركة الوطنية العربية بعد يونيو ١٩٦٧م، قد أدى دوراً حاسماً في تعاظم السلفية في صورة ما يطلق عليه اسم الصحوة الإسلامية^(٢).

٢- التأثير بالمد السلفي السعودي:

كانت المملكة العربية السعودية إحدى أهم مصادر إلهام الحراك السلفي الكبير في مصر في عقدي السبعينيات والثمانينيات التي شهدت بدايات حراك إسلامي جديد. ولحرص المملكة دائماً على تأكيد التزامها بالهوية السلفية؛ أخذت في استقبال المئات، وربما الآلاف من الطلاب العرب في كليات الدراسات الإسلامية في الجامعات السعودية، حيث تأثر هؤلاء بالرؤية السلفية الوهابية،

(١) د. فلاح مديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٥.

(٢) أ.د. فهمي جدعان، الماضي في الحاضر دراسات في تشكيلات ومسالك التجربة الفكرية العربية، ص: ٨٢.

ووزعت عشرات الآلاف من الكتب المؤسسة للمدرسة السلفية الوهابية، بما في ذلك الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد العربية والإسلامية مجاناً أو بأسعار زهيدة..^(١).

وهذا ما أكدّه أحد أبناء جيل السبعينيات في شهادته على العصر قائلاً: «قد تأثرنا كثيراً بالتيار السلفي في مرحلة مبكرة من تكويننا الإسلامي، وأظن أن السلفية الوهابية أقحمت على المشروع الإسلامي في مصر إقحاماً.. في هذا الوقت كانت الكتب الإسلامية تأتينا من السعودية بالآلاف، وكانت كلها هدايا لا تكلفنا شيئاً»..^(٢).

وكما تأثرت البيئة الدينية المصرية بالمد السلفي السعودي، تأثرت البيئة الدينية الكويتية بتراث السلفية من خلال المذهب الحنبلي المنتشر في نجد خاصة، وكذلك بدأ النشاط السلفي في تجميع الأتباع وبناء الجماعة خلال سبعينيات القرن العشرين، وكان الدارسون في جامعات المملكة العربية السعودية ممن اعتمد عليهم النشاط السلفي في الكويت؛ لذلك تجد أن معظم أساتذة كلية الشريعة في جامعة الكويت من السلفيين خريجي الجامعات السعودية، ومن ثم فإن الجماعتين قد تبادلتا اقتباس الكثير من الأفكار والأساليب السلفية، فأضحوا يتشابهون في كثير منها^(٣).

ولذا، يعتبر التيار السلفي في الكويت - من الناحية الفكرية والعقدية - مجرد امتداد للفكر السلفي واجتهاداته، من دون أن يبذل الجهد في دراسة المجتمع الكويتي من ناحية التركيب والتاريخ والمصالح والتوازنات وغير ذلك، ولا

(١) انظر: د.أ. بشير موسى نافع - الظاهرة السلفية، ص: ٢٧، ٢٩.

(٢) حسام تمام - أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ - ١٩٨٤، دار الشروق، ط ٢٠١٢، م، ص: ٦٧.

(٣) خالد أبو الفضل - السرقة الكبرى، ترجمة على أحمد عبدالله، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٨ م، ص: ٧٦.

يزال يتأثر بالاجتهادات والفتاوي الواردة من المرجعية السلفية خارج الكويت، وبخاصة كبار شيوخ الدين في الهيئات الدينية السعودية. وكانت هذه الهيئات قد عملت منذ عام ١٩٧٤م على تأسيس الجماعات السلفية في مختلف دول العالم، وضاعفت مجهودها بعد نجاح الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، ونشوب الصراعات السياسية والطائفية إثر الحرب العراقية - الإيرانية، وغير ذلك^(١).

٣- حاجة السلطة للتيار الإسلامي:

ومما ساعد في الانتعاش الإسلامي وانتشاره في مصر، ما أدت إليه «الأوضاع السياسية والاقتصادية في مصر في سبعينيات القرن الماضي إلى فتح الباب من قبل نظام الحكم أمام الدعوة الإسلامية للعمل، فالنظام في مواجهته لأزمة شرعية نظامه الجديد، واجه معارضة شرسة من الناصريين واليساريين، فأراد أن يحدث قدرًا من التوازن بين القوى المعارضة له، معتمدًا على ركيزة دينية لشرعية حكمه، فأدخل على دستور (١٩٧١م) عبارة تنص على أن مبادئ الشريعة هي أحد مصادر التشريع، وأطلق سراح الكثير من المعتقلين الإسلاميين، وأتاح لهم العمل بحرية في الخدمات الاجتماعية وخاصة في الجامعات^(٢).

وكما ساعدت السلطة في مصر على انتشار المد الإسلامي في مصر لحاجتها إليه، ساعدت السلطة في الكويت المد الإسلامي ليؤيدها ويقف بجانبها لمواجهة التيار القومي واليساري الذي سيطر على الساحة منذ الخمسينيات وحتى أواخر السبعينيات من هذا القرن.. وهكذا أطلقت السلطة يد هذه الجماعات ودعمتها ماديًا ومعنويًا وأتاحت وسائل الإعلام الرسمي لها من خلال استغلال المناسبات

(١) خليل على حيدر - الحركات الإسلامية في الكويت، ضمن بحوث (الحركات الإسلامية في الوطن العربي)، ص: ٢٢٣٦.

(٢) انظر: عبد الفتاح ماضي - أوراق العالم العربي في حالة انتقالية، مؤسسة قرطبة بجنيف ٢٠١٣م، ص: ٧.

والبرامج الدينية لنشر أدبياتهم، وبذلك أصبحت هذه الجماعات سيدة الموقف من خلال هذا الدعم اللامحدود من قبل السلطة..^(١).

الثاني: العقيدة والهوية:

الموقف العقدي ليس محل اتفاق بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت فحسب، بل هو من الخطوط العريضة التي تمنح جميع التيارات السلفية في جميع الأقطار مصطلح السلفية، فهم جميعاً يؤمنون بالعقيدة الدينية نفسها التي تقول بأن الله في السماء، ويرفضون التأويل، مما يميّزهم عن الأشاعرة والمدارس السنية الأخرى، وبأولوية النص على العقل، وبالمواجهة الفكرية والعقائدية مع المدارس الأخرى، كالصوفية والشيعة، وبالعودة إلى كتب مرجعية لابن تيمية وأحمد بن حنبل وغيرهما. ويكاد يتفق الجميع على أن رموز السلفية التقليدية في العصر الحديث: ابن باز، والعثيمين، والألباني..^(٢).

وتقوم العقيدة بدورها الرئيس في بناء الهوية السلفية؛ فالتمييز بالدرجة الأولى بين مَنْ هو سلفي ومَنْ ليس سلفياً لدي (السلفية) عامة يتعلق بالإلهيات النظرية، ويتمثل في السؤال الجوهرى: أين الله؟ فإذا كان الجواب: الله في السماء فإن المجيب يكون قد نجح في اجتياز أحد أهم الأسئلة في امتحان (الهوية) الأساس، ثم تتوالى الأسئلة الأخرى: هل تثبت لله يدين وسمعاً وبصراً أم تؤول هذه الصفات كما يفعل الأشاعرة؟، وتشكل الإجابات السابقة المنظومة العقائدية الرئيسة لدى السلفية عموماً.

كما يدخل في مفهوم المنظومة العقائدية السلفية في أبعادها السياسية والاجتماعية مفهوم الولاء والبراء؛ والمقصود الدلالي له هو ضرورة موالاته الدين والرسول والمؤمنين والتبرؤ ممن يخالف ذلك من أعداء الإسلام، وأصحاب العقائد الضالة والفرق المنحرفة..

(١) انظر: د. فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٤٦.

(٢) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢٩.

وتحدد (الهوية) ترسيم العلاقة السلفية بالآخر في حدود الشعور بتهديد كبير لـ (هوية الذات)، أو بعبارة أخرى التصدي لمهمة الدفاع عن (الذات) في مواجهة تلك الأخطار المنتشرة، التي أصابت المجتمعات العربية والمسلمة في ثقافتها وقيمها، وكأن (السلفية) تعيش معاناة (جرح الهوية النرجسي)!

ويعد مفهوم الفرقة الناجية، من المفاهيم المحورية للهوية السلفية، وأحد مكوناتها الرئيسية عمومًا، متمثلًا في حماية الدين، ومواجهة الانحرافات والضلالات، والتهديدات والتحديات، سواء كان مصدرها خارجيًا أو داخليًا^(١)!

الثالث: معالم مشتركة تميز الهوية السلفية:

وتتمثل هذه المعالم المشتركة فيما يلي:

١- المظاهر والشكليات: مفتاح الشخصية السلفية في عمومها، هو الاهتمام الكبير بمفهوم الالتزام الديني - على حسب تصورهم - مقارنة بالتيارات الأخرى؛ فالسلفي هو شخص متدين ملتزم طقوسي، وهو يهتم بالمظاهر الدينية الظاهرة والشكلية، أو بما يسمى بالهدي الظاهر، في حين يمكن أن تأخذ هذه الالتزامات الفردية الشخصية، لدى أبناء الجماعات أو الأحزاب الإسلامية الأخرى درجة أقل من الاهتمام، في مقابل الاهتمام بالعمل السياسي أو الحزبي أو التنظيمي، بالتغاضي قليلًا عنها إلى درجة معينة، فيما تأخذ عند السلفيين درجة عليا من الاهتمام والأهمية^(٢).

ومن أهم أساسيات الهدي الظاهر عند السلفيين عامة: اللحية والنقاب والجلباب القصير: حيث يري السلفيون أن إطلاق اللحية للرجال واجب، وأن تغطية الوجه مع اليدين والكفين للمرأة واجب أيضًا، مع أنهما من المسائل

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٤.

(٢) انظر: نفس المرجع، ص: ٢٠٠.

الخلافة بين العلماء، بيد أن السلفيين لا يعتدّون إلا بآرائهم، حتى إنهم تجاهلوا رأي الشيخ الألباني وهو من أكبر رموزهم ولم يلتفتوا إليه؛ لأنه ذهب إلى أن وجه المرأة وكفيها ليسا بعورة، وأيد ذلك بثلاثة عشر دليلاً في طبعة كتابه الجديدة بدلاً من ثمانية أدلة في الطبقات السابقة^(١).

أما الجلباب القصير: فلتحريم إسبال الإزار عندهم، فالسلفية عامة تأخذ بما ذهب إليه شيوخ السلفية المعاصرة ابن باز، والألباني، وابن عثيمين وعلماء اللجنة الدائمة للإفتاء إلى أن الإسبال محرم مطلقاً، ولو لم يكن من الخيلاء، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة، أذكر منها ما رواه البخاري (٥٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»^(٢).

٢- قضية المرأة: على صعيد البرنامج الاجتماعي تتفق السلفية على عدم جواز الاختلاط بين الرجل والمرأة في المدارس والجامعات وأماكن العمل^(٣). لقد غلبت الروح السلفية المحافظة على السلفية المعاصرة عامة منذ نشأتها في منتصف سبعينات القرن الماضي، وتبنّت مواقف متشدّدة في كل ما يخص المرأة، فقد احتلت قضية (الاختلاط والفتنة) منذ البداية حيزاً بارزاً من اهتمامات التيار الإسلامي. وهذا مما يؤكّد «أن موقف السلفيين عامة من قضية المرأة ما زال ضمن المنظور الفقهي والتربوي التقليدي الذي لا يلامس الجوانب الاجتماعية المستجدة وضروراتها في ما يتعلق بموضوع المساواة والعدالة»^(٤).

(١) انظر: الألباني - جلباب المرأة المسلمة...، دار السلام للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص: ٧٠ - ٧٢.

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٤ / ٢٣٢)، والحديث رواه البخاري فس صحيحه، كتاب: اللباس، رقم: ٥٧٨٧.

(٣) انظر: د. محمد أوزمان - الصراع على السلفية، ص: ١٩٨.

(٤) أ.د. عبد الغني عماد - الإسلاميون بين الثورة والدولة... - مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت ٢٠١٣ م، ص: ١١٣.

٣- العلاقة مع النصارى: يجمع السلفيون على عدم جواز المشاركة في احتفالات النصارى، أو تهنتهم أو إرسال بطاقات التهئة، أو بيعها أو توزيعها بمناسبة أعياد الميلاد^(١).

٤- الاغتراب في الماضي:

الاتجاه السلفي عامة مشدود إلى الماضي والاغتراب فيه، وقد يكون في ذلك بعض الصواب، لأنه لا بد لحاضر الأمة الإسلامية من أن يرتبط بماضيها، دون انقطاع. وخاصة أن في هذا الماضي رسالة سماوية ربانية، لا يجب إغفالها. ولكن هذا الاغتراب ينقصه الفقه بالزمن والواقع. لذا نجد أن ارتباطه الحرفي بالماضي، ومحاولة إستعادة هذا الماضي بدون ترتيب الأولويات هو بالذات ما يخرب كل إمكانية الاستعادة، ويزيد في قطع العلاقة بين الماضي والحاضر..^(٢).

والحقيقة أن إعادة القضايا التاريخية لا تجد لها رجعا قويا في الآفاق الروحية والمادية لمسلمي هذا العصر. فالاهتمامات الجديدة أصبحت ذات طبيعة عملية إلى حد بعيد، سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.. والقضايا الكلامية التي تتضمنها عقائد السلف لا تكاد تثير اهتمام أحد. وفي الأمور المتعلقة بالسلطة والطاعة والانقياد لأولي الأمر يتعذر تماما في أيامنا هذه، بفضل تطور الوعي التنويري وظروف وأحوال العالم والحياة المتشخصة، وحراك القوى السياسية والاجتماعية..^(٣).

الرابع: الموقف من المشاركة السياسية:

العمل بالسياسة عند السلفية المعاصرة في مصر كان من المحرمات، وأن الخوض في جزئيات السياسة هو نوع من تضييع الوقت وهي أشبه بأحاديث السمر، بيد أن أحاديث السمر يقطع بها الليل وهذه الأحاديث يقطع بها العمر.

(١) انظر: د. فلاح الميرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ١٥.

(٢) انظر: الطيب بوعزة - مشكلة الثقافة في الوطن الإسلامي، ص: ٥٤.

(٣) انظر: أ.د. فهمي جدعان - تحرير الإسلام، ص: ٣٥٢.

ولذا كانت القضية الرئيسية التي دأبت عليها الدعوة السلفية - كما تقدّم - هي أن التوحيد وتحقيقه هو الأصل، وليس الدولة، مع تربية الأجيال الجديدة وتصفيتهما وتصفية التراث الإسلامي قبلها من مداخل وإسرائيليات وفلسفات شوّهت أصوله النقية. لكن بعد الثورات العربية، وفي الحالة المصرية، لوحظ حدوث تحوّل إلى الحديث عن أهمية الدولة وتطبيق الشريعة، وتماهٍ مع الحركات الإسلامية التي تهتم بالسياسة، رغم اختلاف المنهج السلفي وتمايزه عن مناهج غيره من الحركات الإسلامية..

وما أن تم البدء في ولوج المجال السياسي، بعد الثورة بشهر واحد فقط، أثاروا قضايا لم يكن يناقشها أحد، وهي قضية الهوية، وأن إلغاء مادة الشريعة من الدستور دونها الرقاب، بالرغم من أن أحداً لم يطرح، ولم يناقش موضوع (المادة الثانية) الخاصة بالشريعة.

وما حدث للحالة للدعوة السلفية في مصر حدث للحالة السلفية في الكويت - مع الاحتفاظ بالسبق السياسي للتيار السلفي في الكويت - فعلى الرغم من أن التيار السلفي في (الكويت) كان يدّعي بأنه يرفض الانزلاق في العمل السياسي، ووجه النقد لتيارات إسلامية أخرى ووصفهم بالأشاعرة.. وأن همهم العمل السياسي. ولكن بعد ذلك دارت نقاشات ومساجلات وعقدت ندوات حول موضوع دخول البرلمان من عدمه على صفحات مجلة (الفرقان).. إلى أن استطاع الاتجاه المؤيد للمشاركة في انتخابات مجلس الأمة من (التيار السلفي) إقناع أغلبية القاعدة السلفية برأيهم.

ويستطيع المتابع للخطاب السياسي للسلفية في مصر والكويت أن يلحظ تركزه حول تطبيق الشريعة الإسلامية، وأسلمة القوانين، ومواجهة مظاهر العلمنة والتغريب، وعدم جواز الاختلاط بين الرجل والمرأة في المدارس والجامعات وأماكن العمل.

وهكذا اهتم الخطاب السياسي للدعوة السلفية في مصر بنفس القضايا التي اهتم بها وأثارها الخطاب السياسي للتيار السلفي في الكويت من قبل رغم اختلاف الظروف والبيئات، وإن كان الخطاب السياسي لسلفية الكويت أكثر رسوخاً، وأقوي تأصيلاً، وأنضج تجربة.

وبهذا ابتعد الخطاب السياسي للسلفية في (مصر والكويت) عن طرح القضايا والمشكلات الكبرى التي يعاني منها المجتمع في كل منهما، إلى التركيز على المواضيع الهامشية والمسائل الفرعية، والمظاهر الشكلية!

ثانياً: أوجه الاختلاف بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت:

على الرغم من الملامح الأساسية السابقة التي تجمع بين التيارات السلفية عامة، إلا أنه يظل للدعوة السلفية في كل دولة سماتها وخصوصيتها التي تتميز بها عن مثيلاتها في الدول الأخرى.

غير أن التيار السلفي في الكويت يتميز بحالة خاصة تجعله ينفرد بها عما سواه، سواء كان ذلك داخل المنطقة العربية أو خارجها، بدءاً من المشاركة المبكرة في الحياة السياسية ومروراً بالحضور القوي على المستويات الفكرية والثقافية، وانتهاء بالوجود الإعلامي بشكل بارز جداً، زد على ذلك القدرة على التصويت؛ نظراً لوجودهم بشكل كبير داخل البرلمان بصورة أو بأخرى لإصدار المراسيم المختلفة التي عادة ما تصب في نهاية المطاف في مصلحة التيار ومؤيديه^(١).

وهذا التميز الملحوظ للتيار السلفي في (الكويت) نراه من خلال «اختلاف التجربة السلفية الكويتية عن التجربة السلفية السعودية، الذي يقف خلفه

(١) انظر: مصطفى زهران - سلفيو الكويت.. حالة خاصة، مقال بجريدة (القدس العربي) في يوم الاثنين الموافق ١ أكتوبر ٢٠١٠ م.

عوامل متعددة، ترتبط بالفرق بين البيئتين؛ ففي السعودية كانت السلفية بمثابة المذهب الرسمي للدولة، التي تعلن تطبيق الشريعة الإسلامية، وتمنح المؤسسة الدينية الرسمية سلطة على المجال الديني والدعوي، وتغيب الأحزاب السياسية والتعددية الفكرية بصورة كبيرة، مما يجعل من الصعوبة بمكان التأسيس لعمل سلفي حركي مستقل؛ أما في الكويت، فكان الوضع مختلفاً تماماً، إذ عرفت التجربة البرلمانية والحزبية مبكراً، وشهدت تعددية سياسية وثقافية، وهي شروط محفزة للعمل الجماعي والسياسي، وهذا ما جعل جمعية إحياء التراث الإسلامي - وهي تمثل الاتجاه السلفي التقليدي - لا تري الإصلاح إلا من خلال النظام السياسي^(١).

وفي ضوء هذا المناخ الفكري الثقافي التعددي الذي ميّز التجربة السلفية في (الكويت) عن السلفية (الأم) في السعودية، تتضح أسباب تميزها وتباينها عن سائر التجارب السلفية الأخرى التي لم يتوفر لها مثل هذا المناخ، وبالتالي قد تكون المقارنة غير منصفة بينها وبين غيرها، ما لم تتوفر لغيرها من التجارب السلفية الأخرى نفس الأسباب!

والدليل على ذلك، ما بدا من معظم الجماعات السلفية من تطوير أدوارها السياسية منذ اللحظة الأولى للثورات الديمقراطية العربية التي منحت زخماً وقوة كبيرين للمشاركة في العمل السياسي والحزبي..

وهذا يؤكد أن «الظروف الموضوعية والواقعية تؤثر في صعود الاتجاهات السلفية وهبوطها، وفي خياراتها السياسية ودرجة تطور خطابها الأيديولوجي..»^(٢).

وفي ضوء اختلاف الظروف والأسباب نتناول أوجه تباين وتميّز السلفية

(١) محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٦٠، وراجع (أهم أفكار التجمع السلفي ورؤيته للإصلاح) في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) نفس المرجع السابق - الصراع على السلفية، ص: ٢٣٠.

المعاصرة في (الكويت)، عن السلفية المعاصرة في (مصر) والتي نراها في الأمور التالية:

١ - تأثر الدعوة السلفية في (مصر) ببعض شيوخ السلفية في (الكويت)^(١):

يحكي أحد شيوخ الدعوة السلفية عن آليات مرحلة النشأة والتأسيس، فيقول: «كانت المعسكرات الصيفية سنة (١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٧٩م) كلها ذات منهج سلفي، يُوزع فيها كتاب (الأصول العلمية للدعوة السلفية) للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق...»^(٢).

كما كان للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق على المستوي التنظيمي تأثيره في أوساط الشباب السلفي في مصر، يدفعهم إلى تبني بعض الأطر الجماعية في العمل بعد ما كانوا يرفضون ذلك^(٣).

٢ - أسبقية المشاركة في الحياة السياسية:

يتسم التيار السلفي في (الكويت) بخصائص تميزه عما سواه من التيار السلفي في (مصر) ومن تيارات إسلامية سلفية مماثلة، سواء أكان ذلك داخل المنطقة العربية أو خارجها؛ بما في ذلك توجهه المبكر، نسبياً للمشاركة في الانتخابات البرلمانية والحياة السياسية والحضور القوي على المستويات الفكرية والثقافية عبر المشاركة في مواقع خدمية ونشاطات، تتعدد أشكالها وأنماطها، في ظل انسجام مع التيارات الفكرية الأخرى، والوجود الإعلامي البارز^(٤).

(١) المراد هنا تأثر التيار السلفي في حقبة السبعينات والثمانينات ببعض أعمال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق المحسوب على سلفية الكويت وإن كانت أصوله مصرية. ولذلك فإن من الموضوعية أن نشير إلى السبق المصري في نشأة السلفية ممثلة في جماعة أنصار السنة سنة ١٩٢٦م.

(٢) مقابلة مطولة مع ياسر برهامي في الإسكندرية في ١ أكتوبر ٢٠١١م. انظر: أحمد شلاطة: الدعوة السلفية السكندرية، هامش ص: ٤٥.

(٣) انظر: أ.د. عبد الغني عماد - الإسلاميون بين الثورة والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢٩١٣، هامش ص: ١٠٦.

(٤) محمد بدري عيد - التيار السلفي.. الواقع والمستقبل، ضمن بحوث (الظاهرة السلفية)، ص: ٢١٩. مرجع سابق.

شارك السلفيون في «انتخابات اتحادات الطلبة الجامعيين في الكويت بصورة معلنة منذ بداية الثمانينات، وشاركوا في الانتخابات البلدية والنيابية، وتولي سلفيون مواقع الوزارة والمسؤولية في الدولة، وتوسعوا في العمل التطوعي والخيري، في إنشاء المساجد ومعاهد القرآن الكريم، وأسسوا (مجلة الفرقان)، وأطلقوا قبل أعوام فضائية المعالي»^(١).

ويرجع التأسيس الفكري لهذه الحالة السلفية الجديدة للدور البارز الذي قام به عبد الرحمن عبد الخالق، عبر كتاباته المختلفة وآرائه التي ذهب فيها إلى التأكيد على أهمية التكامل في العمل الدعوي، ورفض أن يكون العمل السياسي أمراً ثانوياً أو مضيعة للوقت، كما هو سائد في الوسط السلفي السعودي آنذاك.

في كتابه (المسلمون والعمل السياسي) يخالف عبد الخالق الفتاوي والمواقف السلفية عندما يؤكد على ضرورة الدخول في مضمار العمل السياسي، وتشكيل أحزاب سياسية وجمعيات، وتبني الوسائل الجديدة في التغيير بوصفها (مصالح مرسلة)، لا يجوز الاستغناء عنها، وضرورة الاستفادة من هامش الديمقراطية في الدول التي تسمح بذلك حتى لو لم يكن هنالك (ضمانات) باحترام صناديق الاقتراع بما أن الإسلاميين لا يمتلكون بديلاً عن ذلك^(٢).

بالنظر إلى السبق السياسي الذي حققه التيار السلفي في (الكويت) عن مثيله في (مصر) وسائر البلاد الأخرى، يتأكد لنا أن المناخ والواقع وشروطه ومتغيراته وإكراهاته يساهم بصورة غير مباشرة في صناعة الهوية السلفية وتحديد أبعادها وتجلياتها..

(١) محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٦٨.

(٢) انظر نفس المرجع، ص: ٥٨. وانظر: كتاب عبد الرحمن عبد الخالق (المسلمون والعمل السياسي) على موقع الشبكة السلفية وعلى صفحة موقع الشيخ الرسمي.

٣- التفاعل الإيجابي مع بعض القضايا الإسلامية:

إن التعاطي مع بعض القضايا الإسلامية بصورة أو بأخرى بالخطابات والاستنكارات والشجب وغير ذلك أمر يشترك فيه الجميع. أما أن يصل الأمر التضحية بالنفس من أجل فكرة بعينها، خاصة أن التيار السلفي بصورة عامة، عنده رؤية أيديولوجية تحكمه من عقود لا تجعله يخرج من إسارها، وهي التركيز بشكل كبير على التربية التي لا تخرج عن أبواب الفقه والتراث السلفي، فإن هذا يعطي انطباعاً بتطور فكر هذا التيار الأقل حركية عن غيره من التيارات الإسلامية الأخرى، مما أضاف له نضجاً أهله لمواقف أكثر فاعلية فيما بعد^(١).

رأينا هذه الفاعلية، عندما تمّ الاعتداء الإسرائيلي على سفن أسطول (الحرية) في ٣١ مايو ٢٠١٠م، ومن ثمّ قتل البعض، وأسرت البقية الباقية، الذي كان من بينها أحد شيوخ التيار السلفي الكويتي^(*)، وهذا يعد علامة فارقة للتيار السلفي، شعر الكويتيون بأن السلفيين رقم صعب لا يمكن تجاوزه!

وبعد ثلاثة أشهر من أحداث أسطول الحرية، أعلن فيها النفير العام وسط صفوف التيار السلفي بالكويت، سواء أكان ذلك على المستوى المؤسسي أو الشعبي، مطالبين بموقف حازم من الحكومة الكويتية من هذا الرجل الشيعي الذي نال من السيدة (عائشة) عليها السلام، خاصة أنه يحمل الجنسيين الكويتية والبريطانية.

قادت رموز السلفية في الكويت المظاهرات والاعتصامات التي امتلأت بها الكويت، ومن يمثلونهم داخل البرلمان الكويتي، وشددوا على المطالب التي رفعتها المظاهرات باتخاذ موقف فيصلي وحازم لوضع حد نهائي لهذا الرجل. وتلبية لتلك المطالب أصدرت الحكومة الكويتية مرسوماً يقضي بسحب الجنسية

(١) انظر: مصطفى زهران - سلفيو الكويت.. حالة خاصة، مقال سابق.

(*) هو الشيخ (وليد الطبطبائي)، سبق التعريف به.

عن الرجل الشيعي. مما عُدَّ موقفاً إيجابياً آخر على المستوى الداخلي، يضاف للتيار السلفي هناك^{(١)(*)}.

وهذا التفاعل الإيجابي للتيار السلفي في (الكويت) تجاه بعض القضايا الإسلامية، هو الذي جعل أبرز شيوخه يصدر بياناً شديد اللهجة ينتقد فيه بعض شيوخ الدعوة السلفية في مصر لموقفهم الأخير من بعض القضايا التي تهم شؤون الأمة^(٢).

٤ - التوازن في بعض الرؤي والمواقف:

مرّ معنا من قبل أن قيادات التيار السلفي تواجدت في الكويت إبان الغزو العراقي للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م ولم تخرج طوال فترة الاحتلال، ولا شك أن وجود هذه القيادة بين الناس، وعلاقاتها اليومية بها خلال تلك المحنة، قد عززت مكانة التيار السلفي.

وتشير مصادر التيار السلفي إلى أنه كان وراء تشكيل اللجان الشعبية أثناء الاحتلال في مختلف مناطق الكويت، والمساهمة في المقاومة المسلحة، وتوزيع المنشورات السياسية، والتعليقات الإرشادية للمواطنين. كذلك اتخذ التيار السلفي موقفاً صريحاً من الجماعات والحركات الدينية التي أيدت النظام العراقي من احتلاله للكويت.

ومما يجسّب لهذا للتيار السلفي في (الكويت) تلك النظرة المتوازنة في معالجة

(١) انظر، نفس المرجع.

(*) والحق من يتابع صفحتي (حاكم المطيري) و (عبد الرزاق الشايجي) وغيرهما يجد تفاعلاً مع قضايا الأمة قد تتفق معهم أو تختلف في الرؤية والطرح، لكن لا نستطيع أن ننكر هذا التميز عن سائر شيوخ السلفية الذين غابوا عن قضايا الأمة وآلامها.

(٢) انظر: نص البيان الشديد الذي أصدره (عبد الرحمن عبد الخالق) ينتقد فيه بلهجة شديدة (ياسر برهامي) على صفحته الرسمية على الفيس، في ليلة الأربعاء ٣٠ محرم ١٤٣٥هـ - ٤ ديسمبر ٢٠١٣م، وانظر: موقع (مفكرة الإسلام) في ٥ ديسمبر ٢٠١٣م.

الأمر تجاه الأحداث المريرة التي عاشها أهل الكويت من جرّاء الغزو العراقي، والتي تركت جرحاً غائراً في نفوس الجميع حيث بينت تلك الأحداث مرارة الواقع الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية وعظم الهوة بين الآمال والتطلعات التي ينشدها الجميع وبين الواقع الذي تكشف عن أمور مهولة، أوقعت هؤلاء جميعاً في حيرة من أمرهم وقلبت الموازين عندهم حيث رأوا مَنْ يعتبرونه أخصاً وصديقاً ينقلب وحشاً كاسراً يغدر ويسلب وينهب ويقتل ويعذب ويرتكب أبشع أنواع الجرائم بحقهم، ويجد مَنْ يؤيده ويصفق له، بينما يقف النصراني الكافر موقف المناصر المؤيد للحق!

إن هذه الصدمة العنيفة قد جعلت البعض يشكك في جميع المبادئ والمفاهيم التي تربي عليها، وبدأ هذا البعض يردد: ماذا استفدنا من العرب والمسلمين؟! لا صديق اليوم إلا أمريكا ودول الغرب!.. بل أخذ بعض المسؤولين يرددون عبارات أبعد من ذلك!

ولمعالجة آثار هذه الصدمة وردّ الأمور إلى نصابها، صدر بيان لعلماء التيار السلفي بعنوان: لكي لا نداوي الخطأ بالخطأ، يتنوا فيه ما يلي:

- ١- الولاء والبراء قضية أساسية تمثل لب الدين الإسلامي.
- ٢- العزة والمذلة مرتبطة بتقدير الله تعالى لا دخل فيها للبشر.
- ٣- لا يشكر الله من لا يشكر من ساعده ووقف معه في محنته.
- ٤- التدخل الغربي ليس نصرة للحق ودفعاً للظلم، بل لمصالحه الخاصة..
- ٥- تحجيم القوة العربية المسلمة هدف منشود للصهيونية العالمية.
- ٦- مصلحة المسلمين بدفع الظلم عن أنفسهم، لا تلتقي أبداً مع مصلحة الغرب في تدمير قوتهم، للسيطرة عليهم^(١).

(١) انظر: افتتاحية العدد الأول (لكي لا نداوي الخطأ بالخطأ)، (الحقيقة) نشرة دورية تصدرها جمعية إحياء التراث الإسلامي فرع لندن في ذي الحجة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م. ونظر: فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٨٤.

ولا شك في أن ما جاء في هذا البيان من معالجة لهذه الصدمة العنيفة - التي تركت جرحاً غائراً في نفوس الكثير من المواطنين - يدل على مدى ما يتمتع به التيار السلفي في الكويت من حكمة ونضج. فهول الصدمة العنيفة لم يفقده رشده واتزانة في رؤية الأحداث بعمق وبصيرة لدوافعها وأسبابها الخفية.

وبعد تحرير الكويت)، شارك التيار السلفي مع القوى السياسية الأخرى في التحركات التي شهدتها الساحة السياسية.. ووقع ممثلون عنه على بيان الرؤية المستقبلية لبناء الكويت الذي يعتبر بمثابة الأرضية المشتركة التي جمعت القوى السياسية.. وعلى الرغم من أن التيار السلفي وافق على كل ما ورد من أسس في بيان الرؤية المستقبلية إلا أنه يتقاطع من حيث الفكر مع التيارين: الشيوعي واليساري، وإن لم يمنع من قيام رموز التيار السلفي، بالتعاون مع التيارين ضمن الأرضية المشتركة أو الإطار العام الذي يضم جميع القوى السياسية الشعبية..^(١).

٦ - الدعوة إلى التجديد في عرض الإسلام:

شبه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق الرسالة الإعلامية الموجهة للمؤمنين بالنهر في جريانه ونفعه. فطالما أن النهر يجري طالما انتشر الري والنماء فيما حوله، فإذا توقف النهر عن الجريان توقفت الحياة حوله. وهكذا الرسالة الإعلامية للإسلام طالما قام الداعون لها والمؤمنون بها بدعوتهم الدائمة المستمرة طالما انتشر الدين والإسلام والفضيلة، فلا بد من الإبداع المستمر والحركة المتواصلة والتقليب الدائم، والعرض الجديد لمبادئ الإسلام الخالدة، وبند طريقة التكرار البليد الغبي لخطب الجمعة والاحتفالات بالمناسبات الدينية^(٢).

(١) انظر: د. فلاح مديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٣٠، ٣١.

(٢) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله، جمعية إحياء التراث، د.ت، ص: ٧٧.

وأشار (عبد الخالق) إلى أن تعقيد العلوم الإسلامية حال دون الاستفادة منها استفادة كاملة، وأخرج علماء لا يستوعبون الأهداف الغائية للإسلام ورسالته في الأرض، بل ويحصرونه في القضايا الجزئية التي لم يحسنوا غيرها، ولذلك اضطر هؤلاء العلماء إلى الحلول السطحية للمشكلات التي تواجهها الأمة.. ولتسهيل المهمة الإعلامية للإسلام دعا إلى اتباع الخطوات التالية:

١- فهم الأهداف والحكم الغائية من رسالة الإسلام في الأرض باستقراء الكتاب والسنة الصحيحة للوقوف عليها.

٢- التصور الإسلامي الواضح للحلول لمشاكلنا الجزئية في السياسة والاقتصاد والاجتماع وشتى شؤون حياتنا. ولا يتأتى هذا التصور بالإجابات العمياء التي تصدر عن فراغ من العلم بالكتاب والسنة أو فراغ من العلم بواقع الناس، أو رغبة خبيثة في تطويع الإسلام للواقع المنحرف. بل لا بد من العلم بالكتاب والسنة، والعلم بواقع الناس، ومراقبة الله في تطويع الواقع للدين لا تطويع الدين بالواقع.

٣- بث هذا التصور الإسلامي في القضايا الجزئية بأسلوب البناء لا الهدم بإصلاح فساد المجتمع ولو جزئياً بدلاً من انتظار انهياره الكامل، لإقامة صرح الإسلام من جديد، فالذين ينتظرون وصول المسلمين إلى حالة الانهيار الكامل وسقوط السلطات الحاكمة؛ ليؤسسوا الخلافة الراشدة غوغائيون لا يفقهون الإسلام ولا يعرفون غاياته..^(١).

وقد نبّه (عبد الخالق) إلى التجديد في وسائل الدعوة، مبيّناً أن الرسول ﷺ استخدم في دعوته جميع الوسائل المعروفة في عصره، فقد استخدم العلاقات العامة، والدروس الخاصة (دار الأرقم والمسجد) والخطبة، والمناداة، والاتصال

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ٤٧، ٤٨.

الفردى والجمعى، والبحوث والسرايا، والرسائل إلى الملوك والأمراء، والقصيدة الشعرية، والمشاعر والشعائر، والجدال والمناظرة، واستخدم الإسلام أسلوباً جديداً على العرب، وكان أعظم أسلوب على الإطلاق وما زال للدعوة وهو القرآن الكريم، ثم الحديث الشريف^(١).

ومع اتفاقنا مع أغلب ما دعا إليه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق من التجديد فى عرض الإسلام، وأنه يدل على تقدم ملحوظ لا نراه عند غيره من (شيوخ) السلفية المعاصرة، إلا أننا لا نتفق معه فى قوله: «وبهذا جاء النبى من أول يوم ليعلن كفر أهل الأرض جميعاً - إلا من آمن بدعوته وحمل رسالته - وضلالهم وخلودهم فى النار، ولم يخبىء النبى ﷺ هذا الإعلان والإعلام من أول يوم بل جابه به الناس جميعاً: مشركى العرب واليهود والنصارى ومجوس فارس وجميع أمم الأرض»^(٢).

ولا فى قوله: «الثمرة الإعلامية التى استفادها النبى ﷺ من وراء تفجيره لهذه القنبلة أنه أثار اهتمام الناس جميعاً وفتح آذانهم على الرغم منها، وكيف لا يسمع الناس له وهو يصرخ بأعلى صوته: أنتم كفار إن لم تسمعوا دعوتى وتستجيبوا لى. الله خالقكم وربكم أرسلنى إليكم. وأنا منذر للعالم أجمع، ودينى هذا سيظهر على جميع العقائد والأوثان، إن هذا الكلام فى هذا الوقت يسمع له الصخر والجبل فضلاً عن الإنس والجن. وهكذا جعل النبى ﷺ الدنيا جميعاً آذاناً لدعوته. ولم يضره بالطبع أثار هذه الدعوة وهذه الصراحة.. لقد كانت هذه الدعوة من الغرابة والصراحة والقوة أن حملت الناس حملاً على السماع لها. وهذه المهمة الأولى فى الرسالة الإعلامية الناجحة أن يسمع الناس لها»^(٣).

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ٣٢.

(٢) نفس المرجع، ص: ٢٦.

(٣) نفس المرجع، ص: ٢٦.

لا أدري على أي دليل من الكتاب والسنة استند (الشيخ) على كتابة هذه العبارات التي لا تتواءم أبداً مع منهج الدعوة كما جاء في القرآن الكريم، فلقد بين القرآن منهج الدعوة إلى الإسلام في آية كريمة تجمع بين الحكمة والموعظة الحسنة في قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ [النحل: ١٢٥]، وليس من الحكمة ولا من الموعظة الحسنة أن يجابه النبي ﷺ من يدعوهم بقوله - كما قال الشيخ -: (أنتم كفار إن لم تسمعوا دعوتي وتستجيبوا لي...)! ولا جاء النبي ﷺ من أول يوم ليعلن - كما قال الشيخ - (كفر أهل الأرض جميعاً وضلالهم وخلودهم في النار)!! بل جاء من أول يوم رحمة للعالمين كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الحق أن منهج القرآن في الدعوة يعلمنا كيف يكون الخطاب مع غير المسلمين، فجاء الخطاب القرآني متنوعاً بين هذه النداءات: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ..﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولم يوجد في القرآن خطاب يصف المخاطبين بالكفر إلا في آيتين: إحداهما خطاب لهم يوم القيامة: ﴿يَتَّيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْزِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجُزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧]، والأخرى في مقام مساومة على العقيدة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

فكان هذا خطاباً للمشركين الوثنيين - كما جاء في كتب التفسير - الذين كانوا يساومون الرسول ﷺ على أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فأراد

القرآن قطع هذه المحاولات بأسلوب صارم، لا يُبقي مجالاً لهذه المساومات، فأمر الرسول أن يخاطبهم بهذه الصورة الحاسمة القوية، بما فيها من تكرار وتوكيد، ومع هذا خُتِمت السورة بهذه الآية التي تفتح باباً للمسامحة مع الآخر، حين قالت: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ».

كما أن دعوة الإسلام لا تحمل الناس حملاً على السماع، كما جاء في قول (الشيخ): «لقد كانت هذه الدعوة من الغرابة والصرامة والقوة أن حملت الناس حملاً على السماع لها»، إلا إذا أراد بقوله أن الدعوة وما تتسم به من وضوح الحق ومن قوة الحجة والبرهان، حملت الناس - عن طواعية واقتناع - على السماع لها. ومع حسن الظن في مقصد (الشيخ)، إلا أن صياغة العبارة - بهذه الصورة - والسياق الذي وردت فيه لا يتفقان مع منهج القرآن الذي بين أن مهمة النبي ﷺ في الدعوة تنحصر في البلاغ والتذكير، لا في الوصاية والسيطرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

كما أنهما لا يتفقان مع طبيعة الدعوة في القرآن الكريم - التي لا تخفي على الشيخ -، الذي يشير إلى أن الله ﷻ أرسل خير خلقه نبي الله (موسي) وأخاه (هارون) إلى شر خلقه (فرعون) وأوصاهما بدعوة الطاغية باللين والحسني، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، والله يعلم أنه لا يتذكر ولا يخشى ولكنها طبيعة الدعوة: الحكمة، واللين، والموعظة الحسنة!!

٧- الدعوة إلى التجديد في السياسة الشرعية:

لقد كان الشيخ حاكم المطيري أول من دعا إلى التعددية السياسية، وأنه لا يوجد ما يمنع من مشروعية التداول السلمي للسلطة بين أحزاب سياسية تطرح

برامج انتخابية في إطار دستور الدولة ونظامها العام وهو الشريعة الإسلامية.. وقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها وجدواها في أكثر دول العالم المعاصر، والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في تنظيم هذه الحقوق جائز شرعاً، كما استفاد الفاروق عمر رضي الله عنه من النظم الإدارية لدى الفرس والروم، وأجمع الصحابة على مشروعية ما فعل.. فكل ما فيه خير ومصلحة وعدل فهو من السياسة المشروعة، وكل ما فيه شر ومفسدة وظلم فهو من السياسة الممنوعة... وبين أن كل عمل جماعي منظم لتحقيق هذه المبادئ التي جاء بها الإسلام، وتأسيس الأحزاب السياسية، والنقابات المهنية، والجمعيات الخيرية، ولجان حقوق الإنسان التي تعمل من أجل تحقيق الصالح العام للمجتمع في شؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع وتحقيق العدل والمساواة حماية الحقوق والحريات، كل ذلك مشروع؛ إذ مثل هذا الاجتماع على جلب المصالح ومنع المفاسد داخل في قوله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ..﴾ [المائدة: ٢]، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب^(١).

ويتم تحقيق ذلك من خلال النقاط التالية:

١ - مراجعة التراث الفقهي السني المقرر في الأحكام السلطانية، وتمحيصه ونقده، ورد الأمة إلى مرحلة الدين المنزل، وإلى مرجعية القرآن والسنة، وسنن الخلفاء الراشدين، لتكون الحجة والدليل قاصرين على تلك المرحلة، دون المراحل التي تلتها، والتي سادها الانحراف، وخرجت عن هدي سنن الخلفاء الراشدين في الحكم والإمامة والسلطة^(٢).

(١) انظر: حاكم المطيري - الحرية أو الطوفان، ص: ٣٢١، ٣٢٠.

(٢) انظر: بسام ناصر - الخطاب السياسي الإسلامي السني بين رؤيتين، جريدة الغد الأردنية في ٢٥ / ٤ / ٢٠٠٨ م.

٢- إعادة بناء أحكام الفقه الإسلامي التي عكست الخبرة التاريخية العربية أكثر مما عكست منطق الوحي الرباني..^(١).

٣- الاهتمام بتحقيق أهم مبادئ الإسلام: العدل والحرية أولاً، وعدم الانشغال بالعمل من أجل عودة الشريعة الإسلامية، دون فهم حقيقة هذا الدين وطبيعته وشريعته وأهدافها ومقاصدها، من تحقيق العدل والحرية، وصيانة حريات الأفراد وحقوقهم السياسية والاقتصادية وحمايتهم..^(٢).

وهذه الدعوة لتجديد الخطاب السياسي تقدم إضافة مهمة في تطوير الحركة السلفية الإصلاحية في الكويت بشكل خاص والخليج العربي بشكل عام؛ لتتمكن من الاستناد على فكر يسمح لها بممارسة سياسة أفضل وأجراً في مواجهة التيارات السلفية التقليدية التي سيطرت على المناخ الفكري في الخليج العربي حيناً من الدهر. كما أنها تمثل استئنافاً لجزء حيوي من مضمون الخطاب الإصلاحي الأول..^(٣).

وهذا ما جعل أحد دعاة (السلفية) - وهم قليل - يسعد بصوت سلفي، يثمن العدل والحرية، فيجلو عن (السلفية) غبار الأمكنة والأزمته المختلفة..^(٤).

والحق أنه يندر أن نرى أحداً من (التيار السلفي) المعاصر يدعو إلى التفكير والتأمل وتنقية الخطاب السياسي مما شابه من تخلف وانحراف عن السياسة الراشدة للخلفاء الراشدين كحاكم المطيري، في الوقت الذي نرى كثيراً من التيار السلفي يحاربون (الفكر) ويعدونه خارج الهدى السلفي!، ولكن نرى

(١) انظر: محمد أبو رمان - قراءة في أوراق الإصلاح العربي (٣)، «الحرية أو الطوفان» مواجهة مع ميراث الاستبداد والطغيان، مجلة العصر في ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٥ م.

(٢) انظر: حاكم المطيري - الحرية أو الطوفان، ص: ٣٠٢.

(٣) انظر: محمد أبو رمان - قراءة في أوراق الإصلاح العربي (٣)، وانظر: الحرية أو الطوفان، ص: ٣٥٩.

(٤) انظر: عبد الله الحامد - مقارنة لتصفية المقياس السلفي من غبار الصياغات العباسية والمملوكية والعثمانية، مجلة العصر في ٢٠ / ٨ / ٢٠٠٧، وانظر: حاكم المطيري - الحرية أو الطوفان، ص: ٣٦١.

(المطيري) يدعو إلى إعمال الفكر والعقل ونبذ التقليد.. وقد بدأ كتابه (الحرية أو الطوفان) بهذا الحديث الشريف: «نحن أولى بالشك من إبراهيم»^(١) الذي يدعو إلى الشك والسؤال والبحث والتحري للوصول إلى الحقيقة بمنهج علمي^(٢).

وكنا نودُّ من (الشيخ) صاحب الكتاب القيم (الحرية أو الطوفان) أن يدعو إلى تحرير المرأة من أسر جمود الموروثات الفقهية التقليدية، إلى فضاء التطبيقات العملية لمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية في العهد النبوي، وسلف القرون الأولى، كما دعا إلى تحرير الإنسان من جور الأحكام السلطانية والخطاب السياسي الشرعي المؤول، والمبدل إلى عدل الخطاب السياسي الشرعي المنزل، وحكم الخلافة الراشدة!

فإن إحقاق الحق في موضوع المرأة مثل إحقاق الحق في أي جانب من جوانب الشريعة، وهو انتصار لشرع الله!

٨- الدعوة إلى الإنصاف:

بين الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق إنه لا يجوز مطلقاً للمسلمين في رسالتهم الإعلامية أن يتعمدوا الكذب على أعدائهم، وأن يلصقوا بهم تهمة باطلة أو أن يصفوهم بوصف ليس فيهم. وإذا كان هذا مع العدو المخالف محرماً فهو مع المسلم أشد حرمَةً وفتكاً، وهذا من قواعد الدعوة إلى الله وآدابها. وهو ما امتازت به الدعوة السلفية عبر القرون وذلك أنها دعوة تتمسك بالحق ولا يطغي حب الفرد واحترامه وتقديسه فيها على بيان عيبه وخطئه إذا كان ثمة عيب وخطأ.

وما دعا إليه الشيخ عبد الخالق من الدعوة إلى الإنصاف وجدناه متحققاً في

(١) الحديث متفق عليه رواه الشيخان (البخاري ومسلم)، اللؤلؤ والمرجان، رقم ٩٢، ١٥٣٠.

(٢) انظر: د. حاكم المطيري - الحرية أو الطوفان، ص: ٣٢٢.

استشهاده بكلام للشيخ محمد الغزالي في معالجته للتطرف^(١)، وهذا ما لا تجده عند معظم التيارات السلفية في مصر أو في غيرها، فالشيخ الغزالي عندهم متهم - باطلاً - بمخاصمة السنة النبوية^(٢).

كما حمل الإنصاف الشيخ (عبد الخلق) ليجعل رأي (الفخر الرازي) من آراء السلف^(٣)، على عكس معظم السلفيين الذين لا يعتبرون الأشعري والرازي والغزالي والقرطبي وغيرهم من السلف، ورأينا هذا الإنصاف في موقف حاكم المطيري من رواد مدرسة الإصلاح، حيث يقرر أن جمال الدين الأفغاني هو باعث الحركة الإصلاحية الفكرية المعاصرة في العالم الإسلامي^(٤).

ولا تجد هذا الإنصاف للمدرسة السلفية الإصلاحية الذي وجدناه عند (حاكم المطيري) عند معظم الاتجاهات السلفية المعاصرة، بل وقفت منها موقف العداء دائماً! ومع هذا التميز لبعض شيوخ السلفية في (الكويت) إلا أنهم لا يخرجون عن خط الملامح العامة للسلفية المعاصرة.

ثالثاً: نقد وتقويم:

سنتناول النقد والتقويم في ثلاث نقاط، الأولى: أصالة المنهجية السلفية، والثانية: تراجع السلفية المعاصرة، والثالثة: ملاحظات منهجية على أفكار وممارسات الجماعات السلفية المعاصرة.

الأولى: أصالة المنهجية السلفية:

وقفنا على نهج الصحابة والسلف الصالح في مواجهة أزمات الواقع - كما

(١) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - فصول من السياسة الشرعية، ص: ٧٦، ١٢٧.

(٢) انظر: محمد الغزالي السنة النبوية بين أهل الفقه. والحديث، ص: ٧.

(٣) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - الشوري في ظل نظام الحكم الإسلامي، دار القلم الكويت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص: ١٢٦.

(٤) انظر: د. حاكم المطيري - الحرية أو الطوفان، ص: ٣٣٩.

فعل عمر في عام المجاعة والشواهد في ذلك كثيرة.. - فقد واجهوا أزمات عصرهم بفقهم عميق، وبراعة فائقة في إنزال نصوص الوحي على الواقع لأجيال متعددة، بما جعل واقعهم صالحاً للشهادة على الناس، وتشكيل الصورة المعيارية التي كان أبناء أمم وشعوب الأرض يقيسون أنفسهم عليها وقيّمون أداءهم ودرجة تطورهم بالقياس إليها^(١).

والمتبع للخط السلفي المنهجي، ابتداء من العهد الأول ومروراً بالإمامين: أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ / ٨٥٥م)، وابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ / ١٣٨٠م) وانتهاء بالإمام محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) يجد كل واحدٍ منهم يمثل منتهى الأصالة السلفية، في قمة المعاصرة وفي قوة المواجهة..

أ- الإمام أحمد بن حنبل: واجه الإمام أحمد فتنة خلق القرآن ورفض هذا الابتداع في دين الله، وقرر عقيدة أهل السنة في إثبات صفات الله، كما أثبتها لنفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ..

وكان جزاء الإمام المحدث الفقيه أن زُجَّ به في السجن ونُكِّل به وعُذِّب، وكان هذا جهاداً سلفياً لإمام أهل السنة ﷺ يقف في وجه الحاكم ليرد الهجمة على دين الله وعلى مفهوم التوحيد الحق.

وكانت للإمام أحمد وقفة سلفية عقدية اقتضتها ظروف المواجهة، وحتمتها ضرورة التجديد وفق معطيات العصر. وهي بهذا تمثل منتهى الأصالة السلفية، في قمة المعاصرة وقوة المواجهة.

ومن ثمَّ كانت له آراؤه المعروفة في مظانها بحسب الردود على مكامن الخطر الفكري العقدي، مثل:

- آراؤه في الإيمان، في تعريفه، وزيادته ونقصانه، يرد بها على الفرق المنحرفة،

(١) انظر: وسام الكبسي - مقال السلفية الليبرالية.. والسلفيون الجدد - بتصرف.

وآرائه في مرتكب الكبيرة، يرد بها على الخوارج والمرجئة، وغير ذلك من الآراء..، كما كانت له إمامته الفقهية النابعة من إمامة في الحديث تميز بها، مما يحدد ملامح مذهبه الفقهي.

ب- الإمام ابن تيمية: يتسم عصره بحوادث خطيرة، وقلائل كثيرة، وهو عصر ذو أهمية كبيرة من النواحي السياسية والاجتماعية والخلقية والعلمية والدينية..

وقد جاء (ابن تيمية) ليواجه واقعاً يشبه في مواصفاته مجتمع الإمام (أحمد)، مع اختلاف بارز في أن الحركة الفقهية في زمانه لم تكن بصفاء زمن الإمام (أحمد بن حنبل)، إذ يغلب عليها التقليد والاتباع، والتعصب للمذاهب والفقهاء. كما أن ملامح الحياة السياسية فيها تباين شديد..

كان حظ ابن تيمية أن يري أمام ناظريه معطيات هذا الواقع الذي يعيشه، فقام الرجل لمواجهة كل هذه الظروف السياسية والعلمية، بتقرير أصول الاتجاه السلفي، وتوضيح الفكر المواجه، والفقه الذي يحل مشكلات الحياة، داعياً إلى الاجتهاد واستمراره، وفق مذهب السلف الصالح الأول، ومروراً بسلفية الإمام أحمد بن حنبل.

لقد كان لابن تيمية مواجهات مع مشكلات عصره: مواجهة جهادية للحاكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كمواجهته لقازان حاكم التتر، وكانت له مواجهة اجتماعية بمواجهة الفساد..، ومواجهة مع الباطنيين والإسماعيليين المتآمرين في الجبال مع الصليبيين، وكانت له مواجهة سلفية علمية، فكرية وفقهية، والفتاوي الكبرى تدل على سعة مشكلات الحياة وحلولها، بمنهج سلفي وفقه عملي يراعي طبيعة العصر، صادر عن قواعد واضحة وعمق، وسعة في ميادين الحياة الخاصة والعامة، مما يعطي للسلفية طابعها المعاصر..^(١).

(١) انظر: أبو الحسن الندوي - رجال الفكر والدعوة (ابن تيمية) ج ٢، دار القلم دمشق، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص: ٣٤، ٦٠ وما بعدها، وراجع الكردي - الاتجاه السلفي: ص: ٣٠ - ٣٤.

وكان مقصد ابن تيمية بتفكيره: إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس إسلامية لا زيف فيها وبدون إضافة غريبة عن الإسلام تتصل بها: أراد للمسلم أن يكون مسلماً، لا صاحب بدعة أو مذهب خاص في الإسلام.

ج- الإمام محمد بن الوهاب: إذا كانت معطيات عصر شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام أحمد تحتاج إلى المجدد العالم، فإن معطيات هذا العصر كانت تحتاج إلى أكثر من المجدد العالم، بحيث يملك هذا العالم سلطة قوية في ظل وسط جاهل متعصب، تنعدم فيه سلطة ذات فعالية في التربية والتوجيه، قادرة على تدعيم عملية التجديد...

وهذا كله اقتضي ظرف الإصلاح والتجديد أن يكون للعالم المجدد حركة وسلطة، فاجتمع هذان الأمران في العالم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والأمير الذي اقتنع بفكرته وهو محمد بن سعود، (ت ١١٩٧ هـ - ١٧٦٥ م).

وحقيقة الأمر أن حجم القضايا المطروحة لإصلاح الواقع في جو النشأة ومنطقتها برز فيه جانب تعليم العقيدة الصافية على التوحيد، من خلال إنكار ألوان من البدع والممارسات التي تتناقض مع التوحيد، وأن تبرز قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة والجهاد، لفعالية القضية في نفوس المصلحين من ناحية، ولوقوف الآخرين من ناحية أخرى. وقد حققت تلك الحركة السلفية في النهاية دولة..

وقد قامت في عصرنا حركات إصلاحية معاصرة، استوعبت روح حركات التجديد السلفي السابقة - الحنبلية، والتيمية، والوهابية وغيرها من الحركات الإصلاحية عبر التاريخ - مع الطرح المتوائم مع روح العصر، مثل حركة (الآفغاني، ومحمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا)^(١).

(١) انظر: أ.د. راجح الكردي - الاتجاه السلفي، ص: ٤٤، ٤٥، ولوثروب ستودارد - حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويض وتعليق شكيب أرسلان، دار الفكر العربي بيروت، ط ١٩٧٣، م ٤، ج ١، ص: ٢٦١، ٢٦٢، ومحمد فتحي عثمان - السلفية في المجتمعات المعاصرة، ٣١ - ٣٣.

وفي ضوء ما سبق من هذه الدراسة، نلاحظ أن دعاة النموذج السلفي المعاصر قد فشلوا في ملاحظة الاختلافات البنيوية بين المجتمع الذي شهد التأسيس الأول للمثل الإسلامية والمجتمع المعاصر، وعملوا بالتالي إلى إسقاط نتائج التجربة الأولى بحذافيرها على الواقع المعاصر، دون فقه عميق وتحديد دقيق لتحديات العصر وللثابت والمتغير في الحياة الاجتماعية^(١).

الثانية: تراجع السلفية المعاصرة:

يبقى السؤال الأهم: لماذا تراجعت السلفية الإصلاحية المفتوحة، وهي الأكثر تفاعلاً وانفتاحاً مع أسئلة الحداثة والمشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية المعاصرة ؟ !، وما الذي دفع السلفية المعاصرة إلى أن تتجه نحو دعوة سلفية انتزعتها من سياق تاريخي واجتماعي مختلف عن واقع الأمة، مع وجود مدرسة سلفية إصلاحية سابقة عليها.. ؟ !!

ثمة تفسيرات عدة تتضافر معاً لمحاولة تقريب الإجابة عن هذا التساؤل، في مقدمتها:

أ- العامل السعودي: إذ حرصت الحكومات السعودية خلال العقود الماضية على نشر السلفية، التي تزاوجت مع نظام الحكم هناك، في مواجهة الأفكار القومية واليسارية، التي سادت خلال عقدي الخمسينات والستينات، ودفعت هذه الدولة من أجل ذلك أموالاً وبذلت جهوداً كبيرة، سواء عبر الدعم المالي من خلال المؤسسات الدعوية والتعليمية - داخل السعودية وخارجها- التي استقطبت عشرات الآلاف من العاملين والدارسين، أو نشر الكتب والأدبيات السلفية. وتلبّست السلفية السعودية بالظروف المحلية وبطبيعة الدولة والمجتمع هناك، وأخذت الطابع التقليدي بدلاً من الإصلاحي.

(١) د. لؤي الصافي- جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، ط ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣ م، ص: ١٥٣، بتصرف.

ب- الظروف التاريخية: إذ واجهت السلفية الإصلاحية الأولى أسئلة مختلفة وظروفاً سياسية مغايرة، فكان سؤال النهضة والإصلاح والتقدم هو الطاغى على النقاشات والسجلات داخل المجتمعات وفي أوساط النخب العربية؛ لكن بروز الدولة الإقليمية وتشكل الأنظمة السياسية الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية، والصراع الدولي والحرب الباردة، والمعضلات الداخلية، والهزائم المتكررة؛ كل ذلك أعاد صوغ الأسئلة لتذهب نحو الهوية والصراع السياسي بين التيارات الأيديولوجية ليتوارى سؤال النهضة والإصلاح وراء السؤال الإحيائي - الهوياتي في أغلب المجتمعات العربية.

ج- الظروف العامة: وهي ترتبط بالتفسير السابق، وهي التي تدفع إلى نمط الجواب الاحتجاجي والرد الثقافي المبسط على التحديات والتهديدات والمشكلات والمعضلات التي تواجه المجتمعات العربية؛ فالمدرسة الإصلاحية لا تحمل إجابات بسيطة فورية حاسمة بقدر ما تقوم بعملية نقدية للذات، بينما المدرسة الإحيائية - السلفية تقدم جواباً محسوماً، بسيطاً للشارع، فثمة فرق بين أن تقول بأن السبب هو البعد عن الله وعن الإسلام الصحيح، والحل بالعودة إليه، سواء كان عبر تعظيم مهمة العلم الشرعي الثقلي أم الجهاد في مواجهة الهزيمة العسكرية، وبين أن تقول بأن لدينا مشكلات ثقافية ومجتمعية، حتى في الموروث الفقهي والديني، وعلينا القيام بعملية تنوير وإصلاح ديني داخلية مستمرة لنطور أنفسنا لنتمكن من الوقوف على أقدامنا وننافس العالم بالمعرفة والتقنية.

تلك هي أهم الأسباب التي انحرفت بخط الاتجاه السلفي عبر تاريخنا - الذي مَثَّل منتهى الأصالة في قوة المعاصرة وقمة المواجهة - وأفرزت لنا السلفية المعاصرة التي بعدت عن منهج سلفنا الصالح الذين كانوا «أقل منا عددًا، وأفقر مالا.. لقد كانوا أساتذة في فن الحكم، ورعاية الجماهير، وحماية الحقوق، وتركيز

السرائر، وبناء الأخلاق الحسنة، ودعم التقاليد الجميلة.. ذلك كله في سياق من التوحيد المحض والعبادة النقية..»^(١)!!

ولكن كيف نجح سلفنا الصالح وسادوا على حين أخفق مسلمو هذا العصر وأخفقوا..؟ !! إنها الأزمة المنهجية التي تعاني منها الجماعات الإسلامية عامة، والسلفية المعاصرة خاصة، ولا تزال تشل عملها، وتعوق وصولها إلى الغاية، فقد تجاوزت السلفية المعاصرة كل دعوة إسلامية لم تنهج منهجها في تبني خيارات جزئية فقهية، قال بها بعض الأعلام في سياق التاريخ، وجعلوها إطاراً لتحديد الانتماء إلى السلف الصالح، وهذا مذهب ضيق..!

إن تبني خيارات جزئية فقهية معينة يؤدي إلى «ضيق الأفق، والبعد عن الحقيقة، وتضييع الكل في سبيل الجزء، فالإسلام كل، والمذهب جزء، والعقل لا يعيش في ظل المذهب، بل يعيش في ظل الإسلام، ويموت في كنفه»^(٢).

يقول (ابن تيمية): «لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا بقي في كذب وجهل بالجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»^(٣).

الثالثة: ملاحظات منهجية على أفكار وممارسات الجماعات السلفية:

تبين لنا من خلال ما تقدم من أفكار وممارسات الجماعات السلفية المعاصرة، أن هناك إشكاليات في المنهج السلفي المعاصر، من أهمها:

(١) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢٠٨، ٢٠٩، ومحمد الغزالي - هموم داعية، ص: ١٣، ١٥.

(٢) أ.د. شوقي أبو خليل - الحوار دائماً، دار الفكر دمشق، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، ص: ٧.
(*) الحق أن كل الجماعات العاملة للإسلام تمحورت حول نفسها وادعت أنها تمثل الإسلام دون غيرها وأضاعت الكل في سبيل الجزء!

(٣) ابن تيمية - مجموع الفتاوى، ١٩ / ٢٠٣.

١ - الغفلة عن مقاصد التوحيد الكبرى:

لقد أدت الغفلة عن مقاصد التوحيد الكبرى إلى إشغال الناس بمسائل أثرت في زمن السلفيات السابقة، ولا توجد نفس المؤثرات في زماننا لإثارتهما بدعوي تعليم الناس، وتعليم الناس بما لا يستطيعونه ضرب من التقعر لا اليسر في تعليم التوحيد، وهذا ما ضاق به قديماً العلامة ابن حجر في حكمته البالغة، التي يقول فيها: «وحسبك من قبيح ما يلزم من طريقتهم، أنا إذا جرينا على ما قالوه، وألزمنا الناس بما ذكروه، لزم من ذلك تكفير العوام جميعاً؛ لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد، ولو عرض عليهم هذا الطريق ما فهمه أكثرهم، فضلاً عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه أئمتهم في عقائد الدين، والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة على وظائف العبادات، وملازمة الأذكار بقلوب سليمة، طاهرة عن الشبه والشكوك. فتراهم لا يجيدون عما اعتقدوه ولو قُطِّعوا إرباً إرباً! فهنيئاً لهم هذا اليقين! وطوبى لهم هذه السلامة! فإذا كفر هؤلاء، وهم السواد الأعظم، وجمهور الأمة. فما هذا إلا طي بساط الإسلام، وهدم منار الدين! والله المستعان»^(١).

وإن من مقاصد التوحيد الكبرى، تحرر الإنسان من سيطرة الغير، ذلك «أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الله هو المحي المميت، الخافض، الرافع، والضرار، النافع.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إن الذي عوّق البشرية عن النهوض، وحال بينها وبين الرقي هو الخضوع

(١) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري...، (١٣ / ٥٠٧).

للاستبداد، سواء كان هذا الاستبداد استبداداً سياسياً للحكام والرؤساء، أم استبداداً كهنوتياً لرجال الدين والكهنوت.

وتقرير الإنسان لهذه الحقيقة، قضي على هذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التي لازمته قرونًا طوالاً^(١).

لقد لخص (ربيعي بن عامر) رسالة الإسلام في أصل التوحيد والغاية منه، عندما سأله (رستم): ما جاء بكم؟ فقال: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»^(٢).

إن (ربيعي بن عامر) قدّم رسالة الإسلام في خطاب شامل متوازن يجمع بين توحيد الله وحده، والغاية الكبرى منه وهي (العدل)، الذي يوفر للناس حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويحقق التوازن والقسط في المجتمع. وتلك هي الغاية من إرسال الرسل، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَضُرُّهُ وَيُنْصِرُهُ، وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

٢- خلل العلاقة بالتاريخ والتراث:

التاريخ هو ذاكرة الشعوب ومستودع خبراتها ووعيتها، ولا مشكلة في قراءة التاريخ وتمثّل التجارب والخبرات، بيد أن السلفية لا تكتفي بمجرد الإحالة إلى العصر الذهبي، وإنما تعتمد إلى تأسيس منهج يقنّن العلاقة بالتاريخ والتراث، مما يحول الأمر إلى استدعاء للتاريخ وقراءته بصورة أيديولوجية تستهدف صياغة الحاضر والمستقبل وفق صورة مثالية مقتطعة من الماضي.

(١) السيد سابق - العقائد الإسلامية، دار الكتب الحديثة، ط ٣، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص: ٨٢، ٨٣.

(٢) الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية - مكتبة المعارف بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج ٧، ص: ٣٩.

لقد وقعت السلفية المعاصرة في مشكلة تنزيل التاريخ على الواقع، في نقل حالة المجتمع الذي واجهه النبي ﷺ والصحابة إلى حالة مجتمع مسلم يعاني من مشكلات مختلفة، وتحتاج إلى وسائل مختلفة ومتنوعة في معالجتها.

لقد تجاوز الزمن تلك الخلافات العلمية الفرعية في مسائل العقيدة: مسائل الصفات، والتأويل، والتفويض، فإذا بهؤلاء الذين يعيشون خارج العصر يريدون إثارتها وتأجيحها من جديد، وشغل الأمة بماضيها عن حاضرها، وبأمسها عن يومها ومستقبلها.

كما أن تطبيقات معظم الجماعات السلفية المعاصرة وفي القلب منها المدخلة لمبدأ الطاعة تختلف عن الوضع التاريخي لأحمد بن حنبل؛ لأنها تأتي في ظل نشوء (حقل سياسي) حديث له تعقيداته، ولا يمكن قياس الوضع الحالي على وضع الدولة العباسية مثلاً؛ فمعظم الجماعات السلفية تقوم باختيارات تأويلية مجتزأة تجعلهم يقومون بدور وظيفي بوعي أو من دون وعي؛ لأنهم واجهوا مشكلتين: الأولى هي مشكلة الطاعة السياسية التي يرونها (مسألة عقدية) وليست مسألة عملية فقهية يمكن أن تختلف فيها التقديرات والتصرفات، رغم أن من الفقهاء الحنابلة وغير الحنابلة من رأى الخروج على الحاكم الظالم. والمشكلة الثانية التي واجهوها أنهم يتحركون في سياق حديث لا يمكن إسقاط التاريخ عليه؛ لوجود اختلافات جذرية خصوصاً أن الطاعة والخروج يكتسيان مفاهيم ووسائل جديدة سلمية وهي صلب العمل السياسي. يضاف إلى ذلك أن تركيبة السلطة والدولة وعلاقاتها بغيرها تختلف جذرياً عن تركيبة الفقه التاريخي زمن أحمد بن حنبل.

هذه المنهجية السلفية التي ترسم العلاقة بالمرحلة التأسيسية للإسلام هي التي تفسر لنا قوة حضور الماضي في الذهنية المعرفية للجماعات السلفية المعاصرة، حيث لا تزال الجزئيات تحتل موقع الكليات، والحيثيات تتغلب على

الكيفيات، وتفرض نفسها على العقل الإسلامي لتزيد من إرباكاته، والمشكلة أنه حين يصبح الطموح نحو الأفضل أسير التاريخ والماضي يذبل الإبداع، ويغلب التقليد والاتباع^(١).

٣- الخلط بين المسائل العقدية والمسائل العملية:

الأصل في الأشياء والتصرفات المتعلقة بعادات الناس ومعاملاتهم الإباحة، ومنها تكوين الجماعات أو الأحزاب، والانتخابات والمشاركة السياسية... بيد أن معظم الجماعات السلفية المعاصرة تخلط بين الأمور العقدية والأمور العملية التي مدار الاجتهاد فيها على الصواب والخطأ وليس على الكفر والإيمان أو الحلال والحرام..

فقد جعلت معظم الجماعات السلفية الموقف من الحاكم جزءاً من العقيدة، مع كونه مسألة خلافية من لدن الصحابة وحتى الآن، وكأن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم من علماء كبار ممن رأوا نقيضها لم يكونوا يعرفون الدين، وعرفه هؤلاء وحدهم.

ومن هنا حوّلوا مفهوم الطاعة السياسية إلى مفهوم عقدي مُصمّت، صار (هوية) لهم، ومسائل الهوية ترتبط بالكينونة وليست محل نقاش، كما أن التساؤل عن حدود طاعة ولي الأمر وتجلياتها، وما إذا كانت تقف عند خطوط حمراء غير مطروح عندهم^(٢).

(١) انظر: د.د. عبد الغني عماد - الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ص: ٩٩٨، ٩٩٩.

(٢) انظر: ياسر الزعاطرة - الجامية ليست لونا واحداً، مقال في (عربي ٢١) بتاريخ الأحد ١٤ إبريل ٢٠١٩م، ومعتز الخطيب - عن السلفية

الجامية والسلطة - مقال في (مدونات الجزيرة) بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠١٨ م، وسيد الغباشي - إبلاغ الحق إل الخلق، موقع منبر التوحيد والجهاد، وتصريح محمد حسين يعقوب، جريدة المصري اليوم في يوم الاثنين ٢١ مارس ٢٠١١.

٤ - الخلل في النظرة إلى الآخر:

وتجمع الهوية السلفية معظم تياراتها عمومًا في النظر إلى الآخر، ثقافيًا، وسياسيًا، وفكريًا، بوصفه عدوًا أو خصمًا أو تهديدًا، لا بوصفه مثيلًا أو تنوعًا جديدًا يمكن أن يثري الذات ويضيف إليها قيمًا وأبعادًا أخرى، أي أن السلفية بمثابة آلة دفاعية، تتجه نحو الداخل لا إلى الخارج عمومًا.

وتتمدد مساحة الآخر عند السلفية وتتوسع لكل من هو ليس سلفيًا تقليديًا، حتى لو كان يدعي الانتساب إلى السلفية ويتسمي بها؛ فالآخر إضافة إلى تلك الفرق التاريخية هو الفرق والمذاهب المعاصرة، سواء كانت داخلية أم خارجية..

ونخلص إلى أن الهوية السلفية عند معظم تياراتها غير متسامحة عمومًا تجاه الآخر؛ فهي تقوم على ثنائية الحق والباطل، والخير والشر، والصح والخطأ، وعلى مفهوم الفرقة الناجية؛ وتقرب من حكم الإطلاق لا المسطرة النسبية في قياس العلاقة مع الآخر، ولا تنظر للآخر من باب التنوع والتعددية، بل من منظور الاختلاف، ليس على قاعدة التعاون والتفاعل، بل القلق والخوف والخصومة، وفي أقل تقدير التحفظ.

إن اتجاه الهوية السلفية هو نحو الاختزال والتسطيح والانقسام لا التوسع والاجتماع.. فالسلفيون يبحثون عن حدود الاختلاف والتباين، ويرسمون عليها معالم (الأنا) و (والآخر)^(١).

٥ - عدم استيعاب منهج (السلف الصالح) في قضايا الخلاف:

لقد رأينا الاختلاف غير المحمود القائم بعض الجماعات السلفية فيما بينها من جانب، وبينها وبين الحركات الإسلامية الأخرى من جانب آخر، حتى لا تكاد تسلم جماعة من الجماعات العاملة للإسلام من هجوم السلفية المعاصرة،

(١) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢١٤ - ٢١٦.

والأخطر من ذلك أن يصل الخلاف إلى حد التلاسنات والالتهامات بالتفسيق والتبديع والتكفير، كما رأينا من السلفية المدخلية تجاه الجماعات السلفية الأخرى، وما بين السلفية الحركية والدعوة السلفية..

والحق أن الاختلاف غير المحمود معلّم «بارز عند بعض الجماعات السلفية، رغم أن القرون الثلاثة الأولى التي ينادي السلفيون بالرجوع إليها، شملت ووسعت آراء ومذاهب، ولم تكن رأيًا واحدًا ولا مذهبًا واحدًا ولا اجتهادًا واحدًا، كان كل هذا يعبر عن الانتهاء إلى منهج السلف الذي لم يكن رؤية واحدة، وكان هذا الاختلاف رحمة بالامة»^(١).

إن السلف الصالح كان من منهجهم أنهم لا يجدون في اختلاف الآراء بأسًا، بل كان بعضهم يتعقب آراء بعض، ويصحح آراء بعض، فتتعدد آراؤهم في المسألة الواحدة دون أن تؤدي تلك التعددية السمحة إلى التنازع والتنافر.

ولو أن منهج السلف (الصالح) بأطرافه تلك قد ظل يقظًا في وعي الأمة لما انبعثت الخلافات الاعتقادية من رقتها في بطون المتون وتضاعيف الحواشي، ولما أصبحت مثارًا للجدال العقيم في ساحات المساجد، وعلى قنوات الفضاء، ولا انشغلنا بها عن مواجهة الفساد والظلم وضياع الحقوق، ومجابهة الطغيان والاستبداد وسائر الآفات التي تقف عائقًا في وجه بلوغ الأمة (مرتبة الخيرية) التي أناطها القرآن الكريم بها، فما كان السلف يسكتون على ظلم، ولا يجبنون على ضيم، ولا يتخاذلون حين يدعو الداعي إلى دفع مفسدة أو رفع مظلمة^(٢)!

(١) د. بشير شمام - الفكر السلفي ماله وما عليه، ص: ١٩.

(٢) انظر: أ. د. محمد عبد الفضيل القوصي - السلفية.. الحقيقة والواقع، مجلة الأزهر، عدد رمضان ١٤٤٠هـ - مايو ٢٠١٩م، ص: ١٥٨٥، ١٥٨٦.

٦ - العجز عن تقديم مشروع إصلاحى:

فهم سلفنا الصالح الإسلام، ثم قدّموه نظام حياة وأمل جماهير، قدّموه بصورة تُثير الاقتداء، وتُغري الآخرين..

فهل قدّم المنهج السلفي المعاصر الإسلام بصورة حضارية تتواءم ومتطلبات العصر؟

إن العقل السلفي المعاصر، مازال مرتبكاً أمام أسئلة العصر الملحة، وقضايا كثيرة متعددة، تشكل تحديات كبيرة لم يقدّم إجابات مقنعة لكثير منها لأسباب: أولها: أنهم «ينظرون إلى المستقبل بعيون الماضي، وليس المقصود هنا بحث السلفي عن جذور هويته في التراث أو في العصور الأولى المثالية بالنسبة إليه، لكن في سجن الهوية في حدود الماضي، وفي حدود ما أنتجه وقدّمه على الصعيد الديني ودور الدين في المجالين الخاص والعام، وهنا يبرز التضارب الصارخ والسافر بين مقتضيات هذه الهوية والتحويلات الاجتماعية والسياسية والثقافية».

ثانيها: أنهم قد ألفوا التدريس والخطابة والعمل الدعوي، ودرجوا على ذلك سنين متوالية، فلم يكن الفكر السياسي، ولا العمل السياسي، يشغل حيزاً يُذكر ضمن اهتماماتهم واشتغالاتهم، ولم يكن يعينهم كثيراً القراءات والدراسات الفكرية والمعرفية المتنوعة.. فمسارات الاهتمام عندهم بعيدة عن أسئلة العصر وتحدياته.. وبالتالي فإجابات التيار السلفي على أسئلة العصر لم تنضج بعد؛ لأن التعامل مع العالم غير التعامل مع المساجد^(١)!

ثالثها: أن بعضهم أو أغلبهم بدلاً من أن يكونوا سبباً في إيقاظ الأمة ونهضتها، كان جل همهم امتصاص حالة الاحتقان لدى الشعوب، وإخراجهم

(١) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢١٧، وبسام ناصر - السلفية المعاصرة هل تملك إجابات ناضجة عن أسئلة العصر؟ جريدة (السبيل)، الجمعة ٢٠ يناير ٢٠١٢ م.

من الاحتجاج السلمي إلى مساحة الرضا والاستسلام، بسبب الطاعة المطلقة للحاكم.

ولا تزال الجماعات السلفية المعاصرة تفتقد تصورًا ناضجًا أمام أسئلة العصر والقضايا الشائكة، فلم تستطع أن تطرح مشروعًا إصلاحيًا، بل ما زالت تدور في حلقة مفرغة بعيدًا عن الواقع وتطور الحياة الاجتماعية والسياسية. وما زال الجدل دائرًا بين علمائها حول مشروعية العمل الجماعي وعدم مشروعيته، والمشاركة السياسية، ودخول البرلمان، وتشكيل الأحزاب...^(١).

٧- غياب منهج استقراء النصوص:

إن منهج استقراء النصوص من الأهمية بمكان؛ لأنه يراعي قواعد استنباط الأحكام، ويقوم على دراسة بعض الجزئيات للوصول إلى حكم عام، فلا استقراء دراسة لبعض الجزئيات بغية الكشف عن العلل والعلاقات التي تجمع بينها، لتصل بهذا إلى معرفة القوانين العامة أو القضايا الكلية؛ وبذلك تكون وظيفة الاستقراء هي تيسير الحصول على المعرفة العلمية.

وهذا المنهج يمكن الباحث من الإحاطة بموضوعه من جميع جوانبه، وغياب هذا المنهج كان سببًا في كثير من أخطاء العلماء؛ لأن الوقوف عند نص أو اثنين قد يوهم وجود دلالة معينة ليست هي مقصود الشارع، في حين أن استقصاء النصوص يوفر الوضوح الكامل، ويزيل كل وهم أو لبس^(٢).

وأكبر مثال على ذلك موضوع مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية، هذا الموضوع ظل قرونًا طويلة وكأنه أمر غير مشروع، وإذا تساهل البعض قال

(١) انظر: الحركات الإسلامية في الوطن العربي - جريدة (العرب)، ص: ٢٥، وحاكم المطيري - الحرية أو الطوفان، ص: ٣٠٤.

(٢) انظر: عبد الحليم أبو شقة - نقد العقل المسلم... دار القلم الكويت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ص: ١٤٠. ص: ١٤١، ١٤٠.

عنه: يجوز عند الضرورة أو الحاجة الماسة.. ولكن استقراء النصوص الصحيحة من البخاري ومسلم خاصة هي التي أعانت على إدراك الهدي النبوي وسمت بالمجتمع المسلم في عصر الرسالة..، وبينت لهم أن الأصل في ذلك المجتمع القدوة هو المشاركة.. وهذا طبعاً في حدود الآداب الشرعية التي تصون الحياة العفيفة الشريفة ولا تعطلها..^(١).

وبتلك الملاحظات المنهجية على أفكار وممارسات الجماعات السلفية المعاصرة، يتضح لنا البون الشاسع بينها وبين منهج سلف القرون الأولى من جانب، وبين روح العصر من جانب آخر، وهذا يؤكد مدى ما تعانيه السلفية المعاصرة من ثمة إشكاليات تحول بينها وبين مسيرة النهوض والتجديد، وهذا ما سنناقشه في الفصل القادم.



(١) انظر: نفس المرجع السابق، ص: ١٤١، وانظر: عبد الخليم أبو شقة - تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج١، دار القلم الكويت، ط٤، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص: ٣٦.

الفصل الثالث

إشكاليات التجديد عند السلفية المعاصرة

- المبحث الأول: الجمود الفكري.
- المبحث الثاني: التعصب الديني.
- المبحث الثالث: الغلو والتشدد.
- المبحث الرابع: الخلل في ترتيب الأولويات:
 - ◀ أولاً: الاهتمام بالمظاهر والشكليات.
 - ◀ ثانياً: الإغراق في الفروع والجزئيات.

المبحث الأول

الجمود الفكري

أولاً: الجمود على القديم:

أ- مخاطر الجمود على القديم:

إن الحرفية والجمود من أكبر إشكاليات التجديد، وذلك للأسباب التالية:

١- إن الجمود يمثل سداً منيعاً في وجه الرقي والتقدم، ذلك أن ضيق ناحية التفكير عند الفقهاء في عصر التراجع والانحطاط، جعل كثيراً من المسلمين السطحيين يظنون أن النظام الإسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم فولوا أبصارهم تجاه الغرب، ولم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث في المصادر الأصلية للإسلام ليروا موقف الإسلام الحقيقي^(١).

٢- الجمود على القديم من أكبر عوامل انحطاط المسلمين، فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئاً، ولا ترضي بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظناً منهم بأن الاقتداء بالكفار كفر، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار. فقد أضاع الإسلام جاحد وجامد^(٢)!

٣- شيوع مقولات تنشر اليأس في النفوس، تقول بأنه ليس في الإمكان

(١) انظر: محمد أسد - الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين بيروت، ط ٩، ١٩٧٧ م، ص: ٧٩، ٨٠.

(٢) شكيب أرسلان - لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ٢، د.ت، ص: ٨٨.

أبداع مما كان، وأنه لم يترك الأول للآخر شيئاً. وشاع ذلك في كل مجالات العلوم عقلية أو طبيعية أو حتى دينية. ومن هنا خرجنا نحن المسلمين من حلبة السباق وأصبحنا كما هو الحال اليوم في مؤخرة الركب»^(١).

٤- إن العقل الإنساني لا يصاب بآفة أخطر عليه من الجمود، الذي يزين له الانغلاق على مافيه، ورفض كل شيء غيره، واعتباره مقياس الحق والحقيقة في نفس الأمر. وتلك البلية يراد للعقل الإسلامي اليوم أن تصيبه آفتها، والمصيبة ليس هاهنا فقط بل يراد ذلك باسم الدين والسلفية^(٢).

ب- مظاهر الجمود في فكر السلفية المعاصرة:

تتعدد مظاهر الجمود في فكر وممارسات السلفية المعاصرة، أذكر منها:

١- الجمود على بعض مسائل العقيدة:

توقفت السلفية المعاصرة عند بعض مسائل العقيدة، وإثارة المشكلات حول قضية الذات والصفات بمناسبة وغير مناسبة، وبعث الخلافات التاريخية القديمة حول هذه القضايا من جديد، وجعلها من أصول المعتقد السلفي، يقول أحد شيوخ السلفية المعاصرة - كما مر معنا في الفصل الأول -: «وكثير من المسلمين يجهل كثيراً من هذه الأصول والقضايا فيقع في الشرك ويظن نفسه مؤمناً موحداً. والحال أنه إما أن يكون ملحدًا في صفات الله وأسمائه مؤمناً بها على وجه آخر، أو مشركاً عابداً لغير الله سبحانه وتعالى.. وبذلك يفترق السلفي عن جمهور كثير يظنون أنفسهم موحدين لله وما هم كذلك، وقد حرّفوا صفات الله، ومنعوا الناس عن الإيمان بها والتصديق بمعانيها أو بدلّوا لهم معانيها وأمرهم أن يؤمنوا بها على نحو آخر»^(٣).

(١) محمود حمدي زقزوق - الفكر الديني وقضايا العصر، ص: ٩٦.

(٢) انظر: عبد المجيد صبح - هل من السلفية ألا ندرس القرآن، ص: ٢٦.

(٣) عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية للدعوة السلفية، ص: ٢٣ - ٢٦.

إن إثارة هذه المشكلات دليل على أن أصحابها يعيشون خارج العصر ومشكلاته؛ لأن «الدعوة الوهابية التي اتجهت إليها السلفية المعاصرة وارتسمت خطاها، قامت لتعالج الشرك الشعائري الذي استشري في المجتمع الإسلامي في ذلك المكان وذلك الزمان، ونجحت تلك الدعوة نجاحاً باهراً، ولكنها لما قضت على المرض الذي وضعت إزاءه كاد أن ينتهي دورها اليوم، إذ جدت أمراض أخرى وظهرت وجوه جديدة من الشرك السياسي والاقتصادي في الجزيرة العربية وغيرها. فأفكار السلف الصالح ونظمهم قد يتجاوزها الزمن من جراء قضائها على الأمراض التي نشأت من أجلها، وانتصارها على التحديات التي كانت استجابة لها»^(١).

وإذا كان السلف الأول قد تصدى لمسائل ومشكلات عصرهم التي كادت أن تمزق وحدة المسلمين، فإن الدعوة السلفية اليوم لتحقيق وحدة المسلمين يجب عليها ألا تثير القضايا القديمة التقليدية - التي من شأنها أن توسع الفجوة بين المسلمين -، فلم تعد مشكلة المسلم المعاصر هي البحث في هل الصفات عين الذات أو غيرها..، بل أصبح من أهم الأولويات عليها أن تهتم بمشكلات العصر، وبقضايا فرضت نفسها على الواقع، ولا بد من مواجهتها بمنهج علمي وبرهاني وليس بالوعظ والإرشاد. وتلك القضايا، هي:

أ - القول بتاريخية القرآن: وتتلخص في القول بأن القرآن الكريم ليس وحياً إلهياً، وإنما هو منتج ثقافي أفرزته البيئة الثقافية التي عاشها ﷺ.

ب - القول بتاريخية الأديان: بمعنى أن الدين ظاهرة اجتماعية مثلت مرحلة تاريخية في حياة الإنسان الأول؛ حيث كان يفسر الظواهر الطبيعية تفسيراً لاهوتياً غيبياً خرافياً.

(١) أ.د. حسن الترابي - قضايا التجديد نحو منهج أصولي - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص: ١٥٨.

- ج- العلمانية (الثقافية والسياسية) وموقفها من الوحي والمقدس.
- د - وظيفة العقل بين عالم الغيب وعالم الشهادة. وكيف أرشد القرآن إلى حسن توظيف العقل في عالم الشهادة والإيمان بعالم الغيب.
- هـ- السنن الإلهية وأثرها في حركة التاريخ (سياسيًا، واجتماعيًا، وكونيًا).
- و- الإنسان وقضاياها: الإنسان في الإسلام له قيمة عظيمة كرمها الله في ذاتها بصرف النظر عن دينها وثقافتها وجنسها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ [الإسراء: ٧٠] وبنو آدم عام وشامل لكل إنسان. وهذا التكريم الإلهي له متطلباته ومقتضياته من الإنسان للإنسان، فالبنية الإنسانية التي كرمها خالقها لا يجوز لأحد إهانتها ولا النيل من كرامتها إلا بحققها الشرعي التي أقرته وحددته الشرائع السماوية...»^(١).

٢- غياب الروح المقاصدية في التعامل مع النصوص:

إن غياب الروح المقاصدية عن السلفية المعاصرة في التعامل مع النصوص، وعدم مراعاة فقه الواقع ومتغيرات الحياة؛ كما أدى إلى التنطع في دقائق العقيدة دون داع شرعي، أدى إلى التقعر لا اليسر في العبادة وإلى تجميد حركة الحياة..، وهو ما لا ينسجم مع منهج السلف القائم على اليسر، ومراعاة فقه النصوص ومقاصدها.. ولنضرب بعض الأمثلة - على سبيل المثال لا الحصر - في حرفة السلفية المعاصرة وبُعدها عن الروح المقاصدية في التعامل مع النصوص:

- أ - زكاة الفطر: روي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين^(٢).

(١) أ.د. محمد الجليند - عقيدة بلا مذاهب... المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م، ص: ٧٧، ٧٨.

(٢) صحيح البخاري (١٥٠٣)، وصحيح مسلم (٩٨٤).

وتصرّ السلفية المعاصرة إلى اليوم على أن تخرج زكاة الفطر قمحاً أو شعيراً، وترفض باستعلاء مذهب أبي حنيفة في إخراج القيمة مالاً للفقراء، مع عدم مراعاة أن القمح والشعير والتمر كانت من الأطعمة الميسورة لهم آنذاك، وأيسر على المعطي وأنفع للآخذ!

وبغلبة الجمود غاب المقصد من زكاة الفطر الذي جاء في الحديث الشريف «أغنوهم في هذا اليوم»^(١)، فالمقصود الأساسي من هذه العبادة المالية هو إغناء الفقير في هذا اليوم، يوم الفرحة والسرور، وأصل الإغناء يكون بالنقود التي تصلح لجلب جميع الحاجات من أغذية وغيرها، وليس المقصود نوعاً أو أنواعاً معينة بذاتها من الأموال، بدليل أنه عليه الصلاة والسلام جمع بين خمسة أنواع من الأطعمة: جاءت في بعض الروايات ميسورة للناس في ذلك الوقت مختلفة الوظائف: منها ما هو غذاء أساسي لسد الجوع، ومنها ما هو للتحلية والتسلية في يوم الفرحة كالزبيب.

والعجيب أن هؤلاء الجامدين وجدوا أنفسهم أمام مشكلة بالنسبة إلى القمح والشعير، فبعد ما تبدلت وسائل الناس تبديلاً عظيماً بسبب الابتكارات المذهلة خلال هذا القرن، ولم يعد القمح يتموّن ويُطحن في البيوت، فكل أسرة تشتري خبزها جاهزاً، فأتوا بإضافة الرز إلى الأصناف الخمسة التي وردت في الحديث، وهنا سقطوا في التناقض!؛ لأن حاجتهم الوحيدة في الاقتصار على الأصناف الخمسة، أن زكاة الفطر عبادة مبنية على التوقف، فكيف ساغ لهم الإفتاء في هذا العصر بإدخال الأرز مع أنه لم يرد بين الأصناف الخمسة الواردة في الحديث؟!

(١) أخرجه الدار قطني كتاب الزكاة، (٢/ ١٥٢)، رقم (٦٧)، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الزكاة، (٤/ ١٧٥)، رقم (٧٥٢٨).

والحديث إن كان ضعيفاً إلا أنه يحقق مقاصد الإغناء في هذا اليوم الذي يحصل بالقيمة التي هي أتم وأوفر؛ لأنها أقرب إلى دفع حاجة الفقير (انظر: علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، ت: ٥٨٧هـ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص: ٥٤١).

إن أي حجة أو مسوغ يلتبسونه لإدخال الأرز هي نفسها حجة لإدخال النقود التي تجلب للفقير الأنواع الخمسة ذاتها^(١)!

ولما ذهب أصحاب الاتجاه السلفي إلى الدول الغربية أفتوا المسلمين بوجوب إخراج زكاة الفطر تمرًا أو شعيرًا، وهكذا فرض الجمود تقاليد الصحراء على الناس كلهم باسم الإسلام!

ب- رمي الجمرات: في موسم الحج كان جمهور العلماء يفتي بأنه لا يجوز رمي الجمرات إلا بعد زوال الشمس. وهم يحتجون لذلك بفعل الرسول ﷺ مع أن مجرد الفعل لا يعطي حكم الوجوب، فقد يكون دليل النذب أو الإباحة. ومع ذلك فإن الحرفيين مضوا في طريقهم، وكثر القتلي في ميدان الرمي لشدة الزحام وهم لا يبالون!

ورأي الشيخ الغزالي (مالك بن نبي) يريد الرمي، ويؤجل من الزحام القاتل، فوقف بعيداً عن المرمي بمسافة شاسعة وأخذ يرمي! قيل له ما تفعل؟ قال: أنفذ قول رسول الله ﷺ «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»^(٢)، لا معنى للموت تحت الأقدام هنا، هذا ما أقدر عليه^(٣)!

ويقول أحد الفقهاء^(٤): «لا أدري ما الذي جعلهم يتشددون في عدم رمي الجمار قبل الزوال في أيام التشريق، وفيه حديث» إذا رميتم - أي جمرة العقبة الكبرى - وحلقتم فقد حل لكم الطيب وكل شيء إلا النساء «وقد ركب رسول الله ﷺ راحلته فجعل الناس يسألونه، فما سئل عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال:

(١) انظر: مصطفى الزرقا - العقل والفقه في فهم الحديث النبوي، دار القلم دمشق، ط ٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص: ٥٨، ٦٧.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم، انظر الحديث (التاسع) في جامع العلوم والحكم لابن رجب.

(٣) انظر: محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية...، ص: ٧١.

(٤) الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود من علماء قطر، ت: ١٤١٧هـ.

«افعل ولا حرج»^(١). فرفع الحرج عن الناس في جميع ما قدّموه أو أخرّوه من بقية مناسك الحج.

والحديث صحيح وهو نص صريح في جواز تقديم رمي الجمار قبل الزوال أو تأخيرها عنه فيجوز رميها في أية ساعة شاء من ليل أو نهار^(٢).

قال أحد العلماء: عدّد بعضهم الأشياء التي سُئِلَ عنها رسول الله ﷺ حتى أوصلها إلى ٢٤ مسألة، ثم قال: أليس هذا دليلاً على أن كل فعل طُلب من المكلف ولم يرد عن النبي ﷺ شيء يحدّد كلفه أو ترتيب بعضه على بعض، يكون الأمر فيه واسعاً؟^(٣).

ج- الحساب الفلكي: حدث أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال أو قال أبو القاسم: «صوموا لرؤيته، فإن غُبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»^(٤).

وحجة المتمسكين بالرؤية البصرية دون الأخذ بالحساب الفلكي في تحديد أوائل الشهور القمرية، أن جميع الروايات الواردة عن النبي ﷺ في هذا الشأن قد ربط فيها الصوم والإفطار برؤية الهلال الجديد. وأن التقدير عندما تمتنع الرؤية البصرية لعارض يحجبها من غيم أو ضباب أو مانع آخر معناه إكمال الشهر القائم - شعبان أو رمضان - ثلاثين يوماً، فلا يحكم بأنه تسع وعشرون إلا بالرؤية. وهذا من شؤون العبادات التي تبني فيها الأحكام على النص تبعداً دون نظر إلى العلل، ولا إعمال للأقيسة.

(١) صحيح البخاري (٨٣)، وصحيح مسلم (١٣٠٦).

(٢) انظر: محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية...، ص: ٧٢.

(٣) انظر: د. عبد الجليل عيسى - ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، ص: ٦١. وانظر: المرجع السابق، ص: ٧٢.

(٤) الحديث متفق عليه، انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، رقم (٦٥٦).

وكل ما قيل مُسلمٌ به، وهو معروف في قواعد الشريعة وأصول فقهاها بشأن العبادات ولا مجال للجدل فيه. ولكنه مفروض في النصوص التي تلقي إلينا مطلقة غير معللة، فإذا ورد النص نفسه معللاً بعلّة جاءت معه من مصدره فإن الأمر حينئذٍ يختلف، ويكون للعلّة تأثيرها في فهم النص وارتباط الحكم بها وجوداً وعدماً في التطبيق، ولو كان الموضوع من صميم العبادات.

ولكي تتضح الصورة، فإن الحديث النبوي الآنف الذكر ليس هو النص الوحيد في الموضوع، بل هناك روايات أخرى ثابتة عن الرسول ﷺ توضح علّة أمره باعتماد رؤية الهلال البصرية للعلم بحلول الشهر الجديد الذي نيّط به التكليف والأحكام، من صيام وغيره.. ولكن الرواية التي أكملت الصورة وأوضحت العلّة، فارتبطت أجزاء ما ورد عن الرسول في هذا الشأن بعضها ببعض هي، أن رسول الله ﷺ قال: «إنا أمة أمّية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا»^(١) يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين..

فهذا الحديث النبوي هو عماد الخيمة وبيت القصيد في موضوعنا هذا، فقد علّل رسول الله ﷺ أمره باعتماد رؤية الهلال بصرية لبدء الصوم والإفطار بأمية الأمة التي لا تكتب ولا تحسب، فما من سبيل لديها لمعرفة حلول الشهر ونهايته إلا رؤية الهلال الجديد ما دام الشهر القمري يكون تارة تسعة وعشرين وتارة ثلاثين. وهذا ما فهمه شراح الحديث من هذا النص، وقال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: «لا نكتب ولا نحسب» بالنون فيهما، والمراد أهل الإسلام الذين بحضرته في تلك المقالة، وهو محمول على أكثرهم؛ لأن الكتابة كانت فيهم قليلة نادرة، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها، ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا النذر اليسير، فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير..»^(٢).

(١) الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر رضيهما الله عنهما، اللؤلؤ والمرجان...، كتاب الصيام، رقم (٦٥٥).

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري، ج٤ / ١٢٧.

وواضح من هذا أن الأمر باعتماد رؤية الهلال ليس لأن رؤيته هي في ذاتها عبادة، أو أن فيها معنى التعبد، بل لأنها هي الوسيلة الممكنة الميسورة إذ ذاك، لمعرفة بدء الشهر القمري ونهايته لمن يكونون كذلك، أي أميين لا علم لهم بالكتابة والحساب الفلكي.

وواضح أيضاً لكل ذي علم وفهم أن أمر الرسول ﷺ بإتمام الشهر القائم ثلاثين حين يغم علينا الهلال بسبب ما حاجب للرؤية من غيم أو ضباب أو غيرهما، ليس معناه أن الشهر القائم يكون في الواقع ثلاثين يوماً، بل قد يكون الهلال الجديد متولداً وقابلاً للرؤية لو كان الجو صحواً. وحينئذ: يكون اليوم التالي الذي اعتبرناه يوم الثلاثين الأخير من الشهر هو في الواقع أول يوم من الشهر الجديد الذي علينا أن نصومه أو نفطر فيه. ولكن لأننا لا نستطيع معرفة ذلك من طريق الرؤية البصرية التي حجبت ولا نملك وسيلة سواها، فإننا نكون معذورين شرعاً إذا أتممنا شعبان ثلاثين يوماً وكان هو في الواقع تسعة وعشرين، فلم نصم أول يوم من رمضان، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها بنص القرآن العظيم.

وما دام من البديهيات أن رؤية الهلال الجديد ليست في ذاتها عبادة في الإسلام، وإنما هي وسيلة لمعرفة الوقت، وكانت الوسيلة الوحيدة الممكنة في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب وكانت أميتها هي العلة في الأمر بالاعتماد على العين الباصرة، وذلك بنص الحديث النبوي مصدر الحكم، فما الذي يمنع شرعاً أن نعتمد الحساب الفلكي اليقيني، الذي يعرفنا مسبقاً بموعد حلول الشهر الجديد، ولا يمكن أن يحجب علمنا حينئذ غيم ولا ضباب إلا ضباب العقول؟!!

ولا شك أن اعتماد الحساب الفلكي أوثق وأضبط في إثبات الهلال من الاعتماد على شاهدين ليسا معصومين من الوهم وخداع البصر، ولا من الكذب لغرض أو مصلحة شخصية مستورة، مهما تحرينا للتحقق من عدالتهما الظاهرة

التي توحى بصدقهما، وكذلك هو أوثق وأضبط من الاعتماد على شاهد واحد عندما يكون الجو غير صاح والرؤية عسيرة، كما عليه بعض المذاهب المعتمدة في هذا الحال.

أما ما يُحتج به من رفض العلماء المتقدمين لاعتماد الحساب الفلكي لمعرفة أوائل الشهور القمرية ونهايتها للصيام والإفطار، فهو رفض مفهوم ومقبول؛ لأن الفقهاء الأوائل واجهوا مشكلة خطيرة في عصرهم وهي الاختلاط والارتباط الوثيق إذ ذاك في الماضي بين العرافة والتنجيم والكهانة والسحر من جهة، وبين حساب النجوم بمعنى علم الفلك من جهة أخرى.

فيبدو أن كثيراً من أهل حساب النجوم كانوا يشتغلون بتلك الأمور الباطلة التي نهت عنها الشريعة أشد النهي؛ لما يترتب عليها من مفسد خطيرة، أشدها، هي انسياق الناس إلى التعويل على أولئك المنجمين والعرافين الذين يحترفون الضحك على عقول الناس بأكاذيبهم وترهاتهم وشعوذاتهم^(١).

وهذا هو السبب الذي جعل شيخ الإسلام ابن تيمية قد اشتدّ على من يقول باعتماد الحساب في الأهلة، وشنّ عليه في قوله: «فمن كتب أو حسب لم يكن من هذه الأمة في هذا الحكم، بل يكون اتبع غير سبيل المؤمنين». واحتج في عدم جواز اعتماد الحساب الفلكي بقوله: «إن الله سبحانه لم يجعل لمطلع الهلال حساباً مستقيماً، ولم يضبطوا سيره إلا بالتعديل الذي يتفق به الحساب على أنه غير مطرد وإنما هو تقريب»^(٢).

أما اليوم في عصرنا هذا الذي انفصل فيه منذ زمن طويل علم الفلك بمعناه الصحيح، عن التنجيم بمعناه العرفي من الشعوذة والكهانة واستطلاع الحظوظ

(١) انظر: مصطفى الزرقا - العقل والفقه في فهم الحديث، ص: ٧٦-٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٦.

(٢) ابن تيمية - مجموع الفتاوى، (ج ٢٥ / ١٨٣، ١٦٥، ١٧٤).

من حركات النجوم، وأصبح علم الفلك قائماً على أسس من الرصد بالمراسد الحديثة والأجهزة العملاقة التي تكتشف حركات الكواكب من مسافات السنين الضوئية، وبالحسابات الدقيقة المتيقنة التي تحدد تلك الحركات بجزء من مئات أو آلاف الأجزاء من الثانية، وأقيمت بناء عليه في الفضاء حول الأرض محطات ثابتة، تستقبل مركبات تدور حول الأرض.. الخ، فهل يمكن أن يشك بعد ذلك بصحته ويقين حساباته، وأن يقاس ما كان عليه من البساطة والظنية زمن أسلافنا رحمهم الله؟

إننا على يقين - كما قال أحد فقهاء العصر - أن علماء سلفنا الأولين، الذين لم يقبلوا اعتماد الحساب الفلكي للأسباب التي ذكرناها آنفاً لو أنهم وُجدوا في عصرنا هذا، وشاهدوا ما وصل إليه علم الفلك من تطور وضبط مذهل، لغيروا رأيهم، فإن الله قد آتاهم من سعة الأفق الفكري في فهم مقاصد الشريعة ما لم يؤت مثله أتباعهم المتأخرين^(١)!

إن من الجمود والجحود اليوم، رفض علم الفلك، والاستفادة منه في توحيد صيام المسلمين، والخروج بهم من مشكلة إثبات الهلال، ومن الفوضى التي أصبحت مخجلة كل عام، وتُظهر المسلمين على غير حقيقة الإسلام.

ولعل ما تقدم ونراه اليوم واضحاً من مظاهر الجمود في فكر الجماعات السلفية المعاصرة عامة، هو من بقية آثار البيئة التي تجذر فيها هذا الفكر السلفي حين عانى أتباع حركة ابن عبد الوهاب في نجد على أنواعهم وتعذبوا ضميراً إلى أن أصدرت فتوى تبيح الراديو بناء على طلب ولي الأمر، وإقناعهم بصوت الراديو يبث آيات من القرآن الكريم، وأنه ليس صوت الشيطان، وأخرى تبيح الدراجة الهوائية، وهكذا.. ولا غرو فالحركة نشأت في إقليم صحراوي على بُعد قرون من الترجمة والانفتاح الثقافي الذي عاشته الحضارة الإسلامية..^(٢)!

(١) انظر: مصطفى الزرقا - العقل والفقه في فهم الحديث..، ص: ٧٢، ٨٨.

(٢) انظر: عزمي بشارة - في الإجابة عن سؤال: ما السلفية؟، ص: ١١٨، ١٣٨.

والخلاصة: أن الجمود هو العقبة الكؤود أمام الإصلاح والتجديد؛ بل أمام الإسلام ذاته؛ لأن «الإسلام مع الركود والتقليد والتعصب بقي مجرد تاريخ يُروى في متاحف الآثار والحضارات، وقصاري أمره أن يأرز إلى دور العبادة، أو يُذكر به في المواسم والمآتم والجنائز على القبور، وهذا المصير البائس لا يزال يَشكِّل أملاً لذيذاً، وحُلماً وردياً يُداعب خيال المتربصين في الغرب والشرق بالإسلام وحده دون سائر الأديان، ومن هؤلاء مَنْ ينتمي إلى هذا الدين باسمه وبمولده»^(١)!

* * *

(١) الإمام أحمد الطيب - كلمة شيخ الأزهر في مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي، ٢ - ٣ من جمادي الآخرة سنة ١٤٤١هـ - ٢٧ - ٢٨ من يناير سنة ٢٠٢٠ م، (مجلة الأزهر عدد رجب ١٤٤١هـ - مارس ٢٠٢٠ م، ص: ١٠٥٥).

المبحث الثاني

التعصب الديني

أ- مخاطر التعصب الديني:

التعصب الديني: عرفه بعض العلماء بأنه ضيق أفق وهوى ذهني يجعل المتعصب لا يري إلا فكره ويلغي أي فكر آخر على الوجود^(١). والتعصب مرض عقلي ونفسي خطير، بل هو أشد خطرًا، وأبلغ أثرًا من كافة الأمراض العضوية! ولا يعقل ذلك إلا العالمون...، وهو ناتج عن التقليد الساذج الأعمى للآخرين، من المسلمين أو الغربيين، السابقين أو المعاصرين.

ويمكن استخلاص الأخطار التي تنجم عن التعصب وتدمر الفرد والمجتمع، على النحو التالي:

١- التعصب يقتل روح الإبداع والتطور، حيث يساعد على قتل روح الإبداع لدى الأفراد ويقلل من فرص التطور في المجتمع مما يساعد على تراجع الأمة الإسلامية.

٢- التعصب ينشر الجهل والتخلف في المجتمع، بالمساهمة في رفع مستوى الجهل لدى الأفراد، ونشر التخلف في المجتمع..

٣- التعصب يعزز العداوة والعزلة بين أفراد المجتمع؛ وأن معظم التعصب سببه الجهل وضعف الاتصال، ومن هنا فإن علينا التفكير في الوسائل التي تساعد على الاتصال الفعال.

(١) نسبة المطوع - التعصب مدمر الحضارات، ضمن أبحاث مؤتمر الوسطية منهج حياة، مايو ٢٠٠٥م، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

٤- التعصب يؤدي إلى إزهاق الأرواح والأنفس: وهذا ما نلاحظه في واقعنا اليوم، حيث أن كثيراً من جماعات العنف التي تتعصب لرأيها قد تحمل السلاح تقاتل به معارضيها..^(١)

ومما يؤسف له أنه لا تكاد تخلو جماعة من الجماعات الإسلامية اليوم من التعصب بنسب متفاوتة، فعقيدة النقاوة والاكتفاء الفكري الذاتي تهيمن على أغلبهم، كما أن معظمهم يدّعي فكرة التماهي مع الرسول ﷺ ومع الصحابة! بين مسؤول كبير لجماعة كبيرة موقفه من الدعوات المختلفة، في قوله: «وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحباً به، وما خالفها فنحن براء منه. ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطية لا تغادر جزءاً صالحاً من أي دعوة إلا ألت به وأشارت إليه»^(٢).

ب- التعصب الديني لدى السلفية المعاصرة:

التيارات السلفية المعاصرة غنية عن بيان تأصل هذا الداء فيها، فهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة في نظر أنفسهم، ويكاد ينحصر نقد السلفية لذاتها في الهامش المترامي الأطراف، فمرض النقاوة في أعلى تجلياته ذو شخصية سلفية للأسف الشديد»^(٣).

(١) انظر: ماهر أحمد السوسي، ومحمد كمال السوسي - التعصب المذموم وأثره على العمل الإسلامي، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الذي تعقده كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بغزة يوم ٥، ٤ / ٣ / ٢٠١٣ م، بعنوان: العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه، منشور على الموقع الرسمي لماهر السوسي في ١٣ مارس ٢٠١٣ م.

(٢) حسن البنا - مجموعة الرسائل، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٢ هـ - ١٩٩٨ م، رسالة دعوتنا ص: ١٩.

(٣) أحمد سالم - أين الخلل؟، مقال في مدونات الجزيرة في ١٢ / ٨ / ٢٠١٦..

والألباني يقول: أن الذي يتنسب إلى السلف الصالح؛ فإنه يتنسب إلى العصمة على وجه العموم»^(١).

وهذا شيخ من شيوخ السلفية المعاصرة يجعل الجماعة السلفية هي جماعة المسلمين في قوله: «القول بأن الجماعة السلفية واحدة من الجماعات الإسلامية قول غلط، فهي الجماعة الوحيدة التي يجب اتباعها، والسير على مناهجها، والانضمام إليها، والجهاد معها، وما عداها، فإنه لا يجوز الانضمام إليه؛ لأنه من الفرق الضالة»^(٢)!!

وعلى هذا النهج نجد أحد شيوخ السلفية في مصر يذهب إلى أن الطائفة الظاهرة: هي الفرقة الناجية، وهم أهل الحديث، وأهل الأثر.. ولا يكفي اسم الإسلام حتى تكون من الناجين يوم القيامة؛ لأن الأمة تفرقت إلى ثلاث وسبعين فرقة، فلا بد أن تكون مسلماً على معتقد أهل السنة والجماعة، وعلى فهم أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة^(٣).

كما يسير على هذا النهج أحد شيوخ السلفية في الكويت حيث يري أن السلفية هي المنهج الوحيد لفهم الإسلام والعمل به، وهي تفرق عن كل ما عداها من دعوات الإصلاح الجزئية التي تنسب إلى الإسلام، وهي دعوة الرسل وعلى رأسهم محمد ﷺ، ولذلك كان المنطلق السلفي هو المنطلق الصحيح السليم^(٤).

ج- احتكار السلفية المعاصرة للفرقة الناجية:

السلفية المعاصرة تنطلق بهذا المفهوم المحصور في جماعتهم دون غيرها، من حديثين شريفيين، الحديث الأول: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا

(١) الألباني - مجلة الأصالة، العدد التاسع، ص: ٨٦، ٨٧.

(٢) صالح بن فوزان - السلفية والجماعات الإسلامية، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط ٢٠٠٨، ص: ١٣.

(٣) انظر: أحمد فريد - السلفية قواعد وأصول، ص: ٨ - ١٠.

(٤) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - الأصول العلمية للدعوة السلفية، ص: ٥٩، ٦٧، ٧٠.

يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١)، والحديث الثاني: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتي وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال هم الجماعة»^(٢)، وفي رواية أخرى «ما كان على ما أنا عليه، وأصحابي»^(٣).

وقد وردت روايات أخرى لهذا الحديث بصيغ مختلفة في عدد الفرق، وتقرير الحكم في مصيرها..، مما جعله مثاراً للجدل بين الصحة والضعف^(*).

يتفق السلفيون على أن «هناك منظومة مفاهيم عقدية واحدة من التزامها؛ فهو من الفرقة الناجية، ويرون أنهم من يلتزمون بها وأن غيرهم لم يلتزمها وهو من الفرق النارية، وإن كانوا قد يختلفون في بعض أجزاء هذه المنظومة بعد ذلك اختلافاً يرجع لتنازعهم هم أنفسهم في تعيين مذهب السلف»^(٤).

وحديث الفرقة الناجية من أكثر الأحاديث إثارة للجدل، سواء فيما يتعلق بمدى صحته أو ضعفه، أو بما يترتب على قبوله والعمل به، وقد اشترك في الجدل من حوله عدد كبير من العلماء والمفكرين من رجال الحديث والفقه والمتكلمين ودارسي الفقه والمذاهب الإسلامية، فدافع عن صحته قوم، وضعفه آخرون، وسعي فريق ممن قبله واعتقد صحته - مع إدراك المخاطر المترتبة على العمل به

(١) الحديث متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣ / ١٣) الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (٦٥ / ١٣) الإمارة.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٣، ٥٠٤ / ٢)، والدارمي (٢٤١ / ٢)، وأحمد (١٠٢ / ٤)، والحاكم (١٢٨ / ١)، وقال (ابن تيمية): هو حديث صحيح مشهور، وذكره الألباني في (الصحيحة) برقم (٢٠٤).

(٣) حديث حسن، رواه الترمذي (٢٦٤١)، وقال: هذا حديث مفسر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، والحاكم (٤٣٠ / ١).

(*) انظر: عبد الله السريحي - حديث افتراق الأمة، مجلة الاجتهاد بيروت، العدد التاسع عشر، السنة الخامسة ربيع ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص: ٨٩.

(٤) أحمد سالم، وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٥٣.

حسب التأول الشائع - إلى تأويله تأويلاً آخر بحيث تصبح النتائج المترتبة عليه أقل خطورة، والبعض الآخر شكك في صحة الزيادات التي ألحقت بالحديث في رواياته المختلفة والتي تمثل موضوع الجدل ومصدره^{(١)(*)}.

ومن أبرز العلماء الذين رفضوا صحة حديث افتراق الأمة ابن حزم في قوله: «ذكروا حديثاً عن رسول الله ﷺ أن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة» وحديثاً آخر «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار حاشا واحدة فهي في الجنة»، وهذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به؟^(٢)!

وقال محمد بن الوزير: «إياك والاعترا ب (كلها هالكة إلا واحدة) فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة، لا يؤمن أن تكون من دسيسة الملاحدة»^(٣). وقال الشوكاني: «أما زيادة كونها في النار إلا واحدة فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم: إنها موضوعة»^(٤).

ولو صح حديث (الفرقة الناجية) فالحق مفرق في أمة محمد لا يجمعه كله واحد بعينه ولا جماعة بعينها، ولا يفوت جميعه الأمة كلها حتى لا يدركه منهم أحد، فالحق كله فيهم كلهم... وإذا وعي المسلمون ذلك كانوا كلما عملوا

(١) انظر: عبد الله السريحي - حديث افتراق الأمة...، ص: ٩٥.

(*) وممن شكك في صحة الحديث: أحمد بن علي مطير الحكمي العامري (ت. ١٠٦٨ هـ) أحد علماء اليمن في القرن الحادي عشر الهجري، وأفرد له رسالة بعنوان (إدحاض حديث افتراق الأمة). انظر: نفس المرجع، ص: ٩٥.

(٢) ابن حزم - الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي القاهرة، د.ت، ج ٣، ص: ١٣٨.

(٣) ابن الوزير - العواصم والقواصم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٢، ١٩٩٢ م، ج ١، ص: ١٨٦.

(٤) الشوكاني - فتح القدير، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ٢، ص: ٥٦. وانظر: عامر الحافي (د) - قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، - مجلة إسلامية المعرفة - الفكر الإسلامي المعاصر حالياً -، السنة السادسة عشرة، العدد ٦٣، شتاء ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ص: ١١١، ١١٢.

تقاربوا، وإذا غفلوا عن ذلك كانوا كلما عملوا هدم بعضهم بعضاً، «يقول (النووي) حاكياً عن عياض: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل يكونون متفرقين في أقطار الأرض»^(١).

وقد ترتب على قبول حديث الفرقة الناجية نتائج سلبية بالغة الخطورة، أضرت بالأمة الإسلامية وبوحدتها، ولا تزال تلك الآثار تفعل فعلها في جسم الأمة حتى اليوم، ومعظم تلك النتائج لم تأت بفعل الحديث نفسه - سواء أكان الحديث صحيحاً أو غير صحيح - بل بفعل الفهم والتأويل الخاطيء للحديث، وكذلك من التخصيص الخاطيء لعمومه، ويمكن القول إن الفهم للحديث الذي استُخدم واستُغل كأحد أدوات الصراع بين الفرق وبين السلطة وفيما بينها هو الذي خلف الافتراق، وعمقه..

ومن أهم هذه النتائج الخطيرة:

- ١- تبرير حالة الانقسام، وإضفاء الشرعية عليها.
- ٢- خلق وتكريس ظاهرة الرأي الواحد، والفكر الواحد، والمذهب الواحد..
- ٣- استفحال ظاهرة التعصب المذهبي وعدم التسامح، التي كان لها أبلغ الأثر في ترسيخ وتعميق الفرقة..
- ٤- تركت وراءها رواسب هائلة من الصراعات والأحقاد لا تزال الأمة تقاسي من وطأتها وتعاني من آثارها السلبية حتى اليوم.
- ٥- أصبح مثل هذا التراث بمثابة المورد الذي يستقي ويستمد منه - اليوم -

(١) انظر: شرح النووي على مسلم، (١٣ / ٦٧)، وانظر: أحمد سالم وعمر بن بيسوني - ما بعد السلفية، ص: ٦٧.

دعاة الفرقة وأنصار التجزئة ومرضي التعصب؛ إذ زادهم اندفاعاً لإثارة وإحياء تلك النعرات القديمة..^(١).

ومع هذه النتائج السلبية الخطيرة التي أضرت بالأمة، وبوحدتها، نرى جماعات من المسلمين لا يزالون يصرون على إحياء المعارك والصراعات القديمة، ويبحثون عن أسوأ صيغة للعلاقة مع الفرق والمذاهب الإسلامية، في الوقت الذي أخذ فيه أتباع الفرق والمذاهب الدينية لدى أهل الكتاب بالتقارب، والبحث عن أسباب الوحدة والالتقاء، والمراجعة الشاملة وإعادة النظر في الصراعات والنزاعات، التي وقع فيها أسلافهم في القرون الوسطى!

وهذا ما يثير تساؤلات عميقة حول دور القيم والتصورات التوحيدية في حياة المسلمين، وكيف لهم أن يتمثلوا إقامة الكلمة السواء بين أهل القبلة الواحدة وأتباع ديانة التوحيد؟

د- قراءة تقويمية لحديث الفرقة الناجية:

ولكي نتمثل الكلمة السواء بين أهل القبلة الواحدة، ومدافعة التعصب بينهم، يجب علينا قراءة حديث (الفرقة الناجية) في ضوء الأسس التالية:

١- إن السبيل إلى الله ليس ضيقاً، أو مقصوراً على فئة محددة تعادي الخلق ولا ترى فيهم غير الباطل والضلال، فالطريق إلى الله يبدأ بحب الخير للناس، والتواضع أمام الحقائق الكبرى التي لا يخلو الحديث عنها من الصعوبة والاختلاف، وبحسب كل عاقل أن يتذكر عندما يعجز عن إيجاد الحلول الواقعية للفرقة والتنازع بين المسلمين، ما قاله الله تعالى بعد أن ذكر الأديان المتعددة: ﴿.. فَأَلَّهٖ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣].

٢- إن ادعاء النجاة لفئة من الناس دون غيرهم يتنافى مع العدالة الإلهية،

(١) انظر: عبد الله السريحي - حديث افتراق الأمة...، ص: ١٢٢ وما بعدها بتصرف كبير.

والابتلاء المتكافئ لعموم الخلق ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. فضلاً عن أن المسلم لا يضمن لنفسه الجنة والنجاة عندما يقضي على غيره بالهلاك، وإنما يستحق المسلم النجاة عندما يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، ويتمنى له الصلاح والنجاة، فالارتقاء إلى مستوى دفع السيئة بالحسنة، ومخالقة الناس بخلق حسن، هو الذي يعطي لمشروع التقريب بين الجماعات الإسلامية أساسه الأخلاقي وروحه التوحيدية.

٣- إن إعادة النظر في فحوى مقولة: «الحق واحد وهو مع فرقة واحدة بعينها»، يعد من المقدمات التأسيسية لفهم أصول المشكلة التي تعود إلى أنماط التفكير الأحادي الإطلاقي، الذي يغلب على عقول معظم الناس. إن الاغترار بالحق يمثل منزلاً خطيراً يقع فيه أتباع الفرق من الذين انقطعت هماتهم عن الوصول إلى غير ما بين أيديهم من المعرفة، وهؤلاء يقعون بقصد أو دون قصد في تقديس آرائهم ومقولاتهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿... وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

٤- إن القراءة التوحيدية لحديث افتراق الأمة، توجب مراعاة أن الوحدة هي الأصل والمقصد، وأن الانطلاق منها يمثل قاعدة أساسية للتقريب بين المختلفين، وهذا يقتضي العمل على امثال ما جاء في الآيات القرآنية من نهي عن التنازع والافتراق، ودعوة إلى الإصلاح والاعتصام بحبل الله، وإنصاف الخصوم، والحث على الصدق والنزاهة في فهم أسباب النزاع والاختلاف وتحليلها وعلاجها.

٥- إن من مقتضيات رسالة الإسلام أن تكون الأمة الإسلامية رحمة للمسلمين؛ حتى تكون رحمة للعالمين، وهذا لن يتحقق إلا بتفعيل فقه الاختلاف وترشيد مساره، بإحياء غاياته وأدواته، فيكون عنوانه ومقصده الوحدة، وغايته الكبرى الرحمة، وأدواته المراجعة ونقد الذات^(١).

(١) انظر: د. عامر الحافي - قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، ص: ١٢٧ وما بعدها بتصرف كبير.

هـ- دوافع اعتقاد السلفية المعاصرة أنها الفرقة الناجية:

إن اعتقاد السلفية المعاصرة أنها (الفرقة الناجية)، وأنها وحدها دون غيرها من المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى، على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه!، يتمثل في الأسباب التالية:

١- احتكار مصطلح (السلفية):

لقد احتكرت السلفية المعاصرة مصطلح السلفية، وقدموا أنفسهم على أنهم المسلمون الحقيقيون حماة التوحيد ونهج السلف وحراس العقيدة. ومع تركيزهم على نشر فهم نقي للإسلام والحفاظ على هذه الصورة، فإنهم يميلون إلى عدم الاختلاط بغير السلفيين ويدعونهم.. وهذه الإشكالية تأتي من أن السلفية المعاصرة وغيرها من معظم الجماعات الإسلامية الأخرى، تطابق بين فهمها وبين الدين ذاته - وإن كانت نبرة الاستعلاء والتعصب عندها أعلى وأوضح -، وهي غالباً تعطي نفسها دوراً تاريخياً استثنائياً بناء على هذا الفهم، وتماهي بين أحوالها وأحوال النشأة الأولى للإسلام وبالتالي يصعب بعدها رؤية المسار..

ومن ثم ترى السلفية المعاصرة أن منهجها هو «منهج الإسلام نفسه، والطريق القويم والسبيل القاصد، البيئة معاملة، المأمونة عواقبه، وهو صراط الله المستقيم وحبله المتين الذي أمرنا الله باتباعه في قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»^(١). ولذا تعتقد أنها المقصودة بالأحاديث الخاصة بالجماعة والفرقة الناجية والطائفة المنصورة!!

(١) انظر: عزمي بشارة - ما السلفية؟، ص: ٨٦، ود. جاسم سلطان - الجماعات بين التنظيم ومطرقة الدول، موقع مشروع النهضة في ٩ / ٤ / ٢٠١١ م، ود. مفرح القوسي - المنهج السلفي (تاريخه، مجالاته، قواعده، خصائصه)، دار الفضيلة، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ص: ٤٣.

٢- الشعور بالاستعلاء والتميز:

كلما زاد وهم التطابق - كما سبق - تم استشعار الاستعلاء عن بقية الأمة، وازدادت العزلة، واتجه الموضوع إلى التشكيل الطائفي بدلاً من التشكيل الخادم للأمة، وكلما تم طلب الريادة كلما زاد إقصاء الآخرين عنها، وبالتالي تخلّقت الفرقة^(١).

نرى ذلك واضحاً في نبرة التميز العالية لأحد شيوخ السلفية وهو «ينصح أهل السنة أن يتميزوا، وأن يبنوا لهم مساجد، ولو من اللبن، أو من سعف النخيل، فإنهم لن يستطيعوا أن ينشروا سنة رسول الله ﷺ إلا بالتميز، وإلا فالمبتدعة لن يتركوهم ينشرون السنة»^(٢).

ولذا نرى انتشار ما يعرف بمساجد (التوحيد) في مصر رغبة في التميز، والتي لا تفرق عن المساجد العادية إلا في عدد درجات المنبر، وعدم وجود محراب فيها، وهذا ليس أكثر من تفعيل للشقاق المجتمعي، وعزل الناس عن تعلم السنة والخير في مساجدهم، ووضع لحاجز غير واجب ولا جائز في الشرع بين المسلمين بشيء فوق عقد الإسلام فيما يستوي فيه المسلمون بمجرد عقد الإسلام.

وهذا يعبر عن حالة من الاستعذاب والالتذاذ في الأوساط السلفية بمخالفة المجتمع، والشعور بالعزلة، والفكر السلفي المساعد على النشوة بالشعور بالطهورية والنقاوة، رغم أن من صفات المؤمنين أنهم يألفون ويؤلفون.

وينتج عن هذا كثير من الإشكالات والصراعات الأسرية التي تقع عند التزام الشاب السلفي، الذي يبدأ بالتطلع حوله، ورفع حالة الالتزام الذي يقتضيه أن يتعامل مع الجميع بمنطق العصاة، الذين ينقم عليهم غفلتهم وتقصيرهم وقلة اكترائهم بالدين^(٣).

(١) انظر: جاسم سلطان - أزمة التنظيمات، ص: ١٧٥.

(٢) انظر: مقبل الوداعي - تحفة المجيب، دار الآثار بصنعاء، ط ٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص: ٢٠٨، وأحمد سالم وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٥٩٩.

(٣) انظر: أحمد سالم وعمرو بسيوني، ص: ٥٩٩، ٦٠١.

٦- تلبس الفكر بالدين ذاته:

عندما يتلبس الفكر بادعاء التماهي مع الدين، يصبح عصياً على المراجعة والنقد، وعندما لا يطرح المسلم أفكاره بوصفها اجتهاداً، أو رأياً، أو اقتراحاً فيها ما في اجتهادات البشر من القصور والمحدودية، بل يضيف عليها وعلى نفسه إطلاقية الوحي وكماله، وعصمة مَنْ نزل عليه، فإن هذا يجرّه إلى إصدار الأحكام والاستنتاجات المطلقة بدل فتح باب الاحتمالات، وأخذ الأمور فهماً ومواجهة، من منطلق النسبية والأولويات..»^(١).

وهنا تكمن الخطورة عندما يحسب أحد الناس أن رأيه دين، وأن ما عداه ليس بدين، وأن يجمد على ما عنده جموداً قد يضرّ بالإسلام كله ويصدّع وحدته. وتنفيراً من هذا المسلك نقرأ قوله تعالى: ﴿... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ﴾^(٢) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿[الروم: ٣١، ٣٢].

ومن ثمَّ «أصبحت النصوص التي وردت في جماعة المسلمين الكبرى أو الأمة تُستدعي باعتبار أن محل تنزلها هو هذه التجمعات التي تحتزن الإسلام الحق، ومع وفرة الآيات القرآنية على تعدد سياقاتها ووفرة النصوص الحديثية بمختلف درجات صحتها، أصبحت النصوص، مثل: الفرقة الناجية، ومفارقة الجماعة، ووجوب البيعة، وطاعة الإمام، والولاء والبراء تحتل مكاناً كبيراً في تكييف علاقات الجماعة مع أفرادها وعلاقتها بمحيطها»^(٣).

٧- الفكر المعرفي وقصور الفكر:

غالبًا ما يقع في هذا مرض التعصب من هم قليلو العلم كثيرو الإعجاب

(١) د. سعد الدين العثماني - فقه مراتب الأعمال، ص: ٨٥.

(٢) انظر: محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية..، ص: ٨٧، ود. جاسم سلطان - أزمة التنظيمات الإسلامية، ص: ٥٠.

بذواتهم، والاعتزاز بعقولهم؛ إذ يظنون أن ما فهموه مما قرأوا هو الصواب المطلق!، لذا يصعب عليهم قبول النصيحة أو المراجعة.

إنّ «الفقر المعرفي عند عوام السلفيين وهم أغلب التيار رغم شعارات العلم والتعلم سبب أساسي من أسباب ذلك العزل المجتمعي المتعمد. فالسلفي ينزل كل ذنب في الدين بمنزلة أعظم ذنب فيه، فالخليق والمدخن والمقصرة في حجابها، كل هؤلاء عنده من نفس جنس المنافقين والزناة والسكرارى، إن لم يكن بلسان المقال فبلسان الحال، هناك تركيز مظهري كامل في نظرة السلفي إلى التدين، وإلا فلماذا يشتمز من النماذج المذكورة أكثر من اشمئزازه من الكذب والظلم والغيبة والنميمة والحسد، وهي من الكبائر المعظمة فوق ما ذكرناه من أمثلة شكلية؟»^(١)!

ومن وراء هذا التعصب آفتان تفتكان بأصحابه: الأولى: العجز العلمي وقلة المعرفة! فهؤلاء يحفظون نصّاً وينسون آخر، أو يفهمون دلالة للكلام هنا ويجهلون أخرى وهم يحسبون ما أدركوه الدين كله، والثانية: سوء النية، ووجود أمراض نفسية دفينّة وراء السلوك الإنساني المعوجّ ويغلب أن تكون آفات الظهور والاستعلاء أو رذائل القسوة والتسلط^(٢).

و- تقويم ومدافعة الجمود والتعصب:

بعد أن وقفنا على أسباب الجمود والتعصب، بقي التعرف على بعض وسائل العلاج والتقويم التالية:

(١) أ.د. أبو اليزيد العجمي - فكر التطرف بين انحراف الفهم والاعتراف بالخطأ وتصحيحه، ص: ٢١، وأحمد سالم وعمرو بسيوني، ما بعد السلفية، ص: ٦٠١.

(٢) انظر: محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية...، ص: ٨٨.

١ - إعادة النظر في تقويم الرؤية:

يجب إعادة النظر في رؤيتنا لكثير من الأشياء، فكم يكون سيئاً أن يعتقد الواحد منا أنه الأصل، أو أن جماعته هي الأصل وباقي البشر والجماعات صورة. وكم يكون سيئاً أن يعتقد الإنسان أن رؤيته أو رؤية جماعته للأشياء هي الصحيحة، وأن على باقي الناس أن يوافقوا جماعته على ما ترى، وإلا فإنهم على خطأ أو ضلالة!!

إن عاداتنا الفكرية ومألوفاتنا تجعلنا دائماً نتمحور حول أنفسنا - بالمعنى الواسع لهذه الكلمة - وننظر إلى ما نستحسنه على أنه حسن حسناً مطلقاً، وما نستقبحه على أنه قبيح قبيحاً مطلقاً. وهذه النظرة في الحقيقة نابعة من تجذر معاني الطفولة في الشخصية، ومن تمدد روح الأنانية وسيطرتها على الذات.

علينا أن ندرك أننا جزء من منظومة إصلاحية تشبه المنظومة العددية، حيث يستمد كل عدد فيها قيمته النسبية من خلال موقعه من العدد الأكبر والأصغر منه..

إن الإسلام كوحي سماوي لا يجب إطلاقاً أن يُختزل في اتجاه فكري إسلامي محدد، أو جماعة معينة؛ لأن هذا الاتجاه وغيره ما هو إلا رؤية بشرية منطلقة من الإسلام - إن صحت - ومن ثم فلا يمكنها أن تستغرقه، وهي تفكير يتداخل فيه البشري بالوحي الإلهي ولا يسوغ أبداً أن ترتفع إلى مستوى حقيقة مطلقة، وهي الإسلام الحق^(١).

٢ - إعادة النظر في أسلوب التعليم:

إن أكثر أساليب التعليم وطرائقه في معظم مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا،

(١) انظر: د. عبد الكريم بكار - خطوة نحو التفكير القويم، ص: ٦٤، ١٤٥، والطيب بوعزة - مشكلة الثقافة في الوطن الإسلامي، ص: ١١١.

لا تستهدف - من قريب أو من بعيد- تكوين عقلية ناقدة حرة مستقلة، تطرح تساؤلات وتبحث عن الدليل، لكنها أساليب وطرائق تعليمية تشكّل عقولاً - على الأغلب - مستسلمة مقلدة، مهياة للإصابة بداء التعصب، الذي قد يتحول إلى تطرف، وربما تنهياً له الظروف كي يتحول إلى إرهاب!، بسبب أسلوب تعليم العوام، فالمعلم يقول في ثقة: حكم الله كذا في هذه القضية، رأى الدين كذا في ذلك الموضوع، فيظن المتلقي أن ما سمع هو حكم الله ورسوله. وما ينبغي أن يذكر حكم بهذا الجزم إلا ما قطع به، أما الاجتهادات المذهبية فينبغي أن يقول المفتي أرى كذا أو الحكم عندنا كذا أو صح الدليل لدينا بكذا، وبترك مجالاً للرأي الآخر فلا يجرمه من الانتماء إلى الإسلام.

ولهذا حذر الشاطبي من خطورة تعويد الطالب على مذهب واحد؛ لأن تعويد الطالب ألا يطلع إلا على مذهب واحد، ربما يكسبه ذلك نفوراً وإنكاراً لكل مذهب غير مذهبه ما دام لم يطلع على أدلته، فيورثه ذلك حزاة في الاعتقاد في فضل أئمة أجمع الناس على فضلهم وتقدمهم في الدين، وخبرتهم بمقاصد الشرع وفهم أغراضه.

إن الإنسان حين يقتصر في دراسته على مذهب معين، يتولد عنده تصور محدود، فإذا اطلع على مذهب آخر، فإنه يكسب بذلك رؤية أرحب، تخلق لديه إمكانيات جديدة لتفسيرات جديدة، فإذا وسع دراسته إلى دين آخر، وفلسفات أخرى، فإن قدرته على تصور القوانين التي تحكم نشأة المذاهب والمجتمعات تصبح أضعافاً كثيرة. ولا يمكننا التصور أن بمقدور فرد محصور الرؤية في بيئة واحدة أن يأتي بإبداع جديد مفيد؛ لأن الإبداع لا يتأتى إلا من الشهود والإحاطة بما حدث للمجتمعات.

وخلاصة القول هنا، إن كل إنسان يمكن أن يصاب بمرض التعصب، مالم يُتَح له - في المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام وفضاءات الثقافة والسياسة -

قدرُ كافٍ من التربية والتعليم السديد، مع حرية في الفكر واستقلال في العقل، المعضد بالفكر الناقد، وطرح الأسئلة، والتشكك المنهجي الباحث عن الحجة المنطقية^(١).

٣- الجمع بين العلم والرحمة:

يذكر الإمام ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، أن من خصائص الأنبياء وأتباعهم من أولي العلم الجمع بين العلم والرحمة؛ لأن الناس لا يدينون بواحد منهما فقط: ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وعليه فإن على المصلحين عامة والسلفيين خاصة أن يدركوا أنهم ليسوا سادة على السواد من الأمة، وليسوا أوصياء على الناس، بل هم دعاة، ومن حق الأمة أن تشاركهم الرأي والتأثير والدعوة.

كما أن عليهم أن يغلبوا روح الأخوة على روح الحزبية، وأن ينظروا إلى سائر المسلمين على أنهم أخوة في الدين، وأنهم جميعاً يصلون إلى قبلة واحدة، وأن يتخلوا عن نظرة الاستعلاء، فليس من شأن المسلم أن يستعلى على أخيه المسلم، بل يكون كما جاء في الحديث الصحيح «.. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

(١) انظر: د. محمد عبد الله الشرقاوي - التعصب، في صفحته الرسمية على الفيس في ١٢ يناير ٢٠١٩م، ومحمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية، ص: ٩٢، والشاطبي - الموافقات، جـ ٢، ص: ٢٧٣، وعبد الجليل عيسى - ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، ص: ٧٨، وجودت سعيد - مذهب ابن آدم الأول، ص: ٢٦.

وعليهم أن يتحرروا من النظر إلى رأيهم على أنه الصواب الذي لا يحتمل الخطأ، وإلى رأي الآخرين على أنه الخطأ الذي لا يحتمل الصواب، وليعلموا أن الاختلاف في الأحكام، أكثر من أن ينضبط، ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة..

والخلاصة: أن الجمود الممقوت والتعصب المذموم وانغلاق بعض الجماعات الإسلامية على نفسها، والانكباب على وجهتها، جاء ثمرة طبيعية لتلك العقلية، التي توهمت أنها تقدم الحل وتمتلكه دون غيرها، فعمقت الأزمة وكرّستها.. ذلك أن بعض هذه التجمعات التي جاءت للعلاج، حملت أمراض الأمة وعللها، وخللها، ولم تستطع أن تتمثل الإسلام، وتغري به، فغابت في تراثها، تبدي وتعيد؛ لعجزها عن الامتداد والتجديد، وانفصلت عن هموم الأمة، وتحولت من صناعة التاريخ إلى قراءته، مكتفية بترديد أمجاد لم تصنعها، فأصبحت طائفة خارجة عن نطاق الأمة^(١).



(١) انظر: سلمان العودة - ورقة في عموم العمل الدعوي، ص: ٢٢، والحديث رواه مسلم، رقم (٣٥) في جامع العلوم والحكم لابن رجب، وابن تيمية - مجموع الفتاوى: ٢٤ / ١٧٣، وعمر عبيد حسنة - مراجعات في الفكر والدعوة...، ص: ١١٤.

المبحث الثالث

الغلو والتشدد

أ- موقف القرآن الكريم والسنة من الغلو والتشدد:

الغلو: هو مجاوزة الحد والقدر، كما قال ابن منظور: غلا في الدين والأمر، يغلو غلوًا: جاوز حده^(١). ولقد نهت النصوص الإسلامية عن الغلو والتشدد، وحذرت منهما أشد التحذير، قال الله تعالى مخاطبًا أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَتَاَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]. والآية إن كانت في أهل الكتاب لكن فيها تحذير لنا أن نغلو كما غلوا، كما جاء الحديث عن النبي ﷺ قال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين»^(٢). وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا^(٣). قال النووي: (هلك المتنطعون أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)^(٤).

ويلاحظ من الأدلة السابقة أنها جعلت عاقبة (الغلو والتنطع) هي الهلاك، وهو يشمل هلاك الدين والدنيا، وأي خسارة أشد من الهلاك، وكفى بهذا زجرًا! وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم،

(١) ابن منظور - لسان العرب، مادة (غلا).

(٢) قال شاذلي: إسناده صحيح، ونقل المناوي في الفيض: (٣ / ١٢٦) عن ابن تيمية قوله: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم (٣ / ٢٠٥٥) كتاب العلم، باب هلك المتنطعون. ونسبه السيوطي إلى أحمد وأبي داود أيضًا.

(٤) النووي - شرح صحيح مسلم، (١٦ / ٢٢٠).

فِيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِيَارَاتِ: ﴿...وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ...﴾ [الحديد: ٢٧] ^(١).

وفي مقابل هذه النصوص التي تنهى عن الغلو والتشدد وتحذر من عاقبتها، نجد نصوص القرآن والسنة وهدى النبي ﷺ وصحابته، تدعو إلى اليسر ورفع الحرج عن الناس، أذكر منها:

بعض ما جاء في القرآن الكريم: ﴿...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [الحج: ٧٨]، وبعض ما جاء في السنة: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري إلى اليمن، أوصاهما بوصية جامعة نافعة وذلك في قوله لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا» ^(٢)، وعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» ^(٣).

وكان من هديه ﷺ أنه «ما خَيْرَ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ...» ^(٤)، إلا أن هناك جماعات إسلامية ما خيرت بين أمرين إلا اختارت أصعبهما، فما يفتنون الناس إلا بما يشق عليهم وينغصص معاشهم...

ب- مظاهر الغلو والتشدد لدى السلفية المعاصرة:

رأينا ذلك الغلو والتشدد واضحين في السلفية المعاصرة، أذكر بعض الأمثلة التي تتلخص في الآتي:

(١) أخرجه أبو داود (٥ / ٢٠٩ - ٢١٠، رقم ٤٩٠٤) كتاب الأدب. والحديث ذكره (ابن كثير) في تفسير سورة الحديد.

(٢) رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣) عن أبي موسى.

(٣) متفق عليه، رواه الشيخان (البخاري ومسلم) عن أنس، اللؤلؤ والمرجان (١١٣١).

(٤) متفق عليه من حديث عائشة ؓ - اللؤلؤ والمرجان.. رقم (١٥٠٢).

١- الغلو والتشدد في العقيدة والفتوى: تقدّم (السلفية المعاصرة) العقيدة في صورة علم كلام جديد أبعد ما يكون عن روح العصر ومفهومه، فرأينا مبالغة في فهم معنى التوحيد، ومبالغة في فهم معنى الشرك، ورأينا استعجالاً في الحكم على الناس بالبدعية والشرك الأكبر المخرج من الملة، كما رأينا كيف تختار السلفية المعاصرة الأعنت والأشد في الفتوى - مع ضعف الناس وعموم البلوى - كحكمها بالكفر على تارك الصلاة وإن تركها تهاوئاً وتكاسلاً مع إقراره بوجوبها، وحكمها بتحريم إسبال الإزار مطلقاً ولو لم يكن من الخيلاء..

وفي الجملة هناك ميل سلفي واضح في الاشتغال الفقهي لجانب الاحتياط والحظر والمنع، والاستعمال المبالغ فيه، من دون تحقيق في كثير من الأحيان، لمبدأ سد الذريعة. فهو فقه أحوطي في الجملة، فإن المنع الأصلي، والبدعية، وذريعة الضرر والفتنة؛ يمكن تفعيلها لتحريم أغلب المستجدات، وكثير من العادات.. فيحرّم كثير من الفقه السلفي لبس ما يسمى دبلة الخطوبة، وفستان الفرع الأبيض، ورابطة العنق..^(١).

٢- الغلو والتشدد في مفهوم الولاء والبراء، وفي التعامل مع غير المسلمين، والدعوة إلى عدم إلقاء التهنة على النصارى في مناسبات أعياد الميلاد أو إرسال بطاقات التهنة، أو المتاجرة فيها بمناسبة أعياد الميلاد، وفي الانفتاح على الغير ورفض المفاهيم الغربية جملة وتفصيلاً، واتهامها كلها بأنها مفاهيم كفرية..^(٢).

٣- الغلو والتشدد في قضايا المرأة، وأن حبسها وتجهيلها، واتهامها هو محور النظر في شؤونها العبادية والعادية جميعاً، ويجب ليّ النصوص والآثار التي تربطها بالمسجد، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعليم، وإذا خرجت من البيت لضرورة قاهرة فلا ينبغي أن يُرى لها ظفر، فهي عورة كلها، لا ترى

(١) انظر: أحمد سالم وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٣٧٦.

(٢) انظر: فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ١٤.

أحدًا ولا يراها أحد^(١). وهذا ما دفع أستاذة بكلية الطب (جامعة القاهرة) إلى الاستعانة بأحد (شيوخ العصر) في فتوى لتمنع متخرجة في كلية الصيدلة من القعود في البيت والارتزاق من آلة خياطة؛ لأن أحد المشايخ قال لها: «إن المرأة لا يجوز أن ترى أحدًا أو يراها أحد»^{(٢)(*)}.

٤- ادّعاء الفرقة الناجية: الذي أدى إلى الانغلاق والتعصب، فكل جماعة تنطلق في عملها باعتبارها المقصودة بالفرقة الناجية، والبقية في ضلال مبين.. ولا شك أن «علاقة بشرية تنطلق من هذا المنطلق، لا يمكن أن تنتهي وتستريح إلا بإعدام أحد طرفي العلاقة أوهما معًا، ولذلك ترى التعايش بين الجماعات الإسلامية عسيرًا، والحوار بين الأخوة صعبًا، والشورى تكاد تكون مغلقة..»^(٣).

٥- تكفير الحاكم: وهو ما نراه واضحًا عند السلفيين الحركيين الذين لا يكتفون بتكفير الحاكم حكمًا فقط، ولكن يذهبون إلى تكفيره عينيًا إذا لم يحكم بما أنزل الله، ويجهرون بذلك في خطابهم الدعوي، كما يعتقدون أن مظاهر المجتمعات الإسلامية الآن من تبرج وسفور ومعاص كلها من أمر الجاهلية، لكن لا يُكفر بها..، وما خالف الإسلام فهو جاهلية في الكبيرة والصغيرة، وأن الكفر المراد في الآية الكريمة ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) انظر: محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٠٣.

(٢) انظر: محمد الغزالي - ضوء على تفكيرنا الديني..، ص: ٢٩.

(*) هذا الغلو جعل أحد مشايخ الدعوة السلفية (في مصر) يُفتي مَنْ سألَه عن استكمال ربيته - التي تفوقت في الاعدادية - الدراسة أم التفرغ للعلم الشرعي؟ بقوله: «إنني أفضل للأخوات الملتزمات عدم استكمال الدراسة لما في المدارس والجامعات من اختلاط يفقد المرأة حياءها في الأغلب، فأنا أختار لها - إن وافقت - البقاء في المنزل». انظر: على عبد العال - شهادة ياسر برهامي على نشأة الدعوة السلفية في الإسكندرية (مرجع سابق).

(٣) انظر: راشد الغنوشي - الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ص: ٢٨٨.

أَلْكَفْرُونَ ﴿ [المائدة: ٤٤]، يقصد به الكفر الأكبر لا الأصغر^{(١)(٢)}.

فأما عن تكفير الحاكم (عينياً)، فإن «سلف الأمة وأئمتها كانوا من أبعد الناس عن استعمال هذه الكلمة في حق الشخص المعين، وكانوا النموذج والقُدوة في استعمال الألفاظ بدقة متناهية في المسائل الخلافية الكبرى، فكانوا يقولون في الرأي المخالف إن هذا الرأي من اعتقده في ربه فهو كافر، ومن نقله عن السلف فهو كاذب في نقله، ومن وصل إليه باجتهاده فهو مجتهد مخطئ مثاب، وما جور على اجتهاده، هكذا كان موقف السلف في القضايا الخلافية، والذين يتهمون المخالف لهم في عصرنا هذا بتهمة الكفر والفسق ويدّعون أنهم بذلك سلفيون، أو أنهم يعبرون عن المنهج السلفي فعليهم أن يراجعوا أنفسهم...»^(٣).

يقول ابن تيمية: «.. وإذا عرف هذا، فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم - بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار - لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسول، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر»، ويقول: «وهكذا الكلام في تكفير جميع (المعينين)، مع أن بعض هذه البدعة أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط،

(١) انظر: مبحث السلفية الحركية في (أهم الجماعات السلفية في مصر) في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٢) ما أسهل عبارات التكفير للحكام التي تجري على ألسنة شيوخ (السلفية الحركية) ونظرة إلى تسجيلات (محمد عبد المقصود) على اليوتيوب تؤكد ذلك. وكذلك تجري عبارات التكفير والردة على لسان (حاكم المطيري) وإخوانه في حزب الأمة الكويتي مثل قوله: «المقصود بالردة الجماعية هي (الأنظمة الوظيفية) التي وقفت وما تزال تقف مع الحملة الصليبية في حربها على الأمة ودينها وشعائرها ومساجدها لفرض الردة بالعلمانية والإلحاد والإباحية»، انظر: حاكم المطيري - صفحته الرسمية على (الفيس) في يوم الخميس: ٢٧/ مايو/ ٢٠٢٠ م.

(٣) د. محمد السيد الجليند - منهج السلف...، ص: ٢٥. وانظر: ابن تيمية - مجموع الفتاوى: ١٢ / ٤٨١ - ٤٨٤.

حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجّة. ومَنْ ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة^(١).

وأما عن الكفر المراد به: الكفر الأكبر لا الأصغر عند (السلفية الحركية) في الآية الكريمة ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فإنّ (ابن عباس) وبعض التابعين يذهبون إلى أن الكفر المراد في الآية السابقة: هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق، وقالوا ليس بالكفر الذي تذهبون إليه (ينقل عن الملة)^(٢).

وسئل الإمام (أحمد بن حنبل) عن قول طاوس: كفر لا ينقل عن الملة، قال أبو عبد الله: (إنما هذا في هذه الآية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، أي إن الحكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاد الشريعة ووجوب تطبيقها ليس كفراً ناقلاً عن الملة، ولكنه كفر دون كفر، أي أنه فسق، والمعصية والفسق ليسا كفراً أكبر إلا عند طائفة من الخوارج)^{(٣)(*)}.

ج- أهم نتائج الغلو والتشدد لدى السلفية المعاصرة:

إن آثار الغلو والتشدد في الدين، والذي وصفه رسول الله ﷺ كما مرّ معنا -

(١) ابن تيمية - مجموع الفتاوى، ١٢ / ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم، سورة المائدة في تفسير الآية ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وانظر: ابن حجر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب (كفران العشير وكفر دون كفر).

(٣) انظر: أحمد بن حنبل - مسائل الإمام أحمد بن حنبل، رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري؛ تحقيق: زهير الشاويش، ج ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٧٩ م، ص: ١٩٢. وانظر: عزمي بشارة - ما السلفية؟، ص: ٧١.

(*) وهكذا ذهب (ابن باز) في الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله: «يكون عاصياً وكافراً دون كفر وظالماً دون ظلم ما لم يستحلّه، فإذا استحلّه أو قال بأن القانون أفضل أو مساوياً يكون كافراً عند جميع المسلمين». انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - فصول من السياسة الشرعية...، ص: ٢٠١. وانظر: ابن باز - حكم من يحكم بغير ما أنزل الله، مجلة الدعوة، العدد: ٩٦٣ في ٥ / ٢ / ١٤٠٥ هـ، و(مجموع فتاوي ومقالات ابن باز)، ٤ / ٤١٦.

بكلمة جامعة مانعة بقوله: «.. فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين». إنه «هلاك في كل شيء، على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات، هلاك للأنفس والممتلكات، والبلاد والعباد وتدمير للمسلمين، وإزهاق للأنفس والأرواح، وأي هلاك بعد هذا؟»^(١).

ومن بعض الآثار الناتجة عن (الغلو والتشدد) ما يلي:

١ - تشويه صورة الإسلام:

بعض المتحدثين عن الإسلام في هذا العصر، يعرفون الناس به فلا يزدونهم إلا جهلاً، وربما صدّوهم عنه؛ لأنهم يقدّمونه شكلاً لا مضموناً، مع أن التعريف بالإسلام يجب أن يتجه إلى الحقائق والعناصر المهمة، فالناس يريدون وصفاً للعقل الإسلامي، والضمير الإسلامي، والخلق الإسلامي، والحكم الإسلامي.. يريدون أن يعرفوا الأسرة كما بيّنها الإسلام، والدنيا كما ينشدها الإسلام، وموازنين العدالة كما ينصبها الإسلام..

لكن عندما يُصوّر الإسلام اليوم بأنه دين دمويّ المزاج، شرّس المسالك، يؤخّر اللطف، ويقدم العنف، ويبحث عن الأحوط، ويترك الأيسر، ويهتم بقصّ الأظافر والأشعار أكثر مما يهتم بقصّ زوائد الأنانية وغمط الناس!!..

إن الصورة التي تُقدّم - عالمياً - لدار الإسلام أنها الدار التي ينتهب فيها المال العام، ويسودها حكم الفرد، وتهان فيها كرامة المرأة، بل تضيع حقوقها..، وأن المصلحين الدينيين لا جوار لهم إلا بحرب التصوير والغناء والسفور والتلفاز..^(٢).

(١) إبراهيم عبد السلام إبراهيم - من المخاطر التي تهدد الدين: الغلو والجمود والتقليد، ضمن بحوث مؤتمر (مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر) للعام الثاني والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة في الفترة ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤٣١ هـ - ٢٢ - ٢٥ فبراير ٢٠١٠ م، ج١، ص: ٤٤٥.

(٢) انظر: محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ٥٢.

٢- الصد عن سبيل الله:

تقديم الإسلام بهذه الصورة السيئة، ينفر الناس من الإسلام، ويبعدهم عنه، وكم أقبل الناس على الإسلام - في أكثر من بلد - والتفوا حول العاملين له، مستبشرين بمستقبل منسود تسوده أجواء الإخاء والحرية والكرامة الإنسانية، حتى علت أصوات المتشددین الغلاة بضرورة النقاب والجلباب والقشور التي يضيع معها اللباب...، وكانت النتيجة أن أوجس أولو الألباب خيفة من الإسلام وصحوته، وهم معذورون! وتقهقرت الصحوة الإسلامية عقب تلك الفوضى..

إن عرض الإسلام بهذه الدّامة، جعل الشيخ الغزالي رحمته الله يقول: «إنني أعتقد أن انتشار الكفر في العالم يقع نصف أوزاره على متدينين بغضوا الله إلى خلقه بسوء كلامهم أو سوء صنيعهم»^(١)!

٣- تشويه منهج السلف:

لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة، ورسالته رسالة رحمة للعالمين، وسنته هي سنة الرؤوف الرحيم، الذي يعز عليه ما يعنت الناس ويخرجهم؛ فيحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم الإصر والأغلال التي كانت على غيرهم.. كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ..﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(١) نفس المرجع، ص: ٥٢.

وكان التيسير لا التعسير من أهم سمات الصحابة والسلف الصالح، اقتداء بهدي النبي ﷺ الذي ما خير بين أمرين إلا واختار أيسرهما. عن عمر بن إسحاق، قال: «أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبقني منهم؟ فما رأيت قوماً أيسر ولا أقل تشديداً منهم»^(١). ومما يؤسف له حقاً أن كثيراً ممن يدعون الانتساب للسلف علماً وعملاً قد شوّهوا معالم المنهج بانتسابهم إليه. فهم أحياناً ينسبون إليه أقوالاً وآراء، وأحياناً سلوكاً واهتمامات يعبرون فيها عن العاطفة الدينية الجياشة عندهم، والتي لا شك في صدقها، لكنها في كثير من الأحيان لم تقترن بالعلم ولا بالبرهان الشرعي الصادق، فضلاً عن أنهم في كثير من الأحيان قد يتشدّدون في فروع وجزئيات ويضيّعون من أجلها أصولاً وكماليات. كما أن كثيراً من آداب الخلاف في الرأي والحوار قد غابت عنهم في كثير من الأحيان. فحملوا منهج السلف ما ليس منه، وفتحوا بذلك باباً للتشنيع عليه من المخالفين، مما أدى إلى الفرقة والتحزب حتى بين المنتسبين إلى السلف أنفسهم؟^(٢).

د- أهم أسباب الغلو والتشدد:

الأسباب التي تؤدي إلى الغلو والتشدد كثيرة، منها: أسباب علمية منهجية، وأسباب نفسية وتربوية، وأسباب اجتماعية وعالمية، بيد أني سأقتصر على بعض الأسباب وأهمها بالنسبة لموضوع هذه الدراسة، وهي:

١- جهل الأكثرين بالنصوص الشرعية:

جهل الأكثرين بالنصوص التي تتضمن التيسير، وتقاوم التعسير، منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥]،

(١) أبو إسحاق الشاطبي - الاعتصام، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت، ج١، ص: ٣٠٦.

(٢) رواه الخطيب البغدادي عن ابن أبي أويس في (الفقيه والمتفقه)، ٣٨٣ / ١.

(*) أ.د. محمد السيد الجلند - منهج السلف...، ص: ١٩.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وسمى الله تعالى الأخذ بالتشديد على النفس اعتداءً، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا..﴾ [المائدة: ٨٧].

ومن الأحاديث كثير، كمسألة الوصال، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست كهيتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»^(١). ومن ذلك: مسألة قيام النبي ﷺ بهم في رمضان. فإنه تركه مخافة أن يفرض عليهم فيعجزوا عنه فيقعوا في الإثم والحرَج، فكان ذلك رفقاَ منه بهم^(٢). وقالت عائشة رضي الله عنها: «إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم»^(٣).

وقد ترتب على هذا أن تري كثيراً من المسلمين يغفلون عن أحاديث صحيحة، ويستدلون بأحاديث ضعيفة، أو موضوعة يؤيدون بها اتجاهاتهم، ويشددون بها على الناس. وقد سجّل أحد كبار الباحثين تجربته وهو يبحث في الصحيحين البخاري ومسلم، ففوجئ بأحاديث عملية تطبيقية تتصل بالمرأة وتصحح التصور عنها ومدى مشاركتها في مجالات الحياة في عصر الرسالة، تغاير تماماً ما كان يفهمه ويطبقه، بل ما تفهمه وتطبقه جماعات من المتدينين الذين اتصل بهم، وهم من اتجاهات مختلفة يمثلون معظم الجماعات التي عرفتها الساحة الإسلامية^(٤).

وضرب لذلك عدة أمثلة أذكر منها مثلاً واحداً: أورد مؤلف فاضل الحديث الآتي: قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: «أي شيء خير للمرأة؟» قالت:

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام (٣/ ٣٧) رقم (١٩٢٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي الوصال (٢/ ٧٧٤) رقم (١١٠٢).

(٢) راجع نص الحديث في اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها رقم (٤٣٦).

(٣) متفق عليه، رواه الشيخان البخاري ومسلم، اللؤلؤ والمرجان، رقم (٤١٦).

(٤) انظر: عبد الحليم أبو شقة - تحرير المرأة في عصر الرسالة، جذ، ص: ٢٨.

ألا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: «ذرية بعضها من بعض». قال المؤلف: (رواه الأربعة وقال الترمذي: حسن صحيح). وذلك ليدل على وجوب قرار المرأة في بيتها.

والحديث ضعيف، رغم وروده كثيراً على ألسنة الخطباء وعلى صفحات الكتب والمجلات ولم يرد في أي من الكتب الأربعة بل رواه البزار - مع بعض اختلاف - وقال عنه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه البزار وفيه من لم أعرفه)^(١). وقال عنه الحافظ العراقي في تخرجه لأحاديث كتاب (إحياء علوم الدين): رواه البزار والدارقطني في الأفراد من حديث على بسند ضعيف^(٢).

٢- الغلو في تطبيق سد الذريعة والأخذ بالأحوط:

إن قاعدة سد الذريعة تعني أن الأمر المباح يصبح مكروهاً أو حراماً إذا كان فعله ذريعة إلى فساد أو فتنة، وهي قاعدة في ذاتها محكمة ولكن تطبيقها محل اجتهد واسع واختلاف كبير. وهنا مضلة أفهام ومزلة أقدام كما يقولون. ومن ينظر في كتب الفقه المتأخرة أو يستعرض تطبيق المسلمين يلحظ بوضوح كم ضلت أفهام وزلت أقدام في تطبيق هذه القاعدة الجليلة حتى أضحت سيفاً مسلطاً على كثير من الأحكام الشرعية، فصبغت حياة المجتمع المسلم بصبغة مخالفة لما كان الأمر على عهد النبي ﷺ^(٣).

وباب سد الذريعة «أكثر ما استخدم لتضييق أوضاع المرأة والتشديد عليها، وذلك خشية الفتنة. وبُولغ في تقدير هذا الأمر من المتشددين، وأفدح ما جرّ إليه ذلك هو عزل المرأة في المجتمع واعتبار أي وجود لها حيث يوجد الرجال

(١) انظر: مجمع الزوائد - كتاب النكاح، باب: أي شيء خير للنساء.. ج١، ص: ٢٥٥.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين - كتاب النكاح، الباب الثالث: آداب المعاشرة، كيف يتقي الرجل الغيرة؟ وعبد الحليم أبو شقة - تحرير المرأة، ص: ٣٦.

(٣) عبد الحليم أبو شقة - تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج٣، ص: ١٨٢.

من الاختلاط المحرم، وأُمسكت في البيت ومُنعت من التعلم والثقافة، ومن المشاركة في مجالات الحياة المختلفة».

إن «الغلو في تطبيق قاعدة سد الذريعة قد أدى بالغلاة إلى الانحراف عن هدي الله العليم الحكيم، الهدي اللطيف اليسر، وإلى أن يصنعوا من عند أنفسهم قيوداً وراء قيود وضغوط بعد ضغوط، ضيقت من حركة المرأة ونشاطها سواء كان تشاطاً مباحاً أو مندوباً أو واجباً. وحملت الرجل والمرأة معاً ألوأناً من المشقة والعسر ما أنزل الله بها من سلطان..»^(١).

والغلو في تطبيق مبدأ سد الذرائع كان وما زال من أكبر معوقات النهوض والتجديد، ذلك؛ لأن «الفهم المعوج أو الفقه الكليل لمبدأ سد الذرائع كلف المسلمين الكثير من الإصابات، وساهم بالكثير من الهزائم والفراغ الفكري والفقهية، الذي امتد فيه (الآخر)، كما أنه عطل التفاعل والانفعال والتفاكر والتشاقف بالقيم، حتى بات مبدأ سد الذرائع، الذي هو استثناء هو القاعدة التي تعطل النصوص وتحاصر امتداد الشريعة وتحقيق مقاصدها»^(٢).

٣- التأثير بالنزعة الوهابية:

ظهر محمد بن عبد الوهاب في نجد خلال القرن الثاني عشر الهجري، كرد فعل طبيعي لانتشار البدع وتفشي مختلف صور الضلال بالجزيرة، وبقدر عمق التفسخ واتساع رقعته، كان حجم التشدد في دعوة ابن عبد الوهاب، الذي كان حنبلياً بدوره.

كانت طبيعة الواقع وملابساته هي التي تحدد التشدد الذي يذهب إليه دعاة الإصلاح، في قيامهم بواجبهم راباً للصدع وسداً للذرائع^(٣).

(١) نفس المرجع، ص: ١٨٦.

(٢) عمر عبيد حسنة - في تقديمه لكتاب الأمة (وثيقة المدينة)، ص: ٣٠.

(٣) انظر: فهمي هويدي - التدين المنقوص، ص: ٢٢٢.

ونزعة التشدد كانت بارزة منذ بدايتها على مؤسس (الحركة الوهابية). فمن يقرأ سيرته ويعرف ما دعا إليه، أنه لم يأت بدعة ولا أحدث في الإسلام حدثاً، ولم يدع إلا إلى التوحيد الصحيح وإلى الإسلام الحق، فالدعوة ذاتها لا غبار عليها، وليس فيها ما يعاب، إنما يعاب الأسلوب الذي اتبعه فيها، ذلك أنه رأى ما يصنع بعض الناس عند القبور من مظاهر الشرك، فاعتبرهم مشركين، ثم عمم الحكم على كل بلد فيه هذه القباب، وهذه القبور، أي أنه حكم بردة المسلمين جميعاً واستحلال دمائهم وأموالهم..^(١).

ولا يخطئ متابع لحركة المد الإسلامي في سبعينيات القرن الماضي من أثر السلفية الوهابية في التكوين الفكري لكثير من الشباب، وعلى يد هؤلاء انتشرت الخلافات البسيطة في السنن، وفي الأمو الفقهية، وكانت المعارك تندلع بينهم بسبب هذه الاختلافات غير المجدية، وكذلك بينهم وبين مشايخ الأزهر أو عامة الناس..^{(٢)(*)}.

٤ - العوج الفكري والعلل النفسية:

جاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات بكل أنواعها، ومستوياتها، إلى النور بكل أنواعه ومستوياته. ومن ذلك إخراجهم من ظلمة البداوة والغلظة إلى نور الحضارة والتمدن، ولحرص الإسلام على الارتقاء بالناس علمياً وروحياً وأخلاقياً.. جعل لهم قدوة يقتدون بها، تتجسد فيها مكارم الأخلاق التامة، وتزكّيهم وتعلمهم الكتاب والحكمة كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

(١) انظر: علي الطنطاوي - محمد بن عبد الوهاب، ص: ٩، ١٠.

(٢) انظر: حسام تمام - أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر..، ص: ٦٧، ٦٨.

(*) يقول صاحب هذه الشهادة: «أظن أن السلفية الوهابية أقحمت على المشروع الإسلامي في مصر إقحاماً». انظر: نفس المرجع، ص: ٦٧.

وحتى ينطبع الناس بنور الكتاب والحكمة، لا بطبع البداوة والغلظة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَأَ جَفَا»^(١) (*)، بيد أن آفة الكثير من الناس ما انطبعوا بطبع الإسلام، بل يفرضون طبعهم وميولهم على الإسلام، فإذا كان الواحد منهم فظاً غليظ القلب؛ فهم نصوص الإسلام بهذا الطبع، وتعامل مع من حوله بهذا الطبع، وزعم أن هذا هو الإسلام.

إن طبائع بعض الناس تغلب عليها البداوة؛ فتحوّل الدين عن وجهته إلى وجهتها هي، فبدل أن تهدي تصدّ، وبدل أن تُسدي تسلب!، إنهم يتبعون الأعنت الأعنت، والأغلظ الأغلظ، من كل رأي قيل، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم وينغص معاشيهم، ويؤخّر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة، إنهم مختلوا المزاج، فصاحب الرسالة ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وهؤلاء ما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أصعبهما^(٢).

وقد تستر العلل النفسية وراء الحماسة للقيم والغيرة على الحق، والخطورة هنا تكمن في أن العوج الفكري والعلل النفسية يقودان إلى العنف، وأن الجماعات التي جعلت بنيتها العقلية والثقافية والتنظيمية تتمحور حول العنف تواجه مشكلة كبرى عند انعدام من توجه العنف إليه؛ فهي إن لم تجد من تقاتله - لسبب من الأسباب - وتفرغ طاقتها فيه وجهت تلك الطاقة إلى داخلها؛ لتهضم نفسها بنفسها، والذي يستسهل تكفير الآخرين يستسهل تكفير بعض

(١) رواه أبو يعلى عن البراء، قال الهيثمي: ورجاله ثقات (٥ / ٢٥٤) وعزاه في الجامع الصغير وصحيحه إلى أحمد أيضاً، ورواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة جزءاً من حديث.. وعزاه الهيثمي في الجامع الصغير وصحيحه إلى الطبراني عن ابن عباس (٦١٢٤).

(*) ربط الإمام (أبو زهرة) بين البداوة والقسوة، فقال في وصف الخوارج «كانت المعيشة التي يعيشونها في بدائهم دافعة على الخشونة والقسوة والعنف، إذ النفس صورة لما تألف، ولو أنهم عاشوا عيشة رافهة فأكهة في نعيم، أو في نوع منه لحقّف ذلك من عنفهم وألان صلابتهم، ورطب شدتهم..» (أبو زهرة - تاريخ المذاهب الإسلامية، ص: ٥٩).

(٢) انظر: محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ٩٧، ١٠١، ودستور الوحدة الثقافية، ص: ١٠٨، بتصرف كبير.

جماعته إذا خالفه، وخرج عن وجهة نظره، وهكذا فقد صار مألوفاً أن الثورات تأكل أبناءها!

ولا يخفى على أحد الوضع المحزن الذي صار إليه إخواننا (الأفغان) بعد خروج روسيا وسقوط كابل؛ حيث تحولت كل الطاقات القتالية إلى الداخل؛ لتحديث كوارث وفواجع داخلية كبرى.. «إن الخطيئة الشاعر الذي تعود هجاء الناس - امتد هجاؤه إلى نفسه حين لم يجد من يهجوّه!»^(١)، فقال:

أرى لي وجهًا شوّه الله خلقه فقبّح من وجهه وقبح حامله! ^{(٢)(*)}

لعلنا أدركنا أن «كثيراً من الخصومات الفكرية القديمة في علم الكلام، كان مظهرًا للعلل النفسية أكثر مما هو لخدمة الإسلام..»^(٣)!

هـ - وسائل مدافعة الغلو والتشدد:

١ - سعة العلم وعمق الفقه:

إن الرؤية القاصرة، والفقه العليل يأتیان ثمرة الجهل وعدم العلم، كما قال الإمام مالك: «إذا قل العلم ظهر الجفاء، وإذا قلت الآثار النبوية كثرت الأهواء»^(٤)، ولا مخرج للإنسان من الغلو والجفاء وكثرة الأهواء إلا بسعة العلم

(١) عبد الكريم بكار - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ٣٢٤.

(٢) الخطيئة. ت (٥٩ - ٦٧٨ م) - ديوان الخطيئة، تحقيق وشرح: عيسى سابا، مكتبة صادر بيروت، د.ت، ص: ٦.

(*) عندما يكون من يشتغل بالدعوة بنفسية الخطيئة؛ ستعكس نظرتة للناس بسوء الظن والاثام، فينظر إليهم بمنظار أسود، يخفي حسناتهم، ويضخم سيئاتهم.. تلك طبيعة الغلاة: الاتهام لأدنى سبب، ولا يلتمسون المعاذير للآخرين. مع تحذير النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث..». الحديث في اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، رقم (١٦٦٠).

(٣) محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية، ص: ١٧٣.

(٤) رواه الخطيب البغدادي عن ابن أبي أويس في (الفقيه والمتفقه)، ١ / ٣٨٣.

وعمق الفقه، اللذين يعودان بالإنسان إلى حقيقة التيسير لا إلى التعسير، وإلى الاهتمام باللباب لا الوقوف عند القشور، وهذا سر دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «اللهم فقهه في الدين»^(١)؛ فكان ﷺ من العمق في الفقه بالمحل الأعلى، فبسعة علمه وعمق فقهه؛ ناظر الخوارج فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب.. حتى أدخلهم على علي بالكوفة^(٢).

إن قلة العلم وضحالة الفقه تفسدان الدنيا والدين معاً؛ فعن جابر بن عبد الله قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر، فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فأغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك، فقال: «قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب»^(٣).

تُرى كم قدّمت البشرية من ضحايا، وكم وارى التراب من قتلى، وكم زاغت قلوب، وضلّت عقول، وتاهت أجيال، وزلت أقدام، وغابت حقائق، وسادت أباطيل.. عندما تصدر للفتيا رؤوس جهّال لا يعرفون غير الغلو والتنطع!!

كما أن غزارة العلم مع ضحالة الفقه تضليل للسعي وضياع للثمرة، كما وُجد أكثر المشتغلين بالحديث لا يتعمقون في معرفة الفقه وأصوله، ولا يفقهون مقاصده، بل يقف الكثير منهم عند ظواهر الأحاديث ولا ينفذون إلى أغوارها وعللها، وهذا ما شكّا منه العلماء في القديم من الفصل بين العُلَمَاء (الفقه والحديث)، كما نقل عن سفيان الثوري، وابن عيينة، وعبد الله بن سنان، أنهم كانوا يقولون: «لو كان أحدنا قاضياً لضربنا بالجرید فقيهاً لا يتعلم الحديث، ومحدثاً لا يتعلم الفقه»^(٤).

(١) متفق عليه، رواه الشيخان (البخاري ومسلم، اللؤلؤ والمرجان، رقم (١٦١٠).

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية، جـ ٧، ص: ٢٨١.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٣٦) واللفظ له، والدارقطني (١٨٩ / ١)، والبيهقي (١١١٥).

(٤) انظر: الكتاني - في مقدمة (المتناثر من الحديث المتواتر)، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت، ص: ٣.

٢- الفهم الحقيقي لقاعدة سد الذرائع وتوقع الفتنة:

إن قضية سد الذرائع والخوف من الفتنة المتوقعة، هي مشكلة من مشاكلنا الفكرية التي عطلت النصوص، وحاصرت امتداد الشريعة وتحقيق مقاصدها كما بينا؛ ولذا يجب علينا إذا كان الشيء صحيحاً أو سليماً أو مقبولاً لا يعارض كتاباً ولا سنة ولا يصطدم بأصل من أصول الإسلام أن نقبله دون تردد؛ لأن الأخذ بسد الذرائع كدليل حينما يكون الشيء ذريعة إلى مفسدة متحققة، لكن حينما تكون المسألة مجرد فرض أو مجرد احتمال، فالفرض والاحتمال لا يفترض علينا التخلي عن شيء سليم أو صحيح..^(١).

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن «مواجهة فتن الحياة ومجاهدتها هي الطريق الأقوم لمعالجة الفتن، وذلك ما بيّنه الرسول ﷺ أكمل بيان. ذلك أن فتن الحياة لا تنتهي زماناً، فبالنسبة للفرد لا تنتهي إلا بموته، وبالنسبة للخلق لا تنتهي إلا بقيام الساعة.. وما دام الأمر كذلك فلا سبيل للخلاص من الفتن بالهروب من مجالات الحياة التي شرعها الله، ولا بحظر ما أباحه الله، ولا بإقامة الحواجز والسدود على غير ما أمر الله. إنما الواجب هو خوض مجالات الحياة المشروعة ومجاهدة ما فيها من فتن، مجاهدة متصلة دائبة. فحياة المسلم مليئة بصور مختلفة من مجاهدة الشهوات والأهواء..^(٢).

٣- الخروج من ضيق المذهبية إلى سعة الشريعة وسماحتها:

إن الخروج من ضيق المذهب والتعصب له، إلى سعة الشريعة وسماحتها واجب شرعي وضرورة؛ لأن الله لم يتعبدنا بمذهب واحد، وإن الإسلام كوحي سماوي لا يجب إطلاقاً أن يُحتَزَل في اتجاه فكري إسلامي محدد، أو جماعة معينة،

(١) انظر: طه جابر علواني - الأزمة الفكرية المعاصرة، ص: ٦٢.

(٢) عبد الحليم أبو شقة - تحرير المرأة...، ج ٣، الفصل الثالث، ص: ١٥٣.

وَمَنْ «يزعم أن ابن حنبل هو ممثل السلفية في ذلكم الميدان، وأن أبا حنيفة ومالكاً والشافعي، جاروا على الطريق، وأمسوا من الخلف لا من السلف؟»^(١)، إن هذا تفكير قاصر، ف «شرف الفقه هو في انتهائه إلى كلام الله ورسوله، وإذا وهت صلة الفقه بالكتاب والسنة، فإن أحكامه ستكون سواداً في بياض، إنها ستكون كورق النقد الذي لا رصيد له»^(٢).

إن مشكلة الغلاة من السلفية المعاصرة أنهم يفهمون في الأثر المروي فهماً ما، فإذا خالفهم غيرهم قالوا: خالف السنة، واختلاف المذاهب في «هذه الملة خصيصة فاضلة لهذه الأمة، وتوسّع في هذه الشريعة السمحة السهلة، وكانت الأنبياء قبل النبي ﷺ يبعث أحدهم بشرع واحد وحكم واحد، حتى إنهم من ضيق شريعتهم لم يكن فيها تخيير في كثير من الفروع، الذي شرع فيها التخير في شريعتنا، كتحتم القصاص في شريعة اليهود، وتحتم الدية في شريعة النصارى.. وهذه الشريعة سمحة سهلة لا حرج فيها.. فمن سعتها مشروعية الاختلاف بين العلماء في الفروع، فكانت المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة، كل مأمورٌ بها في هذه الشريعة، فصارت هذه الشريعة كأنها عدة شرائع بعث النبي ﷺ بجميعها، وفي ذلك توسعةٌ زائدةٌ لها، وفخامةٌ عظيمةٌ لقدر النبي ﷺ، وخصوصية له على سائر الأنبياء، حيث بُعث كل منهم بحكم واحد، وبُعث النبي ﷺ في الأمر الواحد بأحكام متنوعة، يُحكم بكل منها ويُنفذ ويُصوّب قائله، ويؤجّر عليه ويهدى به»^(٣).

ولهذا السر اللطيف، فقد وقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم، وهم خير الأمة،

(١) محمد الغزالي - هموم داعية، ص: ١٩.

(٢) محمد الغزالي - دستور الوحدة..، ص: ١١٧.

(٣) انظر: السيوطي، ت ٩١١ هـ - جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، تحقيق: عبد القيوم البستوي، دار الاعتصام، د.ت، ص: ٢٥ وما بعدها.

فما خاصم أحدٌ منهم أحدًا، ولا عادى أحدٌ أحدًا ولا نسب أحدٌ أحدًا إلى خطأ ولا قصور^(١).

٤ - التيسير أصل في التشريع دون الغلو والتشدد:

أول ما يجب على المسلم علمه: أن وفرة النصوص في اليسر والتيسير في أمور الدين والدنيا، تدل على أن التيسير أصل أصيل في هذا الدين، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة»^(٢). وفي الحديث أيضًا أن أعرابيًا سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»^(٣).

وإذا أضفنا إلى ذلك الآيات والأحاديث الكثيرة التي تنهى عن الغلو والتشدد والتنطع اكتملت صورة كون التيسير أصلًا في التشريع.

وبعد، فمهما قدّم المفكرون والمختصون من أدوية ناجعة لمعالجة ظاهرة الغلو والتشدد عند السلفية المعاصرة، أو عند غيرها من الجماعات، يظل الجو الحر هو المكان الوحيد الذي يموت فيه الغلو والتشدد والتطرف، ويتوارى أهله على بطاء أو على عجل، المهم أنهم لا يبقون ولا يستقرّون!^(٤).



(١) نفس المرجع، ص: ٢٥.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني (٧ / ٢٢٩)، وعلقه البخاري في صحيحه، وحسنه ابن حجر والألباني.

(٣) مسند أحمد (مسند المكيين / حديث أعرابي، ٢٥ / ٢٨٤)، والبخاري في الأدب المفرد، ص: ١٢١، وحسنه الألباني في تحقيقه للأدب المفرد، وكذا في صحيح الجامع الصغير، (١ / ٦٢٥).

(٤) انظر: محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٠١، بتصرف.

المبحث الرابع

الخلل فيه ترتيب الأولويات

مامرّ معنا من معظم إشكاليات التجديد عند السلفية المعاصرة، مرجعه إلى الخلل في ترتيب الأولويات، كالاغراق في الفروع والجزئيات على حساب الأصول والكلّيات، والاهتمام بالمظاهر والشكليات على حساب المقاصد والغايات. وهذه الإشكاليات قلبت «شجرة التعاليم الإسلامية، فجعلت الفروع الخفيفة جذوعاً أو جذوراً، وجعلت الأصول المهمة أوراقاً تتساقط مع الرياح»^(١)!

وانقلاب شجرة التعاليم الإسلامية، نراها في مظهرين هما: الاهتمام بالمظاهر والشكليات، والإغراق في الفروع والجزئيات.

أولاً: الاهتمام بالمظاهر والشكليات:

نرى البعض يعظّم الهين من الأمور، ويهوّن العظيم منها، فيقيم الدنيا ويقعدها من أجل الإصبع في التشهد، هل نحركه أم لا؟ أو البسملة في الصلاة هل نبدأ بها أم لا؟ أو صلاة ركعتين أثناء الخطبة هل نصلّيها أم لا؟ أو كيفية السجود في الصلاة هل نقدم الرجلين أم اليدين؟.. وما إلى ذلك من المسائل الفرعية والشكلية - التي تقدّم معنا معظمها - التي طال فيها الجدل وكثر فيها الخلاف. في حين أغفلت الكثير من القضايا الجسيمة، وهي قضايا عديدة وملحة^(٢).

وقد ترتّب على هذا الخلل في ترتيب الأولويات نتائج سلبية بالغة الخطورة، شغلت الأمة بقضايا هامشية لا تمس هموم الأمة وأزماتها الحقيقية، عن أهم

(١) محمد الغزالي - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص: ٨.

(٢) انظر: محمد الوكيل - فقه الأولويات، ص: ٢٤.

قضاياها الأساسية والمصيرية؛ مما أحدث الكثير من التخبط والاضطراب، وعوّق مسيرة الأمة عن النهوض والتقدم.

أ- الآثار السيئة للاهتمام بالمظاهر والشكليات:

هناك تركيز مذهري كامل لدى السلفية المعاصرة، ترتب عليه آثار ونتائج خطيرة، من أهمها:

١ - تمييز الهوية السلفية بالاهتمام بالهدي الظاهر:

والخطورة هنا أن هذه الشكليات يتم دمجها في الهوية السلفية ويكون التمييز على أساسها، ومنها الإسبال، وحلق اللحية. فالفقه السلفي يرى المسبل والحليق غير ملتزم، فهو مخالف للسنة، فاسق، وذلك بغض النظر عما قد يكون في المسألة من خلاف، أو ما قد يكون عند ذلك المخالف من أدلة واجتهاد.. وبناء على ذلك يكثر السؤال السلفي عن حكم الصلاة خلف المسبل والحليق.

والذي يجيب عليه شيوخ السلفية بقولهم: «وأما حلق اللحية لا يجوز لأنه معصية للرسول ﷺ فيما صح عنه بقوله: «خالفوا المشركين وفروا للحي وأحفوا الشوارب»^(١). وإذا كان حلق اللحية معصية؛ فإن المصرّ عليها يكون من الفاسقين، والفاسق لا تصح صلاته عند كثير من أهل العلم، ولكن الصواب صحة إمامته، ولكن لا ينبغي أن يكون إمامًا راتبًا، فإذا وجدت إمامًا حالقًا لحيته يصلي بالناس؛ فصل معهم والإثم عليه»، والأمر نفسه في فتوى اللجنة الدائمة، ولا بن باز، وغيرهم^(٢).

وبهذا تتحول هذه المسائل والخلاف حولها إلى قضايا موالاة ومعاداة وصراع

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر، ج ١٠، ص: ٣٦٢.

(٢) انظر: فتاوى العثيمين: (١٥ / ١٤٠)، واللجنة الدائمة: ١ (٢ / ١٧)، وانظر: أحمد سالم وعمرو بسيوني، ما بعد السلفية، ص: ٣٦٠.

مجتمعي وتحزيب وتراشق، وجعلها مناط خطاب عام للناس وعدم مراعاة الأوزان النسبية المحدودة التي ينبغي ألا تتعداها على مستوى الخطاب والدعوة.

٢- فتنة الاهتمام بالمظاهر والشكليات:

لقد فتن بعض المهتمين بشكليات الهدى الظاهر، فطالما حلّقوا الشارب، وأعفوا اللحية، يحسبون أنهم استكملوا عرى الإيمان، وأقاموا السنة بالوفاء للشكل، وقد ينسون أن تربية اللحية أو استكمال الهدى الظاهر من ثوب قصير وسواك، لا وزن له مع انعدام تربية النفس والعقل، ومع فراغ القلب واللب..^(١)!

والفتنة قد تأتي من الغفلة عن أن الاكتراث البالغ بالشكل يتم عادة على حساب الموضوع، كما أن الاهتمام الشديد بالنوافل لا يكون على حساب الأركان.. إن شيوخاً للسلفية المعاصرة ألفوا كتباً، أثارت معارك طاحنة في هذه الميادين ككتاب (صفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراها)، يقول مؤلفه: «إن كتابنا هذا لما جمع السنن الثابتة عنه ﷺ في صفة صلاته؛ فلا عذر لأحد في ترك العمل بها؛ لأنه ليس فيه ما اتفق العلماء على تركه - حاشاهم من ذلك - بل ما من مسألة وردت فيه؛ إلا وقد قال بها طائفة منهم، ومن لم يقل بها؛ فهو معذور، ومأجور أجراً واحداً؛ لأنه لم يرد إليه النص بها إطلاقاً، أو ورد لكن بطريق لا تقوم عنده به الحجة، أو لغير ذلك من الأعذار المعروفة لدى العلماء»^(٢).

وتصور الاهتمام بالرسوم والمظاهر واضح من تسمية الكتاب، الذي هو (صفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراها)، فليس مجرد فقه لروح الصلاة وأسرارها، وليس مجرد فقه لكيفية الصلاة كما كان يكتب الفقهاء. ومن ثم فإن الخلاف

(١) انظر: محمد الغزالي - دستور الوحدة..، ص: ١٣، بتصرف كبير.

(٢) ناصر الدين الألباني - صفة صلاة النبي ﷺ كأنك تراها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١٤١٠هـ، ص: ٧٢.

في مسائل الكتاب، أو أغلبها، هو مخالفة للسنة، ودخول في البدعة، لأنه ليس خلافًا لفقه الصلاة، بل خلاف لصفة صلاة النبي ﷺ. وليست البدعة هنا مجرد وصف تقني كالذي نجده في بعض إطلاقات السلف للفظ البدعة في الخلاف السائغ، بل هو هنا إطلاق له نفس الحمولة الدائمة التشيعية التي يطلق بها اللفظ على أهل الإحداث في الدين^{(١)(*)}.

إن «هذا الدوخان في دوامة فتنة الرسوم والمظاهر، أو في دائرة هيئات العبادة وأقدارها نشأ عنه أمران خطيران.. كلاهما يهوي بالأمم من حائق، ويذهب بريحها. الأول: ضعف الخلق.. فقد ترى الرجل دقيقاً في التزام المندوبات الخفيفة.. فإذا كان تاجراً احتكر السلع دون مبالاة، وإذا كان موظفاً تبلدت مشاعره في قضاء مصالح الجمهور، وإذا كان رئيساً وجدته سيئ الملكة، قاسي القلب، مكشوف الهوى..

وقد ترى العابد من هؤلاء يضع يديه على صدره وهو قائم للصلاة ثم يعيد وضعهما بعد الرفع من الركوع، ويثير زوبعة على ضرورة ذلك.. فإذا كلفته بعمل ترقى به الأمة اختفى من الساحة!!

وكم تفتقر أمتنا في كل مكان إلى الأخلاق الضابطة الصارمة كي تؤدي رسالتها الجليلة على نحو جدير بالاحترام.. ولكن الاكتراث بالمراسم غرض من هذه الأخلاق.

أما الأمر الثاني: فهو العجز العجيب عن فقه الدنيا.. والاقتدار على تسخيرها لخدمة الدين.. إن الدين الحق تقوى تعمّر القلوب، ثم مهارة في شؤون الحياة تتحول مع صدق النية إلى وسائل لدعم الحق وسيادته.

(١) انظر: أحمد سالم وعمر و بسيوني، ما بعد السلفية، ص: ٣٣٦، بتصرف يسير.

(*) لقد أثار الألباني كثيراً من الخلافات، فعلى سبيل المثال قال ببدعية وضع اليدين على الصدر بعد القيام من الركوع وخالف الإمام أحمد كما خالف ابن تيمية في مسألة الجهر بالبسملة التي قال فيها لا يترتب عليه إشكال، كما انتقد كلام ابن القيم الذي حاول فيه الجمع بين النصوص.. (انظر: الألباني - صفة صلاة النبي ﷺ، ص: ١٢-١٦، وص: ١٠٠. وانظر: أحمد سالم وعمر و بسيوني، ما بعد السلفية، ص: ٣٣٧.

إن تعلم الصلاة - وهي الركن الأول في الإسلام - لا يستغرق دقائق معدودات.. ولكن التدريب على قيادة دبابة أو طائرة أو غواصة يحتاج إلى زمان طويل.. فبأي فكر يطلع علينا مستقبل أمتنا وجمهورنا بارع في الحديث حول تحية المسجد، ووضع اليدين في الصلاة؟^{(١)(*)}!

٣- اختزال الإسلام في المظاهر والشكليات:

حسنٌ أن يهتم المتدين بالمظهر والشكل، فيعفي لحيته، ويقصر ثوبه و..، ولكن ليس حسناً أن يجعل هذه الأشياء هي حقيقة السنة، أو هي الدين كله، كأنها أركان الإيمان، وحقيقة الإسلام!

دُعِيَ أحد العلماء من قبل أحد الدعاة؛ ليستمع له خطبة الجمعة، وكان موضوعها: لكي نصطبغ بصبغة الإسلام لا بد أن نحقق ثلاثة، وهي: أن نلبس الجلباب ونلتحي، وألا ندرس إلا الكتاب والسنة، وأن نقف بفهمهما عند حد فهم السلف!!، ثم قال: إن صلاح الدين عندما أراد أن يحرر القدس تجلبب والتحي!

ويعقب العالم على ما استمع إليه، بأنه لا يأخذ هذا الكلام مأخذ الهزل، ولا مأخذ من يظن أن ذلك يصدر عن فراغ، لا يجد ما يشغله من علم الإسلام، فيشغله بالغلو في (التحسينيات) أداء لشعيرة الجمعة؛ لأنه منهج، قاموا عليه سنين دأباً، ويتسامرون به ويناطرون عليه، إلى حد قولهم: لن يحرر القدس إلا أصحاب الجلابيب واللحي^(٢).

(١) انظر: محمد الغزالي - ضوء على تفكيرنا الديني، ص: ٤٧ وما بعدها.

(*) إضافة إلى ضياع المقاصد والمعاني وفراغ العبادات من روحها ومضامينها. فغدت العبادات في الغالب أشكالا وظواهر لا تأثير لها في السلوك، تؤدي الصلاة دون التناهي عن المنكرات ويؤدي الصوم مرفوعاً بأنواع شتى من الانحرافات ويؤدي الحج دون توقف عن الماضي الفاسد.. كل هذا لأن العبادات لم تنفذ إلى القلب فتؤثر فيه. (انظر: محمد الوكيل - فقه الأولويات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٧م، ص: ٢٩).

(٢) انظر: عبد المجيد صبح - هل من السلفية ألا ندرس القرآن؟، ص: ٩.

إن اختزال الإسلام في المظاهر والشكليات، أثار الكثير من الخلافات والصراعات التي فتّت الصف الإسلامي، وأهدرت طاقاته في مسائل لا ينبغي عليها عمل، كما أن اختزال الإسلام كرسالة عالمية في مراسم وشكليات شوّه حقيقة الإسلام الكبرى، ورسالته الحضارية العظيمة..

٤- فح التصدي للاختراق الشكلي والانغماس في الاختراق المعرفي:

إن الغلو في الاهتمام بالمظاهر والشكليات أصاب الكثير من المسلمين بالتفكير السطحي الساذج؛ فأتوا من قبل سذاجتهم. وهذا ما لاحظته أحد (المفكرين) في أن الكثير من المسلمين تصدوا للاختراق الأخلاقي السطحي، لكنهم في الوقت نفسه ربما يكونون غارقين في الاستهلاكية التي هي في تصوره جوهر العلمانية الشاملة. فهم يحرصون على الالتزام الأخلاقي السطحي حين يقيمون عرساً، ومع ذلك فإن ما يستهلكونه من طعام وما ينفقونه على ما يرتدونه من ملابس ومصوغات يفوق الوصف. كما أن إدراكهم للبعد الاجتماعي التراجعي في الإسلام ضعيف أو غائب تماماً.

هناك أيضاً شهر (رمضان) الذي من المفترض فيه أنه شهر التعبّد والتعفف وتذكر المساكين، ولكن الذي يحدث - كما تقول الإحصائيات - أن كمية الطعام الذي نستهلكه تزيد مرة ونصف المرة في شهر (رمضان) عن الشهور العادية. لقد ضاع معنى الصيام ونسينا معه الفقراء، واخترقنا النموذج الاستهلاكي، وضرب (المفكر) مثلين، يدلان على الاختراق العلماني المعرفي كاملاً، حتى إنه تحول إلى اختراق أخلاقي، أذكر منهما: ما حكاه عن هذين الشابين المسلمين اللذين اعترضوا على المصارعة الحرة؛ لأن اللاعبين لا يرتديان شورتات شرعية، أي إنهما تم اختراقهما معرفياً تماماً، حتى إنهما لم يلاحظا الصراع الحيواني الدائر أمامهما، وأن الإنسان قد تحول إلى كتلة لحم ترتطم بكتلة لحم أخرى.

هذا نوع من أنواع الإباحية المعرفية، فهي تجرد الإنسان تمامًا من منظومة القيم الأخلاقية والإنسانية التي جعلت منه إنساناً، ولكن كثيراً من المسلمين لا يدركونه. والناس لا يزالون ينظرون للظواهر من منظور أنها حلال أو حرام بالمعنى السطحي، فيقولون حلال ما دام لا توجد (قُبَل) حارة أو باردة ولا إباحية بالمعنى الأخلاقي المباشر..

إن الإسلاميين إن أرادوا أن يسيروا في الاتجاه الصحيح، فعليهم أن ينتبهوا إلى أبعاد الاختراق المعرفي العميق وأن تُوعى الجماهير بذلك..^(١).

والحق أن الوقوف على المظاهر والشكليات فرغ كل شيء من محتواه، بل فرغ الإسلام بعباداته ومعاملاته وأخلاقه من مضمونه ومحتواه!!

وبعد أن عرضنا بعض النتائج السلبية الخطيرة على نهضة الأمة، وعلى مسار الفكر الإسلامي؛ نتيجة الغلو في الاهتمام بالمظاهر والشكليات، نعرض لأهم الأسباب التي أدت لذلك مع تقويمها.

أهم أسباب الغلو في الاهتمام بالمظاهر والشكليات وتقويمها:

١ - الجهل بحقيقة الإسلام في الكتاب السنّة:

إن دين (الإسلام) الذي ارتضاه الله لعباده، هو دين الإنسانية كلها، وهو الدين الذي اتسعت أبعاده وامتدت رسالته، حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة.

إن الإسلام لا يجوز اختزاله في بعض المظاهر والشكليات أو في بعض الجوانب وإهمال الجوانب الأخرى. فالإسلام كل لا يتجزأ، ولا يكتمل إسلام المرء إلا

(١) انظر: دأبد الوهاب المسيري - العلمانية والحادثة والعولمة، تحرير: سوزان حرفي، دار الفكر، ط٤، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص: ١٥٠ وما بعدها.

باكتمال العناصر الأربعة التي تشتمل عليها والتي تتمثل في العقيدة والشرعية والأخلاق والحضارة. إن الإسلام ليس لِحَى تطول أو تقصر وليس جلباباً له مواصفات معينة وليس دروشة فارغة أو ذهولاً عن الدنيا وما فيها وليس نقاباً يلغي كيان المرأة^(١).

وقديماً حذر (ابن القيم) من بلوى الوقوف عند الظواهر والشكليات، وعدم مراعاة المقاصد والغايات، حتى فهِمت الأشياء على غير حقيقتها، وسميت بغير أسمائها، فقال: «وما مَثَلُ مَنْ وقف مع الظواهر والألفاظ، ولم يراع المقاصد والمعاني، إلا كمثل رجل قيل له: لا تسلّم على صاحب بدعة، فقبل يده ورجله ولم يسلم عليه..»^(٢)!، وقد أشار النبي ﷺ إلى أن من الأمة من يتناول المحرم ويسميه بغير اسمه، فقال: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها»^(٣).

وكذلك غابت حقيقة الفهم للسنة، واختزلت في المراسم والشكليات، وأصبح دليل فهمها، هو التمسك بها على الشكل الذي يراه الغلاة من: ثوب قصير ولحية طويلة، وسواك..

وما أدركو أن حقيقة السنة أنها شارحة للقرآن وموضحة له، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ولذا قال الإمام (الشافعي): «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»^(٤).

(١) د. محمود حمدي زقزوق - الفكر الديني وقضايا العصر، ص: ٢١.

(٢) ابن القيم - إعلام الموقعين، ج٣، فصل: العبرة في الشريعة بالمقاصد والنيات، ص: ١٢٧.

(٣) رواه أحمد (١٨٠٧٣)، وقال مخرجه: إسناده صحيح، وأبو داود (٣٦٨٨) والنسائي (٥٦٥٨)، كلاهما في الأشربة، وابن ماجة في الفتن (٤٠٢٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٩٥٨٤)، عن أبي مالك الأشعري.

(٤) انظر: ابن كثير - تفسير القرآن العظيم، ج١، خطبة الكتاب، ص: ٣.

إن «النبي ﷺ العربي قدر بسنته على إحياء أجيال بدلت الأرض غير الأرض، وحطمت إمبراطوريات ذاهبة في الطول والعرض! إنه ﷺ أنعش بسنته جماهير كانت في غيبوبة، وأطلقها تسعي بعدما أضاءها من الداخل، فعرفت المنهج والغاية، إننا بحاجة إلى شعاع على مسار الدعوة، وحقيقة السنة، فكم ظلمت السنة ممن يتشدقون بها»^(١)!

٢- البعد عن تحديات الواقع وأساسياته:

من المهم ملاحظة أن الأمة قد أصابها، مرض الشكلية والعجز عن إدراك الجوهر والتعلق بالمظاهر؛ بسبب ضمور الفكر وعدم قدرته بعد الانفصام على متابعة الواقع وفهمه، واحتواء تحدياته وتقديم البدائل للتعامل على نحو صحيح معه.

ولذا كان من بين المعوقات التي تعوق مسار الأمة، الانصراف عن القضايا الهامة والمركزية إلى قضايا هامشية شكلية. فأغلب الكتابات الإسلامية كثيراً ما تركز جهودها على مناحي هامشية وموضوعات شكلية تستنفد فيها قدراتها.. وإنه لمن المؤسف أن نرى كتابات ما زالت تصدر ويعاد طبعها إلى اليوم، تغرق في خلافات فقهية حول شكلية قبض اليدين في الصلاة أو عدم القبض، أو تحريك الأصبع في التشهد، أو عدم تحريكه..^(٢).

إن هذه الأمور وأمثالها يستحيل أن تنهض عليها الحياة الإسلامية، ويستحيل أن تؤثر إيجابياً في مسار المجتمع. في عصر قد تطورت عقلياته، وتعمقت حياته وتعددت مشكلاته، وأخذت تؤكد إفلاس أيديولوجيات الحضارة الغربية وسقوط مضموناتها الفكرية، وأصبح الإحساس بضرورة استمداد بديل فكري جديد

(١) محمد الغزالي - هموم داعية، ص: ٣٤.

(٢) انظر: الطيب بوعزة - مشكلة الثقافة في الوطن الإسلامي، ص: ٦٧.

يتعاضم يوماً بعد يوم، وليس ثمة بديل قادر على معالجة المشكلات الذهنية والنفسية والاجتماعية للإنسان المعاصر إلا الإسلام^(١).

ولذا كان من قبيل الهزل في وقت الجدد، الاهتمام بالكثير من المظاهر والشكليات، والمسألة الملحة اليوم، هي ضرورة البحث أولاً عن مخرج للمسلمين من هذا التخلف الشامل، وذلك لن يكون إلا باستعادة الوعي بحقيقة الإسلام وتعاليمه وقيمه، بعقل منفتح وإدراك واع بأهداف الإسلام الحضارية.

وهذا يتطلب توجيه اجتهادنا نحو مشكلات العصر لمعالجتها، وتقديم الحلول الإسلامية لها، حتى يرى المجتمع المعاصر بوضوح وجلاء الخطوط التفصيلية للحل الإسلامي، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالارتفاع من التفكير السطحي ومن التعلق الجامد بالأشكال والقشور، وتقصد المضمون والمحتوى والفعالية والوظيفة، وهذا ما يتوافق مع منطق الإسلام وفعاليته في بناء الحضارة.

إنه لا يتصور عاقل أن تقوم نهضة بعيداً عن الاكتمال الثقافي والخلقي، بعيداً عن الرشد الاجتماعي والسياسي؛ لأن اهتمامها البالغ بأحكام فقهية فرعية، ومجاذلات كلامية نظرية، وصور ساذجة عن الملابس والهيئات..^(٢)!

٥- الغفلة عن مقاصد القرآن والسنة في هذا المجال:

إن نصوص القرآن الكريم تدفع تفكير المسلم إلى النفاذ من سطح الأشياء والأفكار إلى مقاصدها وعمقها ومضمونها ودلالاتها، وترفض أن يتعلق بالشكليات، ويجمد في سذاجة على المظاهر والأشكال.

ويكفي استحضار تلك الآية الكريمة التي حددت مفهوم (البر) في قوله

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ٦٨.

(٢) انظر: د. محمود حمدي زقزوق - الحضارة فريضة إسلامية، ص: ٩٧، والطيب بوعزة - مشكلة الثقافة في الوطن الإسلامي، ص: ٦٩، ومحمد الغزالي - الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص: ٧.

تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فليس البر تحويل الوجه نحو المشرق ولا نحو المغرب. إنما البر أمر أكبر من هذه المظاهر والحركات، إنه الإيمان بالله وما يتبعه من أعمال تمس مختلف مناحي الحياة الروحية والاجتماعية والاقتصادية.. إن تحويل القبلة كانت توجيهًا للوعي الإسلامي بحركة فجائية أحدثت فيه هزة ويقظة، إذ حوّلت اتجاه صلاته وهي قوام دينه، فكانت تحريكًا للوعي وإشغالا للفكر، وتوجيهًا للإدراك نحو شيء أكبر من عادات شكلية، نحو المضمون والمحتوى والوظيفة والتأثير^(١).

ونصوص السنة كالقرآن في ذلك، تدفع تفكير المسلم إلى النفاذ من سطح الأشياء وصورها إلى مقاصدها وعمقها، وترفض أن يتعلق بالشكليات، ويحمد في سداجة على المظاهر والأشكال، كما جاء في الحديث الصحيح: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»^(٢)، وأشار بأصابعه إلى صدره.

كما حذرت السنة كل التحذير من الاهتمام بصور وأشكال العبادة، على حساب روحها ومقاصدها «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٣). وفي الحديث الآخر: «رَبِّ صَائِمٍ، لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرَبِّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»^(٤).

(١) انظر: الطيب بوعزة - مشكلة الثقافة في الوطن الإسلامي، ص: ٧٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، عن أبي هريرة، رقم (٢٥٦٤ / ٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، رقم (١٩٠٣).

(٤) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة - صحيح الجامع (٣٤٨٨).

ثانياً: الإغراق فيه الفروع والجزئيات:

أ- مظاهر الإغراق في الفروع والجزئيات:

الإغراق في الفروع والجزئيات يمثل ظاهرة سلبية في حياة المسلمين اليوم، وهي ليست محصورة على الجماعات الإسلامية فحسب، وإنما هي ظاهرة يعيشها المسلمون في كل مجالات حياتهم دون استثناء، فهم مُغرقون في الفروع والجزئيات في أدقّ أمورهم وفي أعظمها، واشتغالهم بالفروع والجزئيات شغلهم عن العناية بالكلّيات، والاهتمام بالأصول.

فالعناية بالفروع والجزئيات، وإهمال الأصول والكلّيات داء مستحكم في حياة المسلمين، وقبل أن يكون مستحكماً في حياتهم هو داء مستحكم في عقولهم. ولا يكاد يخلو مجلس من مجالسهم من الاشتغال الدائم بالفرعيات، كالكلام عن جلسة الاستراحة أهى مستحبة أم مكروهة أم جائزة أم واجبة؟، وتحريك الإصبع في التشهد، حتى ألقت في هذه المسألة كتب ورسائل، وتفنّن الناس في تحريك الإصبع وتنوعت طرقهم، وكذا وضع اليدين في الصلاة على الصدر أم تحت السرة أو فوق السرة؟ وقضية الهوي إلى السجود: هل يسجد على ركبتيه أو على يديه أو لا؟، وقضية الصلاة بالنعال، وقضية النقاب بالنسبة للمرأة، والتسبيح باليمين أم بكليتا اليدين، وهل يجهر بالذكر بعد الصلاة أو لا يجهر، وما أشبه ذلك من المسائل الجزئية التي أصبحت جُلَّ همهم وحديثهم.. بل ربما تجاوز الأمر ذلك إلى أن تصبح هذه المسائل - في نظر بعضهم - ميزاناً يبين الذي يتبع السنة والذي لا يتبعها^(١).

ولا اعتراض على تحرير هذه المسائل وغيرها، ولكن الاعتراض على أن تصبح هذه القضايا كل همنا ومدار حديثنا، وملء مجالسنا؛ بل ملء قلوبنا وعقولنا.

(١) سليمان العودة - الإغراق في الجزئيات، ص: ٤٨.

ونترك القضايا الكبرى: قضايا الاعتقاد، وقضايا الواقع، وقضايا التخلف العلمي، والتخلف التقني، والتخلف الاقتصادي، والبحث عن موضع قدم لهذه الأمة الإسلامية، إلى متى تظل هذه القضايا مهذرة، ونحن نشتغل بغيرها من هذه القضايا الجزئية الفرعية؟^(١)!

ب- الآثار السلبية للإغراق في الفروع والجزئيات:

لقد ترتب على إغراق السلفية المعاصرة في الفروع والجزئيات نتائج سلبية بالغة الخطورة، حيث أثارت الكثير من المشكلات حول مسائل فرعية بددت طاقات الأمة، وشغلتها عن أهم قضاياها المصيرية؛ مما عوّق مسيرة الأمة عن النهوض والتقدم، ومن أهم بعض هذه النتائج:

١- تبديد قوى التجديد والإصلاح:

أسوأ ما يُقيّد حركتنا في هذا الصدد، أننا «في مواجهتنا مع الواقع نُشغل بالمشكلات الزائفة عن الحقيقية. ونظرة إلى أكثر المعروض في الإعلام عن الختان، والجآن، والسّواك، واللحي، والتكفير، والتنوير، ونحو ذلك من القضايا المفتعلة والمشكلات الزائفة التي تدور في رحاها دون تناول جيد للمشكلات الحقيقية كقضية التنمية الحضارية الشاملة، وقضايا العدالة الاجتماعية، ومسائل الفن والثقافة، من منظور الأصالة والمعاصرة، الذي هو واجب المفكرين المسلمين نحو وطنهم ونحو أمتهم، إن كانوا حقاً جادين في سلوك طريق النهضة والتجديد»^(٢).

وبالتركيز على هذه القضايا المفتعلة دون القضايا الكبرى تسرّب القصور والخلل إلى تصور المسلمين وطريقة تفكيرهم؛ فظهرت الطفيليات والصراعات

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ٤٩.

(٢) أ.د. حسن الشافعي - قول في التجديد، ص، ٤٢.

الصغيرة، واحتلت بؤرة شعورهم قضايا فقهية فرعية جزئية، تعددت فيها آراء المذاهب، ونسوا قضية التقدم والتخلف وطبيعة أزمنا الحضارية الراهنة، وضيّقوا واسعاً، وبدّدوا الطاقة وأفسدوا النفوس.. وتجروّوا على الأسلاف العظماء بمحصول علمي هزيل..^(١).

٢- العمى عن العظام والانشغال بالصغائر:

آفة بعض المتدينين أن ينقلب ترتيب التكاليف في أذهانهم، فيقدّموا الصغير ويؤخّروا الكبير وتضطرب أوزان الأمور، فتراهم يتجاهلون العظام ويتقعرّون في التوافه كهذا الرجل الذي جاء إلى ابن عمر، فسأله عن الصلاة في قميص به دم البعوض!، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: ها، انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هما ريحانتي من الدنيا»^(٢)!

وقد صوّر أبو الطيب المتنبي هذا الاعوجاج النفسي في فهم الدين بقوله:

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم؟ يا أمة ضحكت من جهلها الأمم^(٣)

وذلك في قوم يحسبون قمة الدين إزالة شعر واستبقاء شعر.

قال صحفي لأحد شيوخ العصر - ممن شهدوا القبض على الجماعة التي احتلت الحرم المكي - : عندما أخذنا صوراً لهؤلاء رأيت بعضهم يتململ، فقلت له: مالك؟ قال: لا تصورونا فالتصوير حرام!، فقال له: ترى التصوير حرام، وقتل الأبرياء في المسجد وامتهان قداسته مباح!

(١) انظر: عبد الحليم عويس، الخلل في القيادات الفكرية وفقه السنن الاجتماعية، ضمن بحوث مجلة (المسلم المعاصر)، ص: ١٥، بتصرف.

(٢) الحديث في مسند أحمد رقم (١٦٨ / ٨)، من رواية عبد الرحمن بن أبي نعيم، قال المحدث أحمد شاعر: صحيح.

(٣) المتنبي ت (٩٦٥م) - ديوان المتنبي، قصيدة (أين المحاجم يا كافور؟)، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، د.ت، ص: ٥٠٢.

هذه هي عقلية المتشبهين ببعض الأفكار والفتوى، وذلك مبلغهم من العلم، يعمون عن العظائم ولا يرون إلا ما يضخمون من وجهات نظر، قد يكون خطؤها أجلى من صوابها^{(١)(*)}.

إن الصغار دائماً يهتمون بالصغائر، فإذا رأيت من يهتم اهتماماً هائلاً بقبض اليدين في الصلاة.. أهو فوق السرة أم أعلى الصدر.. ويستثير ذلك أعصابه أكثر مما يستثيره قتل الآلاف من المسلمين، فاعلم أنك أم مسخ من الخلق لا يؤمن على دين ولا دنيا الناس.. وهذا النفر من المتدينين عبء على الأرض والسماء^(٢)!

٣- الذهول عن علل الأمة ومشاكلها:

الأمة الإسلامية متخلفة عن غيرها في أمرين خطيرين: أولهما في شؤون الدنيا التي خطت فيها الحضارة الحديثة أشواطاً فسيحة، وما نزال نحن نحبو على أوائل الطريق. والثاني في معاني الخير والمعروف والعدالة التي تأسست لها في الغرب جماعات قوية تعمل تحت عناوين إنسانية عامة، وتشد إليها الأنظار بما تقدم من عون مزعوم للمحتاجين وإنصاف للمظلومين على حين خلت الساحات منا، ولم يرتفع للمسلمين علم بها؛ لأنهم لم يقطعوا القيود التي جمّدت المواهب، ولم يشخصوا العلل التي أعجزت الأمة، بل سلكوا طرائق هازلة، فمنهم من تخصص في محاربة الفقه المذهبي في الوضوء والصلاة، ومنهم من جدّد الحرب على الجهمية والأشاعرة، ومنهم من ذهل عن أصول الحكم وقواعد السياسة الراشدة وتخصّص في طلب بعض الأحكام الفرعية..»^(٣).

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ٩٤.

(*) حادثة الحرم المكي حدثت في فجر يوم ١ محرم ١٤٠٠هـ - ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩ م، حين استولى شباب مسلح على الحرم المكي - وهو من مقدسات المسلمين - مدعين ظهور المهدي المنتظر.. وهزت هذه العملية مشاعر العالم الإسلامي برمته، واستنكرها جميع المسلمين ووقفوا ضدها.

(٢) انظر: محمد الغزالي - الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٩٩٨ م، ص: ٣٦.

(٣) محمد الغزالي - الحق المر، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ط ١، ١٩٨٧ م، ص: ٢٦٨، والطريق من هنا، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، ص: ٢١.

وبهذه العقلية قيّدوا الفكر والعمل في أمور الفقه والحياة المتغيرة، وقد تجلّى ذلك في البحث والتنقيب في حياة السلف وأقوال العلماء الأقدمين عن مرجع لأي أمر جديد، والاستغراق في قياسات جزئية لا تلبي حاجات الإسلام في الوقت الحاضر، ولا تجيب على الأسئلة الكبيرة والخطيرة التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم، بل نظروا بريبة إلى كل اجتهاد جديد لا يجد له مستنداً أو سابقة في حياة السلف، غير عابئين بالتغيرات العميقة في مسار الحياة وبنية المجتمعات، ولا بقول الأصوليين: «إن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية»^(١).

ج- أهم أسباب الإغراق في الفروع والجزئيات وتقويمها:

١ - غياب منهجية التعامل مع قضايا الأمة الأساسية الملحة:

إن ميدان الفكر هو الكليات والمعطيات المستخلصة من علوم شتى؛ وهناك في عالمنا الإسلامي ألوف المدارس التي تدرس العلوم الشرعية والعربية المتعددة، لكن لا يوجد مدرسة واحدة تعلم التفكير القويم، بل لا يوجد مادة واحدة لتعليم أصول التفكير إلا إذا استثنينا مادة المنطق المقررة في بعض المدارس، وهي مادة ما زالت تدرس المنطق اليوناني الشكلي الذي يكرّس كمال الشكل في التفكير على مقدار ما يضيع من فاعلية التفكير ونوعية مطارحاته.

هذا الإهمال لعلم التفكير المنهجي جعل الاهتمام كله يتجه نحو العلوم المختلفة على حساب الرؤية العامة للتاريخ والواقع والمستقبل.. وبما أن حالة التخلف لا تسمح في العادة بأفكار أو حلول جذرية، فإن اشتغالنا بالعلوم المختلفة اتجه إلى الاشتغال والتحقيق في قضايا فرعية جداً في الصلاة والزكاة والحج وتراجم الأشخاص وتحقيق المخطوطات التي لا تمثل أية إضافة إلى ما هو منشور. ومع أننا لا نهوّن من شأن الاشتغال بأية قضية فرعية مهما كانت إلا

(١) انظر: محمد مختار الشنقيطي - مخاض الفكر السلفي، ضمن بحوث (مجلة المنار)، ربيع ١٤٢٤هـ - إبريل ٢٠٠٣م، ص: ٢٥.

أننا نرى أن السفينة حينما يهددنا الغرق لا يكون المطلوب الأول هو طلائها أو تجديد أثاثها، وإنما إنقاذها والوصول بها إلى بر الأمان.

وبهذا يتبين لنا أهمية التفكير المنهجي في توعية العقل المسلم بقضايا الأمة الأساسية، فإذا عرفنا الموقف السلبي للسلفية المعاصرة من (التفكير) تأكد لنا بوضوح تام سبب إغراق السلفية في الفروع والجزئيات التي بددت طاقات الأمة. وعند النظر في حال العمل الإسلامي نجد أن منهجية التعامل مع القضايا الأساسية (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) غائمة أو مفقودة. والسبب في كل ذلك أن هذه المفقودات لا تقرأ في كتاب أو في علم من العلوم وإنما هي خلاصة النضج الفكري والثقافة الموسوعية المزججة. والذي يدل على اهتمام جماعة أو مؤسسة بقضية ما، هو إنتاجها الثقافي الذي يعالج تلك القضية، ويكشف عن مشكلاتها، ويحاول إضاءتها وتقوية البصيرة بها. وحينئذ نجد أن الكتب التي تتولى المعالجات للقضايا الكلية ما زالت محدودة ومتدنية في مستواها، مع أن لدى الأمة الكثير من الشباب الذين يمكن توجيههم وتدريبهم للقيام ببحوث ودراسات حول القضايا الكبرى^(١).

٢- الاستغراق في التفكير الجزئي:

إذا كان التفكير القويم هو الذي يهتم بالبحث في الكليات والقضايا الأساسية، فإن التفكير الجزئي هو الذي يركز على جزء من الظاهرة، ثم يعمم أحكامه على بقية الأجزاء، أي دون أن يحيط بالموضوع من جميع جوانبه. فالصورة الجزئية قد تختلف عن الصورة الكاملة. وهذا النوع من التفكير يجعل الحياة مقسمة مشتتة، وهو تفكير انتقائي يبعدنا عن وحدة الموضوع، والصحيح أن يتعود الإنسان على الإحاطة بالموضوع الخاضع للدراسة والبحث.

(١) انظر: د. عبد الكريم بكار - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص: ٤١، ٤٢.

فإن عدم الإحاطة تدعو إلى تكذيب الحقائق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]. وقد مدح الله الراسخين في العلم الذين يزدادون إيماناً عندما يردون المتشابه إلى المحكم من آيات القرآن الكريم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وهذا الرسوخ هو الذي يؤدي إلى الاجتهاد واستقصاء المسائل والفقيه إذا لم يُرجع الفروع الفقهية إلى القواعد الكلية، ومقاصد الشريعة فإنه سيغرق في الجزئيات وسيقع في أخطاء عندما يتصدى للفتوى^(١).

إن «المنظور الشمولي والحضاري والكوني والإنساني، الذي أطلق الجيل الأول بالقرآن يكاد يكون مفقوداً الآن.. فقد انحسر العقل المسلم في إطار حرفية محدودة وجزئية قاتلة، وانفرط عقد (شعب الإيمان) فاحتلت الشعب المتأخرة المقاعد الأولى.. وتأخرت الشعب الأولى.. بل أخذت سنن ونوافل وفروع - تحتل الرأي - حجماً لم تأخذه فروع عين وكفاية، وشعب إيمان لا خلاف حولها..»^(٢).

٤ - الغفلة عن أهمية الركائز الأساسية في مقاصد القرآن الكريم:

لقد اهتم القرآن الكريم بمعاهد الإيمان وفضائل الأخلاق وعزائم الأمور، وأثنى على المؤمنين الذين أعرضوا عن اللغو كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وعن الاستغراق في الجزئيات؛ اهتماماً بتعميق الأصول والركائز الأساسية في النفوس عملاً بمنهج القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ

(١) انظر: محمد العبد - دروب النهضة، ص: ٤٦.

(٢) د. عبد الحليم عويس - الخلل في القيادات الفكرية...، ص: ١١، مرجع سابق.

سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كُلُّهُمْ قُلُوبُ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ [الكهف: ٢٢].

فإن «المستوى الأساسي في قصة الكهف هو مستوى العقيدة: البعث والنشور ولكن قومًا تركوا هذا المستوى وأخذوا يبحثون في تفاصيل ليست جوهرية في القصة. ما الفرق بين أن يكون الفتية ثلاثة رابعهم كلهم، أو خمسة سادسهم كلهم أو سبعة وثمانهم كلهم.. إن عبرة القصة لا تتحدد بعدد الفتية، ولكن بما يريد القرآن أن يعمقه في نفوسنا جميعًا، لنكون مصدرًا لعمل الخير وخشية الله وحب عباده. ولكن الناس في كل زمان ومكان نجد من بينهم من يعتني بأمور فرعية ويدع الأصول، أو يهبط بالأصول ويعقدها بتفاصيل كان في غناء عنها..^(١).

وهذا المنهج القرآني في تعميق معاهد الإيمان وفضائل الأخلاق وعزائم الأمور في النفوس، لا يستبقي فرصًا للغو والعبث، أو للتشدد والتنطع..

وسيرة النبي ﷺ خير أسوة لتطبيق الركائز الأساسية في القرآن الكريم، فما استراح النبي ﷺ من عمل إلا لينهض لعمل آخر، وما فرغ من فجع من فجاج الجزيرة إلا ليتحول إلى فجع آخر يعمره بالإيمان والتقوى. وقد جاء صاحبه من بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يدعيا للمسلمين مجالًا للعودة، فراموا بجيوشهم على معاقل الطغيان في الأرض، فما هي إلا سنوات معدودات حتى امتلأت بقاع العالم بأضواء الإيمان. فماذا حدث بعد أن ترك المسلمون هذه الواجبات المهمة على أوقاتهم كلها؟ فرغ بعضهم لبعض، وعاثت بينهم الفتن!، ثم خلفت خلوف جعلت من تفسير التشابه في كتاب الله مضيعة للوقت الواسع الرخيص؛ فأساءت بذلك إلى آيات الكتاب كلها محكمها ومتشابهها^(٢).

(١) انظر: عبد العزيز كامل (د) - دروس من سورة الكهف، المكتب المصري الحديث، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ص: ٧٦.

(٢) محمد الغزالي - جدد حياتك، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٧، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص:

وبعد، هذه هي (إشكاليات التجديد) عند السلفية المعاصرة، التي أصابت الحراك الإسلامي، وعوقت مسيرته عن النهوض والتقدم، وهذا مما يؤكد لنا مدى الحاجة الملحة لضرورة الاجتهاد والتجديد للفكر الإسلامي المعاصر عامة، ولـ (جماعات السلفية المعاصرة) خاصة، وهذا ما سنناقشه في الفصل القادم.

* * *

الفصل الرابع

ضرورة الاجتهاد والتجديد لفكر (السلفية المعاصرة)

- تمهيد: أهمية الاجتهاد والتجديد،
وموقف السلفية المعاصرة منهما.
- المبحث الأول: السلفية المعاصرة والأسس العامة
للاجتهاد والتجديد.
- المبحث الثاني: التجديد لموقف السلفية المعاصرة
من بعض القضايا (دراسة تطبيقية).
- المبحث الثالث: الخصائص المنشودة للسلفية المعاصرة
في مستقبلها التجديدي الواعد.

تمهيد

أهمية الاجتهاد والتجديد، وموقف السلفية المعاصرة منهما:

وبعد أن عرفنا إشكاليات التجديد عند السلفية المعاصرة، يتبين لنا بوضوح أن تقويم الواقع بمنهج السلف، لا يتم بصورة منهجية إلا من خلال ضرورة التجديد لفكر الجماعات السلفية المعاصرة الذي يقوم على أسس عامة للتجديد، تتمثل في: مراعاة فقه النص وسياقاته، ومراعاة فقه الواقع وأبعاده، والاهتمام بالكليات وفقه المقاصد، وإحياء الفروض الكفائية. وهذا ما سنناقشه في هذا الفصل (ضرورة الاجتهاد والتجديد لفكر السلفية المعاصرة)، الذي نستله بأمرين مهمين هما: أهمية الاجتهاد والتجديد، وموقف السلفية المعاصرة من الاجتهاد والتجديد.

أ- أهمية الاجتهاد والتجديد:

لقد اعتمد الإسلام آلية للتجديد تتمثل في مبدأ الاجتهاد، والاجتهاد معناه: بذل غاية الجهد للوصول إلى أمر من الأمور، أو لبلوغ الكمال في فعل من الأفعال. وهو في اصطلاح علماء الأصول: بذل الفقيه وسعه في استنباط الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية وتطبيقها، وعلى هذا يكون الاجتهاد له شعبتان: إحداهما خاصة باستنباط الأحكام وبيانها، والثانية خاصة بتطبيق ما استنبط من الأحكام، وتخريج الأحكام على مقتضى حوادث الزمان..^(١)

والاجتهاد يشمل كل المجالات بما فيها المجال الديني بطبيعة الحال، وقد كان تأكيد الإسلام على قضية التوحيد وقضية ختم النبوة مؤذناً برفع الوصاية عن

(١) محمد أبو زهرة - تاريخ المذاهب الإسلامية، ص: ٣٠٦.

العقل. فعلى العقل إذن بعد أن انتهت النبوة وانقطع الوحي السماوي أن يعتمد على نفسه في كل ما لم يرد فيه نص ديني قاطع، وعلى العقل أن يثق في قدراته على النظر في الكون؛ لسبر أغواره، والوقوف على أسرارهِ بعد انقطاع الوحي وختم النبوة.

ومن هذا المنطلق كان مبدأ (الاجتهاد) أهم الخطوات العملية التي قررها الإسلام للمساعدة على تطوير الفكر وتحريكه لاستمرار التقدم وتطوير الحياة. فالاجتهاد يعتمد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية، وذلك بداية النظر العقلي عند المسلمين، وقد نما الاجتهاد في رعاية القرآن الكريم والسنة النبوية، وامتدت ساحة الإسلام إلى إفساح الطريق أمام العقل في مجال الأحكام الشرعية التي لم ترد فيها نصوص قاطعة، فأباح له الاعتماد على نفسه، وشجعه على ذلك ودفعه إليه دفعاً^(١)، كما جاء في الحديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر»^(٢)، والحديث هنا لم يكتف بفتح باب الاجتهاد ويقرر جوازه، بل يبشّر المصيب بأجر مضاعف، ويبشّر المخطئ بأنه أيضاً مأجور!

إن الاجتهاد هو الأساس أو المبدأ في بناء الحركة في الإسلام، وقد تقرر هذا المبدأ في حياة النبي ﷺ وبموافقته ووصيته لقادة الجند: «.. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تحفروا دممكم وذمة أصحابكم، أهون من أن تحفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»^(٣).

(١) انظر: محمود حمدي زقزوق - الحضارة فريضة إسلامية، ص: ١١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب، أو أخطأ، رقم (٣٣٤٢).

(٣) صحيح مسلم، رقم (١٧٣١) من رواية: بريدة بن الحصيب الأسلمي.

وقد كان لمبدأ الاجتهاد أثره العظيم في إثراء الدراسات الفقهية لدى المسلمين، وإيجاد الحلول السريعة للمسائل التي لم يكن لها نظير في العهد الأول للإسلام، وقد نشأت عنه مذاهب الفقه الإسلامي الأربعة المشهورة التي لا يزال العالم الإسلامي يسير على تعاليمها حتى اليوم. وأدى الاجتهاد أيضاً إلى ظهور علم فلسفي جديد هو علم أصول الفقه الذي يعد بمثابة فلسفة للتشريع الإسلامي، وكان أول من ابتكر هذا العلم الإمام (الشافعي) في كتابه (الرسالة) وذلك قبل أن يتأثر الفكر الإسلامي بالفلسفة اليونانية.

وقد أدى الاجتهاد أيضاً إلى اعتماد مبدأ (المصلحة) في الفقه الإسلامي. ويعني مفهوم المصلحة لدى الفقهاء، الخير العام والمنفعة العامة: فكل ما يجلب منفعة ويدفع مفسدة، ويؤدي إلى خير الناس يُسمى مصلحة. وشاع في الفقه الإسلامي القول المشهور: «حيثما توجد المصلحة فثم شرع الله»^(١) (*).

ولذا فإن الاجتهاد في عصرنا الحاضر هو الفريضة الغائبة، وممارسة الاجتهاد أصبحت فرض عين على كل من لديه المؤهلات لذلك.. للانطلاق إلى آفاق التقدم والارتقاء، ليس فقط على مستوى الفكر الديني، بل على مستوى الفكر بصفة عامة وعلى مستوى تطور حياتنا وتعمير دنيانا وإسعاد أجيالنا في الحاضر والمستقبل..^(٢)

ب- موقف السلفية المعاصرة من الاجتهاد والتجديد:

فالسلفية بوضعها الحالي ليست قادرة على بناء مشروع يمثل وعاءاً للأمة، ولا التعاون مع التوجهات الفكرية الأخرى بما يفضي لمشروع تكاملي للأمة؛ لأن

(١) انظر: د. محمود حمدي زقزوق - الحضارة فريضة إسلامية، ص: ١١٩.

(*) يرجع هذا القول «حيثما توجد المصلحة فثم شرع الله» إلى نجم الدين الطوفي (ت ٧١٦ هـ) الذي اعتبر المصلحة مصدراً للتشريع.

(٢) انظر: د. محمود حمدي زقزوق - الفكر الديني وقضايا العصر، ص: ٢٧.

منطلقاتها الفكرية جامدة، وتصوراتها الذهنية وتصورات أفرادها وسلوكياتهم لا تسمح بالاحتواء ولا بالتكامل^(١).

بل توهمت السلفية أنها تقدّم الحل الذي تمتلكه دون غيرها، فعمّقت الأزمة وكرّستها؛ ذلك أن بعض هذه التجمعات التي جاءت للعلاج، حملت أمراض الأمة وعللها، وخللها، ولم تستطع أن تتمثّل الإسلام، كما أن الدعوة التي أطلقتها الاتجاهات السلفية للاجتهد، والقول بالدليل بدلاً من تقليد المذاهب، قامت على خللين: الأول: خلل في التصور: فالسلفية تتصور أن مجرد الأخذ بظواهر الأحاديث الصحيحة هو القول بالدليل، دون تصور لحدود المفارقة بين ما يتبادر لهم وبين مراد الله من النص، والذي لا يمكن تحقيق الوصول له تحقيقاً يستوفي شرط بذل الجهد إلا بإعمال كافٍ للأبنية الاجتهادية اللازمة للتفقه في تلك النصوص.

والثاني: خلل في الممارسة؛ وذلك راجع للفقر الشديد في آلة الاجتهاد ووسائله، فالسلفيون لا يؤلّون اهتماماً كافياً بالأصول ولا العربية ولا التفسير، مع ضعف عام في الاطلاع، بما في ذلك على أقوال السلف السابقين؛ لإثبات الخلاف والإجماع، ومن ثمّ فإن السلفية تبنت دعوة دون امتلاك آلتها، وهي بهذين الخللين تخالف المسلك الإيجابي لابن تيمية في الاجتهاد..^(٢)

وإذا كانت الأمة تواجه عصرًا يحتاج بشكل غير مسبوق إلى الاجتهاد في السياسة والاقتصاد والاجتماع، فإن هذا يؤكد الضرورة الملحة اليوم إلى تنمية التفكير الاجتهادي، وتوسيع مجالاته، والتنسيق في جميع عملياته بين روح الشريعة ومقاصدها العامّة، وبين إيجاد الحلول المناسبة لمعضلات الحياة العصرية في كل الميادين، آخذين في حسابنا مقولة ابن القيم: «إن الشريعة مبناها وأساسها على

(١) انظر: وسام الكبيسي - السلف والسلفيون - مجلة رؤية (مرجع سابق)، ص: ١١ - ١٣.

(٢) انظر: أحمد سالم وعمر بيسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٣٥٧.

الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد: فهي عدل كلها، ورحمة كله، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل..^(١)

* * *

(١) ابن القيم - إعلام الموقعين، ج٣، ص: ١٤. وانظر: صبحي الصالح - حاجتنا إلى تنمية التفكير الاجتهادي - مجلة الآداب، ص: ١٨.

المبحث الأول

السلفية المعاصرة والأسس العامة للاجتهاد والتجديد

◀ الأساس الأول: مراعاة فقه النص وسياقاته.

◀ الأساس الثاني: مراعاة فقه الواقع وأبعاده.

◀ الأساس الثالث: الاهتمام بالكليات وفقه المقاصد.

◀ الأساس الرابع: إحياء الفروض الكفائية.

الأساس الأول: مراعاة فقه النص وسياقاته:

أ- أهمية فقه النص وسياقاته:

- فقه النص: هو فهم مراد الله ﷻ، وفهم مراد رسوله ﷺ، وإدراك ما يستنبط من معاني الكتاب والسنة بعد نظر وتأمل واستدلال، وليس مجرد فهم ما يظهر من لفظهما، كما أكدّه (الشاطبي) بقوله: «كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، بل التفقه في المعبر عنه وما المراد به، وهذا لا يرتاب فيه عاقل»^(١).

- والسياق هو «الصورة الكلية التي تنتظم الصور الجزئية، ولا يفهم كل جزء إلا في موقعه من (الكل)، وقد أثبت العلم أن الصورة الكلية تتكون من مجموعة كبيرة من النقاط الصغيرة، المتشابهة أو المتباينة، تدخل كلها في ترتيب الصورة.

(١) الشاطبي - الموافقات، ج ٣، ص: ٢٤٨.

هذا وإن التحليل بالسياق يعد وسيلة من بين وسائل تصنيف المدلولات، لذلك يتعين عرض اللفظ القرآني على موقعه لفهم معناه ودفع المعاني غير المرادة»^(١).

- وللسياق أنواع كثيرة لا بد من لفت الانتباه إليها، منها:

١- السياق المكاني: ويعني سياق الآية داخل السورة وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق؛ أي مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تُربط الآية بالسياق الذي وردت فيه، ولا تُقطع عما قبلها وما بعدها.

٢- السياق الزمني: للآيات أو سياق التنزيل؛ ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النزول.

٣- السياق الموضوعي: ومعناه دراسة الآية أو الآيات التي يجمعها موضوع واحد- سواء أكان الموضوع عامًا كالقصص القرآني أم الأمثال أو الأحكام الفقهية أم كان خاصًا كالقصة المخصوصة بنبيٍّ من الأنبياء وحكم من الأحكام أو غير ذلك- وتتبع مواقعها في القرآن الكريم كله.

٤- السياق المقاصدي: ومعناه النظر إلى الآيات القرآنية من خلال مقاصد القرآن الكريم والرؤية القرآنية العامة للموضوع المُعالج.

٥- السياق التاريخي بمعنييه: العام وهو سياق الأحداث التاريخية القديمة التي حكاها القرآن الكريم، والمعاصرة لزمن التنزيل، والخاص وهو أسباب النزول.

هذا وينبغي تحكيم كل هذه الأنواع من السياق عند إرادة دراسة النص القرآني

(١) عبد الرحمن بودرع - منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة عدد: ١١١، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص: ٢٩.

بمنهج سياقي متكامل، وإلا فإن الاقتصار على السياق التاريخي سيحوم حول النص ولا يعدوه، وأما الاقتصار على السياق الداخلي وحده دون الالتفات إلى الأحداث التاريخية المحيطة به أو المصاحبة لنزوله، فسيجعل النص بنية لغوية مغلقة تقتصر على ما تفيدته الألفاظ من معانٍ ودلالات^(١).

ب - موقف السلفية المعاصرة من فقه النص وسياقاته:

مما عمّق أزمة غياب الكثير من المقاصد التربوية والاجتماعية والسياسية.. عن روح القرآن والسنة وفقه التعامل معها، جمود السلفية المعاصرة على النص الذي أدى إلى ضعف ملكة الاستنباط، وباتت غالب أقوالهم متوناً محفوظة ونقولاً متكررة عمن سبقوهم، دون مراعاة لتغير الزمان والمكان والأحوال، ولا لمحددات الأولويات، ولا لتقديرات المصالح والمفاسد وتحقيق المقاصد، وبذلك فقد حرموا أنفسهم والأمة من استعادة دورها على هدي السلف الأول الذي اجتهد في بناء منظومة حضارية متكاملة، تقدمت من حيث التأصيل والمفاهيم والوسائل على كل الأمم آنذاك^(٢).

ونكتفي هنا بذكر مثلين يبينان موقف السلفية المعاصرة من فقه النص وسياقاته:

المثل الأول: موضوع مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية، هذا الموضوع ظل قروناً طويلة وكأنه أمر غير مشروع، وإذا تساهل البعض قال عنه: يجوز عند الضرورة أو الحاجة الماسة.. ولكن استقراء النصوص الصحيحة من البخاري ومسلم خاصة هي التي أعانت على إدراك الهدي النبوي وسمت بالمجتمع المسلم في عصر الرسالة.. وتبين لهم أن الأصل في ذلك المجتمع القدوة هو المشاركة..

(١) نفس المرجع السابق، ص: ٣٠.

(٢) انظر: وسام الكبيسي - السلف والسلفيون - مجلة رؤية (مرجع سابق).

وهذا طبعاً في حدود الآداب الشرعية التي تصون الحياة العفيفة الشريفة ولا تعطلها..^(١).

ولكن عدم استقرار النصوص ووتبعها أوقع السلفية المعاصرة في إشكالية التشدد في موضوع مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية مخافة الاختلاط والفتنة، وهذا يخالف ما «دلت عليه النصوص المتكاثرة من السنة، حتى لقد توافر ما يزيد على ثلاثمائة نص من صحيح البخاري ومسلم تفيد مشاركة المرأة في مجالات الحياة بحضور الرجال»^(٢).

المثل الثاني: مفهوم الولاء والبراء: قد تكون له أحكام مقيّدة بأحكام الحرب والسلم في الشريعة الإسلامية؛ ولذلك لا بد من الجمع بين النصوص، وفهمها في سياقها، وفي ضوء المقاصد الكبرى، فقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، بجب أن يفهم في ضوء الآيات المحكمة التي تبين أصل علاقة المسلمين بغيرهم، والقائمة على البر والقسط، كقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٨، ٩].

ولكن عدم الجمع بين النصوص وعدم فهمها في سياقها؛ أوقع السلفية المعاصرة في خطأ مفهوم الولاء والبراء، وجعلها تعتبر العداوة هي أصل العلاقة

(١) انظر: عبد الحليم أبو شقة - نقد العقل المسلم... دار القلم الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص: ١٤٠، ١٤١.

(٢) عبد الحليم أبو شقة - تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج ١، ص: ٣٦.

مع غير المسلمين، وهذا من أكبر الأخطاء، بل أصل العلاقة الذي تقوم عليه الحياة مع الآخر، هو البرّ والقسط...^(١).

ج- مخاطر فهم النص في غير سياقه:

لقد تسبّب فهم (النص) في غير سياقه، وعزله عن إطاره الكلي إلى مخاطر جمّة، أدت إلى تخلف الأمة وتراجعها، وكوّنت التشطي والتشردم بين أبنائها، ومن تلك المخاطر:

١- إغلاق النص القرآني:

إن تحويل القرآن من أن يكون خطاب أمة بكل شرائحها ومستوياتها وإغلاقه على فئة أو طائفة أو جماعة، أو زمن أو مكان، وإقصائه عن حياة الأمة والانتهاه به إلى هجره: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، أو عزله عن حياة الأمة ومجتمعها والانتهاه به إلى مقابرها وموتها، يحمل الكثير من المخاطر الشرعية والفكرية والثقافية والحضارية والمساهمة السلبية بالفراغات الفكرية والفجوات التي سوف تملأ بـ (الآخر)، وليس أقل من ذلك خطورة (طوافة النص القرآني)^(٢).

وبهذه الطوافة من إغلاق النص عن عموم الأمة، رأينا كل طوائف الأمة ومذاهبها تحاول تأويل النص لإثبات ما ذهبوا إليه.. والجميع يستظل بآيات القرآن الكريم..، ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال:

- ما أوقع المعتزلة والأشاعرة - قديماً - في خطأ فهم الآيات: هو قطع الآيات عن سياقها العام وجعلوها منفصلة تماماً عن سابقها ولحقها من الآيات، كما

(١) سيأتي بيان ذلك في دراسة تطبيقية لموقف السلفية المعاصرة من قضايا: المرأة، والولاء والبراء، والإفادة من الحضارة الغربية في البحث القادم.

(٢) انظر: عمر عبید حسنة - في تقديمه لكتاب الأمة (منهج السياق في فهم النص)، ص: ١٢، مرجع سابق.

اقتطعوا أجزاء الآيات ليستدلوا بها على ما يريدون، وهذا تعسف في الاستدلال، ولو قرأوا الآية كاملة أو فهموها ضمن السياق العام للآيات لكان لهم موقف آخر، غير أن التعصب للمذهب قد صنع ستاراً كثيفاً حجب الرؤية الحقيقية للموقف بكامله، فجعلوا الآيات التي يستدلون بها هي المحكمة وما عداها هو المتشابه، والحقيقة لقد كانت قضية المحكم والمتشابه من الحجج التقليدية التي كثيراً ما تقاذفها الطرفان حسب حاجة الموقف إلى ذلك، فما وافق المذهب كان محكماً وما خالفه كان متشابهاً^(١).

- ما أوقع معظم الجماعات السلفية المعاصرة في خطأ فهم النصوص وعزلها عن سياقها العام، ليستدلوا بها على أنهم هم أصحاب الفرقة الناجية؛ وهذا الادعاء أدى إلى الانغلاق والتعصب، فكل جماعة تنطلق في عملها باعتبارها المقصودة بالفرقة الناجية، والبقية في ضلال مبين...!

هذان مثالان من آلاف الأمثلة، التي أدت إلى انقسام المسلمين إلى فرق شتى، حتى ضربوا آيات القرآن بعضها ببعض من جانب، وإلى حجب المسلمين عن فهم النصوص والانتفاع بها من جانب آخر؛ بسبب عدم مراعاة فقه (النصوص) في سياقها.

هذا وما زال القرآن الكريم يؤخذ عضين، ويُقرأ بهذه الروح الحزبية التعصبية التي تهيمن على غالب الاتجاهات الإسلامية المعاصرة، مما أدى إلى طوافة القرآن، واستخدام النصوص والتراث لدعم التصور الخاص بكل طائفة أو اتجاه، ونسوا أو تناسوا أن القرآن الكريم هو كتاب الأزمان كلها، وكتاب الأماكن كلها، وكتاب الإنسانية كلها.

(١) انظر: د. محمد السيد الجليند - قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢٠٠١ م، ص: ٢٤٣.

٢- اختلال صورة المفاهيم وتقزيمها:

لننظر إلى المفاهيم الكبرى، لنرى الفارق بين قامتها القرآنية وقامتها التي رسمت في عقولنا لتبين تلك الفجوة، حتى على المستوى النظري كيف أثرت في المشهد. ومع إكبارنا وإجلالنا لكبار المفسرين وما قاموا به من عمل رائع، ولكن كل عمل هو ابن عصره، قوة وضعفاً، وابن وعي من أنتجه وتصوره عن الحياة، وبالتالي لا يمكن محاسبة منتج عصر ما بوعي عصر آخر وثقافته..

ولكن أثر ما قدمه المفسرون وأهل العلم في مجمل الصورة التي نحملها عن الإسلام اليوم، وخاصة أنها تُقدّم باعتبارها تفسيراً للقرآن وليست فهمًا تاريخيًا للقرآن، ومن هنا هي تؤثر بشكل كبير في العقل الجمعي وتشكل قامة المفاهيم القرآنية^(١)، ولننظر إلى المفاهيم التي تؤثر في النهضة وصناعة الحضارة، مثل: العمل الصالح والعدل والكرامة الإنسانية والتعارف الإنساني الكوني لنرى الفارق بين قامتها القرآنية وقامتها التي رسمت في عقولنا لتبين تلك الفجوة، التي أثرت في المشهد..

ولننظر إلى مفهوم التوحيد - الذي اختزلته السلفية المعاصرة في شرك القبور، وقضية الذات والصفات.. - لنرى البون الشاسع بين قامته القرآنية، وقامته التي رسمت في العقل السلفي المعاصر؛ وذلك «لأن الشرك في كل عهد من العهود يتخذ مظهرًا مختلفًا. فقد يكون مثلاً شركاً في الاقتصاد والمعاش، يأخذ الناس متاع الدنيا من أجل المتاع الدنيوي فحسب، ولا يصلونه بحمد الله - سبحانه وتعالى - وشكره ومعرفة نعمائه وأفضاله وخدمة أغراض دينه وشرعه، وقديماً بعث الأنبياء ليقرروا معنى التوحيد في هذا الإطار وليحاربوا هذا الشرك، ومنهم (شعيب) ﷺ الذي كانت قضية التوحيد عنده مرتبطة بالاقتصاد، و(موسى) ﷺ

(١) انظر: د. جاسم سلطان - التراث وإشكالياته الكبرى، ص: ١٤٩.

الذي كانت قضية التوحيد عنده مرتبطة بالسياسة من جانب في وجه فرعون، وبالاقتصاد من جانب آخر في وجه قارون. وكانا - عليهما السلام - يمثلان وجهين من وجوه التصدي للشرك السياسي والاقتصادي^(١).

وبهذا فقه صحابة النبي ﷺ روح القرآن ومقاصده؛ فعندما قدّموا مفهوم التوحيد للناس قدّموه على أنه فكّك لأعناقهم من ضروب الوثنيات الدينية والاجتماعية والسياسية، فلا مكان لفرعونية حاکمة، ولا كهنوتية موجهة ولا جماهير ذلول الظهر لكل راكب أو مستغل، ومن خلال تعاليم الكتاب والسنة أدرك الناس دون تكلف ولا تقعر أن الحريات موطدة وأن الحقوق مصونة وأن العقل ينبغي أن يفكر دون قيد، وأن أشواق الفطرة تلبّي دون حرج، وأن الدولة في الإسلام مع المظلوم حتى ينتصف، وعلى الظالم حتى يعتدل^(٢).

ألا ما أبعد الشبه بين أتباع النبي ﷺ في الأولين وأتباعه في الآخرين الذين قرّزوا مفهوم التوحيد وقدموه للناس باسم الانتساب للسلف الصالح...!!

ولذلك لا بد من أن يتجدد الفكر العقائدي - في ضوء فقه النصوص وسياقاتها - ليعالج ويحابه نوع المرض الإشراكي، وعلل التوحيد التي يطرحها الواقع الحاضر، والتي يتلىنا الله - سبحانه وتعالى - بها، لأن أقداره تتقلب علينا بوجوه متجددة من الابتلاء، ولا بد من أن نتجه إليها بوجه جديد في كل عصر وفي كل زمان ومكان، فنعبّد الله - سبحانه وتعالى -، ونكيّف تلك العبادة بما يكافئ حاجات الزمان والمكان^(٣).

وأخيراً لا تقف مشكلة التفسير عند تقرّر المفاهيم، ولكنها تمتد إلى مشكلة أكبر وهي في تذرّر المفاهيم، فكل آية تُفسر على حدّتها، ولا تُوضع في نسق جامع

(١) انظر: حسن الترابي - قضايا التجديد، ص: ١٦٠.

(٢) انظر: محمد الغزالي - هموم داعية، ص: ١٤.

(٣) انظر: حسن الترابي - قضايا التجديد، ص: ١٦٠.

يربط بينها في نظرية عامة.. فمثلاً حين ننظر إلى موضوع الحرب والسلام سنجد أن كل آية تُفسر على حِدِّها مما يقود إلى نتائج كارثية..^{(١)(*)}.

إذن لا بد أن تتوجه الجهود لفقه النص في ضوء ظروف الزمان والمكان واستطاعة الإنسان، وعدم الاكتفاء بفقه الأقدمين للنص، ولا بد أيضاً من التطوير والتجديد المستمر والتسهيل لأدوات فهم النص؛ لتصبح ثقافة عامة، ذلك أن مناهج الأصول فضلاً عن اختلاط الكثير منها بالفلسفة وعلم الكلام وتحولها إلى قواعد ذهنية مجردة محجوزة على نخبة النخبة، لم يستطع الباحثون فيها تجاوز المثل الواحد: ينقلونه من عصر إلى عصر، ويعيدون إنتاجه، مقتصرين على استنباط الحكم التشريعي دون غيره من مقاصد النص، وعلى عدد محدود من الآيات قد لا يتجاوز الخمسائة آية من (آيات الأحكام)، أما باقي القرآن فتحول إلى تراويل وأصوات لأداء الصلوات، وغابت الكثير من المقاصد التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإنسانية والحضارية وغير ذلك من المقاصد والآفاق^(٢).

الأساس الثاني: مراعاة فقه الواقع وأبعاده:

أ- فقه الواقع وأهميته:

يُراد بفقه الواقع ما تجري عليه حياة الناس، في مجالاتها المختلفة، من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من

(١) انظر: د. جاسم سلطان - التراث وإشكالياته الكبرى، ص: ١٦٨.

(*) الحق أن كثيراً من المفاهيم التي شكّلت عقلية المسلم وترسّخت في نفوس المسلمين - والتي يضيق بها المقام هنا -، تحتاج إلى مراجعات جذرية في ضوء معاني القرآن ومفاهيمه الكبرى، وهذا يحتاج «إلى جهود جبارة، لا تقف عند القيام بالعمل العلمي، ولكن تنتقل لتتحول إلى مشروع حضاري، بمعنى أن تتحول أنماط التفكير الجديدة إلى نمط شائع مستقر في البيئة العربية والإسلامية» (انظر: المرجع نفسه: ص: ١٦٩).

(٢) انظر: عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب الأمة ١٠٨ (ضوابط في فهم النص) وزارة الأوقاف قطر، ط ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ص: ٢٨.

نوازل وأحداث، ويُراد به أيضاً النزول إلى الميدان وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعتهم وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تنزل عليهم في واقعهم، في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة.. كل ذلك: فقه الواقع، وفهم الواقع، إلى جانب فقه النص، ففقه النص نصف الحقيقة، والنصف الغائب والأخطر هو ملاءمة محل النص لتنزيله، بتوفيره شروط المحل وانتفاء الموانع؛ ولذا فإن الفقه بواقع المجتمع هو الميدان الأوسع للاجتهاد، ومن ثَمَّ النظر في النص أو التفقه فيه من خلال كيفية التنزيل والتعاطي مع هذا الواقع، في ضوء استطاعته، والارتقاء في تأهيله لاستكمال الاستطاعة واستيفاء تنزيل أحكام الله عليه.

ولما كان فقه المجتمع والواقع يوازي فقه النص، فإنه بدون فقه المحل ومعرفة الاستطاعات بشكل علمي وموضوعي فسوف تستمر المجازفات وهدر الطاقات، والعبث بالأحكام الشرعية، والمساهمة السلبية بالإساءة إليها، ولو عن حسن نية، فلا يمكن أن يسمى فقيهاً حامل النصوص، لأن فقه أبعاد التكليف قسيم فقه النص ومكمل له، فلا فقه لنص بلا فقه لمحله.. فالاجتهاد كل الاجتهاد اليوم لابد أن ينصرف، إلى محل تنزيل النص ومورده، ذلك أن النصوص أصبحت محفوظة وميسور الوصول إليها^(١).

وأساس فقه الواقع موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال العلماء من سلف الأمة.

ففي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

(١) انظر: د. عبد المجيد النجار - في فقه التدين فهماً وتنزيلاً، كتاب الأمة ٢٢، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ج ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص: ١١١، وعمر عبيد حسنة في تقديمه كتاب الأمة ٦٢: الاجتهاد الجماعي في التشريع لعبد المجيد الشرفي، وزارة الأوقاف قطر، ط ١٤١٨هـ، ص: ٣٢، وفي تقديمه لفقه التنزيل عند ابن تيمية، ص: ١٤، وتقديمه للبعد المصدري لفقه النصوص، ص: ١٣، وتقديمه لكتاب الأمة ٧٥: فقه الواقع.. لأحمد بوعود، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ٣٨.

الْمُجْرِمِينَ ﴿[الأنعام: ٥٥]، فمن فقه الواقع استبانة سبيل المجرمين ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم، وهكذا جاءت نصوص قرآنية كثيرة تفصل وتبين سبيل أعداء الله وتفصح مآربهم وغاياتهم، ومنها سورة التوبة التي سميت بالفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين وكشفت عن خداعهم ومؤامراتهم، وكذلك في سورة البقرة والأحزاب وغيرهما ما يكشف عن المنافقين وغاياتهم^(١).

وأما في السنة فقد حفلت بالوقائع والشواهد التي تدل على عناية النبي ﷺ بهذا الجانب، فالنبي ﷺ يوجه المستضعفين من صحابته بالهجرة إلى الحبشة، وهذا برهان ساطع على معرفته ﷺ بما يدور حوله وأحوال الأمم المعاصرة له، فلماذا لم يرسل الصحابة إلى بلاد أخرى؟ ولم اختار الحبشة؟ بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «إن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد»^(٢).

وتتضح أهمية فقه الواقع في الأمور التالية:

١ - ارتباط النص بالواقع: فالخطاب القرآني لم يكن خطاباً بعيداً عن الواقع، أو خطاباً خيالياً ملائكياً، وإنما هو خطاب يستجيب للواقع لتقويمه وتصحيح الاعوجاج الموجود فيه، وبناء على هذا فإن الإسلام يحارب كل محاولة لعزل النص عن الواقع أو عزل الواقع عن النص، فشرعة الإسلام ليست نظاماً منفصلاً عن تطلعات الناس ومصالحهم، ولكنها بمصادرها كلها وسيلة لتحقيق هذه التطلعات والمصالح..^(٣)

٢ - أهمية فقه الواقع في فهم النص: إن إِبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم، وتقدير استطاعتهم وإمكاناتهم، هو الذي يحدد ما هي النصوص التي ينبغي أن تنزل عليهم في واقعهم وتحقق مصالحهم في

(١) انظر: حسن حميد الغرابوي - تجديد الفهم للنص الإسلامي، ص: ٥٦٦، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية، باب: هجرة أصحاب النبي من مكة إلى الحبشة، ج: ٣، ص: ٦٦.

(٣) انظر: نفس المرجع، ص: ٥٦٥.

مرحلة معينة، وما حقه التأجيل من التكاليف لعدم توفر الاستطاعة، أو لعدم تهيؤ الواقع للتنزيل، فالتدين إنما هو ثمرة تفاعل النص مع الواقع، وفقه التنزيل قسيم فقه الفهم^(١).

٣- فقه الواقع يبين أولوية واجب الوقت: تبين النصوص أن أفضلية كثير من الأعمال وأولويتها مرتبط بالزمان والمكان والظرف الذي يعيشه المكلف، ومنه أخذ ما يعرف بواجب الوقت، الذي يتضمن مرضاة الله في وقته وحاله، ذلك أن الأولوية في الغالب لا تكون مطلقة في مختلف الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، بل تتنوع وتختلف باختلافها، فما هو فاضل في واقع قد يكون مفضولاً في واقع آخر، وما هو أساسي في زمن قد يكون ثانوياً في زمن غيره، وما كان في زمن الشدة أو الفتن أو العدوان أو الاحتلال راجحاً قد لا يكون كذلك في أزمنة السعة والاستقرار والأمن والانفتاح السياسي.. ولذلك فإن تحديد واجب الوقت يتطلب اطلاعاً كافياً على أحوال المجتمع وحاجاته، واجتهاداً يقظاً لاستيعاب المتغيرات وأخذها بعين الاعتبار دون إفراط ولا تفريط^(٢)، كما ترك النبي ﷺ إعادة بناء البيت الحرام على قواعد إبراهيم عليه السلام، وقال لعائشة رضي الله عنها: «لولا حادثة قومك بالكفر لنقضت البيت، ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام»^(٣). فترك النبي ﷺ هنا أمراً فاضلاً بسبب معارض راجح وهو حادثة عهد قريش بالإسلام وما فيه من التنفير لهم، فكانت المفسدة هنا راجحة على المصلحة^(٤).

ب- موقف السلفية المعاصرة من فقه الواقع:

رأينا معارك كثيرة بين المؤمنين وبين أعداء الله، وبعدم مراعاة فقه الواقع

(١) انظر: د. بشير شام - الفكر السلفي...، ص: ٣٠.

(٢) د. سعد الدين العثاني - فقه مراتب الأعمال، ص: ٣٢.

(٣) الحديث متفق عليه رواه الشيخان (البخاري ومسلم)، اللؤلؤ والمرجان، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم: ٨٤١.

(٤) ابن تيمية - مجموع الفتاوى، ٢٤ / ١٩٥. وانظر: سعد الدين العثاني - فقه مراتب الأعمال، ص: ٣٢.

كان المؤمنون في هذه المعارك أصحاب قلوب تنبض باليقين وأصحاب نفوس متوهجة إلى ربها عن إخلاص، ولكنها ما أحسنت الخطة ولا درست الميدان ولا قدرت العواقب، فكان ما أصابنا من هزائم ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْآ أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٦٥] ^(١).

أما في ميدان الدعوة، فقد كلف العمل الإسلامي - ولا يزال - الأثمان الباهظة، نتيجة للحسابات الخاطئة والمجازفات غير المبصرة، ذلك أن الأحكام الشرعية أو التكاليف الشرعية هي أشبه ما تكون بأدوية لعلاج الأدواء الواقعة في حياة الفرد والمجتمع، وقاية وعلاجاً، فهي كالصيدلية، لكن يبقى لكل داء دواؤه، وبالتالي فلا يمكن أن يُعطى الدواء الواحد لكل داء أو لكل مريض، فذلك عبث بالأحكام وجهل بالواقع وعجز في تقدير الاستطاعة ^(٢).

ولم تكن السلفية المعاصرة أحسن حالاً من الاتجاهات الإسلامية الأخرى، فلقد غابت عن واقع الأمة وغرقت في سجن الماضي، وفي حدود ما أنتجه وقدمه على الصعيد الديني ودور الدين في المجالين الخاص والعام، وهنا يبرز التضارب الصارخ والسافر بين مقتضيات هذه الهوية السلفية والتحويلات الاجتماعية والسياسية والثقافية، أو بعبارة أخرى الواقع والعصر وما يضعه من شروط الاندماج والتكيف والتطور حتى على صعيد إدراك دور الدين ومهمته وقدرته على تقديم الأجوبة الواقعية الممكنة في مواجهة هذه التحديات ^(٣).

فالسلفيون عندما يسعون إلى تفسير النصوص يلغون عاملي الزمان والمكان، ومقتضيات الظروف التي سيتنزل فيها النص، وقد قال علماء الحنفية في اختلاف

(١) انظر: محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٣٦.

(٢) انظر: عمر عبيد حسنة - تقديمه لكتاب فقه الواقع، ص: ٢٥.

(٣) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢١٧.

أبي حنيفة وصاحبيه - أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني - في مسألة البحث سرّاً عن عدالة اليهود: «إن الخلاف بينهما ليس اختلافاً حقيقياً، بل هو اختلاف عصر وزمان، فإن الناس في عهد أبي حنيفة كانوا أهل خير وصلاح؛ فكان الغالب في أهل زمانه الصلاح والسداد، فوقعت الغُنية عن السؤال عن حالهم في السر، ثم تغير الزمان وظهر الفساد في قَرْنِهما، فوقعت الحاجة إلى السؤال عن العدالة»، ومما شاع من أقوال الفقهاء أن الاختلاف نوعان: اختلاف عصر وزمان، واختلاف حجة وبرهان^(١).

تأمل موقف أحد شيوخ السلفية المعاصرة في (الكويت) من إغلاق المساجد حفاظاً على الصحة العامة وحياة الناس من وباء العصر (كورونا)، فقد عدّ هذا مؤامرة دولية وإقليمية تُشن على الأمة بذريعة (كورونا)، ولا يكاد يمر يوم إلا ويصدر بياناً أو بيانين بشأن ذلك الأمر.

يقول تحت عنوان (لهم في الدنيا خزي): «إصرار العرب وتواطؤ الملأ من رؤسائهم وعلماء السوء منهم على إغلاق المساجد في دولهم بذريعة (كورونا)، واعتبارهم رعاية الصحة العامة أو جب من إقامة شعائر دين الله - خاصة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ومساجد جزيرة العرب حتى خلت بيوت الله من عمارها في شهر رمضان لأول مرة في تاريخ الإسلام - هو نذير شؤم لهم، وخزي وقع بهم، وإيدان بقرب نزع ولايتهم على مساجد الله واستبدال غيرهم بهم...»^(٢).

والحق أن هذا البيان من (الشيخ) في واد والواقع في واد آخر، فمن المغالطات التي وقع فيها (الشيخ) مثلاً أنه نفى تعطيل المساجد في التاريخ، وأدنى بحث

(١) انظر: دبشير شام - الفكر السلفي...، ص: ٣٠.

(٢) حاكم المطيري - منشور (لهم في الدنيا خزي)، على الصفحة الرسمية لموقع (الشيخ) في يوم الخميس الموافق ٢١ مايو ٢٠٢٠ م. وانظر: قوله: «وجود الوباء ليس نازلة تحتاج إلى اجتهاد وفتوى فقد كان الوباء والطاعون شائعاً في زمن النبي ﷺ وبين أحكامه ولم يأذن قط بإغلاق المساجد وترك الصلوات فيها...» (انظر: تغريدة له على تويتر في يوم السبت ١٤ مارس ٢٠٢٠ م).

يمكن الوقوف على واقعتين شهيرتين تم فيهما تعطيل المساجد، الأولى في سنة (٦٥٦هـ) يوم دخل التتار بغداد، حيث يحكي (ابن كثير) وغيره أنه «تعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد»^(١)، وذلك يرجع لشدة الخوف، ولشيوع الموت حينها، والثانية سنة (١٢١٥هـ) حيث يحكي المؤرخ (عبد الرحمن الجبرتي) نقلاً عن الشيخ (حسن العطار) وقائع الطاعون في مصر وبلاد الشام وأنه «أغلقت الأسواق وعزّت الأكفان، وصار المَعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد.. وماتت العلماء والقراء والمُلتزمون والرؤساء وأرباب الحرف.. وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة، لموت أرباب الوظائف واشتغال مَن بقي منهم بأمور أخرى»^(٢).

يجب الفصل بين إغلاق المساجد وإلغاء الحكم الشرعي التكليفي، فلا مجال هنا للحديث عن إلغاء للجمعة؛ لأن لها بدلاً وهو صلاة الظهر؛ فإذا تعطل الأصل - وهو الجمعة - لعذر شرعي من خوف أو سفر أو جائحة، أو قرار من الدولة بناء على سياسة وقائية ملزمة لأجل المصلحة العامة، فقد وجب البديل (صلاة الظهر)، كما أن الجماعات (ومنها الجمعة) لا تجب حصراً في المساجد حتى يعلق وجودها وعدمها بفتح المسجد أو إغلاقه!

وقد أمر الرسول ﷺ الناس بالصلاة في رحالهم (في البيوت)^(٣) مخافة الضرر والمشقة، ولا فرق في هذا بين الجمعة والجماعة؛ لأن المسألة متعلقة بخوف

(١) ابن كثير - البداية والنهاية، ج ١٣، ص: ٢٠٣.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي - عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢ م، ج ٤، ص: ٢٤٣.

وانظر: معتز الخطيب - كورونا بين إقامة الشعائر الدينية وحفظ النفوس - الجزيرة نت، في يوم الأربعاء الموافق ١٨ / ٣ / ٢٠٢٠ م.

(٣) روي في الصحيحين «أن عبد الله بن عباس قال لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت: أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل حي على الصلاة، قل صلوا في بيوتكم، فكأن الناس استنكروا، قال: فعلة من هو خير مني، إن الجمعة عزمة، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشون في الطين والدحض».

الضرر والمشقة لا بنوع العبادة المتروكة، وإذا كان هذا جائزاً في الضرر اليسير من الطين والمطر الشديد وأكل الثوم والبصل، فمن باب أولى الضرر المحقق في مثل الأوبئة والأمراض المعدية التي يترتب عليها هلاك، وإن كان مظلوناً.

إن المشكلة المركزية لدى الأصوات المتباكية على إلغاء شعيرة الجمعة مع تحقق خوف الوباء، هي تجاهل أن من المسؤوليات الأخلاقية للدولة الحفاظ على الصحة العامة، وأن التزام الأفراد بالتعليمات العامة شرط لنجاعتها ودرء الوباء عن الجميع، وأن الأوبئة معدية وعامة وأن شخصاً يمكن أن يعدي مئات في متواليه هندسية يصعب حصرها، فلا مجال هنا للحديث عن خيارات فردية بالأخذ بالرخصة أو العزيمة؛ لأن العزيمة هنا هي ترك الجمعة؛ وتوهم أن العزيمة هو الاجتماع في المسجد قد يترتب عليه إضرار بالآخرين بل بحالة بلد كما وقع في (كوريا الجنوبية) حيث انتشر الوباء بسبب حالة امرأة واحدة فلتت من الحجر وتحركت وسط التجمعات في الكنيسة وغيرها^(١).

ولهذا وجب على الجميع الامتثال للتوجيهات العامة المرتبطة بالصحة والوقاية؛ حتى تكون ناجعة ومجدية، فمصير الجميع مرتبط بتصرف كل واحد منهم.

يقوم النظر الأخلاقي في مثل هذه الحالات على تحديد التصرف الأصح، وتحديد الأولويات وفق معايير وتعليقات متماسكة، فإذا افترضنا أن ثمة تعارضاً بين قيم حفظ الشعائر، وقيمة حفظ الحياة، فإن حفظ الحياة مقدم على حفظ الشعائر، خصوصاً أننا نتحدث هنا عبر اللجوء إلى البدل، وهو صلاة (الظهر) وليس عن إلغاء الحكم التكليفي أو تعطيله، فالحكم التكليفي ثابت ولا يملك أحد تغييره، وإنما نحن نتحرك في ملابسات وسياقات تنزيل الأحكام في الواقع^(٢).

(١) انظر: معتر الخطيب - كورونا بين الشعائر الدينية وحفظ النفوس. مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع السابق. وانظر بيان هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف - مجلة الأزهر شعبان ١٤٤١ هـ - مارس/ إبريل ٢٠٢٠ م، ص: ١٣٧١.

وإذا كانت السلفية المعاصرة تؤمن بـ (فقه الواقع) وإن غاب عنها في الممارسة، فإن (السلفية المدخلية) لا تؤمن بـ (بفقه الواقع)، بل شنت عليه حرباً شعواء وترى أنه مؤامرة خبيثة على الكتاب والسنة، وأنه ليس علماً ولا فقهاً^(١)، كما أن «من أكثر الحقائق الواقعة ملاحظة ومعرفة، هي أن كثيراً من السلفيين ليسوا مطلقين على كثير من المعلومات الضرورية عن الوقائع التي يتكلمون فيها، سياسية أو علمية، أو حتى اجتماعية»^(٢).

وبعد، لقد تبين لنا من واقع العمل الإسلامي معضلة الإصلاح، كما تجسدت في ممارسة الإسلاميين عموماً والسلفيين خصوصاً، أن الطموحات أكبر بكثير من الإمكانيات والتحديات أعظم بكثير من القدرات، ولا صبر لأحد على استيعاب حدود إمكانياته، وربط طموحاته بها والسعي لتطوير قدراته وتجاوز ما يمكن تجاوزه من الفجوة بين الغاية والواقع^(٣).

وبهذا تركت لنا ممارسة الإسلاميين درساً، ينبغي ألا يُنسى، في عدم مراعاة (فقه الواقع) المتمثل في آثار إغفال وجوب التأني، وتقدير العواقب، وتوقع المآلات، واستقراء الأوضاع المحلية والإقليمية والدولية، قبل الإقدام على المشاركة السياسية التي لا تقتصر آثار الخطأ فيها على مَنْ ارتكبه بل تتعدى إلى الأمة كلها، وإلى الدعوة الإسلامية... وكفى بذلك سبباً لإعادة النظر في التحرك الدعوي والفكري في ضوء فقه الواقع والوقائع معاً، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً^(٤).

(١) انظر: ربيع المدخلي - أهل الحديث هم الطائفة المنصورة ص: ٩٣ - ٩٤. وانظر: أحمد سالم، وعمرو بسيوني، ما بعد السلفية، ص: ٥٧٢.

(٢) أحمد سالم وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٥٧٤.

(٣) انظر: أحمد سالم وعمرو بسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٦١١.

(٤) انظر: د. محمد سليم العوا - المدارس الفكرية الإسلامية، ص: ٤٧٣.

ج- الأسس العامة لفقه الواقع وأبعاده:

يجب على العاملين للإسلام والمشتغلين بالفكر والإصلاح مراعاة الأسس التالية:

١- فهم روح العصر وأبعاده:

إذا لم يكن لك روح العصر كانت لك كل شروره: أن تكون فقيراً بين فقراء أو جاهلاً بين جهلة أو فوضوياً بين فوضويين، فذاك أمر يظل محدود الأضرار. لكن أن يكون المرء جاهلاً بين علماء أو فقيراً بين أغنياء أو فوضوياً بين منظمين، فهذا يعني أن كل مشاكل أولئك ستُحلّ على حسابه. وهكذا فإن الضريبة التي سندفعها نتيجة عدم فهم روح العصر، ونتيجة عدم الاستجابة لتحدياته ستكون مضاعفة أضعافاً كثيرة! وعليه فإن مستقبل السلفية المعاصرة مرهونٌ بمدى استطاعتها التحرر من أسر التاريخ، والالتحام بهوموم الأمة في زمانها الراهن، وعندئذٍ سيكون لها دور إيجابي في المستقبل، وإلا سيطويها التاريخ في جنباته^(١).

٣- التشخيص السليم لأوضاع الفكر الإسلامي:

يجب أن تعتمد النزعة التجديدية لدى المفكرين على التشخيص السليم لأوضاع العالم الإسلامي، والتعرف على مواطن العلة فيه بهدف تقديم العلاج الصحيح، والخروج بالأمة الإسلامية من أزمتها الحضارية الخانقة، حتى تشارك في صنع التقدم الحضاري للبشرية جمعاء، مع التأكيد على أنه من الواجب الشرعي والأخلاقي والحضاري: محاولة إدراك الصورة على ماهي عليه، ثم التعبير عنها على نحو منصف، وإلا كانت أعمالنا الفكرية الشفوية والمكتوبة ليست أكثر من تشويه للواقع وللتاريخ ولعقول الناس أيضاً^(٢)!

(١) انظر: د. عبد الكريم بكار - المناعة الفكرية، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، ١، ١٤٢٧هـ، ص: ٩٣، ومحمد مختار الشنقيطي - فتاوى سياسية ص: ٥.

(٢) انظر: د. محمود حمدي زقزوق - الحضارة فريضة إسلامية، ص: ١٠٦، ود. عبد الكريم بكار - خطوة نحو التفكير القويم، ص: ١٠٤.

٤ - ربط البناء الفكري والنظري بقضايا المجتمع ومشكلاته:

ترتبط إمكانية أي جهد فكري بقدرة المفكر على ربط البناء الفكري والنظري بقضايا المجتمع ومشكلاته، فإن المنهج الإسلامي الصحيح في بناء المعرفة ينطلق أساساً من ملاحظة الواقع، واستقراء أوضاعه ومسالكه، وعلى أساس هذا المنهج تقدّم المسلمون وأمسكوا بزمام الحضارة في العالم عدة قرون، وما نحتاج إليه اليوم هو الربط بين مرجعية الفكر الإسلامي وبين دراسة الواقع الاجتماعي والسياسي وإدراك الحلول العملية المناسبة والواقعية الملموسة لتحقيق صالح الجماعة من خلال الفكر الإسلامي»^(١).

٥ - مراعاة الواقع المعيش دون إهمال الواقع:

لا يمكن تحقيق نهضة أو بعث حقيقي في الفكر الإسلامي إلا إذا اتجه نحو الواقع المعيش دون إهمال الماضي. وأن يواجه المفكرون قضايا عصرهم بطرح عملي واقعي، وأن يكون طرح الإسلام للناس من خلال مشكلاتهم الحياتية القائمة وليس كوعظ أخلاقي مجرد، ويتم ذلك من خلال اجتهاد فقهي معاصر يعالج قضايا العصر آخذاً بالنظر الإجمالي للمقاصد والتصور الكلي لنظم الحياة مع الابتعاد عن الأحكام الجاهزة أو الفرعية التقليدية^(٢).

٦ - الوعي الكامل بوسائل فقه الواقع وأدواته:

يجب مراعاة ما سبق مع الأخذ في الاعتبار أن فقه الواقع أو فقه المجتمع، أصبح

(١) انظر: د. محمد بلتاجي - حاجة العلوم الإسلامية إلى التجديد، ص: ٦٨، وطارق البشري - حوارات مع طارق البشري، ص: ٢٢٣.

(٢) هذه الفكرة عزاها الباحث رحمانى الشيخ إلى د. محمد عمارة في كتابه: أزمة الفكر الإسلامي الحديث ص: ٢٠٧. ولما عدت إلى كتاب الدكتور عمارة بنفس الطبعة المشار إليها لم أجدها والعجيب أن كتاب الدكتور عمارة عدد صفحاته ١٦٠ صفحة فقط. انظر: رحمانى الشيخ - الأزمة الفكرية لحركات الإسلام السياسي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة، كلية العلوم السياسية ٢٠١٤ - ٢٠١٥، ص: ٤٧.

علمًا له أدواته ووسائل قياسه، بل أصبح خلاصة لمجموعة علوم إنسانية واجتماعية وتاريخية، كما أن علوم فقه الواقع تتقدم بسرعة، وتتأصل بشكل مذهل حقيقة وتنشعب إلى شعب تخصصية دقيقة، في محاولة لتغطية جميع مساحات الحياة، وبالتالي لم تعد تنفع معه النظرة العابرة، أو الملاحظة الآنية، أو الأمنية المخلصة؛ فإن العمل الإسلامي قد يصيب النجاح ويؤتي ثمرته، وقد يعتره شيء من التعثر والتخبط بحسب قدرة الدعاة والعاملين على ملاءمة وتطوير وسائل الدعوة بما تقتضيه الظروف والأحوال المناسبة، وإدراك أبعاد الساحة التي يعملون فيها والقدرة على تحديد الموقع الفاعل المؤثر والوسيلة المجدية من خلال الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة، الأمر الذي يقتضي معاناة دائمة، وحسًا صادقًا، وإدراكًا واعيًا وعقلًا راجحًا، واطلاعًا واسعًا، وحسن دراية وفقه لمعركة الإسلام وخصومه حيث تتجدد المعارك، وتبديل المشكلات وتتطور أسلحة المواجهة بسرعة هائلة.

من هنا تتأكد أهمية عملية المراجعة المستمرة والتصويب الدائب والدائم على ساحة العمل الإسلامي في المراحل المختلفة لترشيد المسيرة وتأكيد انضباط الحركة مع مبادئ الإسلام وتحديد حجم التصرف بما يتناسب مع الإمكانيات ضمن حدود الوسع ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] خاصة في عصرنا الحاضر، عصر العلاقات المعقدة والتحديات الكبيرة، وعدم الوقوع في الخلط بين الإمكانيات والأمنيات..^(١)

الأساس الثالث: الاهتمام بالكليات وفقه المقاصد:

أ- فقه المقاصد الشرعية وأهميته:

المقاصد موضوع المصالح الكلية المطلوب تحقيقها أو مراعاتها، والمقصد هنا: هو ما شرع الحكم التشريعي لأجله، وما يتغياها الشارع من غايات، وفقه

(١) انظر: عمر عبيد حسنة - تقديمه لكتاب (فقه الواقع)، ص: ٣٤، ومحمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ١٣١.

المقاصد: هو الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة من الشارع في التشريعات بعامة، كلها أو الغالب منها، ومن ثم فإن المقصود بمقاصد الشريعة هو: الغاية التي من أجلها وضعت تلك الشريعة في كليّاتها وجزئياتها متحرّية أن تجري حياة الإنسان المشرّع له على ما فيه خيره وصلاحه.

وتُدرَك المقاصد إما بتصريح من الشارع في نص من النصوص، أو بإدراك العلة لحكم من الأحكام المعنية، كما تدرك باستخلاص الحكم من التشريعات وصولاً إلى المعاني العامة لها، والغالب هو التوصل إلى درك المقاصد من خلال منهج الاستقراء، الذي يقوم بتتبع الجزئيات والفروع في الظواهر لإدراك أمر كلي يصدق على جميع الكليات أو أغلبها^(١).

للمقاصد الشرعية أهمية كبرى، فهي الغاية التي من أجلها وضعت تلك الشريعة في كليّاتها وجزئياتها، لما فيه خير الإنسان وصلاحه، وهذا ما يتضح في العوامل التالية:

١ - عمومية المقاصد من المرجحات عند الاختلاف:

المقاصد تدرك من الحكم والغايات والمصالح الكلية مما لا يبلغ مبلغ العلل في درجة الظهور والانضباط؛ لأنها تفيد نظراً شمولياً للنصوص. اهتداء بقاعدة أن العام ظني الدلالة في عمومته، والخاص قطعي الدلالة في خصوصه، ومن ثم فإن عمومية المقاصد تجعلها من المرجحات عند الاختلاف بين ما يحتمل النص من الآراء المتعددة، وهي من المرشحات في تبين مدى الملاءمة في درك النوازل، لإنزال الحكم المنصوص عليه في كل حال بعينها.

(١) انظر: طارق البشري - الجماعة الوطنية في ضوء مقاصد الشريعة، ص: ٣، ٤، ود. عبد المجيد النجار - مقاصد الشريعة، ص: ١٦.

٢- أهمية المقاصد في الربط بين الأحكام والأهداف الاجتماعية:

تربط المقاصد بين الأحكام الشرعية وبين الأهداف الاجتماعية في تنزيل الأحكام على الوقائع المعاصرة، ومن هنا نلاحظ أن المقاصد مثلاً، فيما يتعلق بنظم الحكم، تشكّل الآصرة التي تصل علم السياسة بهذه الأحكام، وهي فيما يتعلق بنظم الإدارة تشكّل الآصرة التي تصل بين الأحكام التشريعية وبين علوم الإدارة. وفيما يتصل بأحكام المعاملات بين البشر فإن المقاصد تشكّل الآصرة لها مع علوم الأخلاق والمجتمع.

٣- أهمية المقاصد في مجال السياسة الشرعية:

المقاصد تجد مجالها الفسيح في مجال السياسة الشرعية؛ حيث لا جزم بأمر من الشارع ولا نهى، فتقرر السياسات من ولي الأمر بما يصلح شأن الناس، وكذلك في مجال تقييد المباحات حثاً عليها أو تكبيلاً، مراعاة للصالح والغايات المستحدثة.

٤- دور المقاصد في الوصل بين الأحكام الشرعية:

للمقاصد دور بديع في وصل الأحكام الشرعية بعضها ببعض، وذلك بإخراج كل حكم منها من ضيق النظر المحدود والصالح الذاتي والتناثر الجزئي إلى فسيح النظر العام للقيم والمبادئ والأصول التي تعطي المعاني السامية لسائر الأنشطة الجزئية والتفصيلية، وتنقلها من جفاف التصرفات الصماء إلى رغد النظر الإيماني، بالحق والعدل والصالح العام^(١).

٥- أهمية المقاصد في ربط الأحكام بمقاصدها ومعانيها:

تتجلى أهمية المقاصد للحاجة الماسّة إلى ربط الأحكام بمقاصدها وغاياتها

(١) انظر: طارق البشري - الجماعة الوطنية في ضوء مقاصد الشريعة، ص: ٥، ٦.

ومعانيها وحكمها، حتى يفهم الناس أسرار الشريعة وأحكامها، ولماذا كتب الله تعالى علينا بعض الشرائع من باب المصالح والحقوق والحكم والأهداف؟، وما تعرفه الفطرة من خير وصالح وحكمة، وهذا المنهج هو أفضل وسيلة للتعلم ولدعوة الغير إلى الإسلام، ولمعالجة ظاهرة الإلحاد التي تفشت في بعض الشباب للأسف، والتي من أهم أسبابها اختلال المنهج العقلي في التعامل مع الإسلام، والجمود الشائع على الشكليات وظواهر الأفعال، والسطحية في الدفاع عن عقائد الإسلام والتعريف بأحكامه ونظام الأخلاق فيه^(١).

٦- المقاصد والحماية من الخطأ:

المقاصد الشرعية تحمي من الخطأ عن طريق وضع ضوابط للاجتهاد حتى يعتمد على بصر واع بالمقاصد، وإدراك لترتيبها، وتنزيل كل حكم يجري فيه الاجتهاد منزلته من تحقيق المقاصد الكلية للشريعة أو المقاصد الجزئية للأحكام، وبناء على هذا التنزيل يكون صواب الاجتهاد أو خطؤه، ويتعين أن تكون المقاصد من الشمول والعموم، بحيث تسع هذا التنوع والثراء في المعاني؛ لتحيط بالجماعات البشرية في أحوالها السياسية والاجتماعية والوطنية وغيرها، وتستجيب لدواعي المصالح التي تجدد في سياق هذا التنوع^(٢).

ولأهمية مقاصد الشريعة بذل العلماء - على مر العصور - جهوداً كبيرة في استخلاصها من نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وقد ترك بعضهم بصمات واضحة في هذا المجال، ومما استقر عليه الأمر عند عامة علماء الشريعة، كون أحكامها وتكالييفها دائرة حول حفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين،

(١) انظر: د. جاسر عودة - التفكير المقاصدي.. مراجعات لترتيب العقل المسلم، ص: ١٠٢.

(٢) انظر: ورقة مقدمة في الاجتماع الأول للمجلس الأعلى لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، فأقرها في اجتماعه الأول بالقاهرة في ١٤ / ١٢ / ٢٠٠٥ م، وطارق البشري - الجماعة الوطنية في ضوء مقاصد الشريعة، ص: ٥٠.

والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والتي تتميز بأنها من كليات الشريعة، وأنها ثابتة محفوظة في كل الملل.

ب - موقف السلفية المعاصرة من المقاصد الشرعية:

إن من الخطورة بمكان غياب المقاصد، وغياب النظر في الحكم والعواقب والمآلات، والنظر إلى الأحكام على أنها قواعد ذهنية مجردة تمارس بشكل آلي بعيداً عن إدراك ما يترتب عليها، انتهى بالاجتهاد إلى العزلة عن واقع الحياة وتحقيق مصالح العباد^(١).

إن من أكبر المشكلات التي تواجه العمل الإسلامي اليوم، وتشوش على الفكر الإسلامي، وتعطي أسلحة فعالة لجماعة العلمانيين والمتغربين، ما تقوم به جماعات السلفية المعاصرة التي ليس لها أدنى حس بفقه المقاصد، فهي أسيرة الحرفية والشكلية والجمود، - كما مر معنا - كالإصرار على إخراج زكاة الفطر من الحبوب دون القيمة، والأخذ برؤية الهلال في صيام وإفطار رمضان رغم الدقة المتناهية للحساب الفلكي، وفي الغلو والتشدد من قضايا الولاء والبراء والإفادة من الحضارة الغربية، وقضية المرأة.. وغير ذلك من الاهتمام بالمظاهر والشكليات، والإغراق في الجزئيات، والانشغال عن هموم وقضايا الأمة المصيرية، مما عوّق مسيرة الأمة، وفوّت عليها الكثير من المصالح العظيمة..

فالسلفيون لا يبدون «مرونة في التعامل مع الاتجاهات الاجتهادية المعاصرة في مجال المقاصد والقواعد الفقهية، وينظرون إليها بريية، باعتبار أنها مجرد ستار للتخلص من سلطة النص، والخروج عن السنة إلى التميع والتساهل، مع عدم التفريق بين ما هو كذلك من تلك المناهج، وما هو تفقه صحيح يعتمد قواعد شرعية مصلحة دل عليها الوحي، وتطبيقات الفقهاء من السلف والخلف^(٢).

(١) انظر: عمر عبيد حسنة - تقديمه لكتاب الأمة ١١٧ (النص الشرعي وتأويله) لصالح سبوعي، وزارة الأوقاف، ط ١٤٢٨هـ - ١٤٠٧م، ص: ١٤.

(٢) أحمد سالم وعمر بيسيوني - ما بعد السلفية، ص: ٣٥٩.

ولذا كان من أسباب الفتنة لدى ابن تيمية، «أن نقلة الآثار قلّ فيهم الفقه والعقل، كما أن ذوي النظر والاعتبار ضعف علمهم بآثار النبيين، ولن يتم الدين إلا بمعرفة الآثار النبوية والسلفية وفقه لما قصدوه من المعاني الدينية، كما كان علماء السالفين، وصار ذلك سبباً لإعراض كثير من طلبة العلم عن النظر في قواعد الدين»^(١).

هذا وللقرآن الكريم فلسفة تشريعية مقاصدية بارزة، أقف هنا مع واحدة منها، وهي مسألة (الزواج من أهل الكتاب)، وما تنطوي عليه من ثورة عميقة على القطيعة الاجتماعية بين الناس على أساس انتمائهم الديني، ورفض أخلاقي للنزعات العنصرية الانفصالية، وذلك في النص المؤسس لمشروعية الزواج بالكتابية في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يؤكد أن المرأة التي يبحث عنها المسلم هي المرأة العفيفة المحصنة، ما يجعل القيم الأخلاقية الثابتة الأعظم في بناء الحياة الأسرية؛ لأن الانتقال بتعاليم القرآن من الإسلامي إلى الإنساني يعد امتداداً طبيعياً لعلمية هذه التعاليم، وتأكيداً لقيم العدالة والمساواة والحرية. فتعظيم الجوامع يؤسس ويدعم المغزى العميق للزواج العابر للأديان كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

كما يوضح الزواج بالكتابية المفهوم الصحيح للولاء والبراء، مبيّناً أن الأصل في العلاقة بأهل الكتاب هو السلم والبر والقسط؛ ومؤكداً العلاقة بين الزواج

(١) ابن تيمية - جامع المسائل، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٤هـ، المجموعة الخامسة، ص: ٤١.

القائم على التنوع الديني، وتحليلات التنوع الإنساني، وخاصة أنه يمثل حلًّا عميقاً لمعضلة الانفصالية الدينية والعرقية التي تعصف بالتنوع الإنساني^(١).

وفي ضوء القمة القرآنية المقاصدية السامقة للزواج بالكتابية، نتأمل ما رُسم واستقرّ في العقل السلفي المعاصر تجاه الزواج بالكتابية، يقول أحد شيوخ الدعوة السلفية: «يجوز الزواج من الكتابيات لكنه في الجملة مكروه؛ لأن زواجها يجب أن يكون مع بغضها على دينها!؛ ولأن الزواج معاشرة يمكن أن يكون فيها إحسان عشرة، فهو من باب البر، ويجب أن يكون فيه بغض لوجوب البراءة من الكافرة!، وينبغي أن يظفر بذات الدين، كما قال النبي ﷺ: «.. فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٢).

فما ينبغي أن يتزوج يهودية أو نصرانية، فهذا مكروه كما ذكرنا لا على سبيل التحريم؛ لأنه يلزمه أن يظل مبغضاً لها ويحسن عشرتها، وأكثر الناس لا يستطيعون الجمع بين هذا وذاك»^(٣).

ويبقى السؤال لشيخ (الدعوة السلفية): كيف يكون الزوج المسلم مبغضاً لزوجته الكتابية على دينها معلناً وجوب البراءة منها؟!، ولماذا أجاز الإسلام الزواج منها إذا كان البغض لها على دينها واجباً دينياً؟! لو كانت مودة غير المسلم ممنوعة في الإسلام ما أجاز الشرع الإسلامي للمسلم - أصلاً - أن يتزوج الكتابية. والزوجية تقوم على أسس وأركان منها: السكن والمودة والرحمة، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. إذن، كيف يبغض الزوج

(١) انظر: د. عامر الحافي - مقال: الزواج وتعدد الأديان، موقع (تعددية) في يوم الاثنين ١٨ / ٩ / ١٤٣٨ هـ - ١٢ / ٦ / ٢٠١٧ م.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٣) ياسر برهامي - أوثق عرى الإيمان: الولاء والبراء، ص: ٥٥.

المسلم زوجته الكتائية ويتجاهل ما جاء في الآية من السكن والمودة والرحمة؟ بل كيف يبغض الزوج مَنْ يجد عندها سكنه وراحته؟!

لا أجد إجابة وتفسيرًا للأسئلة الحائرة إلا في هذا التساؤل: ماذا تقول في «هؤلاء الذين يريدون أن يضعوا الإسلام ضد السنن والنواميس وطبائع الأشياء، زاعمين في مقامنا هذا أن يقتلع من النفس الإنسانية كل المشاعر الأخرى، من تعلق بالأهل إلى تعلق بالوطن والقوم، وماذا تقول في أولئك الذين يريدون أن يضعوا الدين والدنيا في موقف الخصام والصدام والقطيعة المستمرة؟»^(١)!!

وفي ضوء الحس المقاصدي للقرآن الكريم يدرك الإنسان أن الله ﷻ قد «أحل لنا الزواج من نساء أهل الكتاب وأكل طعامهم، لتظل قنوات التواصل والتفاعل مفتوحة بيننا وبينهم، عسى أن يجدوا في كتاب الله الأخير ما يجدد لهم رسالات الأنبياء السالفة، مجردة من غواشي التاريخ وتحريفات البشر.

وعندما يجتمع أتباع ديانتين مختلفتين داخل بيت واحد ويقيمون أسرة واحدة، فإن هذا يمثل تجسيداً عملياً للتعددية الإنسانية الجامعة، وتحقيقاً للنظرية القيمة إلى الزواج، كما يفتح أفقاً واسعاً لبناء علاقة إنسانية راقية تجسد مقاصد الشريعة ورحمة الله بالناس أجمعين^(٢).

الأساس الرابع: إحياء الفروض الكفائية:

أ- مفهوم الفروض الكفائية وحقيقتها:

الفروض لدى الفقهاء قسمان: فرض عين.. وفرض كفاية.

فأما فرض العين: هو ما يُطلب فعله شرعاً من كل فردٍ من المكلفين بعينه، ولا

(١) فهمي هويدي - التدين المنقوص، ص: ٢٣٩.

(٢) انظر: د. محمد مختار الشنقيطي - فتاوى سياسية، ص: ٨٢، ود. عامر الحافي - الزواج وتعدد الأديان (مقال سابق).

يُكتفى فيه بقيام الآخرين به، وذلك كأركان الإسلام الخمس، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وإنما سمي عَيْنِيًّا؛ لأنَّ كل مكلف يتوجَّه إليه بعينه الخطاب، ولا تبرأ ذمُّه إلا بفعله، فلو أدته الأُمَّة كُلُّها دونه لما سقط عنه التكليف به.

وأما فرض الكفاية: هو ما يُطلب فعله شرعاً من مجموع المكلفين لا من كل فرد على حدة، وذلك كإنقاذ الغريق، وكسوة العريان، وإطعام الجيعان، والصلاة على الموتى والإفتاء، وما إلى ذلك من كل واجب يتحقق الغرض منه بقيام بعض المكلفين به، وإنما سمي كَفَائِيًّا؛ لأنَّه يكفي في حصول المطلوب به قيام بعض المكلفين بفعله دون البعض، ولهذا فإنَّ ذمَّة من لم يفعل هذا الواجب تبرأ بفعل غيره، وإن لم يقيم به أحد مُطلقاً فإنَّ الإثم واقعٌ على الجميع^(١).

إن فرض العين قد يتناول أركان العبادات من صلاة وزكاة، وأركان الأخلاق من صدق وحياء، وقد يتناول ترك الكبائر من ربا وخنا، وهذه أمور ترتبط عادة بالضمير الفردي والسلوك الخاص. أما فرض الكفاية فإنه قد يتصل بحراسة الأمن، والقضاء بين الناس، والقيام بشتى المناصب، وإجادة الفنون والصناعات التي ينهض بها العمران، وتحيا عليها الأمة.. وغير ذلك من الشؤون المهمة..

فهل فرض الكفاية -وذاك خطره - يكفي في وصفه أن يقال في حقه: إذا قام به البعض سقط عن الباقي؟^(٢).

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن فروض الكفاية مقدمة على فروض العين؛ لأن فروض الكفاية يشمل نفعها المجتمع، وتعطيها يؤدي إلى تعميم الضرر على مختلف أفرادها، كما جاء في قول الجويني: «القيام بها هو من فروض الكفايات

(١) د. جمال الدين عطية - قراءة معاصرة لفروض الكفاية - افتتاحية العدد (٤٩) لمجلة المسلم المعاصر، أعداد محرم، وصفر، وربيع الأول

١٤٠٨ هـ - سبتمبر ١٩٨٧ م.

(٢) انظر: محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ٢٠.

أخرى بإحراز الدرجات، وأعلى في فنون القربات من فرائض الأعيان.. ولو فرض تعطيل فرض من فروض الكفايات؛ لعم المآثم على الكافة، على اختلاف الرتب والدرجات»^(١).

وإن كان البعض لا يري المقابلة في هذه القضية والاشتغال بأيهما أفضل عن الفعل المطلوب، وإنما الأمر في نظره قائم على التكامل وليس التقابل^(٢)؛ لأن المجتمع الإنساني كيان متشابك المصالح، والناس لا يستغني بعضهم عن البعض الآخر، والأجهزة الإدارية والثقافية والصحية والاقتصادية والعسكرية في بنية الأمة تشبه الأجهزة العصبية والهضمية والتنفسية والدورية في الجسد البشري، ومن هنا فإن فروض العين والكفاية تتداخل في الحياة العامة تداخلاً تاماً، ويوزع الاهتمام الديني عليها كلها فلا يدع شيئاً منها، وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين، وعلى مَنْ كُلف به أن يستفرغ الوسع في إتمامه^(٣).

ولهذا كان للفروض الكفائية أهمية كبيرة في بناء المجتمعات الإسلامية وتنميتها.

ب - أهمية (الفروض الكفائية):

١ - الفروض الكفائية هي السبيل لتحقيق التكافل الاجتماعي وبناء المجتمع:

للفروض الكفائية دور كبير وأهمية عظيمة في بناء المجتمع وتنميته، وتطوير

(١) أبوالمعالى الجويني - الغياثي، ص: ٢٤٨، ٢٤٩. وانظر: سعد الدين العثماني - فقه مراتب الأعمال، ص: ٧٢.

(٢) انظر: عمر عبيد حسنة - تقديمه لكتاب الأمة ١٠٥ (إحياء الفروض الكفائية) لعبد الباقي عبد الكبير، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص: ٢٠.

(٣) محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ٢٠.

الرؤية بحسب تطور الحياة لتبلغ آفاقاً جديدة ومتطورة، فالفروض الكفائية هي السبيل لبناء مؤسسات المجتمع؛ لتحقيق التكافل الاجتماعي، ولذلك كان القيام بأعباء الاستخلاف الإنساني، وإقامة العمران البشري، وبناء الحضارة، والاضطلاع بالتنمية المستدامة، واستفراغ الجهد للخروج من عهدة التكليف والمسؤولية في أكثر من مجال، يتطلب النفرة من الأمة جميعاً، لتغطية شتى المساقات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] ^(١).

ومن اللافت للنظر حقاً أن يستخدم القرآن مصطلح النفرة، الذي غالباً ما يستخدم استجابة لداعي الجهاد، وكأن النفرة المطلوبة هنا لاستدراك المعارف والفقه بالتخصصات المتنوعة والاجتهاد فيها هو جهاد من أنواع الجهاد، بل لعله ميدان الجهاد الذي يصنع النصر في المواقع جميعاً؛ لأن المعرفة هي القوة المرنة التي تحرك سائر القوى وتوجهها، وكلا الأمرين من تعاليم الدين، وتجليات التدين في المجتمع ^(٢).

٢- الفروض الكفائية وسيلة لتحقيق المقاصد الشرعية:

تتجلى أهمية إحياء الفروض الكفائية في تحقيق مقاصد الشرع الكلية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..﴾ [المائدة: ٢]. فهذه القاعدة الكلية الجليلة في الآية الكريمة ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ..﴾ هي أساس القول بفروض الكفايات، المنصوص منها وغير المنصوص، فهي تتضمن الأمر بالتعاون في كل ما هو خير ومصلحة، ويكون الأمر أكد وأوجب كلما تعلق بمصالح كبرى وعامة وأكيدة، كما يكون النهي

(١) انظر: عمر عبيد حسنة - تقديمه لكتاب (إحياء الفروض الكفائية)، ص: ٥، ٢٤.

(٢) انظر: نفس المرجع، ص: ٢١.

﴿وَلَا نَعَاوِئُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أكد في التحريم والمنع كلما تعلق بمفاسد كبيرة وأضرار بليغة^(١).

٣- وفروض الكفايات في معظمها مصالح دينية ودنيوية:

وفروض الكفايات في معظمها ليست سوى مصالح دينية ودنيوية لا غنى للناس عن إقامتها ورعايتها، أو مفاسد دينية ودنيوية لا مفر لهم من دفعها واتقائها، وهي غالباً ليست مما يقوم به الفرد الواحد أو الأفراد المنفردون، بل تتوقف على الجماعة وعلى التعاون الجماعي، وبدون تعاون تضيع فروض الكفايات^(٢)، فإقامة المصالح العامة من أكد فروض الكفايات، والاضطلاع بالتنمية الدائمة الشاملة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، يتطلب تضامناً بين مهارات متنوعة ومواهب مختلفة وقدرات متكاملة، لأداء ذلك الفرض الكفائي الهام، والذي يتوزع في الخلق على حسب تنوع القدرات وتوزع المؤهلات، لكنهم بالمجموع مسؤولون عن الانتهاض بعمارة الكون.

٤- الفروض الكفائية وسيلة التنمية الشاملة المتكاملة:

إن إقامة التنمية الشاملة المتكاملة، في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والعسكري والعلمي الثقافي، من فروض الكفايات، تأثم الأمة جميعها بالتفريط في جانب من تلك الجوانب الحيوية، التي انبنى عليها ترتيب أحوال الدنيا وأهلها، بيد أننا - وللأسف - نعيش زماناً اختل فيه مفهوم الفروض الكفائية التي تطول جميع مجالات الحياة، وانحسر وانكمش بدرجة كبيرة^(٣).

(١) انظر: د. أحمد الريسوني - الكليات الأساسية للشرعة الإسلامية، ص: ١٠١.

(٢) نفس المرجع، ص: ١٠١.

(٣) انظر: د. عمر مونة، معن سعود أوبكر - حفظ مقاصد الشرع الكلية بإحياء فروض الكفاية، المجلة الأردنية التطبيقية (سلسلة العلوم الإنسانية)، المجلد الثامن عشر، العدد الأول ٢٠١٦ م، ص: ٤٢.

٥- غياب الفروض الكفائية من أسباب تخلف الأمة الإسلامية:

إن من أهم الأسباب التي كرّست التخلف في الأمة الإسلامية؛ ارتحال الفروض الكفائية من المدن والمجتمعات والحركة والحياة إلى المقابر والمآتم والجنائز بسبب إشكالية غياب الوعي والإدراك لأنواع الفروض الكفائية، والرؤية الصحيحة لأحكامها الشرعية وتكاليدها، ودورها في التنمية والاجتهاد^(١)، مما أدى إلى عدم إدراك عناصر القوة في الأمة وجعل فلسفة معظم الجماعات الإسلامية عامة والسلفية خاصة، تبدأ بالتركيز على الجهود الدعوية، والدخول في جدل وصراعات حول مسائل فرعية..، ولم تعد الجهود التنموية والتجديدية تتركز على تطوير النشاطات العلمية والتنظيمية، أو تنمية القدرات الإنتاجية والتصنيعية والتقنية..^(٢).

ج- موقف السلفية المعاصرة من الفروض الكفائية:

إن غياب المسلمين عامة والسلفية المعاصرة خاصة عن أهمية الفروض الكفائية في صناعة الحياة؛ مرده إلى تقزيم مفهوم العبادة وحشره في زاوية ضيقة، وبالتالي لم يعد يرى المسلم أن الصناعة والزراعة والكشف العلمي هي وجوه للعبادة الشاملة، وهي في قلب إصلاح الكون ووقف الفساد.

مع أن العبادة في الإسلام بمفهومها الشامل، هي «اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»^(٣). وحين يختفي هذا المعنى الحقيقي للعبادة الشاملة الممتدة لكل الحياة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]؛ يختفي النشاط في المصنع وفي المزرعة وفي المتجر وفي الجامعة وفي مركز البحث..

(١) انظر: عمر عبيد حسنة - تقديمه لكتاب: إحياء الفروض الكفائية، ص: ١٥.

(٢) انظر: د. لؤي الصافي - جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، ص: ١٥٢. Bottom of Form

(٣) ابن تيمية - العبودية في الإسلام، ص: ٤.

وهذا ما نراه في هذا الفهم القاصر الذي يقلل من قيمة التخصص والعلوم العصرية، في قول أحد المنتسبين للسلفية المعاصرة: «أبو بكر مؤدب المرتدين لم يدرس العلوم السياسية، وعمر هازم الإمبراطوريات لم يدرس القانون الدولي، وعثمان الثري لم يدرس الاقتصاد، وعلى الحكيم لم يدرس الفلسفة، وخالد القائد لم يتخرج من الكلية العسكرية، وأبو عبيدة الأمين لم يقرأ كتاباً في الإدارة، هؤلاء صنعهم الإسلام وهم قدوتنا»^(١).

وهذا الفهم القاصر يدل على غفلة كبيرة عن كتاب الله الذي لفت الأنظار والعقول من أول كلمة (اقرأ) إلى مفاتيح الحضارة المتمثلة في العلم والبحث والدراسة لآيات الله في الكون. وغفلة عن الصحابة الذين أخذوا بكل أسباب العلم، ووجههم النبي ﷺ إلى التخصصات المختلفة كما وجه (زيد بن ثابت) لإجادة السريانية؛ ليقراً كتاب يهود، قال زيد: «فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له..»^(٢)، وغفلة عن حضارة الإسلام، ونظرة سريعة لأي كتاب في الحضارة الإسلامية تنبئه بأن جامعات المسلمين في الأندلس كانت قبلة لأبناء الفرنسيين والإنكليز والإيطاليين وغيرهم، وغفلة عن واقع الأمة والتحديات المحيطة بها، لقد أعد العالم المتربص بنا من قوة الأسلحة الحديثة ما يفوق الخيال؛ لنصرة معتقداته وقيمه.

فماذا أعددنا نحن؟ هل ندافع عن معتقداتنا وقيمنا برأس فارغة، ولحية كثة وجلباب قصير؟!، إن العالم يتقدم بسرعة فائقة ونحن نراوح مكاننا ولم نتقدم خطوة واحدة تزيل عنا عار التخلف العلمي والتراجع الحضاري، ولذا فإن الجهاد الحقيقي أمام المسلمين في عالم اليوم، والذي يُعد فريضة غائبة في عالمنا الإسلامي، هو الجهاد في مجال العلم والتنافس في ميدان البحث العلمي، و«

(١) انظر: أجوبة حاتم الحويني... صفحته الرسمية على الفيس في ٢٦ إبريل ٢٠١٩م.

(٢) صحيح الترمذي رقم: ٢٧١٥، وقال الألباني حسن صحيح.

إن لم نصل اليوم الذي نبني فيه (مختبراتنا)، ونشغلها بعقولنا، ونصنع سلاحنا، ونستخدمه بأيدينا، فلن تكون لنا خارطة أو مكان في هذا العالم، ولن يكون هناك نصر، ولا تقدم، ولا حماية للموازن والقيم العادلة التي جاء الدين لتنفيذها في الأرض، حتى ولو حبس المؤمنون أنفسهم في المساجد السنين الطوال، سيكون ويتضرعون^(١)!!

* * *

(١) انظر: د. عماد الدين خليل - في المشروع الحضاري الإسلامي، بتصرف، ص: ٢٤٠، ٢٤١.

المبحث الثاني

التجديد لموقف السلفية المعاصرة من بعض القضايا (دراسة تطبيقية)

سنناقش في هذا المبحث موقف السلفية المعاصرة من بعض القضايا؛ من منظور تجديدي، وتلك القضايا هي:

◀ أولاً: المرأة.

◀ ثانياً: الولاء والبراء.

◀ ثالثاً: الإفادة من الحضارة الغربية.

أولاً: المرأة:

أ- الإسلام وتكريم المرأة:

لسنا في حاجة للحديث عن وضع المرأة قبل الإسلام، وما كانت تعانيه من مكانة متدنية سواء عند العرب أو عند غيرهم من الحضارات الأخرى. فالحقوق والواجبات التي قرّرها الإسلام للمرأة قد أصلحت أخطاء العصور الغابرة في كل أمة من أمم الحضارات القديمة، وأكسبت المرأة منزلة لم تكسبها قط من حضارة سابقة، ولم تأت بعد ظهور الإسلام حضارة تغني عنها، بل جاءت آداب الحضارات المستحدثة على نقص ملموس في أحكامها ووصاياها؛ لأنها أخرجت من حسابها حالات لا تهمل ولا يذكر لمشكلاتها حل أفضل من حلها في القرآن الكريم.

فالإسلام كرّم المرأة وأنصفها بنتاً، وكرّمها وأنصفها زوجة، وكرّمها وأنصفها أمّاً...

أما تكريمها كبت، فقد جاء الإسلام فاعتبر البنت - كالابن - هبة من الله ونعمة يهبها لمن يشاء من عباده: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَبَهَبَ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشوري: ٤٩، ٥٠]، وقال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه^(١).

وأما تكريمها كزوجة، ففي ذلك آيات وأحاديث كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً..﴾ [الروم: ٢١]، وقال ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»^(٢).

وأما تكريمها كأُم ففي ذلك آيات وأحاديث كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا..﴾ [الأحقاف: ١٥]، وعن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحَسَنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أَبُوكَ»^(٣).

من هذه المبادئ في تكريم المرأة وإنصافها وغيرها كثير في الكتاب والسنة، نعلم أن الإسلام أحل المرأة المكانة اللائقة بها في ثلاثة مجالات رئيسية:

١- المجال الإنساني: فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل وهذا ما كان محل شك أو إنكار عند أكثر الأمم المتقدمة سابقاً.

٢- المجال الاجتماعي: فقد فتح أمامها مجال التعليم وأسبغ عليها مكاناً

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - باب: فضل الإحسان إلى البنات برقم: ١٤٩ / ٢٦٣١.

(٢) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو برقم (١٤٦٧).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، باب: بر الوالدين، وأنها أحق به، رقم: ٢٥٤٨ / ١.

اجتماعيًا كريمًا في مختلف مراحل حياتها، بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر: من طفلة إلى زوجة، إلى أم، حيث تكون في سن الشيخوخة التي تحتاج إلى مزيد من الحب والحنو والإكرام.

٣- المجال الحقوقي: فقد أعطاهما الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين تبلغ سن الرشد، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب أو زوج أو رب أسرة^(١).

تلك هي المكانة الكريمة التي حظيت بها المرأة في ظل الإسلام، بيد أن هناك مفاهيم وتصورات - تخالف ما جاء به الشرع الحنيف من إكرام بالغ للمرأة وإنصافها - سادت وتعمقت في نفوس جماعات من المسلمين، وفي القلب منها، السلفية المعاصرة..

ب- الموقف التقليدي للسلفية المعاصرة من المرأة:

غلبت الروح السلفية المحافظة على الجماعات الإسلامية في مصر منذ نشأتها في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وتبنّت مواقف متشدّدة في كل ما يخص المرأة على الصعيد الاجتماعي، واعتبرت ما حقّقه من فصل تام بين الطلبة والطالبات في مدرجات الجامعة من أكبر الإنجازات، وكان المبدأ في التعامل مع الفتيات، هو الفصل الحادّ حتى ولو لم يرقم على أساس شرعي، ومن ثمّ فقد كان الاتصال بين الطلبة والطالبات في الضرورة القصوى فقط^(٢).

وبهذه الرؤية المتشدّدة، قد تمّ تحجيم وضع المرأة منذ البداية، ووُضعت على هامش العمل الإسلامي التنظيمي بسبب الأقوال الفقهية المذكورة في الاختلاط

(١) انظر: أ.د. مصطفى السباعي - المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م، ص: ٢٠-٢٣.

(٢) انظر: حسام تمام - أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ - ١٩٨٤م، دار الشروق، ط٢، ٢٠١٢، ص: ٧١: أحمد شلاطة - السلفية السكندرية، ص: ١٣٧.

والفتنة... وهذا جعل أحد مشايخ الدعوة السلفية (في مصر) يُفتي مَنْ سألَه عن استكمال ربيته - التي تفوقت في الإعدادية - الدراسة أم التفرغ للعلم الشرعي؟ بقوله: «إنني أفضل للأخوات الملتزمات عدم استكمال الدراسة لما في المدارس والجامعات من اختلاط يفقد المرأة حيائها في الأغلب، فأنا أختار لها - إن وافقت - البقاء في المنزل»^(١).

وبنفس الروح السلفية المحافظة، تبني التيار الإسلامي في الكويت مواقف متشددة فيما يخص المرأة، فقد احتلت قضية الاختلاط والفتنة - منذ البداية - حيزاً بارزاً من اهتمامات التيار الإسلامي، فخلال الندوة التي عقدها الاتحاد الوطني لطلبة الكويت - في سبعينيات القرن الماضي - لمناقشة موضوع الاختلاط والسفور

في جامعة الكويت، تصدت مجموعات طلابية من التيار الإسلامي للقائمين على الندوة بعنف، مما دعا لخروج مظاهرتين سارتا باتجاه مجلس الأمة، الأولى مؤيدة للاختلاط، والثانية تدين الاختلاط وتعارضه^(٢).

ولذلك كان إقرار عدد من المشاريع الدينية في تسعينيات القرن الماضي مثل قانون يمنع التعليم المختلط في كافة المراحل التعليمية في المدارس الحكومية دون المدارس الأجنبية، يُعد عملاً عظيماً حققه نواب التيار السلفي في الكويت^(٣)، فعلى الصعيد الاجتماعي تتفق الأغلبية العظمى من السلفيين على عدم جواز

(١) ياسر برهامي في شهادته على نشأة الدعوة السلفية في الإسكندرية، حوار على عبد العال (مرجع سابق).

(٢) انظر: مجلة الاتحاد، الكويت، السنة (٥)، العدد (٤٨)، نوفمبر ١٩٧١م، ص: ١٤. وانظر: هاشم عبد الرزاق الطائي - التيار الإسلامي في الخليج العربي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م، ص: ٢٣٨.

انظر: د. محمد الرميحي - الخليج ليس نفطاً، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٣، ص: ٢٣٠. وانظر: المرجع السابق (التيار الإسلامي في الخليج)، ص: ٢٣٤.

(٣) انظر: د. فلاح المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ٣٩.

الاختلاط بين الرجل والمرأة في المدارس والجامعات وأماكن العمل، وإن كانت هنالك أقلية محدودة ترى جواز بعض ذلك بشروط^(١).

ولما صدر في الكويت مرسوم أميري يجيز للمرأة ممارسة حقها في الترشح لمجلس الأمة، وفي التصويت لاختيار نوابه، كانت كثرة المعارضين له من غالبية التيار الإسلامي، ووصف بعضهم إعطاء المرأة حقوقها السياسية بأنه مؤامرة على الإسلام^(٢)!، وتكاتفوا لإسقاط قانون حقوق المرأة السياسية، وحجبه في مجلس الأمة الكويتي، باستخدام المرجعية الشرعية لحرمان المرأة من حقوقها السياسية، الأمر الذي يعتبر بمثابة تشويه لموقف الإسلام، تطوع به من تصوروا أنهم يحسنون صنعا^(٣).

وهذا ما أكده أحد شيوخ السلفية في الكويت بقوله: «إنه لا ينكر أحد بأن وصول المرأة للبرلمان الكويتي لو سمح لها بالترشيح أمر شبه مستحيل، وقد تحتاج المرأة إلى ثلاثين أو خمسين سنة قادمة حتى تصل أول امرأة للبرلمان عن طريق الانتخابات في الكويت. هذا إذا وصلن، وهذه حقيقة اجتماعية لا يستطيع أحد إنكارها، وواقع المرأة العربية في الدول التي سمحت للمرأة بحق الترشيح أكبر شاهد على صدق هذا التوقع»^(٤).

وهؤلاء الذين عارضوا القانون في الكويت، عارضوه من منطلق شرعي وليس دستورياً أو قانونياً، إذ اعتبروا أن الإسلام لا يجيز إقحام المرأة في شؤون السياسة والحكم، باعتبار أن مكانها الطبيعي هو البيت ومسؤوليتها محصورة في رعاية الأسرة، وهو موقف يتصف بالغلو في كل ما يتعلق بموضوع المرأة، وهو

(١) انظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ١٩٨.

(٢) انظر: د. محمد سليم العوا - في النظام السياسي... هامش ص: ١٧٩.

(٣) فهمي هويدي - ريحت الديمقراطية.. وخسر الإسلاميون، الأهرام، السنة ١٢٤، العدد ٤١٢٧٣، الثلاثاء ٧ ديسمبر ١٩٩٩ م.

(٤) حاكم المطيري - حوار هادئ مع فهمي هويدي، المشكاة، صحيفة الوطن في ٣/ ١/ ٢٠٠٠ م.

متأثر إلى حد كبير بظروف البيئة الجغرافية في الجزيرة العربية وبتقاليدها، التي ذهبت إلى حد وأد المرأة في الجاهلية، وما زالت فكرة الوأد كامنة في عمق ذلك التيار. وما منع مشاركة المرأة في الحياة العامة، والإصرار على إخفاء وجهها وراء النقاب، وتحريم صوتها ومنعها من قيادة السيارة^(١)، إلا مظهر من مظاهر الوأد المعنوي والاجتماعي^(٢).

وما أخذه المراقبون على السلفيين في مصر، على الرغم من التغير في الموقف من النساء؛ إلا أن حضور المرأة في الحملة الانتخابية ومخاطبتها للشارع كان شبه مفقود في أغلب المحافظات، إذ على الرغم من انعقاد مؤتمر للتعريف بالمرشحات الإسلاميات في الانتخابات، لم تكن هنالك على المنصة أي مرشحة^(٣)!

وهذا مما يؤكد أن موقف السلفيين في (مصر والكويت) من قضية المرأة ما زال ضمن المنظور الفقهي والتربوي التقليدي الذي لا يلامس الجوانب الاجتماعية المستجدة وضروراتها في ما يتعلق بموضوع المساواة والعدالة^(٤).

ج- التجديد لموقف السلفية المعاصرة من قضية المرأة:

إن الجهل بمكانة المرأة ورسالتها في مقاصد القرآن الكريم والسنة الصحيحة، جعل النظرة إليها أسيرة المفاهيم المنحرفة، والتقاليد الجائرة، والروايات

(١) بعد سنوات من إصدار مئات الفتاوي التي حرمت المرأة السعودية من قيادة السيارة، فإن هيئة كبار العلماء «لا يرون مانعاً من السماح للمرأة بقيادة السيارة في ظل إيجاد الضمانات الشرعية» وذلك بعد إصدار الأمر الملكي بالسماح للمرأة من قيادة السيارة، وقال كبار العلماء إنهم يؤيدون كل ما يراه ولاة الأمر من مصلحة للبلاد والعباد. انظر: صحيفة «رأي اليوم» في ٢٧ سبتمبر ٢٠١٧م.

(٢) انظر: فهمي هويدي - ربحث الديمقراطية.. وخسر الإسلاميون.

(٣) انظر: محمد حسين شعبان وأحمد صبري - حول تغير موقف السلفيين من ترشيح المرأة (قانون الانتخابات بمصر يجبر الإسلام السياسي) على - مراجعة موقفه من (ولاية المرأة)، جريدة (الشرق الأوسط) في ٢٠ / ١٠ / ٢٠١١م. وانظر: محمد أبو رمان - السلفيون والربيع العربي.. مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣م، ص: ١١٨.

(٤) انظر: د. عبد الغني عماد - الإسلاميون بين الثورة والدولة.. مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت ٢٠١٣م، ص: ١١٣.

المكذوبة، مع أن ما «وصلت إليه البشرية - في مسيرتها الطويلة - من مكاسب حقيقية للمرأة قد تضمنته نصوص الإسلام في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة والقواعد والمقاصد العامة المقررة منذ أربعة عشر عاماً.

ولن تعود للمرأة مكانتها كما كانت في سلف القرون الأولى إلا إذا نظرنا إليها في ضوء مقاصد القرآن الكريم التالية:

أ- المساواة بين الرجل والمرأة في أصل الخلقة والكرامة الإنسانية:

فقد سوى القرآن الكريم بين المرأة والرجل في أصل الخلقة، فبين أن الله ﷻ قد خلق الناس ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ﴾ [النساء: ١]؛ وقال لهم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]. كما بين أن الله قد خلق هذه النفس البشرية، ذكراً كانت أم أنثى، خلقة سوية لا عوج فيها: ﴿.. فَخَلَقَ فَسَوَّى ۖ ﴿٣٨﴾ فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۚ﴾ [القيامة: ٣٨، ٣٩]؛ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۚ﴾ [التين: ٤].^(١)

وكذلك سوى القرآن بين الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية، فتكريم الله للإنسان بنوعيه (الذكر والأنثى) حقيقة قرآنية كونية، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَمَمْلَأْنَاهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۚ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وفي هذه الآية تقرير قاطع بأن الله تعالى كرم بني آدم، رجالاً ونساءً دونما فارق في هذا التكريم بين ذكورهم وإناثهم، ومقتضى هذا بدهة أنه سبحانه وتعالى كرم الجنس البشري كله، ولم يستثن من هذا التكريم نوعاً منهم..

إذن قد حظيت المرأة بتكريم من الله تعالى نافٍ لكل ألوان الهوان والدونية إلا أن تهبط هي بنفسها إليها اختياراً مثل ما يفعل الرجل أيضاً كما ورد في قوله

(١) انظر: د. محمد هيثم الخياط - المرأة المسلمة وقضايا العصر، ص: ١٠٢.

تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٤ - ٦] ^(١).

ب - وحدة الخطاب القرآني والمسؤولية:

إن أكثر ما يطالعنا في القرآن الكريم، هو هذا الخطاب المشترك بين الرجل والمرأة. فقلوه تعالى ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧]، ليس موجهاً للرجال وحدهم، كما لا يخفى على أحد!

وقال الإمام ابن القيم: «وقد استقرّ في عُرف الشارع، أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكّرين إذا أطلقت ولم تقترن بالموث، فإنها تتناول الرجال والنساء» ^(٢).

وعندما توهمت إحدى الصحابيات أمراً من هذا القبيل، وهي أم عمارة الأنصارية، أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يُذكرن بشيء ^(٣)! فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِظِينَ وَالْخَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فبيّن سبحانه بقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أن هذه الصيغة المشتركة تمثل الرجال والنساء جميعاً، ولا فرق، وذلك بعد أن طيب خاطر هذه الصحابية المجاهدة بإبراز صيغة التأنيث في صفات المؤمنين.

وكذلك سوى بين الرجل والمرأة في المسؤولية الإنسانية فقرّر أنه ﴿مَنْ عَمِلَ

(١) انظر: أ.د. محمد بلتاجي - مكانة المرأة...، ص: ٣٨٨، ٣٩٢.

(٢) ابن القيم الجوزية - إعلام الموقعين، ١ / ٩٢.

(٣) رواه الترمذي بإسناد صحيح عن أم عمارة الأنصارية.

سَيِّئَةٌ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ [غافر: ٤٠]. وسوى بينهما في مسؤولية الالتزام بالدستور الإلهي وأوامر الدين: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، كما سوي بينهما في ثواب الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..﴾ إلى قوله تعالى ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]^(١).

والأصل العام في قضية المساواة بين الرجل والمرأة ما بينه النبي ﷺ في قوله «إنما النساء شقائق الرجال»^(٢) بأسلوب الحصر. وبناء على هذه الأخوة الشقيقة فإن الأصل الذي ينبغي أن يُستصحب دائماً هو أن كل ما ثبت من حكم للرجل ثبت مثله تماماً للمرأة إلا ما بينت النصوص الشرعية اختصاصه بأحدهما فهو الذي يستثني من القاعدة المستصعبة أصلاً..^(٣)

ج- إصلاح المجتمع والنهوض به:

لقد كلف الله المرأة كما كلف المرأة بواجب الإصلاح، وحملها المسؤولية معاً في ذلك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..﴾ [التوبة: ٧١]. وهذا النص وغيره يدل على أن من مهام المرأة أن تساهم في تصحيح مسار المجتمع الإسلامي من خلال نشر الخير ومحاصرة الشر، إلى جانب المساهمة في التخفيف من لأواء مشكلات المجتمع، وهذا لا يتحقق إلا من خلال نشاطها وحركتها وجهدها.

(١) انظر: د. محمد هيثم الخياط - المرأة المسلمة...، ص: ٨١، ١٠٤. وقد ذكر الكاتب أن الذي لفت نظره هذه اللطيفة من لطائف القرآن هو الدكتور عبد الصبور شاهين ﷺ.

(٢) الحديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث أم سليم بنت ملحان، برقم: ٥٨٦٩، والترمذي في كتاب الطهارة رقم: ١٠٥، وأبو داود في كتاب الطهارة.. برقم: ٢٠٤.

(٣) انظر: د. محمد بلتاجي - مكانة المرأة: ص: ٦١.

إن عزل المرأة عن المشاركة في الإصلاح، يعني تعطيل نصف المجتمع، بل تعطيل المجتمع كله عن النهوض تربوياً واجتماعياً وسياسياً؛ لأن «المرأة إذا كانت نصف المجتمع، فإن النصف الآخر يتربى في أحضانها، ومن هنا يمكن أن ندرك خطورة هذا الدور في مسؤولية بناء الإنسان القادر على التغيير والإصلاح، وتأثير المرأة في توجهاته السلوكية والفكرية..»^(١)

لا «يطمح مَنْ يدخل السباق أن يفوز وهو أعرج، ولا يقدر طائر أن يطير بجناح واحد.. ولا تستطيع أمة أن تقتحم الحياة برجالها فقط، وقد عزلت نساءها وحجبتهن عن تشكيل الحياة»^(٢).

إذن رقيّ المجتمع وتقدمه مرهون برقيّ المرأة وتقدمها، فهو مقدمة ضرورية لرقّي العمران البشري في مجموعه، وفي المقابل فإن تخلف أوضاع المرأة وانحدارها ملازم دائماً لتخلف أوضاع المجتمعات البشرية وانحدارها، ولا يمكن لمفكر ما أن يقيم أوضاع الحرية البشرية والعدالة الإنسانية وتماسك المجتمع وقوته بم عزل عن رصد أوضاع المرأة وتحليلها في هذا المجتمع^(٣)، ومن هنا كانت المرأة معيار الحضارة؛ فإن حضارة الأمن السياسي والاجتماعي والغذائي والإنساني معيارها المرأة وتوفر كرامتها. وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف: «إني لا أخشى عليكم الفاقة لينصرنكم الله تعالى وليعطينكم أو ليفتحن لكم حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب أو أكثر ما تخاف السرقة على ظعيتها»^(٤).

(١) أ.د. عبد الكريم بكار - تجديد الوعي، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص: ١٣٧، ود. سعاد عبد الله الناصر - قضية المرأة رؤية تأصيلية، كتاب الأمة، ط ١، ١٣٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص: ٤١.

(٢) د. حسان حتوت - رسالة إلى العقل المسلم، مؤسسة فهد المرزوق الصحفية للطباعة والنشر، ط ١٩٩٨م، ص: ٩٣.

(٣) انظر: د. محمد بلتاجي - مكانة المرأة..، ص: ٢٣.

(٤) أخرجه أحمد، مسند الكوفيين من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه. وانظر: عمر عبيد حسنة في تقديمه كتاب: قضية المرأة..، ص: ٢٤.

ثانياً: الولاء والبراء:

مفهوم (الولاء والبراء) من أخطر المفاهيم التي أسيء فهمها، وقُصدت بغير مقصدها، مما أدى إلى كثير من البلاء والفتن...، حيث جعله «الغلاة» - بصورته المحرّفة - مناط الإيمان، وشرط الدخول في جماعة الإسلام، وكفّروا بمقتضاه كل من لم يحزّه في عقيدته وتطبيقه، على ما فهموه هم وقصدوه من معنى، ما أنزل الله به من سلطان»^(١)!

وهذا ما يُوجب علينا دراسة هذا المفهوم، ورده إلى أصوله الشرعية، ومساقاته المقاصدية في القرآن الكريم.

- الولاء لغة: (الْوَلِيّ): القُرب، والدُّنُو، يُقال: تباعد بعد وَلِي. وكل مما يليك أي مما يقاربك. والْوَلِيّ: الاسم منه والمحب، والصديق، والنصير.. و(المَوْلَى): المالك، والعبد، والمُعْتَق، والمُعْتَق، والصاحب، والقريب كابن العم ونحوه، والجار، والحليف.. و(الْوَلِيّ): ضد العدو. و(المُوَالاة): ضد المعاداة. ويقال: (وَالِي) بينهما (ولاء) بكسر أوله أي تَابَعَ..

ويلاحظ أن معنى الولاء هنا يدور حول: القريب والمحِب والصديق والتابع والنصير.

- البراء لغة: (بَرِيّ) منه ومن الدين والعيب من باب سَلِمَ وَبَرِي من المرض بالكسر (بُرءاً) وبالضم.. و (بَرَأهُ تَبَرُّتاً) و (تَبَرَّأ) من كذا فهو (بَرَأء). و (بَارَأ) شريكه: فارقه وبارأ الرجل امرأته، و (استَبْرَأ) الجارية واستبرأ ما عنده^(٢).

ويلاحظ أن معنى (البراء) هنا، يدور حول: المفارقة والمباعدة، والتنزه والبراءة من العيب والمكروه.

(١) فريد الأنصاري: مفهوم الولاء والبراء في الإسلام، ضمن بحوث الندوة العلمية (حكم الشرع في دعاوي الإرهاب)، المنعقدة بالدار البيضاء، في ٢ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ - ١٩ مايو ٢٠٠٧ م، ص: ١.

(٢) انظر: مادة (ول ي) ومادة (ب ر أ) في القاموس المحيط، ومختار الصحاح.

- **الولاء شرعاً:** هو حب ونصرة الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين.

- **البراء شرعاً:** هو بغض الطواغيت التي تُعبد من دون الله تعالى من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء، وبغض الكفر بجميع ملله ومعاداة مَنْ عادى الله ورسوله والمؤمنين^(١).

١ - الولاء والبراء في الكتاب والسنة:

من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، والمسلم بحكم إيمانه لا يحب إلا ما يحبه الله ورسوله، ولا يبغض إلا ما يبغض الله ورسوله. ولذا جاءت الأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة تؤكد على أهمية قضية الولاء والبراء؛ لأنها الحصن المنيع الذي يذود عن حياض الإسلام من جانب، ويصون هوية الأمة وخصوصيتها من جانب آخر.

فمن الأدلة القرآنية في الولاء: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۖ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

ومن الأدلة القرآنية في البراء: قول الله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ﴾ [المائدة: ٥١].

ومن أدلة السنة في الولاء: حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً» وشبك أصابعه^(٢).

(١) انظر: حاتم بن عارف الشریف - الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية دون تعريف، ص: ٥.

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (١٦٧٠).

ومن أدلة السنّة في البراء: في حديث جرير بن عبد الله البجلي، عندما جاء ليباع رسول الله ﷺ على الإسلام، قال: يارسول الله اشترط عليّ. قال ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتصلّي المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتنصح المسلم، وتبرأ من الكافر»^(١).

وهذه الأدلة السابقة تُفهم في ضوء الآيات المحكمة التي تبين أصل علاقة المسلمين بغيرهم، والقائمة على البر والقسط، كقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ [المتحنة: ٨، ٩].

ذلك أن الأصل من مفهوم (الولاء والبراء)، هو أنه «مفهوم إيماني تعبدية، القصد منه أساساً هو تحصين المسلم؛ بما يجعله معتصماً بحبل الله، وبمحبة رسول الله، ثم مندرجاً في البنية الإيمانية للمجتمع المسلم؛ بما يحميه من الانحراف عن دينه وعقيدته. وقد تكون له أحكام عسكرية خاصة، لكنها مقيدة بأحكام الحرب والسلام في الشريعة الإسلامية، وبما يصدر عن الإمام الأعظم في ذلك من توجيه وأحكام. وإنما هذا فرع من فروع مفهوم الولاء والبراء»^(٢).

٢- موقف السلفية المعاصرة من مفهوم الولاء والبراء:

يدخل في «صميم المنظومة العقائدية للسلفية المعاصرة في أبعادها السياسية والاجتماعية مفهوم الولاء والبراء؛ والمقصود الدلالي له هو ضرورة موالاته الدين والرسول والمؤمنين، والتبرؤ مما يخالف ذلك ومعاداة خصوم الإسلام، لكن السلفيين يختلفون في تطبيق هذا المفهوم ودلالاته على أرض الواقع اليوم.

(١) مسند الإمام أحمد، رقم (١٩١٨٨)، ٣٥٨ / ٤، تعليق: شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) فريد الأنصاري - مفهوم الولاء والبراء، ص: ٥.

فالتقليديون يضيفون إلى الولاء والبراء الدلالات المرتبطة بتعريفهم هم للمفاهيم الصحيحة والعقائد السليمة؛ فالبراء يكون كذلك من العقائد الضالة والفرق المنحرفة، ويدخل في هذا التعريف ليس فقط الفرق الإسلامية، بل حتى الاتجاهات السلفية التي تتبني ما يعتبرونه عقائد الخوارج؛ أما الحركيون فيظهرون قدرًا أكبر من المرونة في التعامل مع مفهوم الولاء والبراء^(١).

ولما كانت العقيدة تأخذ بدورها الموقع الأساسي في بناء الهوية السلفية؛ «فالتمييز بالدرجة الأولى بين من هو سلفي ومن ليس سلفيًا لدى التيار التقليدي يتعلق بالإلهيات النظرية، ويتمثل في السؤال الجوهرى: أين الله؟ فإذا كان الجواب: الله في السماء، فإن المجيب يكون قد نجح في اجتياز أحد أهم الأسئلة في امتحان الهوية الأساس، ثم تتوالى الأسئلة الأخرى: هل تثبت الله يدين وسمعاً وبصراً أم تؤول هذه الصفات كما يفعل الأشاعرة...؟^(٢).

ولم يقتصر الأمر على التمييز بين من هو سلفي ومن ليس سلفيًا على (العقيدة) بل تجاوز ذلك إلى المسائل الفرعية فكثيراً من مسائل الخلاف السائغ، التي للسلفية فيها اختيار شائع، كعورة المسلمة، وحكم الإسبال، والمعازف، واللحية التي تُعد بمثابة مسائل الولاء والبراء يبحث في ضوئها حكم المخالف، وهل تجوز معاملته، والصلاة خلفه، والأخذ عنه، ونحو ذلك مما يترتب على اعتبار المخالف مبتدعاً. ومن ثم فليس هناك سعة في قبول رأي آخر في المسألة، ولو كان قول فقيه معتبر كأحد الأئمة الأربعة، حيث يعتبر ذلك زلة من عالم، وخطأ قد تبين، ولا ينبغي متابعتة عليه^(٣).

وبهذا التمييز عرّفت السلفية التقليدية الآخر الداخلي والعلاقة معه، فالآخر

(١) محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢١٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٢١٢.

(٣) أحمد سالم، وعمر و بسبوني - ما بعد السلفية، ص: ٣٧٤.

لديها تاريخيًا: الفرق الإسلامية الضالة، ويدخل في هذا التعريف: الخوارج والشيعة والمعتزلة، كما يدخل الأشاعرة والماتريدية وعلماء الكلام من أهل السنة، وكل من قال قولاً في العقائد والشعائر والشرائع بما يخالف الرؤية السلفية.

إذا كان هذا موقف (السلفية المعاصرة) من مفهوم الولاء والبراء مع (الآخر الداخلي)، فإن موقفها من مفهوم الولاء والبراء مع (الآخر الخارجي) يقوم على البراءة، فعلاقة السلفية مع غير المسلمين، تقوم على «البراءة منهم، وعدم محبتهم أو معاشرتهم، ومجاهرتهم بالبراءة من دينهم. والإعلان العام بأن الدين الحق هو دين الإسلام، وأما عداؤه فهو باطل، وهم ينطلقون في موقفهم هذا من منطلق عقدي، فهم يرفضون ما يعتبرونه محاولة للخلط بين الإسلام وغيره من الأديان»^(١).

يصرح بذلك أحد السلفيين في قوله: «ويجب على كل مسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، أن يدين الله تعالى بيبغض الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم ومعاداتهم في الله، وعدم محبتهم ومودتهم، وموالاتهم وتوليهم، حتى يؤمنوا بالله وحده رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً»^(٢).

وعند الحديث عن (الجهاد) نجد الدعوة السلفية السكندرية تعرّج على النصارى ضمناً.. فتحت عنوان فرعي (أصناف من يقاتلون وأحكام قتالهم)، أولاً: الكفار وهم أنواع، الأول اليهود والنصارى والمجوس، وهؤلاء يجب قتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وهم صاغرون لقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا

(١) ممدوح الشيخ - السلفيون من الظل إلى قلب المشهد، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، ط ١٠، ٢٠١١م، ص: ١٠٤ وما بعدها.

(٢) عصام حسنين - عرض كتاب (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان) لأبي بكر أبو زيد (٣ - ٣)، في مقال على موقع أنا السلفي في ٢٣ / ١١ / ٢٠١١م.

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿[التوبة: ٢٩].

وبناء على الموقف العقدي، يكون الموقف (في المعاملات)، فلا مجاملات في أعيادهم ومناسباتهم الاجتماعية، حيث اعتمدوا فتوى (ابن عثيمين) في حكم تهنة الكفار، حيث إن «تهنتهم بأعيادهم إن لم تكن من الكفر فهي من المحرمات»، وعلى ذلك فلا تجوز المشاركة فيه بإظهار الفرح والسرور ولا بالتهنة، كذلك عدم المبادرة بالمصافحة، وإذا مد يده للمصافحة فصافحه، ولا تجوز مبادأة الكفار بالسلام^(١).

ويصف أحد مشايخ الدعوة السلفية من يشارك في تهنة النصارى في أعيادهم، ولو من باب المجارة، أو من باب حسن العشرة بأنه على جهل عظيم، وضلال مبین، ولا شك أنه قد ارتكب كبيرة من الكبائر، ولو انتسب إلى الدين والدعوة؛ لأن اليهودي والنصراني ليس له أن يكون عزيزاً في بلاد المسلمين، فلا يبدأ المسلم بتحيته؛ لما فيه من إعظامه وتكريمه، أما رد تحيته فقط فلا تعارض، وكذلك الإحسان إليه بإطعامه إذا كان جائعاً، ومعالجته إذا كان مريضاً، وكل ما كان فيه تعاون على الإثم والعدوان فهو حرام، كأن يعمل بناءً فيني لهم كنيسة أو معبداً، فإن هذا من إقامة الكفر، والتعاون على إقامته، وكذلك أن يحرسها لهم^(٢).

(١) سعيد عبد العظيم - أصناف من يقاتلون وأحكام قتالهم، مجلة صوت الدعوة، العدد ٦ (شعبان - رمضان - مارس، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ص: ٣٤، والعدد ٣ (شوال ١٤١٢هـ / إبريل ١٩٩٢م)، ص: ١٧، ومجلة صوت الدعوة في ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٣م، وأحمد شلاطة - الدعوة السلفية السكندرية، ص: ١٢٤.

(٢) انظر: ياسر برهامي - أوثق عرى الإيمان.. الولاء والبراء، دار الخلفاء الراشدين، ط ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، ص: ٢٩، ٤٢، ٥١.

ورغم أن أعياد المسيحيين لا يجوز حضورها ولا المعاونة عليها، لكن ترى (الدعوة السلفية) أنه لا يجوز أيضاً قتل مَنْ يحضرها من المعاهدين ولا حرق كنائسهم ومعابدهم التي وقع العهد على تأمينها، وإذا علمنا أن أحداً من الناس يريد التعدي على المعاهدين والمستأمنين والذميين بغير حق، لزم منعه من ذلك طالما كانوا ملتزمين بعهدهم ولا يحاربون المسلمين في الدين..^(١).

ويعبر التيار السلفي في الكويت عن نفس الموقف من غير المسلمين، حيث يدعو إلى عدم مشاركة النصارى في مناسبات أعياد الميلاد، وعدم إلقاء التهنة عليهم أو إرسال بطاقات التهنة إليهم، وعدم استيرادها وبيعها وتوزيعها بمناسبة أعياد الميلاد..^(٢).

وقد جاءت بعض الآراء لأحد مشايخ السلفية في الكويت أقل حدة في التعامل مع غير المسلمين، إلا أنها لا تخرج في عمومها عن آراء التيار السلفي في موقفه مع غير المسلمين، فقد جعل البراءة من غير المسلمين أصلاً، أما (اللين معهم عند عرض الدعوة، وحل الزواج بالكتابية، وأكل ذبيحة الكتابي، والمجاملة والإحسان والدعاء لهم بالهداية)، كل ذلك يُعتبر استثناءات لا تنقض أصل البراءة منهم^(٣).

٣- تجديد الفهم لموقف السلفية المعاصرة من مفهوم الولاء والبراء:

الأصل في مفهوم الولاء والبراء، هو أنه مفهوم إيماني تعبدية، القصد منه أساساً هو تحصين المسلم؛ بما يجعله معتصماً بحبل الله، وبمحنة رسول الله،

(١) موقع صوت السلف في ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٣ م، وانظر: أحمد شلاطة - الدعوة السلفية السكندرية، ص: ١٢٤.

(٢) د. فلاح عبد الله المديرس - الجماعة السلفية في الكويت، ص: ١٤.

(٣) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق - الولاء والبراء، كتاب على الموقع الرسمي للشيخ، ص: ٢٣ وما بعدها.

مندمجاً في البنية الإيمانية للمجتمع المسلم؛ بما يحميه من الانحراف عن دينه وعقيدته، وقد تكون له أحكام مقيدة بأحكام الحرب والسلام في الشريعة الإسلامية؛ ولذلك لا بد من الجمع بين النصوص، وفهمها في ضوء المقاصد الكبرى، والغاية الجامعة لرسالة الإسلام، والتي حددتها الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وللوقوف على المعنى الحقيقي لمفهوم (الولاء والبراء)، لا بد من فهمه في ضوء مقاصد القرآن الكريم، والتي نجملها في النقاط التالية:

أ- البشرية في نظر القرآن (أسرة واحدة):

ينظر القرآن إلى البشرية كلها على أنها أسرة واحدة، يجمعها رحم الإنسانية العامة وإن اختلفت ألسنتها وألوانها، وتباعدت أعراقها وأديانها، وتعددت أقطارها وأوطانها، فالبشر جميعاً ينتمون من جهة الخالق إلى رب واحد، هو الله رب العالمين، ومن جهة النسب إلى أب واحد وأم واحدة، هما آدم وحواء.

وفي هذا يقول القرآن بعبارة واضحة: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. والنداء هنا للناس كل الناس، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو العرقية أو اللغوية، أو الإقليمية.. أعلن القرآن أنه خلقهم من ذكر وأنثى (أي من آدم وحواء)؛ ليتعارفوا ويتفاهموا، لا يتناكروا ويتصارعوا، ويتنافسوا في الخير، وأكرمهم عند الله؛ أي أكثرهم تقوى.

والتقوى كلمة إسلامية جامعة تشمل اكتساب كل خير يرضي الله تعالى، واجتناب كل شر يسخط الله تعالى. فمن استكثر منها فقد استكثر من كل خير لصالحه ولصالح قومه، ولصالح البشرية كلها.

وجدير بأهل الحضارة الحديثة، والثقافة البشرية، أن يخلعوا أنفسهم مما

كَبَلُّوها به من أغلال الجحود والنكران والتعصب برهة من الزمن، ليتفهموا فيها تلك الحقيقة الواقعية التي يقررها الوحي الإلهي، فيثوبوا إلى رشدهم، ويريحوا أنفسهم من عناء التكتل الجنسي، أو الإقليمي، أو الديني، استعداداً لهذه المجازر البشرية التي يسقون فيها الأرض بدماء أرحامهم وإخوانهم في الإنسانية التي كرمها الله وفضلها على كثير من خلقه»^(١).

ويؤكد النبي ﷺ للجموع الحاشدة في حجة الوداع، هذه الحقيقة الأساسية في وحدة البشرية، حين قال: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب»^(٢).

ب- قيم التسامح والتعاون والعيش المشترك:

إن البشر المختلفين في أعراقهم ولغاتهم مطلوب منهم التعارف: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ سُوءَ بِلَاةٍ وَقَبَائِلَ لِّتَعَارَفُوا...﴾ [الحجرات: ١٣]، وتبادل المنافع والتعاون على قضية العدل: ﴿...لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ [الحديد: ٢٥]..

ويبين القرآن الكريم أصل علاقة المسلمين بغيرهم، في قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ [المتحنة: ٨، ٩].

إن العيش المشترك: الأصل الذي تقوم عليه الحياة، ينبني على ذراعين ممدوتين إلى كل البشر، وهما البرّ والقسط^(٣)!..

(١) محمود شلتوت (الإمام الأكبر) - تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى)، دار الشروق، ط ١٢٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، ص: ١٣٦.

(٢) رواه أحمد في المسند.. وقال مخرّجه: إسناده صحيح، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٦٤).

(٣) د. جاسم سلطان - النسق القرآني ومشروع الإنسان، ص: ٧٦، ٧٧.

في ضوء ماسبق، يتبين لنا أن خطأ موقف السلفية المعاصرة من مفهوم الولاء والبراء، يتمثل أهمها في النقاط التالية:

أ- اعتبار العداوة هي أصل العلاقة مع غير المسلمين، وهذا من أكبر الأخطاء، بل إن أصل العلاقة الذي تقوم عليه الحياة مع الآخر، هو البرّ والقسط، والبرّ هو التواصل بالمعروف، وبرّ المعروف أنواع: معروف القول كطيب الكلام، وحسن المنطق، والتودد بجميل القول، وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقة الطبع، ومعروف العمل، كالعون في النائبات بالمال واليد والجهد، وهو يبنى المجتمعات. إن المجتمعات البشرية تحتاج إلى عنصر البرّ وحسن الخلق؛ إذ إن طرائق التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان هي ما يجعل حياة الناس أكثر فاعلية وإنسانية فتستحق العيش.

ب- تجزئ أحكام الشريعة وعدم رد جزئياتها إلى أصولها الكلية: وهذا التجزئ يوقع المرء في التخبط والاضطراب في الفهم والممارسة للدين، ومن ذلك أن بعضهم أخذ نصوص الشدة على الكفار، وأخرجها عن سياقها الحربي المؤقت، فجعل أحكامها أصولاً مطلقة، لا ترتبط بحال دون حال. والواقع أنها مرتبطة بظروفها الحربية، أو بظروف سوء العلاقة التي يتسبب فيها الآخر ابتداءً، ويفرضها على المسلمين، ومن قوله ﷺ: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه».

وقد أخذ بعض الغلاة هذا الحديث وأمثاله، وأدخلوها جهلاً وتعنّتاً تحت أصل الولاء والبراء، فطبقوها بظواهرها، وبصورة عشوائية، على كل يهودي ونصراني صادفوه أمامهم! دون تروٍّ، وبلا تبينٍ لخصوصية سياقها، ولا لفقه مناطها في زمانها، ولا مراعاة لما يستوجبه الفقه في زماننا هذا، من مراعاة شروط تحقيق المناط في الحال والمآل. بينما كل هذه الأحاديث وأضرابها لا علاقة لها بأصل الولاء والبراء، بل هي في ذاتها ليست على إطلاقها، ولا على ظاهر

عمومها، بل هي مرتبطة بما فرضه أهل الكتاب المجاورون للنبي ﷺ بالمدينة، من سوء الأدب في معاملتهم لرسول الله ﷺ، والتعريض به عند تحيته وملاقاته..، ونقض العهد معه، فكان الجواب لهم هو هذه التوجيهات الخاصة بهذا النوع من الظلمة المعتدين^(١).

ج- عدم مشاركة النصارى في مناسبات أعياد الميلاد، وعدم إلقاء التهنية عليهم أو إرسال بطاقات التهنية، أو عدم استيرادها وبيعها وتوزيعها بمناسبة أعياد الميلاد. وهذا من الخطأ والخلط الذي وقعت فيه السلفية المعاصرة بين دائرة العقائد ودائرة العلاقات القائمة على البر والقسط.. إن «تهنئة المسلم لمعارفه من النصارى بعيد ميلاد المسيح ﷺ»، هي من قبيل المجاملة لهم والمحاسنة لهم، ولا سيما أن السيد المسيح هو في عقيدتنا الإسلامية من رسل الله العظام أولي العزم، فهو مُعَظَّم عندنا، لكنهم يغالون فيه فيعتقدونه إلهًا، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ومن يتوهم أن هذه المعايدة لهم في يوم ميلاده ﷺ حرام؛ لأنها ذات علاقة بعقيدتهم في ألوهيته فهو مخطئ، فليس في هذه المجاملة أي صلة بتفاصيل عقيدتهم فيه وغلوهم فيها. وقد نُقِلَ أن نبيّنا محمدًا ﷺ مرّت به وهو بين أصحابه جنازة يهودي فقام لها^(٢). فهذا القيام قد كان تعبيرًا عما للموت من هبة وجلال، ولا علاقة له بعقيدة صاحب الجنازة.

والمسلم مطلوب منه أن يظهر محاسن الإسلام واعتداله لغير المسلمين.. أضف إلى ذلك حال المسلمين اليوم من الضعف بين دول العالم، وتآمر الدول الكبرى عليهم واتهامهم بأنهم إرهابيون ومتعصبون لا يُطمأن إليهم إلى آخر هذه

(١) انظر: فريد الأنصاري - في مفهوم الولاء والبراء.

(٢) الحديث: قام رسول الله ﷺ لجنازة مرت أُمَامَه، فقليل له: إنه غير مسلم، فقال ﷺ: «أو ليست نفسًا» (البخاري في الجنازات: ١٣١٢).

المعزوفة، وحاجة المسلمين اليوم إلى تغيير الصورة القائمة عنهم التي يصورهم بها العالم، ولا سيما أن المسلم قد يأتيه في عيده (الفطر والأضحى) معارف له من النصرى يهتئون به فيه. فإذا لم يرد لهم الزيارة في عيد الميلاد، كان ذلك مؤيِّداً لما يُتهم به المسلمون من الجفوة وعدم استعدادهم للائتلاف مع غيرهم، والمحاسنة في التعامل..

وإذا عرفنا الرأي الشرعي في التهنة يعرف حكم طباعة البطاقات والمتاجرة بها؛ لأن ما كان من وسائل المباح فهو مباح. لكن هناك نقطة توقف هام، يجب الانتباه إليها. فإذا كانت تهنة المسلم للنصرى في ذلك مباحة فيما يظهر؛ لأنها من قبيل المجاملة والمحاسنة في التعامل، فإن الاحتفال برأس السنة الميلادية وما يجري فيه من منكرات هو أمر آخر فيه تقليد واتباع من المسلمين لغيرهم في عادات وابتهاج ومنكرات يجعلها من قبيل الحرام^(١).

وخلاصة القول، إن البراء براء وجداني من الاعتقاد الديني الذي يعتقدُه الآخر فحسب، وليس براء أداء وتعاون، فعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة كان أول عمل قام به أن عقد معاهدة بين فيها الحقوق والواجبات بين المسلمين وسائر مكونات المجتمع المدني، وهذه المعاهدة من أوضح وأجمع وأعظم المعاهدات التي عقدت في التاريخ، والتي دلت بما لا يدع مجالاً للشك على رغبة المسلمين في التعايش مع غيرهم^(٢).

إذن، فالبراء ليس براءً من التعاون مع الآخر في أدائه الحضاري الحياتي، فنحن والآخر شركاء في الأداء الحضاري، وشركاء في النهوض بمهمة التكليف الرباني للناس جميعاً: عمارة الأرض وإقامة الحياة، لذا فإننا نؤمن أن دائرة المشترك مع

(١) مصطفى الزرقا - فتاوي مصطفى الزرقا، دار القلم، بيروت، ط ٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص: ٣٥٥ - ٣٥٧.

(٢) انظر: ابن كثير - البداية والنهاية، ج ٣، ص: ٢٢٤. وانظر: بشير شهاب - الفكر السلفي...، ص: ٣٦.

الآخر تأخذ بالانفتاح والانفراج بعد دائرة العقيدة، وأن هناك مساحة مشتركة وواسعة للتعايش والتعاون والتفاهم والتنافس في رحاب دائرة الرسالة^(١).

ثالثاً: الحضارة الغربية والإفادة منها:

الحضارة التي تسود العالم اليوم هي الحضارة الغربية، وهي حضارة لها مزاياها التي لا تُنكر.. لقد أثرت هذه الحضارة في أقطار الأرض كلها.. كما أنها ملكت الإنسان من القدرات والوسائل ما لم تملكه حضارة من قبل، وهيأت له من أسباب الرفاهية ومظاهر التنعم، ما لم يتهيأ له في تاريخه الطويل، بل وما لم يكن يحلم به أو يدور بخاطره..

وبجوار هذه المزايا - لهذه الحضارة - آفات وآثار سيئة، ما برحت البشرية تعاني ويلاتهما، وتذوق مُر ثمراتها.. حتى شبهها أحد دعاة العصر بأبي الهول التمثال القابع عند الأهرام في مصر، له وجه إنسان وجسم حيوان! كذلك هذه الحضارة لها عقل إنسان وغرائز حيوان!^(٢).

أ- الانفتاح على الآخر سمة حضارتنا:

وما يهمننا من (الحضارة الغربية) هو الإفادة مما قدّمته للبشرية من (مزايا)؛ لأن «في الثقافة الإسلامية الحكمة ضالة المؤمن، أينما وُجد العلم النافع والتجربة العلمية فإنه سيستفيد منها دون أي حساسية أو استعلاء، وقد جاء الإسلام وعند العرب عادات صحيحة فأقرها ولم يُلغها، وعندما فتح العرب المسلمون بلاد الشام والعراق ومصر وفارس استفادوا مما عند هؤلاء الأقوام من تنظيمات إدارية..

وقد نعى القرآن على اليهود والنصارى إنكار كل فريق لما عند الآخر، وأن

(١) بشير شمام - الفكر السلفي، ص: ٣٧.

(٢) محمد الغزالي - كنوز من السنة، نهضة مصر، ط ١، ١٩٩٨ م، ص: ٩.

كل فريق التزم موقفاً متمزماً من الآخر، بل يري أن ليس عنده شيء ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ...﴾ [البقرة: ١١٣].

أما «الاحتكاك بالآخر، والاتصال بالغير، والانفتاح على تجارب الأمم في الماضي والحاضر، فهو طابع وسمة ثقافتنا في عصور ازدهارها وقوتها يوم كانت هي ثقافة العالم وحضارته السائدة. فقادة التجديد في حياتنا المعاصرة كمحمد عبده، ومحمد إقبال، ومالك بن نبي...، وغيرهم، ما كانوا ليقدموا لنا ما قدموا لولا ما تيسر لهم من احتكاك بالفكر الغربي...»^(١).

تلك هي طبيعة ثقافتنا التي نشأت في ظل دين يدعو إلى الاتصال بالآخر، لدعوته وإفادته، وكذلك للإفادة منه.

ويجدر بنا أن نشير إلى أمثلة من تلك الاتصالات، التي تظهر طبيعة هذه الثقافة في إفادة الآخر، والإفادة منه في حضارتنا، نذكر منها:

١ - «اتصال الثقافة الإسلامية العربية بثقافات البلاد التي فتحها المسلمون، في مصر والشام وفارس وغيرها، وقد تجاوزت الثقافة الجديدة وثقافة أصحاب البلاد بندية ومساواة دون قسر من الفاتحين أو إجبار لأهل هذه البلاد، وقد حدث التأثير والتأثر لدى الطرفين، فتعلم بعض الصحابة لغات هذه البلاد، وتعلم أهل هذه البلاد لغة العرب...، ومن ثمار هذا الاتصال، تأثر أهل البلاد بالإسلام، وكان منهم كبار العلماء كالبخاري، والترمذي، والرازي، وغيرهم...»

٢ - حركة الترجمة: وقد كانت ذات شقين: ترجمة من الثقافات الأخرى وبخاصة اليونانية، وترجمة من العربية إلى اللاتينية، هذا إلى جانب الترجمة من

(١) أ.د. حسن الشافعي - قول في التجديد، دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، ص: ٤٢.

الهندية والفارسية، وأهمية الترجمة من اليونانية أوضح من غيرها: لأنها جذور الثقافة الغربية المعاصرة.

وقد حفظها العرب في لغتهم مع إضافات كثيرة، من ملاحظات على المحتوى، وتجديد في المنهج، فحفظت من الضياع، إلى أن احتاج الغرب في القرن الثاني عشر الميلادي إلى هذه الثقافة فلم يجدوها في أصلها اليوناني، فعمد إلى النص العربي وترجمه إلى اللاتينية^(١).

وهو الذي جعل المؤرخين الغربيين المنصفين يعترفون بفضل العرب على الحضارة الأوروبية؛ لأن الخلافات الدينية التي كانت في أوربا بين شرقها الأرثوذكسي وغربها الكاثوليكي مثّلت جداراً سميكاً منعهم من التعاون لمعرفة الأصل اليوناني لحضارتهم في لغته القديمة، يقول أحدهم: «وبما أن هذا الجدار كان - لسوء الحظ - موجوداً فإنه لم يكن من سبيل إلى اتصال العلم اليوناني بالمستقبل اللاتيني التالي إلا من طريق المنحنى العربي، وإذا نحن نظرنا إلى العلم العربي - من وجهة نظر التطور الإنساني عموماً - وجدنا أن الثقافة العربية الإسلامية كانت ذات أهمية بالغة؛ ذلك لأنها تؤلف الصلة الأساسية بين الشرق والغرب، ثم بين الشرق الأوسط وبين آسيا البوذية»^(٢).

٣- الحضارة الإسلامية في الأندلس: كان القرن الثامن الهجري علامة بارزة في الثقافة الإسلامية العربية في الأندلس؛ إذ امتلأت مساجد قرطبة بمجالس العلم الشرعي والتجريبي، فكانت هناك مجالس للطب والصيدلة والبيطرة إلى جانب مجالس الفقه والتفسير والحديث ونحوها.

وحين علمت أوربا بهذه الثقافة أرسلت وفوداً من مثقفيها ليتعلموا من هذا

(١) أ.د. أبو اليزيد العجمي - الحضارة الإسلامية وجه جديد، ص: ١٥٨.

(٢) سارتون - الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ترجمة عمر فروخ، بيروت، مكتبة المعارف، ط ١٩٥٢م، ص: ٥٧.

العلم، وكان لهم ذلك دون حرج أو إعنات، ذلك أنهم وجدوا في هذه المجالس علماً جديداً في موضوعه حيث لم يكن عندهم شيء من العلم التجريبي، كما وجدوا منهجاً حوارياً في التعلم يسمح بالمناقشة والملاحظة والاستدراك، ولم يكن عندهم هذا اللون من التفكير بحكم سيطرة الكنيسة على كل شيء آنذاك^(١).

لقد عاد تلاميذ أوروبا ومعهم لغة العرب وعلوم الإسلام ومنهج المسلمين، حتى إن أحد المؤرخين المنصفين، يقرر أن «روجر بيكون تعلم المنهج التجريبي من الأندلس»^(٢).

ب- موقف (السلفية المعاصرة) من الحضارة الغربية والإفادة منها:

يتسم موقف السلفية التقليدية بالتعامل الحذر مع المستجدات والمتغيرات ذات الناج الغربي، وعدم التفاعل مع الحضارة الغربية في كل مكوناتها وأشكالها، لا سلباً ولا إيجاباً. وهذا النوع من العلاقة بغير المسلمين بقدر ما فيه من فوائد كالاعتزاز بالشخصية الإسلامية وبالموروث الإسلامي، إلا أنه قد ينشأ عنه عند المغالاة في التطبيق آثار عكسية على التابعين، أو السواد الأعظم من المجتمع، تتمثل بالمفاجآت، وعدم القدرة على التكيف مع المتغيرات، والازدواجية التي يعانها الفرد والمجتمع جراء المتناقضات، أو الصراع بين القديم والجديد حتى يكون الزمن العامل الرئيس في التكيف^(٣).

ومع أن النظام الديمقراطي والتعددية الحزبية ثمرة طبيعية للحرية إلا أن السلفية المعاصرة وقفت منها موقف الرفض العدائي؛ لأنها بدعة منكرا كما تراها.

(١) أ.د. أبو اليزيد العجمي - الحضارة الإسلامية وجه جديد، ص: ١٦٠.

(٢) بريفولت - بناء الإنسانية، ص: ٣٠٢، انظر: محمد إقبال - تجديد الفكر الديني في الإسلام، دار الهداية للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ١٥٤. وانظر: نفس المرجع السابق، ص: ١٦٠.

(٣) عبد الله الطريقي - المدارس السلفية المعاصرة: قراءة في التنوع والعلاقة مع الآخر، موقع الألوكة في ١٧/٦/١٤٣٢هـ - ٢١/٥/٢٠١١م.

يقول أحد رموز الدعوة السلفية في مصر: «إذا كانت النظم الديمقراطية عادة تأخذ بنظام تعدد الأحزاب، وكل حزب له برنامج المعبر عنه، وله أيضاً رأيه ومَن يمثله، فهذه الأحزاب منها ما هو شيوعي ماركسي، ومنها ما هو وطني، ومنها ما هو ليبرالي علماني.. وهي كلها بدعة منكرة وأثر من آثار الاستعمار؛ أحدثها المستعمرون ليفرقوا بين أبناء الأمة الواحدة، ويجعلونها شيعاً وأحزاباً..»^(١).

ويعد أحد رموز الدعوة السلفية في الكويت الديمقراطية نظاماً غريباً مفروضاً على المسلمين من قبل المستعمرين، وأنه نظام يناقض الإسلام في أخص خصوصياته، وهي السيادة؛ لأنه يجعل الحكم للشعب، ويجعل الشعب مصدر السلطات جميعاً. إلا أنه أجاز تولي المناصب التشريعية والتنفيذية في ظل الأنظمة الديمقراطية. ورفض مقاطعتها..^(٢).

إذن، الموقف الغالب للسلفية المعاصرة هو «رفض المفاهيم الغربية جملة وتفصيلاً، واتهامها كلها بأنها مفاهيم كفرية، وأحياناً يعبر ذلك الموقف عن نفسه بلغة فلسفية راقية، فيقول: إن النموذج المعرفي الإسلامي يختلف تماماً عن النماذج المعرفية الأخرى، وبالتالي فلا يصح أن نقبس أي مفهوم من عند غير المسلمين؛ لأننا (معرفياً) نختلف عنهم، وهذا كلام غير دقيق لأنه على الرغم من أن النماذج المعرفية تختلف إلا أنها تتقاطع كذلك في مساحات ومستويات مشتركة من الفكر الإنساني..»^(٣).

(١) سعيد عبد العظيم - الديمقراطية في الميزان، ص: ٨٩، ٩٠. وانظر: ياسر براهيم - السلفية ومناهج التغيير، ص: ٦.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق - مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية، مجلة الفرقان، الكويت، العدد (٣٦) إبريل ١٩٩٣، ص: ٢٣.

(٣) د. جاسر عودة - الدولة المدنية نحو تجاوز الاستبداد وتحقيق مقاصد الشريعة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠١٥م، ص: ٥٩.

ج - تجديد الفهم لموقف السلفية من الحضارة الغربية والإفادة منها:

الذي جعل (السلفية المعاصرة) منغلقة على ذاتها، ترفض الآخر، وترفض الإفادة منه، على غير طبيعة وسمة الحضارة الإسلامية في الاتصال بالغير والانفتاح على تجارب الآخرين، هو غياب المقاصد القرآنية في الإفادة من الغير، والتي يتلخص في النقاط التالية:

أ - الانفتاح على العوالم كلها:

يربي القرآن الكريم المسلم على الانفتاح على العوالم كلها، فمن أول الآيات التي يتفوه بها في صلاته ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وهي تحثه على الإقبال على العوالم كلها من إنسان وحيوان ونبات وجماد وأرض وأفلاك.. ولا تنتهي الصلاة إلا بإلقاء السلام وإشاعته على العوالم كلها عن اليمين والشمال..

ولا غرو في ذلك، فإن الإسلام رسالة عالمية، ولا فرق - في مقاصد القرآن - بين غرب وشرق، فالشرق والغرب من مملكة الله الواسعة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَجَهَّ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]. والشرق والغرب من العالمين الذين أرسل الله رسوله محمداً ﷺ رحمة لهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فليس الأمر كما قال الشاعر البريطاني: «الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا»^(١)، ولكن الأمر، كما خلق الله البشر جميعاً؛ ليتعارفوا ويتفاهموا ويتقاربوا، لا يتناكروا ويتصارعوا ويتباعدوا.. كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١) روديارد كبلنج (١٨٦٥ - ١٩٣٠م) ولد بالهند وحصل على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٠٧م.

ب- السير في الأرض ورؤية الأمم:

أمر الله بالسير في الأرض للتأمل في الخلق وأحوال الأمم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. فهذه الآية الكريمة تؤكد على «ضرورة أن نسير في الأرض وننظر ونتأمل وندرس ما حولنا من أجل اكتشاف» كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ، «ومثل هذه الآيات كانت سبباً في تحفيز علمائنا قديماً لاكتشاف الكثير من العلوم ووضع النظريات، وهذا ما ساهم في دفع عجلة العلم. ولذلك كان لعلماء المسلمين الفضل في كثير من العلوم، التي أخذها عنهم علماء أوروبا، واستفادوا منها وقاموا بتطويرها»^(١).

إنه لا حرج على المسلمين لو ساحوا في أرجاء القارات، واطَّلَعُوا على أحوال الخلائق وراقبوا أحوال الشعوب والحكومات، ثم انتقوا مما يرون الأساليب الإدارية والنظم الحضارية التي تخدم مثلهم وتحقق أهدافهم.. وأن ذلك أصبح من الواجب بعدما تعفنت الأوضاع السياسية والاقتصادية لدينا في عصور الجمود والتخلف^(٢).

ج - الإفادة من الآخر:

إن القرآن الكريم يعلمنا أن نقتبس ونستفيد حتى من غير الإنسان. فقد استفاد نبي الله (سليمان) ﷺ من الهدهد، وكان في ذلك فتح مبين وخير عميم. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا أُغْدِبُكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُعِينُ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٠ - ٢٢].

(١) عبد الدائم الكحيل - قل سيروا في الأرض: رؤية علمية جديدة، موقع متخصص في أسرار الإعجاز العلمي.

(٢) انظر: محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية، ص: ١٧٩، بتصرف يسير.

وكان عاقبة هذا النبأ اليقين، هي إعلان الملكة (بلقيس) إيمانها وإسلامها، مع كل ما يستتبع ذلك من تحول تاريخي في ملكها ومملكته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [النمل: ٤٤].

كما قصّ علينا القرآن الكريم استفادة ولد (آدم) من الغراب، ولومه لنفسه لأنه لم يهتد إلى ما اهتدى إليه الغراب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقَىٰ أَعْجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ۝﴾ [المائدة: ٣٠، ٣١].

فإذا كان هذا مع الهدد والغراب، فكيف بنا مع الإنسان، بكل ما وهبه الله من قدرات عقلية وفكرية، ومن قدرة على تطوير التجارب والخبرات، وبما هو مبثوث فيه وفي تاريخه من تراث الأنبياء وآثارهم، ومن حكمة الحكماء وآرائهم؟! (١).

وهكذا كان النهج النبوي في الإفادة من الغير بما فيه مصلحة وخير..

- ففي السيرة النبوية لما اجتمعت الأحزاب - في غزوة الأحزاب الشهيرة بغزوة الخندق - على غزو المسلمين واستئصالهم، جاءت فكرة حفر الخندق حول المدينة، لمنع الجيوش الغازية من دخولها. وهذا أسلوب كان يستعمله الفرس. قال الحافظ بن حجر «وكان الذي أشار بذلك (سلمان) فيما ذكره أصحاب المغازي منها أبو معشر قال: قال سلمان للنبي ﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين..» (٢).

(١) أ.د. أحمد الريسوني - الشورى في معركة البناء، دار الرازي للنشر والتوزيع، ط ١٤٢٨هـ، ١٠هـ - ٢٠٠٧ م، ص: ١٥٠.

(٢) الحافظ بن حجر العسقلاني - فتح الباري، ٧/ ٣١٤.

ولم يقل رسول الله ﷺ دعونا من فارس، ودعونا من أساليب المجوس
المشركين..

هذا هو النهج الإسلامي الصحيح، جواز التآسي بكل مَنْ أحسن في إحسانه،
وكل مَنْ أجاد في إجادته، وكل مَنْ أصاب في إصابته، والميزان هو: ما يوافق
الإسلام ويخدمه، وما ينفع المسلمين ويخدم مصالحهم. وعلى هذا الأساس صار
الصحابة والخلفاء الراشدون، فاقتبسوا واستفادوا، بلا تخرج ولا تنطع^(١)!!

* * *

(١) انظر: أ.د. أحمد الريسوني - الشوري في معركة البناء، ص: ١٥١، وما بعدها.

المبحث الثالث

الخصائص المنشودة للسلفية المعاصرة ففي مستقبلها التجديد في الواعد

إن السلفية المعاصرة التي ننشدها في المستقبل، لها خصائص فارقة وملامح مميزة: فهي سلفية تجمع بين الأصالة والتجديد...، وتعبّر عن تيار فكري يجمع بين مكونات الأمة على اختلافها في تعاون وتكامل، وترتقي بخطابها الإسلامي ليبقى صالحاً لمخاطبة الإنسان من حيث هو إنسان، ويحقق رسالة الرحمة للعالمين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهذا ما نتناوله في تلك الخصائص التالية:

أولاً: سلفية تجمع بين الأصالة والتجديد:

الإسلام الذي يجب أن نلتزم به، ليس إسلام مذهب معين من المذاهب المتبوعة، ولا إسلام عصر من العصور التاريخية السالفة، ولا إسلام قطر من الأقطار الإسلامية المعروفة، إنه إسلام القرآن والسنة فحسب.. ولذلك فإن السلفية المنشودة التي نريدها تقوم على السمات التالية:

١ - سلفية مرجعيتها الكتاب والسنة وتراث الأمة: على اختلاف مذاهبها، تحتضنها جميعاً، وتعزز بها، وتتخير منها ما هو صالح للعصر. وهكذا يمكن إدخال أغلب تيارات الفكر المتواجدة في الساحة الإسلامية تحت مصطلح السلفيين، ويمكن أن توصف كلها بأنها تيارات سلفية...، وعلى من يرجع إلى السلف منهم، أن يجتهد في ميراثهم وتراثهم، مميزاً فيه بين الثوابت والمتغيرات، وبين الصالح للاستصحاب والاستلزام وما تجاوزته الوقائع المتغيرة، والعادات المتبدلة، والأعراف المختلفة، والمصالح المستجدة، فيستلهم من فقه السلف ما

يتطلبه الواقع الجديد، ويتجاوز ما كان خاصاً بواقع معين^(١).

ومن ثمّ فهي سلفية دعوية أصولية، تقدر أصول عصور الاحتجاج قواعد، ومصادر، وتحترم تجارب علمائنا وفقهائنا ومفكرينا، في سلفياتهم السابقة، وتسمح بروحها الدعوية امتداد حركة استقطاب الإسلام للعالم، وحل مشاكله المتجددة. وتتجاوز الاختلاف فيما يمكن الاختلاف فيه، حتى تسمح بوحدة العمل للإسلام، لتتجاوز مع وحدة التوجه والنية لخدمته.

وما أحوجنا بالتالي - وفق هذا الطرح لمفهوم الأصولية الدعوية - إلى النظر في ترتيب سلم الأولويات في القضايا والمشكلات، التي نطرحها في هذا الزمان، حتى تبلور لنا رؤية واضحة، وعمل محدد هادف، وفق خطة مرسومة. والإسلام يدعو أصحابه إلى أن تكون لهم ذاتهم وشخصيتهم، وموقعهم العالمي، في ظل ظروف الأيديولوجيات العالمية، والتكتلات الدولية. حتى لا تتمزق الأمة المسلمة، وتذوب في الأيديولوجيات العالمية، وتُسقط في التكتلات الدولية^(٢).

٢- سلفية ذات منهج مقاصدي: ترى أن أدلة النص اللفظية لا تستغني عن معرفة مقاصد الشرع، وأن هذه المعرفة تمثل قاعدة أصلية في فهم النص الشرعي من حيث إن الشرع مصلحة كله، وعدل كله، ورحمة كله، وأن منطلق معرفة قواعد جلب المصالح ودفع المفاسد، هو الشرع عن طريق الاجتهاد العقلي، وإثبات التعليل الكلي، واعتماد ضوابط التأويل عند تدبر الوحي. وخير من مثل هذه السلفية منهج (ابن تيمية وابن القيم والشاطبي وابن خلدون)^(٣).

(١) انظر: د. بشير شام - الفكر السلفي ما له وما عليه، ص: ٨، ٩.

(٢) انظر: د. راجح الكردي - الاتجاه السلفي..، ص: ٩١.

(٣) انظر: عبد الرحمن العضاوي - أسئلة الإصلاح وأجوبة المقاصد في سلفية الطاهر بن عاشور، ص: ١١٦.

إن سلفية المنهج المقاصدي تعمل على استكشاف الوسائل الموصلة لمقاصد شرعية واضحة، كالإصلاح والحرية والعدل والمساواة والتعليم.. فالمنهج المقاصدي منهج استكشافي للمصالح، وتنزيلي لها في واقع الأمة.

إنها السلفية المقاصدية المنشودة التي تتجاوز هيمنة التقليد وعقليات عهد الانحطاط، التي رسخت آفات من الخرافات والأوهام، ومنعت من استمرار تقدم الأمة الإسلامية وريقها إلى الدعوة إلى الاجتهاد وإصلاح أحوال الأمة، وتكيفها مع روح العصر، والتعامل مع النص الشرعي بقواعد علمية استنباطية ومقاصدية تستكشف معاني ومصالح لضبط أصول النظام الاجتماعي الإسلامي في إصلاح الأفراد والإصلاح الاجتماعي^(١).

إنها سلفية مقاصدية تستطيع بلورة أجوبة مقاصدية واضحة لتحديات المجتمع والتاريخ، وذلك انطلاقاً من الواقع، وليست سلفية لم تخرج عن عباءة المنطق التاريخي لعلم الكلام!

٣- سلفية تهتم بالعمل بعد العلم: فأصحابها لا يكتفون بالتنظير، ولا يحبون العلم الذي ليس وراءه عمل، ولا البحث في أمور لا يستفاد منها في الدنيا والآخرة، قال الإمام (مالك): أدركت الناس ما يعجبهم القول إنما يعجبهم العمل^(٢)، ويقول الإمام (الشاطبي) «كل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها لم يدل على استحسانه، ففي القرآن الكريم ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] فوق الجواب فيما يتعلق به العمل، ولما سئل النبي ﷺ عن الساعة، قال للسائل «ما أعددت لها؟»^(٣).

(١) انظر: نفس المرجع، ص: ١٤١.

(٢) الشاطبي - الموافقات، ج ١، ص: ٦٥. وانظر: محمد العبد - السلفية منهج.. وليست حزباً، ص: ٣٥. مرجع سابق.

(٣) الحديث صحيح أخرجه البخاري (٦١٧١) واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٩) باختلاف يسير. وانظر: الشاطبي: الموافقات، ج ١، ص: ٤٦.

وقد جزم بعض الباحثين المعاصرين بأن الأمة الإسلامية لو أنها استقامت على النهج العملي الذي فصله شيخ الإسلام (ابن تيمية)؛ لوصلوا إلى ما وصلت إليه أوربا في الاختراعات العلمية. ويقول المستشرق جب: «إن تركيز الفكر العربي الإسلامي على الأحداث الفردية - لا كما جعل فلاسفة الإغريق - جعلت علماء المسلمين معدين للتعمق في المنهج الاختباري العملي، وإن الملاحظات المفصلة التي قام بها باحثو الإسلام قد ساهمت في إعادة المنهج التجريبي الذي اقتبسته أوربا»^(١).

٤- سلفية تتحري العدل والإنصاف: سواء كان ذلك مع الموافقين أو المخالفين، مع الأشخاص والهيئات، وإعطاء كل ذي حق حقه، وذكر الحسنات والسيئات، والتغاضي عن الهفوات إن كان من أهل العلم والفضل. فعلينا أن ننظر بإنصاف إلى جماعات لها نشاط واضح في رد كثير من المسلمين العصاة الظالمين أنفسهم إلى الجادة، وإلى إقامة الشعائر الإسلامية من صلاة وصوم وحج. نعم نذكر محاسنهم، ونذكر ما في منهجهم من قصور، ومن يتتبع كتب التراجم عند علماء المسلمين، فسيجد هذا الإنصاف واضحاً، بيد أننا نرى هذه الأيام بعداً عن هذا المنهج، ليس في عدم إنصاف أهل البدع، بل في عدم إنصاف أهل الحق، مما يدل على أن علماء السلف كانوا أكثر إدراكاً لمرامي الشريعة، ويمتازون برحابة الصدر، ورجاحة العقل^(٢).

٥- سلفية منهجية الفكر، وعصرية المواجهة: السلفية المنشودة هي سلفية المنهج الفكري، أي العودة بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة وقواعد تفسير النصوص لدى القرون الثلاثة الأولى، إلى جانب روح العطاء المتجردة، وشفافية البصيرة التي كان يتحلّى بها السلف الصالح. ونقصد بعصرية المواجهة أن ندرك

(١) انظر: د. محمد العبد - السلفية منهج.. وليست حزباً، ص: ٣٦.

(٢) انظر: د. محمد العبد - السلفية منهج.. وليست حزباً، ص: ٣٩.

محاور المعارك القديمة بين الإسلام وأهله من جهة، وبين الفلسفات والنظم العلمانية والمادية من جهة أخرى؛ وأن ندرك إلى جانب ذلك القضايا الأكثر إلحاحًا والأشد حاجة إلى أن نستثمر جهودنا الدعوية فيها. ولا شك أن هذه القضايا تختلف من بلد إلى آخر، وبين عصر وعصر.

وتعني المعاصرة أيضًا استخدام الأساليب والوسائل المعاصرة في خدمة المنهج الذي نؤمن به، ومعالجة القضايا التي نتصدى لمواجهتها، فليس من المعاصرة أن نواجه المعامل والمختبرات الموجودة لدى المنافسين بالمدارس والكتاتيب التي تقام تحت ظلال الأشجار، وليس من المعاصرة أن نواجه الغزو الإعلامي الرهيب بالشجب والاستنكار دون أن نمتلك القنوات والشبكات الإعلامية التي تشر الهدي الرباني في أنحاء المعمورة.

إن كثيرًا من الدعاة يجاهد في غير عدو، وينشغل بمهاجمة فرق ومذاهب ومعتقدات لا يوجد أدنى رصيد لها على الساحة، ولا يملك أية خبرة في الأفكار الهدامة التي تستأصل أمة الإسلام، وتجهض حيويتها، وتحرفها عن طريقها، فضلًا عن أن يمتلك الوسائل لمقاومتها..^(١)

٦ - سلفية تهتم بالتربية وقضاء حوائج الناس: وهذا هو المحك الذي يظهر به أهل السنة ويتميزون عن أهل الأهواء والفجور في الخصومات، فهم يهتمون بالتربية والأدب قبل العلم.. وقد كان طلاب العلم يذهبون إلى العالم ليأخذوا دروسًا من سمته وأدبه، يقول ابن حزم في آداب حضور مجالس العلم: «إذا حضرت مجلس علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستزید علمًا وأجرًا، لا حضور مستغن بما عندك، طالب عثرة تشيعها، أو غريبة تشنعها، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يفلحون في العلم أبدًا..^(٢)»

(١) انظر: د. عبد الكريم بكار - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ص: ٢٥٠.

(٢) ابن حزم - الأخلاق والسير (مداواة النفوس)، تحقيق: إيفاء رياض، دار ابن حزم، د.ت، الوصية رقم (٢٤٧)، ص: ١٩٣. وانظر: المرجع السابق، ص: ٣٩.

وفي ترجمة ابن قدامة: كان قاضيًا لحوائج الناس ومَن سافر من الجماعة يتفقد أحوالهم، ويقول الشيخ الموفق صاحب المغني: ربانا أخي وعلمنا، وهو الذي هاجر بنا، وهو سَفَرنا إلى بغداد، وحين رجعنا زوّجنا، وبنى لنا دورًا، وكان قَلَمًا يتخلف عن غزاة..»^(١).

تلك هي السمات المنهجية للسلفية المعاصرة المنشودة التي تجمع بين الأصالة والتجديد، فهي ليست فرقة من الناس تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معين. إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمّق ولاءها لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله، دون نظر إلى عرق أو لون. وفهمها للإسلام وعمقها له يرتفع إلى مستوى عمومته وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل»^(٢).

ثانيًا: سلفية تعبر عن تيار فكري يجمع كل مكونات الأمة:

إن من أكبر المصائب أن يتحول الإسلام من دين جامع لكل الأمة إلى أيديولوجية خاصة، صنعتها نظرية كل طائفة، تزعم بأن الحق معها دون غيرها، حتى إن «خريطة العالم الإسلامي قد حددتها المذاهب الدينية أكثر مما رسمته الحدود الجغرافية. فأنت تستطيع الآن أن تلقي نظرة على العالم الإسلامي جغرافيًا وتستطيع بسهولة أن تصنف كل قطر مذهبياً وعقائدياً، فهذا قطر أشعري العقيدة، وذلك سلفي العقيدة، وثالث ماتريدي أو معتزلي، وهذا شيعي، وذاك سني..

وقد انتقلت هذه الخلافات إلى خارج بلاد المسلمين وساعد على تنميتها أصحاب الولاءات السياسية، وبدا الإسلام هناك كأنه ليس إسلامًا واحدًا؛

(١) الذهبي - سير أعلام النبلاء، ٢٢ / ٥. وانظر: محمد العبد - السلفية منهج وليست مذهبًا، ص: ٤٠.

(٢) محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية...، ص: ١٠٧.

بل إسلامات متعددة، وتبع ذلك أن تعددت المساجد المذهبية هناك، وظهر بين المهاجرين نوع من الرفض المذهبي للمخالف، فلا يصلي بعضهم في المساجد المخالفة له مذهبياً ولا وراء الإمام المخالف له مذهبياً، واتسعت دائرة الفرق وحالة التمزق..^(١)

ولذا، فالجهد الأساس المطلوب هو إيجاد (تيار فكري) قائم على منظومة من التصورات التي تؤسس لمسار جديد، مسار لا يحمل في ذاكرته التاريخية كل أشكال التآزمات التي حصلت، تيار يمتلك رؤية لذاته ولمجتمعه، لإقليمه وللعالم من حوله.

إن إيجاد هذا التيار وتفعيله اليوم أصبح أكثر إلحاحاً من المراجعات والإصلاحات في الأجسام التنظيمية القديمة ذاتها التي على الرغم من أهميتها فهي ليست المستقبل، فالأمل الحقيقي هو في هذا التيار الجامع المنشود الذي يمتلك روحاً منسجمة مع طبيعة المرحلة الحالية وتحدياتها، غير مُحَمَّلة بلغة أيديولوجية مكثفة تعيق المنتمين إلى هذا التيار من فهم الواقع ومواجهة تحدياته وفق المنهج العقلي المنطلق من فهم متجدد للدين وأدواته.

إنها «روح تسري لتخدم المجتمع، وتبشر بتطلعاته وأحلامه هو... لا بتطلعات وأحلام تكتلات خاصة، إنها أدوات قوة للدخل قبل أن تكون استعراضاً كلامياً موجهاً إلى الخارج، إنها منظومة بناء وتجديد نحو الذات، وفهم وإدراك للآخر، إنها مسيرة عطاء عنوانها إصلاح كل منظومات المجتمع والمساهمة في تحسين ما هو قائم والبناء عليه»^(٢).

هذا التيار الفكري الواعد الذي يجمع بين مكونات الأمة، ينبغي أن تتوفر له الضوابط التالية:

(١) د. محمد السيد الجليلند - عقيدة بلا مذاهب، ص: ٤٦.

(٢) د. جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية، ص: ١٦٦، ١٦٧.

١- حسن الظن بتراث الجميع: إن «شريعتنا تفرض علينا أن نتعامل مع تراث الجميع من منطلق حسن الظن، ولا يجوز شرعاً أن نشك في نوايا واحد منهم؛ حتى وإن كان يخالف ما نراه؛ لأن نوايا العباد- خاصة أهل العلم - يجب أن تُحمّل على أحسن المقاصد وأنبهها، وندع علم ذلك لعلام الغيوب.

٢- التركيز على مواضع الاتفاق: ومع حسن الظن بالجميع، ينبغي التركيز على «مواضع الاتفاق بين الآراء التي تبدو متعارضة، وبيان أن هذا التعارض ليس جوهرياً، ولا يمس صميم الاعتقاد بعد أن تبين لنا أن المقاصد واحدة وأن الغايات والأهداف محل إجماع بين المسلمين..^(١).

وليعلم الجميع أن «المتفق عليه كثير جداً، وأن التشبث به وحده كاف في النجاة، فالإيمان بالله ولقائه والسمع والطاعة لما جاء عنه، وأداء الأركان المجمع عليها في ميدان العبادات وترك المعاصي المجمع عليها في ميدان المحظورات، وبناء النفوس على مكارم الأخلاق وأشرف التقاليد.. كل ذلك يقيم أمة لها مكانتها في الدنيا والآخرة»^(٢).

٣- عقد علاقات ولائيه منهجية صادقة: مع كل أشكال المجتمع وطبقاته مع الدعوة إلى الالتزام والإيمان، وترك منكر القول والفعل، وألا يكون هذا التيار وحده وينتظر أن يتحول المجتمع إلى الرؤية التي يقدمها، لأنها محاولة خاصة قد تكون أحياناً غير مؤهلة للتطبيع الاجتماعي؛ لكونها تقف وراء إلحاح معين في مفهوم نسبي لا يمثل الإسلام ولو كان ذا قيمة مبدئية عالية.

وإذا نظرنا في واقعنا الإسلامي وجدنا قدراً كبيراً من الاختلاف والتمايز، وإن هذا الواقع من غير المهم أن نسعى لتوحيده، ربما كان توحيد العمل يمثل

(١) د. محمد السيد الجليلند - عقيدة بلا مذاهب، ص: ١٦، ٣٥.

(٢) محمد الغزالي - دستور الوحدة الثقافية...، ص: ٥١.

إلغاءً عند كثيرين، وهذا يعني توليد الصراع من أجل توحيد العمل. ويفترض أن نكون واقعيين، ونذكر أن هذا الاختلاف يمكن أن يتحول إلى تعددية إسلامية حميدة تستوعب الواقع كله. إن المجتمعات؛ بل والأفراد تختلف عقولهم ونفوسهم والمؤثرات التي يقعون تحتها، وهذا يجعل التعددية مطلباً ملحاً مع المحافظة على أصول الدين وثوابت الشريعة وجعلها مرتكز الاجتماع.

والساحة الإسلامية رغم اختلافها وتمايزها في كثير من الأحوال؛ إلا أنها تملك تجمعاً مؤهلاً للصياغة الشمولية إذا استطعنا الاعتراف والإيمان بثلاث حقائق:

- أ- تجاوز الخلافات الخاصة، والتخلي عن المطالب الذاتية.
- ب- عقد وفاق ولائي على مستوى المشاعر، والثقافة العمومية للإسلاميين، بإقرار حق الاجتهاد الشرعي بحدوده وشرائطه.
- ج- القدرة على الإيمان بالترقي، والتجديد في الصياغة، والتطبيق الرشيد، والتخلص من الرؤية السرمدية لمشاريعنا الخاصة^(١).

٤- الحرص على ائتلاف المسلمين ووحدة الصف: ولذلك سموا بالجماعة لكرههم للتفرق وللتحزب الذي يشنت الأمة ويبعثر جهودها؛ ولذلك يرى العلماء أنه لا مانع من ترك بعض المستحبات إذا كان في تركها وحدة القلوب. و«قد استحب الإمام (أحمد) - أيضاً - لمن صلى يقوم لا يقتنون بالوتر، وأرادوا من الإمام ألا يثبت لتأليفهم. فقد استحب ترك الأفضل لتأليفهم؛ لأن تأليف القلوب وجمع صفوف المسلمين على كلمة واحدة، ومنع تشتت جهودهم أولوية ملحة في الشرع، إذ بدونها يتضرر مجتمع المسلمين؛ لأن الإسلام بشموله يجب أن يستظل به هؤلاء جميعاً، وتسود بينهم روح التسامح والمودة والمناصحة لا

(١) انظر: سلمان العودة - ورقة في هموم العمل الدعوي، ص: ١٨.

المناطق، حتى يكونوا عنواناً لسماحة الإسلام، ويعملوا على تأليف القلوب بمنهج الترغيب وروح الألفة والتآلف»^(١).

٥- الاقتداء بسلف الأمة: الذين مثلوا رحابة الإسلام وسماحته التي وسعت جميع طوائف الأمة في نموذج فريد، يقول الإمام (محمد عبده): «أخذ بيد القارئ الآن، وأرجع به إلى ما مضى من الزمان، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية، والأئمة من بني العباس ووزرائهم - والفقهاء والمتكلمون والمحدثون من حولهم، والأدباء والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطيفون بهم، وكل مقبل على عمله، فإذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووضع يده في يده، يصفح الفقيه المتكلم، والمحدث الطبيب، والمجتهد الرياضي والحكيم، وكل يرى في صاحبه عوناً على ما يشتغل هو به - وهكذا أدخل بيتاً من بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت، يتحدثون ويتباحثون، والإمام البخاري حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ عنه الحديث، وعمر بن عبيد رئيس المعتزلة بين يدي الحسن البصري شيخ السنة من التابعين يتلقى عنه، وقد سئل الحسن البصري عنه فقال للسائل: لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الأنبياء ربه، إن قام بأمر قعد به، وإن قعد بأمر قام به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، ما رأيت ظاهراً أشبهه بباطن منه، ولا باطناً أشبهه بظاهر منه»^(٢).

هذا هو منهج السلف - كما تقدّم - الذي تنوعت فيه الآراء، وتعددت فيه الأفكار واختلفت فيه بعض المسائل، وهذا المنهج هو غاية ما ننشده: تيار فكري

(١) ابن تيمية - مجموع الفتاوى، ص: ٢٢ / ٣٤٥، ود. محمد السيد الجليلند - عقيدة بلا مذاهب، ص: ٧٠.

(٢) الإمام محمد عبده - الإسلام دين العلم والمدنية، تحقيق: عاطف العراقي (د)، دار قباء، ط خاصة لمكتبة الأسرة ١٩٩٨ م، ص: ١٨٩.

يقتدي بسلف الأمة، يجمع بين مكونات الأمة على اختلافها، في تعاون وتكامل، ويجدد مسيرة الإسلام الحضارية، لننعم، وتنعم الإنسانية كلها ببركات الإسلام الذي أنزله الله - تعالى - رحمة للعالمين.

ثالثاً: سلفية ذات خطاب إنساني عالمي:

المعادلة الصعبة للمسلمين اليوم تكاد تكمن في عدم قدرتهم على الارتفاع بخطابهم ودعوتهم إلى مستوى إسلامهم وعصرهم وعالميتهم، وبدل أن يكونوا قادرين على قراءة الأزمات التي تمر بعالمهم والعالم قراءة إسلامية صحيحة، من خلال إعلام راشد، وتوظيف الأحداث لمصلحة الإسلام، ومصلحة الإنسان، نرى الأحداث هي التي توظفهم، فيخوض أعداؤهم المعركة بإعلامهم، وتصنفى الحسابات بدمائهم، ويقاثلون نيابة عن الآخرين، ويعجزون عن الوقوف على ثوابت صلبة، وتأصيل الرؤية الإسلامية البديلة..^(١).

وهذا العجز يرجع إلى المسلمين أنفسهم؛ باقتصارهم على الجانب الديني من الإسلام: عقيدة وعبادة، ثم يهملون في خطابهم، عن جهل أو تقصير، الجانب الحضاري، مع أنه الجانب المهم الذي يُقَدَّم به الإسلام إلى أهل الأرض..^(٢).

إن الخطاب الإسلامي غاب عنه أن الإسلام رسالة الله الأخيرة إلى العالمين، دونها تركز أو انحصار في بقعة جغرافية أو تجمع حضاري بعينه حتى لو كان مكة المكرمة مهبط الوحي، ونسي أن العالم العربي وإن ظل رائداً في حمل رسالة الإسلام فإنه لا يحتكرها، وبالتالي غاب الخطاب الإسلامي عما يخص المشاركة في قضايا ومشكلات إنسانية وعالمية..^(٣).

(١) انظر: عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة..، ص: ٤٧.

(٢) انظر: عبد المجيد صبح - الخلافة، ص: ٤٧.

(٣) انظر: حسام تمام - المسلمون في الغرب ومهمة تجديد الإسلام، حوار مع (مراد هوفمان)، إسلام أون لاين في ١٤ / ١ / ٢٠٠٤ م.

أ- أسباب الحاجة إلى الخطاب الإنساني العالمي:

إن الحاجة اليوم إلى خطاب إنساني عالمي، أصبحت من الأولويات الملحة، وذلك للأسباب التالية:

١- عالمية الإسلام: إن عالمية الرسالة الإسلامية تقرر منذ بدأ الوحي وفي الأيام التي كانت الدعوة فيها تعاني الأمرين، كان القرآن يقرر أنه رسالة للعالم كله في الوقت الذي كان أهل مكة يستكثرون أن يكون محمد ﷺ رسولاً لهم وحدهم^(١)!!

والإسلام كرسالة عالمية هو الدين الوحيد الذي عاش في دياره كل أصحاب الملل إلهية ووثنية، مع صيانة معابدهم وأموالهم، وأن تكون لهم محاكم خاصة بهم كنيسة وغير كنيسة من رؤساء أديانهم. وكانوا جميعاً يسمون أهل الذمة إشارة إلى أنهم في ذمة الإسلام وجماعته. كما فتح لهم الإسلام جميع وجوه التعايش المادي والفكري..^(٢).

وشهادة القوم أنفسهم هي التي تؤكد أن غير المسلمين كانوا أسعد حظاً من المسلمين أنفسهم في ظل الحضارة الإسلامية. يقول المؤرخ الغربي (آدم ميتز): «من الأمور التي تعجب لها كثرة عدد العمال (الولاية وكبار الموظفين) والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد المسلمين والشكوى من تحكيم أهل الذمة في أبحاث المسلمين شكوى قديمة..»^(٣)، حتى قال الشاعر^(*):

(١) انظر: محمد الغزالي - الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ص: ١٦٨.

(٢) انظر: د. شوقي ضيف - عالمية الإسلام، ط خاصة عن دار المعارف لمكتبة الأسرة ١٩٩٩م، ص: ٣.

(٣) آدم ميتز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م، ج١، ص: ١٠٥.

(*) هو الشاعر المصري: الحسن بن خاقان.

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية المجد وقد ملكوا
 المجد فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
 يا أهل مصر إني نصحت لكم تهودوا، قد تهود الفلك!

٢- إنسانية الإسلام: الإسلام هو دين الإنسانية الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..﴾ [الإسراء: ٧٠]، ويقرر التساوي والأخوة بين جميع الأجناس، ويبين أنهم كانوا أجناساً للتمييز لا للتفضيل وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ..﴾ [الحجرات: ١٣]، ويدعو تلك الأجناس كلها إلى التعاطف والترحم بها يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]^(١).

ويقرر التضامن الإنساني العام بأن الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع، والإساءة إلى واحد إساءة إلى الجميع، كما جاء في قوله تعالى: ﴿.. مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا..﴾ [المائدة: ٣٢]، ويعترف بالأديان الأخرى، ويحترمها ويسلم أمر التصرف لأهلها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا..﴾ [المائدة: ٤٨]، ويأمر بالعدل العام مع العدو والصديق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿.. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ..﴾ [المائدة: ٨]، ويأمر بالإحسان وحسن التخاطب العام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿.. وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا..﴾ [البقرة: ٨٣]^(٢).

(١) انظر: محمد الميلي - ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٧م، ص: ١٧٠.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ص: ١٧١.

٣- فشل النظام العالمي: إن الرأسمالية المتوحشة قد وضعت كل الإنسانية في مأساة عبثية لا نظير لها في التاريخ. فقد تركزت الثروات ومن ثم الاستهلاك المترف في يد القلة..، ونفس المشهد البائس والمتوحش نجده في نسبة ما ينفق من الاقتصاد العالمي على الدمار والترف إلى نسبة ما ينفق على ضرورات الناس وحاجاتهم، فأول تجارة في عالم الرأسمالية المتوحشة، هي تجارة السلاح تليها تجارة المخدرات.. تليها تجارة الدعارة..، وما ينفق على الخمر والقطن والكلاب هو أضعاف ما ينفق على الصحة والتعليم والغذاء..^(١)!

لقد وصف أحد المفكرين الحضارة الغربية بأنها حوّلت كل شيء إلى وسيلة، وهو لا يدّعي أن هناك مؤامرة ضد الشرق، وإنما يدّعي أن هناك آلة غربية تقتل الجميع بما في ذلك الغربيين أنفسهم. وفي كتاب (تغريب العالم) يقول (سيرج لاتوش): «إن الحضارة الغربية لم تعد بقعة جغرافية أو لحظة تاريخية وإنما أصبحت آلة تفتك بالجميع بما في ذلك القائمين عليها». وقد وصف (هابرماس) - أحد مفكري مدرسة فرانكفورت - نمط الحياة في الغرب أنه شكل من أشكال استعمار الحياة^(٢).

٤- حاجة البشرية لنظام إنساني عادل: إن البشرية بسبب توحش الحضارة الغربية على شفا حفرة من الهاوية وإن إنقاذها إنما هو في نظم الحضارة الإسلامية ففيها الدواء، وفي رحبها الإنقاذ، إن أثمن ما تملكه الحضارات هو الإنسان، فأَي الحضارتين حفظ على الإنسان إنسانيته، ووضع في مكانه ومكانته من الحياة والكون؟^(٣)!

(١) انظر: (تقرير التنمية البشرية لسنة ١٩٩٨ م - البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة) - صحيفة الأهرام، مقالات: صلاح الدين حافظ - هل أصبح الفقر قدراً علينا محتوماً؟ في ١٦ / ٩ / ١٩٩٨ م. ومحمود عبد الفضيل - أزمة النظام المالي العالمي، في ١٥ / ٦ / ١٩٩٨ م.. وانظر: د. محمد عمارة - المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية، في التنوير الإسلامي ٦١، نهضة مصر، ط١، نوفمبر ٢٠٠٣ م، ص: ٦ - ٩.

(٢) انظر: د. عبد الوهاب المسيري - العلمانية والحداثة والعولمة، ص: ١٩٩.

(٣) انظر: عبد المجيد صبح - هل العالم في حاجة إلى الإسلام؟، ص: ١١١.

إن منظومة الغرب تدور حول المنفعة واللذة والقوة، ونزعت عن الإنسان إنسانيته، وحولته إلى إنسان استهلاكي لا يشبع أبداً، فهو في حالة جوع دائم ونهم شديد، مما يجعل السلعة بالنسبة إليه هي مركز الكون وليس الإنسان^(١)!

لم يكن النظام العالمي الذي يترشح الآن رحيماً بالأرض ولا بالخلق، ولذلك فإن تصدعه المحتوم فرصة للإنسانية لبناء نظام أكثر عدلاً.. إن العالم في حاجة إلى منظومة قيمية جديدة، تكون ذات أساس إنساني عالمي، تنتصر للخير أينما وجد، وترد للإنسان كرامته، وللطبيعة اعتبارها..

إن تاريخ الحضارة الإسلامية يؤكد بالدليل العلمي القاطع، أن ما قرره الإسلام وانفرد به من نظام إنساني عالمي، هو خير ما تصان به المجتمعات البشرية من النصب والمعاناة، وخير ما يحفظ لها إنسانيتها، ويرد إليها كرامتها، ويحقق لها سعادتها في جميع أجناسها وأوطانها، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها.. وهذا ما أشار إليه الفيلسوف الإنجليزي (برناردشو) في قوله: «إنه لا يشفي أوروبا من عللها غير الأخذ بالإسلام»^(٢).

ب- سمات الخطاب الإنساني العالمي:

ولكي يكون الخطاب الإنساني الإسلامي على مستوى الإسلام، والعصر، والعالمية، ينبغي أن تتحقق السمات التالية:

١- مراعاة فقه الواقع العالمي: إن عالمية الرسالة تقتضي عالمية الخطاب، وعالمية الخطاب لا تبلغ مداها المطلوب ما لم تكن عندنا القدرة أولاً على فهم العالم بعقائده، وثقافته، وتاريخه، وحاضره، ومشكلاته، وتطلعاته، وفهم الكيفيات والآليات التي يتم من خلالها تشكيل الرأي العام، وشروط تغييره،

(١) انظر: د. عبد الوهاب المسيري - العلمانية والحداثة والعولمة، ص: ١٩٤، ٢١٩.

(٢) انظر: محمد فريد وجدي - الأخلاق، مجلة الأزهر شعبان ١٤٤١هـ - مارس/ إبريل ٢٠٢٠م، ص: ١٢٧٨.

والتأثير عليه، كأمر لا بد منها لتحديد المداخل الحقيقية للخطاب، كما لا بد لنا من التمكن من لغات الخطاب العالمية لنكون في مستوى التكليف في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ [إبراهيم: ٤].

فاللغة هي المفتاح الأول، ووسيلة الفهم بأحوال المخاطب.. ومن ثم القدرة على تطوير وسائل الدعوة والإعلام، والتخطيط لها، وتقويمها، واختيار جدواها بين حين وآخر.. كما لا بد من اختيار الوسائل المؤثرة، وتقديم النماذج التي تثير الاقتداء، واستشعار المسؤولية العالمية في الشهادة على العالم والقيادة له.. وإن ذلك كله مقتضياته، وأدواته أيضاً^(١).

وهذا ما أكده أحد مفكري الإسلام في الغرب بقوله: «وإذا تحدثنا عن الخطاب الإسلامي في الغرب فإنك لكي تتعامل مع الغرب لا بد أن تعرف الشرق والغرب معاً.. ولا يكفي أن تعرف ما يتعلق بخلفياتك الحضارية فقط، فحين تدعو إلى الإسلام في الغرب لا بد أن تكون على معرفة بالغرب والغربيين وبالديانة المسيحية وهذا يساعدك على فهم هذا الغرب والتفاعل معه، وهذا ما أحرص عليه شخصياً في كتاباتي؛ فأنا أتعاش مع الجميع وأعيش الشرق والغرب معاً، وأستطيع أن أشرحهم لبعضهم؛ لأن نقطة الضعف الأساسية في الخطاب الإسلامي تجاه الغرب؛ أن يكون بلغة مستوردة، فلا بد أن تكون من منطلق محلي، بلغة الناس وتقرأ ثقافتهم، وتعرف عاداتهم حتى تستطيع أن تتحقق الدعوة بشكل فعال»^(٢).

٢- اختيار منظومة قيمية جديدة: إن الخطاب الإسلامي في حاجة إلى منظومة قيمية جديدة ذات أساس إنساني عالمي، منظومة لا تقوم على أساس ثورة التطلعات المتزايدة وتصادم معدلات الاستهلاك، وإنما التوازن مع الذات

(١) انظر: عمر عبيد حسنة - مراجعات في الفكر والدعوة، ص: ٤٨.

(٢) مراد هوفمان - المسلمون في الغرب ومهمة تجديد الإسلام، حوار حسام تمام، مرجع سابق.

ومع الطبيعة وتحقيق العدالة الاجتماعية، منظومة يطورها عقل مسلم متوازن مع ذاته ومع الطبيعة، ولذلك فهو لا يميل للغزو والسلب، منظومة توازن بين الإنتاجية وقيم العدل، وتوائم بين الحقوق الفردية وحقوق المجتمع، منظومة تجعل الإنسان وتحقيق إمكاناته هي المركز، تركز على الإنسان من حيث هو إنسان، وليس من حيث إنه كائن اقتصادي أو جسماني أو طبيعي.

إن المطلوب هو منظومة جديدة، تبنى العلم والتقنية ولا تضرب بالقيم أو بالغائية الإنسانية عرض الحائط، منظومة تحيي العقل ولا تميت القلب، تنمي وجودنا المادي ولا تنكر الأبعاد الروحية لهذا الوجود، تعيش الحاضر دون أن تنكر التراث، منظومة تحترم التعاقد ولا تنسى التراحم.

ومن خلال الخطاب الإسلامي القائل يمكن تجنيد الجماهير الإسلامية وغير الإسلامية لإعادة بناء الأمة، بمشروع إصلاحي جديد لا يعادي القيمة المطلقة، ويحتفظ بمركزية الإنسان في الكون، وهي مركزية يستحيل الاحتفاظ بها في إطار مادي، فهي مركزية مستمدة من كرامة الإنسان، وكرامته مستمدة من الله ﷻ الذي خلقه فسواه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فأعزه وأكرمه وجعله خليفة في الأرض؛ ليعمرها بالخير، وينشر فيها النور والهداية بين الناس^(١).

٣- التفاعل الحضاري: لقد كان للإسلام أثره وتفاعله الحضاري من بدايته الأولى في نقل العرب من جزيرتهم التي يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح، ومن الحياة القبلية المحدودة التي ضاقوا بها إلى الإنسانية الواسعة.. إن المسلمين منذ أن جاء الإسلام لا يعيشون لأنفسهم، ولا يكافحون لمصالحهم، إنهم سيعيشون للإنسان أينما كان، ويكافحون للإيمان إلى أقصى المكان وإلى آخر الزمان، لقد

(١) انظر: د. عبد الوهاب المسيري - العلمانية والحداثة والعولمة، ص: ٢٢٠، ٢٢١.

ربطت ناصية الإنسانية وسعادتها بناصريتهم، وكتبت لهم الشهادة العادلة الفاضلة على العالم كله^(١).

لقد قدّم المسلمون للعالم في المجال الفردي والاجتماعي والسياسي مبادئ ونماذج شذّعت الناظرين، وسحرت المراقبين. لقد صبّهم الإسلام في قوالبه، ثم قذف بهم في المشارق والمغارب، فأعادوا تشكيل العالم أجمع على نحو جديد.. وأسلس الجماهير قيادها للدين الوافد؛ لأنها رأت فيه نجاتها وكرامتها..^(٢).

وبهذا حمل المسلم لواء العالمية الإسلامية المتعينة بقيم العدل والمساواة والتسامح والتسابق في الخيرات.. وتمكّن من تطوير ثقافة منفتحة معززة لكرامة الإنسان بغض النظر عن أصوله العرقية أو القومية، أو انتمائه العقدي أو الديني؛ واستطاعت بالتالي تحقيق نهضة حضارية عالمية ساهم فيها العربي، والفارسي، والهندي، والبربري، والكردي، والتركي، كما ساهم فيها المسلم، والنصراني، واليهودي.

ونريد اليوم أن تأخذ الأمة الإسلامية مكانها ومكانتها بين الأمم الناهضة والحضارات الفاعلة.. فتصافح الدنيا في متدّى الحضارات الإنسانية دون عزلة عن الآخر.. ودون ذوبان في الآخرين، وتسهم مع الأمم الأخرى - على اختلاف دينها ومذاهبها - في كل ما يرقى مادياً ومعنوياً بالجنس البشري، وذلك من منطلق الفطرة الإسلامية والقيم التي توارثوها عن خاتم الأنبياء، محمد ﷺ.

وبذلك المنظور الشامل للخطاب الإنساني الإسلامي، الذي يجعل الإنسان مركز الرحمة والهداية إلى طريق الخير، لا مركز قهر الآخرين تحت أي دعوى، تعود للخطاب الإسلامي رسالته التي كانت عبر تاريخ الحضارة الإسلامية

(١) انظر: أبو الحسن الندوي - دراسات قرآنية، ص: ١٤٣.

(٢) انظر: محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص: ٦٥.

الطويل، المتمثل بإعادة توليد مجتمع المدينة ذي النزعة الإنسانية، والتوجه العالمي؛ مجتمعاً ينضوي على التزام ديني عميق بمبادئ الإسلام السامية، ورغبة صادقة في توظيف هذه المبادئ في تطوير الحياة الإنسانية الحضارية بكل أشكالها، ورفض التقوقع العقدي على الذات والاستكبار القومي على الآخر، وسعي إلى ترسيخ الحق ونبد الباطل وتكريس ما ينفع الناس^(١). ﴿..كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ..﴾ [الرعد: ١٧].

* * *

(١) انظر: لؤي صافي - جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، ص: ١٢٦، ١٧٢.

الخاتمة

أحسب أن هذه الدراسة قد ناقشت واقع السلفية المعاصرة، في ضوء ما وضعه مشايخ السلفية المعاصرة في مصر والكويت من أصول وخصائص للمنهج السلفي، وتناولت التجديد لفكر السلفية المعاصرة على أصول الشرع الثابتة، والمنهج السلفي من جهة، وعلى مستجدات العصر ومعطياته من جهة ثانية..

بيد أن هذه الدراسة أو غيرها من الدراسات، التي تهدف إلى تجديد فكر الجماعات السلفية المعاصرة وغيرها من الجماعات..، قد لا تؤدي أكلها - كما ينبغي - إلا في ظل الأجواء المفتوحة التي تتلاقح فيها الآراء، وتنضج من خلالها الأفكار، ويتميز فيها صحيح الفكر من زيفه..!

لقد رأينا أغلب التيارات السلفية - بعد تحولات الربيع العربي - أعادت تعريف مواقفها الفكرية، ورؤاها السياسية بما يتواءم مع الواقع ومتغيراته، فالتيارات السلفية إذا كانت تهتم بالجانب العقدي، وتؤسس خطابها على النص، إلا أنها في النهاية حركات اجتماعية تتأثر بصورة كبيرة بالظروف والإكراهات الواقعية المحيطة بها..

لقد هيمنت المشاركة في العمل السياسي - مع تحولات الربيع العربي - على المناخ السلفي - بعد أن كان العمل السياسي من المحرمات عند معظم الفصائل السلفية-، ومن ثم أقيمت المؤتمرات^(١) من أجل تأصيل المواقف السياسية بالأحكام الشرعية، مع الالتزام بالخط السلفي، وتصحيح العقائد والأحكام الدينية.

(١) انظر: تقرير مجلة البيان عن المؤتمر الذي عقد في إسطنبول في ١٣ - ١٤ أكتوبر ٢٠١٢م، وانظر: د. محمد أبو رمان - الصراع على السلفية، ص: ٢٢٢. وانظر: ما ظهر عليه التيار السلفي في مصر عام ٢٠١٢م بصورة أهله للمرتبة الثانية في مجلسي الشعب والشوري، ثم إلى ما آل إليه أمره بعد ذلك..

إن الأجواء الحرة المفتوحة هي الأماكن الوحيدة، التي يتجدد فيها الفكر، وتتطور فيها الآراء، وتثمر فيها الدراسات، وتموت فيها اتجاهات الغلو والتشدد والتطرف، ويتوارى أهلها على بطاء أو على عجل..!

وبعد أن تجلت لنا معالم (السلفية المعاصرة بين الأصالة والتجديد.. مصر والكويت نموذجا) - من خلال هذه الدراسة - نصل إلى أهم النتائج التي هدتنا إليها هذه الدراسة، وهي:

- السلفية هي حركة إحياء إسلامي منهجي إصلاحي شامل، تظهر في الحياة الفكرية الإسلامية عند فُشو البدع والخرافات والبعد عن جوهر الدين الصحيح، لتعيد الأمر في ذلك إلى الأصل الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان. فالسبق الزماني المحدد بالقرون الثلاثة الأولى لا يكفي وحده لتحديد المراد بلفظ (السلف) والمقصود منه، وإنما لابد أن يضاف إلى ذلك ضرورة الموافقة التامة للكتاب والسنة نصاً وروحاً، فمن خالف الكتاب والسنة فلا يعتبر من السلف المقصودين بهذا اللفظ وإن كان يعيش بين أظهر الصحابة والتابعين.

- الانتماء إلى السلف يكون على اعتبار رحابة المنهج، والسلف اجتمعوا على كليات الدين وثوابت الشريعة، وقواطع الملة، كذلك اختلفوا في مسائل الفروع وظنيات الثبوت، وما سككت عنه الشريعة عفواً ليملاً هذا الفراغ التشريعي باجتهاد المجتهدين.

- أصول المنهج السلفي وخصائصه عند السلفية المعاصرة في حاجة إلى معالجة قادرة على إعادة بناء تيار يرتبط بأصالة المنهج السلفي الأول، ويواجه أزمات العصر وتحدياته، وينفتح على فهم متجدد للنصوص ومقاصدها، يسمح بتنزيلها على الواقع بما يسهم في عمارة الأرض وتحقيق الشهود الحضاري للأمة.

- حاجة السلفية المعاصرة إلى النظر في ترتيب سلم الأولويات في القضايا والمشكلات، التي تطرحها في هذا العصر؛ حتى تبلور لها رؤية واضحة

إزاء القضايا الأساسية الملحة التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، في ظل ظروف الأيديولوجيات العالمية، حتى لا تتمزق الأمة المسلمة، وتذوب في الأيديولوجيات العالمية..

- ضرورة التجديد لفكر الجماعات السلفية المعاصرة في ضوء هذه الأسس: مراعاة فقه النص وسياقاته، مراعاة فقه الواقع وأبعاده، والاهتمام بالكلّيات وفقه المقاصد..

- الارتقاء بالخطاب الإسلامي ليبقى صالحاً لمخاطبة الإنسان من حيث هو إنسان، وتحقيق رسالة الرحمة للعالمين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وفقت في إبراز معالم هذه الدراسة (السلفية بين الأصالة والتجديد.. مصر والكويت نموذجان)، وأؤكد أن مجيء في هذه الدراسة من نقد لجماعات السلفية المعاصرة، لا يقدر في صدق النوايا، ولا في حجم الجهد والعطاء، بل هو على طريق محاولة تقويم العمل الإسلامي، والارتقاء به؛ ليرتفع إلى مستوى الإسلام فهماً وخلقاً ورقياً وحضارة، ولتنعم الإنسانية كلها ببركات الإسلام الذي أنزله الله - تعالى - رحمة للعالمين.

فكم تهدي عين الناقد المحب، وكم تزل عين الصديق المغضي!

أسأل الله أن ينفع بما جاء في هذه الدراسة من صواب، وأن يتجاوز عما فيها من خطأ..

والحمد لله أولاً وآخراً؛ والصلاة والسلام على إمام الهدى ونبي الرحمة وعلى آله وصحبه، وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين.

فهرس المصادر والمراجع^(١)

- ١- آدم ميتز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج١، ترجمة محمد أبو ريذة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.
- ٢- إبراهيم البيومي غانم (د) - إشكالية إدراك المصالح الكبرى للأمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- ٣- إبراهيم عبد السلام إبراهيم - من المخاطر التي تهدد الدين: الغلو والجمود والتقليد، ج١، ضمن بحوث مؤتمر (مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر) للعام الثاني والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة في الفترة ٨-١١ ربيع الأول ١٤٣١هـ - ٢٢-٢٥ فبراير ٢٠١٠م.
- ٤- إبراهيم العسّس - السلف والسلفيون رؤية من الداخل، دار البيارق، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٥- إبراهيم الهجري - التعليم في الوطن العربي أمام التحديات التكنولوجية، بحث مقدم لكلية العلوم، جامعة صنعاء، على شبكة النت د.ت.
- ٦- ابن الأثير - الكامل، ج٢، ط القاهرة ١٣٤٩هـ.
- ٧- ابن باديس - تفسير ابن باديس، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين (د) ومحمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٨- ابن تيمية - اقتضاء الصراط المستقيم، دار الحديث بالأزهر د.ت.
- ٩-، الإيمان الأوسط، دراسة وتحقيق: علي بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، ط ١٤٢٣هـ.

(١) لم أذكر القرآن الكريم في فهرس المصادر والمراجع، مع أنه المرجع الأول في هذه الدراسة؛ لأن القرآن أسمى من أن يوضع مع مؤلفات البشر..

- ١٠-، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، مراجعة وتحقيق: على سامي النشار، وأحمد زكي عطية، مكتبة الرياض الحديثة، د. ت.
- ١١-، العبودية في الإسلام، المطبعة السلفية، ط ٣، ١٣٩٨ هـ.
- ١٢-، بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، حققه: أحمد معاذ حقي، مكتبة الملك فهد الوطنية ج ٣، ١٤٢٦ هـ.
- ١٣-، جامع الرسائل، المجموعة الثانية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٤-، جامع المسائل، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، المجموعة الخامسة، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- ١٥-، رسالة الألفة بين المسلمين، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٦-، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ١٧-، معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول، ط المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، د. ت.
- ١٨-، مجموع الفتاوى، العبيكان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٩. ابن الجوزي - تلبس إبليس، رسالة دكتوراه لـ (أحمد بن غصمان المزيدي)، دار الوطن للنشر، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٠-، صفة الصفوة، دار ابن خلدون، تحقيق: طارق عبد محمد عبد المنعم، د. ت.
- ٢١-، مناقب عمر بن الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: زينب القاروط، ط ٣.

- ٢٢- ابن حزم - الإحكام في أصول الأحكام، ٤ / ٦٥٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، د.ت.
- ٢٣-، الأخلاق والسير (مداواة النفوس)، تحقيق: إيفا رياض، دار ابن حزم، د.ت.
- ٢٤-، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي القاهرة، د.ت.
- ٢٥-، صيد الخاطر، دار الحديث، القاهرة، ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٢٦- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٢، د. ت.
- ٢٧- ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، د. ت.
- ٢٨- ابن رجب - جامع العلوم والحكم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٢٩-، بيان فضل علم السلف على علم الخلف، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط ٢٠٠٣ م.
- ٣٠- ابن رشد - بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٨٦ م.
- ٣١-، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دار المعارف، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، ط ٣، ١٩٩٩ م.
- ٣٢- ابن عاشور - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، ط ٢، ١٩٨٥ م.

- ٣٣-، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط وزارة الأوقاف.. قطر
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٤-، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- ٣٥- ابن عثيمين - شرح رياض الصالحين، جمدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ
- ٢٠٠٥م.
- ٣٦-، لقاء الباب المفتوح، ٦ / ٦٦، ص: ١٥٠٩. د. ط، ت.
- ٣٧-، مجموع الفتاوى، دار الوطن للنشر، مجلد ١، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٣٨- ابن عطاء الله السكندري - الحكم العطائية، شرح ابن عماد النفري
الرندي، دراسة: محمد عبد المقصود هليل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط ١،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٩- ابن القيم - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: بشير محمد
عيون، مكتبة المؤيد، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، بيروت.
- ٤٠-، زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية، ج ٢، د:
ت.
- ٤١-، مدارج السالكين، دار الحديث، تحقيق: عماد عامر، ط ١،
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٤٢-، الروح، تحقيق محمد أنيس عيادة ومحمد فهمي السرجاني،
مكتبة نصير، د. ت.
- ٤٣-، إعلام الموقعين، مطبعة السعادة بمصر، ط ١، ١٣٧٤هـ/
١٩٥٥م.
- ٤٤- ابن كثير - البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت، ط ٨، ١٤١٠هـ -
١٩٩٠م.

- ٤٥ -، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية (الجلبي)، د. ت.
- ٤٦ - ابن الوزير - العواصم والقواصم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ج١، ط٢، ١٩٩٢ م.
- ٤٧ - أبو أسامة سليم بن عيد اللالي - لماذا اخترت المنهج السلفي؟، دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٤٨ - أبو إسحاق الحويني - حوار مع مجلة الفرقان الكويتية في جزئين، بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ.
- ٤٩ - أبو إسحاق الشاطبي - الاعتصام ج١، المكتبة التجارية الكبرى، د. ت.
- ٥٠ -، الموافقات في أصول الأحكام، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٣١ هـ.
- ٥١ - أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣ هـ) - الفقيه والمتفقه، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢١ هـ.
- ٥٢ - أبو بكر الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) - أحكام القرآن، ج٣، المطبعة البهية بمصر ١٣٤٧ هـ.
- ٥٣ - أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.
- ٥٤ -، معيار العلم في فن المنطق، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف مصر، ١٩٦١ م.
- ٥٥ - أبو الحسن الندوي - دراسات قرآنية، دار ابن كثير، ط٢، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

- ٥٦-، رجال الفكر والدعوة. شيخ الإسلام (أحمد بن تيمية) ج ٢، دار القلم دمشق، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٥٧-، روائع إقبال - الدار الشامية بيروت - ط ١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٥٨-، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٦، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٥٩- أبو عبد الله بن الأزرق (ت: ٨٩٦هـ) - بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: على سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر، ج ٢، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٦٠- أبو نعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٠هـ) - حلية الأولياء...، ج ٥، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٦١- أبو اليزيد العجمي (د) - الحضارة الإسلامية وجه جديد - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٦٢-، فقه العقيدة عند الشافعي وأحمد - دار الصحوة للنشر، ط ١، ١٩٨٧.
- ٦٣-، فكر التطرف بين انحراف الفهم والاعتراف بالخطأ وتصحيحه، المركز العالمي للوسطية، سلسلة الأمة الوسط ٢٣، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٦٤-، دراسات في الفكر الإسلامي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٦٥- أبو يوسف (ت: ١٨٢هـ) - الخراج، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٣هـ.

- ٦٦- أحمد أمين - زعماء الإصلاح...، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- ٦٧- أحمد باقر - دراسة حول المادة الثانية من دستور دولة الكويت، وهل يؤدي تعديلها إلى فوضى تشريعية؟، مطبعة الفيصل، الكويت ١٩٩٤م.
- ٦٨- أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين المتوفى سنة ٣٩٥هـ - معجم مقاييس اللغة - دارالفكر ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٦٩- أحمد بوعود (د) - الاجتهاد بين حقائق التاريخ ومتطلبات الواقع، ط ١، دارالسلام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ٧٠- أحمد ذيب (د) - التفكير الفقهي المعاصر بين الوحي وإكراهات التاريخ، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط ١، ٢٠١٧م.
- ٧١- أحمد الريسوني (د) - أبحاث في الميدان، دار الكلمة للنشر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٧٢-، الاجتهاد (النص، الواقع، المصلحة)، حوارات، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٧٣-، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية - إصدارات اللجنة العلمية للتوحيد والإصلاح، الرباط، ٢٠٠٧م.
- ٧٤-، الشورى في معركة البناء، دار الرازي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٧٥- أحمد زغلول شلاطة - الدعوة السلفية السكندرية.. مسارات التنظيم ومآلات السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠١٦م.
- ٧٦- أحمد زويل (د) - عصر العلم، دار الشروق، ط ٣، يناير ٢٠٠٦م.

- ٧٧-، مستقبل العلم في العالم العربي، محاضرة أقيمت في الأمم المتحدة (الاسكوا) بيروت، ١٦ يوليو ٢٠٠٢م.
- ٧٨- أحمد سالم - اختلاف الإسلاميين - مركز تفكير للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ٧٩- وعمر و بسيوني - مابعد السلفية.. قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر، مركز نماء، ط١، بيروت، ٢٠١٥م.
- ٨٠- أحمد شاكر - الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر، دار الكتب السلفية، ط٣، ١٤٠٧هـ -
- ٨١- أحمد شوقي، الشوقيات ج١، مكتبة التربية بيروت، ط ١٩٨٧ م.
- ٨٢- أحمد عبد الرحمن النقيب (د) - لماذا الدعوة السلفية ؟، دار طابة للدراسات والنشر، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ٨٣- أحمد فريد - السلفية قواعد وأصول، جمع وترتيب - دار العقيدة، ط٢، ٢٠١١م.
- ٨٤- أحمد كمال أبو المجد (د) - الحوار القومي الديني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٩م.
- ٨٥- أحمد محمود كريمة (د) - السلفية بين الأصيل والدخيل، دار الكتاب الصوفي، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٨٦- أسعد السحمراني - مالك بن نبي مفكرًا إصلاحيًا، دار النفائس بيروت ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.
- ٨٧- إلياس بلكا - الغيب والعقل - المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٨٨- أمارتيا صن - الهوية والعنف.. وهم المصير الحتمي، عالم المعرفة عدد (٣٥٢)، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- ٨٩- أمين الخولي - المجددون في الإسلام، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م.
- ٩٠- أنور أحمد رسلان - الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر الاشتراكي، دار النهضة العربية، ط ١٩٧١م.
- ٩١- بسام ناصر- الخطاب السياسي الإسلامي السني بين رؤيتين، جريدة الغد الأردنية في ٢٥ / ٤ / ٢٠٠٨م.
- ٩٢- بشير شمام (د) - الفكر السلفي ما له وما عليه مكتبة تونس، ط ١، ٢٠١٥م.
- ٩٣- بشير موسي نافع (د) - الظاهرة السلفية - مجموعة من الباحثين - مركز الجزيرة للدراسات ط ١٤٣٥هـ، ١٤-٢٠١٤م.
- ٩٤- جاسر عودة (د) - التفكير المقاصدي.. مراجعات لترتيب العقل المسلم، دار المشرق، ط ١، القاهرة ٢٠١٧م.
- ٩٥-، الدولة المدنية نحو تجاوز الاستبداد وتحقيق مقاصد الشريعة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠١٥م.
- ٩٦- جاسم سلطان (د) - أزمة التنظيمات الإسلامية.. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، ٢٠١٥م.
- ٩٧-، أنا والقرآن محاولة فهم (سورة البقرة)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، ٢٠١٥م.
- ٩٨-، أنا والقرآن (سورة آل عمران)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠١٥م.
- ٩٩-، التراث وإشكالياته الكبرى.. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠١٥م.

- ١٠٠-.....، النسق القرآني ومشروع الإنسان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٨م.
- ١٠١- الجرجاني - التعريفات، دار الريان للتراث، تحقيق: إبراهيم الإبياري، د.ت.
- ١٠٢- جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٠٣-.....، جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، تحقيق: عبد القيوم البستوي، دار الاعتصام، د.ت.
- ١٠٤- جمال الدين عطية - قراءة معاصرة لفروض الكفاية - افتتاحية العدد (٤٩)، مجلة المسلم المعاصر، أعداد محرم، وصفر، وربيع الأول ١٤٠٨هـ - سبتمبر ١٩٨٧م.
- ١٠٥- جمال المراكبي - الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة، إدارة الدعوة والإعلام بجماعة أنصار السنة، ط ١٤١٤هـ.
- ١٠٦- جودت سعيد - اقرأ وربك الأكرم، دار الفكر المعاصر بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٠٧-.....، حتى يغيروا ما بأنفسهم، دار الفكر المعاصر ط٧، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٠٨-.....، رياح التغيير، دار الفكر المعاصر بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠٩-.....، مذهب ابن آدم الأول، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- ١١٠- الجويني - الغياثي، تحقيق ودراسة/ مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم أحمد، دار العقيدة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- ١١١- حاتم بن عارف الشريف- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية دون تعريف.
- ١١٢- حاكم المطيري (د) - الحرية أو الطوفان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
- ١١٣- الحركات الإسلامية في الوطن العربي - مجموعة من الباحثين، إشراف: عبد الغني عماد، المجلد الأول والثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت ٢٠١٣ م.
- ١١٤- حسام تمام - أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ - ١٩٨٤، دار الشروق، ط٢، ٢٠١٢ م.
- ١١٥- حسان تحتوت (د) - رسالة إلى العقل المسلم، مؤسسة فهد المرزوق الصحفية للطباعة والنشر، ط ١٩٩٨ م.
- ١١٦- حسن الترابي (د) - قضايا التجديد نحو منهج أصولي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.
- ١١٧- حسن حميد عبيد الغرباوي، تجديد الفهم للنص الإسلامي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٤، العدد الثاني ٢٠٠٨ م.
- ١١٨- حسن حنفي (د) - التراث والتجديد... المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.
- ١١٩- حسن الشافعي (د) - قول في التجديد، دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٩١٦ م.

- ١٢٠ -، المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة الثقافة العربية ط ٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٢١ - الخطيئة. ت (٥٩هـ - ٦٧٨م) - ديوان الخطيئة، تحقيق وشرح: عيسى سابا، مكتبة صادر بيروت، د.ت.
- ١٢٢ - خالد أبو الفضل - السرقة الكبرى، ترجمة على أحمد عبدالله، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٨م.
- ١٢٣ - خالد سلطان - مقابلة معه، منشورة في مجلة (الشراع) في ٢٥ / ٢ / ١٩٨٥م، بيروت.
- ١٢٤ - خالص جليبي (د) - الطب محراب للإيمان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٢٥ -، في النقد الذاتي.. ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.
- ١٢٦ - خليفة الوقيان (د) - الثقافة في الكويت: بواكير - اتجاهات - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠١٠م.
- ١٢٧ - خليل على حيدر - الحركات الإسلامية في الكويت، ضمن بحوث (الحركات الإسلامية في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠١٣م.
- ١٢٨ - داريوش شايعان - أوهام الهوية، ترجمة: محمد على مقلد، دار الساقبي، ط ١، ١٩٩٣م.
- ١٢٩ - دبي الحربي - مَنْ ينتخب مَنْ؟، ولماذا؟ وسائل التأثير على الناخب الكويتي، دار القبس للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت ١٩٩٦م ديسمبر ١٩٨٨م - يناير ١٩٨٩م - فبراير ١٩٨٩م.

- ١٣٠- الذهبي - سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م.
- ١٣١- راجح عبد الحميد الكردي - الاتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة - دار عمار، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.
- ١٣٢- راشد بن سعيد شهوان - الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة الرياض، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٣- راشد الغنوشي - الديمقراطية نحو تأصيل لمفاهيم معاصرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع تونس، ط ١، ٢٠١٥ م.
- ١٣٤-، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت ١٩٩٣ م.
- ١٣٥- رائد نصري أبو مؤنس - إشكالية النص والاجتهاد بالرأي في العصر الحديث، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، عدد: ٩٦، السنة الرابعة والعشرون، ربيع ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩ م.
- ١٣٦- ربيع المدخلي- المحجة البيضاء في الذب عن السنة الغراء، الموقع الرسمي للشيخ، د. ط، ت.
- ١٣٧- رشيد رضا - مجلة المنار، مطبعة المنار، مجلد (٢٢)، ج ٣، ٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٩هـ.
- ١٣٨-، مجلة المنار، مطبعة المنار، مجلد (٢٩)، ج ٦، ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ.
- ١٣٩-، تاريخ الأستاذ الإمام، ج ١، ط القاهرة ١٩٣١ م.
- ١٤٠-، الخلافة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط ٢٠١٢ م.

- ١٤١ -، تفسير (المنار)، دار الفكر، د.ت.
- ١٤٢ - رضوان السيد(د) - ثقافة العالم الإسلامي والبحث عن هوية، ضمن بحوث كتاب العربي ٤٥، رؤى إسلامية معاصرة، ط ١، مجلة العربي في ١٥ / ٧ / ٢٠٠١ م.
- ١٤٣ - رفيق العظم - أشهر مشاهير الإسلام في الحروب السياسية، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٧٣ م.
- ١٤٤ - رؤى إسلامية، كتاب مجلة العربي ٤٥، ط ١، ١٥ / ٧ / ٢٠٠١ م.
- ١٤٥ - روجيه جارودي - في حوار مع مدارك بعنوان (الإسلام حي فلا تحنطوه)، إسلام أون لاين، في يوم الأربعاء ٨ يوليو ٢٠٠٩ م.
- ١٤٦ - روم لاند - الإسلام والعرب، دار الملايين بيروت، ط ٢، ١٩٧٧ م.
- ١٤٧ - زغلول النجار(د) - نظرات في أزمة التعليم المعاصر، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ١٤٨ - زكي الميلاد - منابع روح المعاصرة في القرآن الكريم، مجلة المنهاج، السنة الثالثة عشرة، العدد ٥٢، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ١٤٩ - سارتون - الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ترجمة عمر فروخ، بيروت، مكتبة المعارف، ط ١٩٥٢ م.
- ١٥٠ - سامي النشار(د) - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، ط ٦، ١٩٧٥ م.
- ١٥١ - ستيفن ر. كوفي - إدارة الأولويات..الأهم أولاً، ترجمة: السيد المتولي حسن، مكتبة جرير ط ٥، ٢٠٠٧ م.
- ١٥٢ - سعاد رحائم (د) - الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، كتاب الأمة ١٢١، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

- ١٥٣- سعاد عبد الله الناصر (د) - قضية المرأة رؤية تأصيلية، كتاب الأمة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٥٤- سعد الدين العثماني (د) - فقه مراتب الأعمال...، دار الكلمة...، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠١٦م.
- ١٥٥- سعيد عبد العظيم - الديمقراطية في الميزان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، د. ت.
- ١٥٦- سفر الحوالي (د) - المسلمون والحضارة الغربية - مواقع الإنترنت، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- ١٥٧- سلطان بال - السلفية الكويتية ونفوذها المتنامي في بلاد الشام، مركز كارنيغي للشرق الأوسط في ٧ مايو ٢٠١٤م.
- ١٥٨- سلمان العودة - ورقة في هموم العمل الدعوي، ضمن مقالات مجلة المنار، العدد ٢٢، ربيع ٢٠٠٣.
- ١٥٩-، الإغراق في الجزئيات، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٦٠- السيد أحمد الهاشمي - جواهر الأدب ج١، مؤسسة المعارف بيروت، د: ت.
- ١٦١- السيد سابق - العقائد الإسلامية، دار الكتب الحديثة، ط٣، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ١٦٢- السيد محمد الشاهد (د) - الموسوعة الإسلامية العامة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٦٣- سيد نوح (د) - آفات على الطريق، دار الوفاء للنشر...، ج٣، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- ١٦٤- السيد ولد أباه - الدين والهوية: إشكالات الصدام والحوار والسلطة، جداول للنشر والتوزيع، ط١، أكتوبر ٢٠١٠م.
- ١٦٥- شكيب أرسلان - لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟، دار مكتبة الحياة، ط٢، د.ت.
- ١٦٦- شهاب الدين بن أبي ربيع - سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: حامد ربيع، دار الشعب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٦٧. الشهرستاني - الملل والنحل، تقديم وإعداد: عبد اللطيف العبد، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٧م.
- ١٦٨- شوقي أبو خليل (د) - الحوار دائماً، دار الفكر دمشق، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ١٦٩-، من ضيع القرآن؟، دار الفكر دمشق، ط٣، ١٩٨٦م.
- ١٧٠- شوقي ضيف (د) - عالمية الإسلام، ط خاصة من دار المعارف لمكتبة الأسرة ١٩٩٩م.
- ١٧١- الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) - القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق، دار القلم، الكويت، ط٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٧٢-، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: محمد حسن محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
- ١٧٣- صالح بن فوزان - السلفية والجماعات الإسلامية، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط٢٠٠٨م.
- ١٧٤- صبحي الصالح (د) - الإسلام ومستقبل الحضارة، ط دار الشورى بيروت، ١٩٨٢م.

- ١٧٥ -، حاجتنا إلى تنمية التفكير الاجتهادي في الإسلام، مجلة الآداب، عدد إبريل - يونيو، السنة الرابعة والثلاثون، ١٩٨٦ م.
- ١٧٦ - طارق البشري - اجتهادات فقهية - دار البشير للثقافة والعلوم، ط ١، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.
- ١٧٧ -، الجماعة الوطنية العزلة والاندماج، كتاب الهلال، العدد ٦٥٢، صفر ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٧٨ -، الجماعة الوطنية في ضوء مقاصد الشريعة، دار المقاصد، ط ١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- ١٧٩ -، الملامح العامة للفكر السياسي في الإسلام - دار الشروق ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٨٠ -، تقديمه لكتاب هبة رؤوف عزت (المرأة والعمل السياسي..)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٨١ -، حوارات مع طارق البشري، دار البشير للثقافة والعلوم، ط ١، ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م.
- ١٨٢ -، منهج النظر في أسس البناء الديمقراطي والتعددية ومؤسسات المجتمع المدني، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٨٤)، في الخميس ١٠ يوليو ١٩٩٧ م.
- ١٨٣ - طنطاوي جوهري - الجواهر في تفسير القرآن، ج ١، البابي الحلبي، ط ٢ في شوال ١٣٥٠ هـ.
- ١٨٤ - طه جابر علواني (د) - الأزمة الفكرية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٤، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

- ١٨٥-، أدب الاختلاف في الإسلام، كتاب الأمة رقم (٩)، ط ١،
جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.
- ١٨٦-، أبعاد غائبة عن الحركات الإسلامية المعاصرة، دار السلام
للطباعة والنشر...، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٨٧- الطيب بوعزة - مشكلة الثقافة في الوطن العربي، منشورات الفرقان،
ط ١، الدار البيضاء ١٩٩٢م.
- ١٨٨- عادل السيد - الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ أنصار السنة
المحمدية، دار الإبانة للنشر والتوزيع ط ١، ٢٠٠٩م.
- ١٨٩- عامر الحافي (د) - قراءة توحيدية في حديث افتراق الأمة، مجلة
إسلامية المعرفة - الفكر الإسلامي المعاصر حاليًا -، السنة السادسة عشرة،
العدد ٦٣، شتاء ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ١٩٠- عباس محمود العقاد - التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر، ط ٩،
٢٠٠٨م.
- ١٩١- عبد الجليل عيسى - ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، كتاب (مجلة
الأزهر)، رمضان ١٤٣٤هـ.
- ١٩٢- عبد الجواد ياسين - السلطة في الإسلام.. العقل الفقهي السلفي بين
النص والتاريخ، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٩٣- عبد الحليم أبو شقة - تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلم، ط ٤،
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٩٤-، نقد العقل المسلم...، دار القلم الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ
- ٢٠٠١م.

١٩٥- عبد الحليم عويس (د) - الخلل في القيادات الفكرية وفقه السنن الاجتماعية... مجلة المسلم المعاصر، العدد: ٥٤، السنة الرابعة عشر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨، ١٩٨٩م.

١٩٦- عبد الحميد أبو سليمان (د) - أزمة العقل المسلم - المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩٧- عبد الحميد إسماعيل الأنصاري (د) - العالم الإسلامي المعاصر بين الشورى والديمقراطية... دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٩٨- عبد الحميد مذكور (د) - دراسات في الفكر الإسلامي، مكتبة الزهراء، ط ١٩٨٩م.

١٩٩- عبد الرحمن بودرع - منهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة عدد: ١١١، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٠٠- عبد الرحمن الجبرتي - عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مؤسسة هنداوي للتعليم...، ٢٠١٢م.

٢٠١- عبد الرحمن حبنكة الميداني - الوسطية في الإسلام، مؤسسة الريان لطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٠٢- عبد الرحمن عبد الخالق - مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية، مجلة الفرقان، الكويت، العدد (٣٦) إبريل ١٩٩٣م.

٢٠٣-، الأصول العلمية للدعوة السلفية، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٢٠٤-، الرد الوجيز على الشيخ ربيع المدخلي وكتابه: جماعة واحدة لا جماعات...، دار التجديد، ط ٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ٢٠٥-، الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، دار القلم، الكويت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٠٦-، الولاء والبراء، كتاب على الموقع الرسمي للشيخ، د. ط، ت.
- ٢٠٧-، فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله، جمعية إحياء التراث، د. ت.
- ٢٠٨-، الكلمة الختامية لمؤتمر (السلفيون وآفاق المستقبل) والذي بدأ أعماله في اسطنبول التركية في يوم الخميس ١٣ أكتوبر ٢٠١١م.
- ٢٠٩- عبد الرحمن العضاوي- أسئلة الإصلاح وأجوبة المقاصد في سلفية ابن عاشور- ضمن بحوث المؤتمر الدولي حول ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المغرب ٢٠٠٩م.
- ٢١٠- عبد الرزاق أحمد السنهوري (د) - فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ٢٠٠٠م.
- ٢١١- عبد الرزاق الشايجي (د) - أضواء على فكر دعاة السلفية الجديدة، دار التجديد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢١٢-، الخطوط العريضة لأصول أدياء السلفية، دار التجديد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦م.
- ٢١٣-، كسر الصنم المدخلي (خطاب مفتوح إلى ربيع المدخلي) الموقع الرسمي للشيخ، في الأحد ٢ نوفمبر ٢٠١٤م.
- ٢١٤- عبد السلام البسيوني - قراءة في السلفية المعاصرة، كتاب على الشبكة الإلكترونية، د. ط، ت.

- ٢١٥- عبد العال أحمد عطوة (د) - المدخل إلى السياسة الشرعية، هدية الأزهر شوال ١٤٣٤هـ.
- ٢١٦- عبد العزيز كامل (د) - دروس من سورة الكهف، المكتب المصري الحديث، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٢١٧- عبد الغني عماد (د) - الإسلاميون بين الثورة والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
- ٢١٨- عبد الفتاح الفاوي (د) - حديث القرآن عن الإنسان، ضمن بحوث (كتاب المؤتمر الدولي الرابع عشر للفلسفة الإسلامية) بعنوان (الإنسان في الفكر الإسلامي) ج١، كلية دار العلوم القاهرة، ربيع الآخر ١٤٣٠هـ - إبريل ٢٠٠٩م.
- ٢١٩- عبد الفتاح ماضي - أوراق العالم العربي في حالة انتقالية، مؤسسة قرطبة بجنيف، ٢٠١٣م.
- ٢٢٠- عبد الكريم بكار (د) - خطوة نحو التفكير القويم، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٢١-، المناعة الفكرية، مؤسسة الإسلام اليوم، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٢٢٢-، تجديد الوعي، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٢٣-، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٢٤-، نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- ٢٢٥- عبد الكريم زيدان (د) - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٢٦- عبد الله بن إبراهيم الطريقي - المدارس السلفية المعاصرة: قراءة في التنوع والعلاقة مع الآخر، موقع الألوكة في ١٧/٦/١٤٣٢هـ - ٢٠١١/٥/٢١م.
- ٢٢٧- عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين - شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، دار المسير، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- ٢٢٨- عبد الله السبت - مقابلة مع مجلة (الفرقان) الكويت، العدد التاسع والثلاثون، يوليو ١٩٩٣م.
- ٢٢٩- عبد الله السريحي - حديث افتراق الأمة..، مجلة الاجتهاد بيروت، العدد التاسع عشر، السنة الخامسة ربيع ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٢٣٠- عبد المجيد الزنداني وآخرون - توحيد الخالق، ج ٣، ط وزارة التربية والتعليم ب (الجمهورية اليمنية)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٣١- عبد المجيد صبح - الخلافة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٠م.
- ٢٣٢-، هل العالم في حاجة إلى الإسلام؟، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٢٣٣-، هل من السلفية ألا ندرس إلا القرآن؟، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٣٤- عبد المجيد النجار (د) - في فقه التدين فهماً وتنزيلاً، كتاب الأمة ٢٢، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ج ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- ٢٣٥-، الشهود الحضاري للأمة الإسلامية، ج٣، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م.
- ٢٣٦- عبد المنعم شحاته (د) - خلافات المسلمين رؤية نفسية، مجلة المسلم المعاصر، العدد: ٨٤، في ١٠ يوليو ١٩٩٧م.
- ٢٣٧- عبد المنعم محمد خلاف - المادية الإسلامية وأبعادها، دار المعارف، ط٢، د. ت.
- ٢٣٨- عبد المنعم منيب - دليل الحركات الإسلامية المصرية - مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠١٠م.
- ٢٣٩-، مراجعات الجهاديين، مكتبة مدبولي ط١، ٢٠١٠م.
- ٢٤٠- عبد الوهاب خلاف - علم أصول الفقه، ص: ٥٤ - ٥٩، دار القلم، ط٢٠، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٢٤١- عبد الوهاب المسيري (د) - العلمانية والحدائث والعولمة، تحرير: سوزان حربي، دار الفكر، ط٤، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٢٤٢- العجلوني (ت ١١٦٢هـ) - كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار التراث بالقاهرة، د. ت.
- ٢٤٣- عدنان سعد الدين - من أصول العمل السياسي للحركة الإسلامية المعاصرة، ضمن كتاب (الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية.. أوراق في النقد الذاتي)، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٤٤- عزمي بشارة - في الإجابة عن سؤال: ما السلفية؟، المركز العربي للأبحاث ط٢٠١٨، ١٠م.

٢٤٥- عصام البشير (د)- التجديد مفهومه وضوابطه وآفاقه، ضمن بحوث مؤتمر (التجديد في الفكر الإسلامي)، المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المنعقد في القاهرة في ٨-١١ ربيع الأول ١٤٢٢هـ- ٢١ مايو إلى ٢ يونيو ٢٠٠١م.

٢٤٦- علاء بكر- الدولة بين الإسلام والمدنية الحديثة، مجلة (صوت السلف) عدد شوال ١٤١٣هـ. ٢٤٧. علال الفاسي - مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط ٥، ١٩٩٣م.

٢٤٨-.....، منهج الاستقلالية - الرباط، ط الرسالة، د.ت.

٢٤٩. علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت (١٠١٤هـ) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٢٥٠- علي حسب الله - أصول التشريع الإسلامي، دار المعارف مصر، ط ٥، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٢٥١- علي شريعتي (د) - محمد خاتم النبيين من الهجرة حتى الوفاة، دار الأمير، ط ٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢٥٢- علي الطنطاوي - محمد بن عبد الوهاب، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

٢٥٣- عماد الدين خليل (د) - مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، دار ابن كثير ط ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٢٥٤-.....، في المشروع الحضاري الإسلامي، مفكرون الدولية، ط ١، ١٤٤٩هـ- ٢٠١٩م.

- ٢٥٥- عماد غزير- العرب (ملحق خاص)، السلفيون، عدد: ٧٥٨٨، الأحد ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٠هـ- ٢٢ مارس ٢٠٠٩م.
- ٢٥٦- عمار أحمد فايد - السلفيون في مصر من شرعية الفتوى إلى شرعية الانتخابات، ضمن كتاب (الظاهرة السلفية.. التعددية التنظيمية والسياسات)، مركز الجزيرة للدراسات، ط١، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- ٢٥٧- عمر عبيد حسنة - تقديم كتاب الأمة رقم ١٠ (التراث والمعاصرة) ط٢، ربيع الآخر ١٤٠٦هـ.
- ٢٥٨-، مراجعات في الفكر...، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- ٢٥٩-، في تقديمه لكتاب الأمة ١٤٤ (فقه السياسة الشرعية، الجويني أنموذجاً) لعمر أنور الزبداني، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، ط١، رجب ١٤٣٢هـ- يوليو ٢٠١١م.
- ٢٦٠-، في تقديمه لكتاب الأمة (وثيقة المدينة)، العدد: ١١٠، وزارة الأوقاف قطر- ١٤٢٦- ٢٠٠٥م.
- ٢٦١-، في تقديمه لكتاب الأمة ١٠٨ (ضوابط في فهم النص) وزارة الأوقاف قطر، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٢٦٢-، في تقديمه لكتاب الأمة ١٢٩ (فقه التوسط)، وزارة الأوقاف قطر، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ٢٦٣-، في تقديمه لكتاب الأمة ١١٧ (النص الشرعي وتأويله) لصالح سبوعى، وزارة الأوقاف قطر، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

- ٢٦٤-، في تقديمه لكتاب الأمة ٤٩ (الإسلام وهموم الناس)، أحمد عبادي، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٦٥-، في تقديمه لكتاب الأمة ١٠٥ (إحياء الفروض الكفائية) لعبد الباقي عبد الكبير، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢٦٦-، في تقديمه لكتاب الأمة ٧٥ (فقه الواقع ..) لأحمد بوعود، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٦٧-، في تقديمه كتاب الأمة ٦٢ (الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي) لعبد المجيد السوسوة الشرفي، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٢٦٨-، في تقديمه لكتاب الأمة ١٤٦ (فقه التنزيل عند ابن تيمية) لجميلة تلوت، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ٢٠١١م.
- ٢٦٩-، في تقديمه لكتاب الأمة ١١٣ (البعد المصدري لفقه النصوص)، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٢٧٠-، في تقديمه لكتاب الأمة ١٣١ (إدارة الأزمة ..)، وزارة الأوقاف قطر، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٧١- عمر مونة (د)، معن سعود أبوبكر - حفظ مقاصد الشرع الكلية بإحياء فروض الكفاية، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية (سلسلة العلوم الإنسانية)، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ٢٠١٦م.
- ٢٧٢- عمرو شريف (د) - الوجود رسالة توحيد، نيوبك للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ٢٧٣- عيسى فرج - (المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث)، مكتبة غراس، الكويت ٢٠٠٧م.

- ٢٧٤- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٧٥- فريد الأنصاري: مفهوم الولاء والبراء في الإسلام، ضمن بحوث الندوة العلمية (حكم الشرع في دعاوى الإرهاب)، المنعقدة بالدار البيضاء، في ٢ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - ١٩ مايو ٢٠٠٧م.
- ٢٧٦- فلاح عبد الله المديرس (د) - الجماعة السلفية في الكويت...، دار قرطاس للنشر، ط ١، ١٩٩٩م.
- ٢٧٧- فهمي جدعان (د) - تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١ بيروت، ٢٠١٤م.
- ٢٧٨-، الماضي في الحاضر دراسات في تشكلات ومسالك التجربة الفكرية العربية، دار الفارس للنشر، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٢٧٩- فهمي هويدي - أزمة الوعي الديني، دار الحكمة، صنعاء اليمن، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٨٠-، التدين المنقوص - دار الشروق، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٨١-، القرآن والسلطان، دار الشروق، ط ٤، ١٩٩٩م.
- ٢٨٢- القرافي - الفروق، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ط ١٤١٨هـ.
- ٢٨٣- القرطبي، أبو عبدالله محمد - الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٩٨٨م.
- ٢٨٤- قطب سانو (د) - لا اجتهاد مع النص قاعدة مجهولة، حوار: إسلام عبد العزيز فرحات، إسلام أون لاين، في يوم الأربعاء الموافق ١٨ فبراير ٢٠٠٩م.

- ٢٨٥- الكتاني - في مقدمة (المتناثر من الحديث المتواتر)، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.
- ٢٨٦- اللالكائي - شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار البصيرة، الإسكندرية، المجلد الأول، د.ت.
- ٢٨٧- لؤي الصافي (د) - جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٨٨- لوثر وب ستودارد - حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب أرسلان، دار الفكر العربي بيروت، ط٤، ١٩٧٣م.
- ٢٨٩- مالك بن نبي - شروط النهضة، دار الفكر دمشق، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٩٠-، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر دمشق، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٩١-، وجهة العالم الإسلامي - دار الفكر دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ - ١٩٨٦م.
- ٢٩٢- ماهر أحمد السوسي، محمد كمال السوسي - التعصب المذموم وأثره على العمل الإسلامي، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الذي تعقده كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بغزة يوم ٤، ٥ / ٣ / ٢٠١٣، بعنوان (العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه)، منشور على الموقع الرسمي لـ ماهر السوسي في ١٣ مارس ٢٠١٣م.
- ٢٩٣- المتنبي ت (٩٦٥م) - ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، د.ت.
- ٢٩٤- مجموعة التوحيد، دار البيان دمشق، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- ٢٩٥- محمد أبو رمان (د) - السلفيون والربيع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣م.
- ٢٩٦-، الصراع على السلفية..، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٦م.
- ٢٩٧-، قراءة في أوراق الإصلاح العربي مواجهة مع ميراث الاستبداد والطغيان، مجلة (العصر) في ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٥م.
- ٢٩٨- محمد أبو زهرة - تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- ٢٩٩- محمد أحمد الراشد - صناعة الحياة، دار المنطلق للنشر والتوزيع - دبي، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٠٠-، نحو المعالي، دار البشير للثقافة والعلوم طنطا، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٣٠١- محمد أسد - الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين بيروت، ط٩، ١٩٧٧م.
- ٣٠٢- محمد إقبال - تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٣٠٣- محمد بلتاجي (د) - مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٣٠٤-، حاجة العلوم الإسلامية إلى التجديد - مجلة: الحضارة فكر وإبداع، العدد (١) شتاء ١٩٩٩م.
- ٣٠٥-، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، مكتبة الشباب ط٢، ١٩٩٨م.

- ٣٠٦- محمد بدري عيد - التيار السلفي في الكويت الواقع والمستقبل ضمن بحوث (الظاهرة السلفية.. التعددية التنظيمية والسياسات)، مركز الجزيرة للدراسات، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ٣٠٧- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - مختار الصحاح - مكتبة لبنان، ط١٩٨٩م.
- ٣٠٨- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ - القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٠٩- محمد البهي (د) - الفكر الإسلامي في تطوره، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- ٣١٠- محمد حامد عبد الوهاب - السلفيون في مصر، مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع، ط٢٠١١م.
- ٣١١- محمد حميد الله (د) - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط٤ ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
- ٣١٢- محمد الخضري بك - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى، د. ت.
- ٣١٣- محمد الدراجي - تفسير السنن الكونية في تفسير (ابن باديس)، الموقع الرسمي لـ (ابن باديس) في يوم الأحد ١٦ يوليو ٢٠١٧م.
- ٣١٤- محمد سعيد رمضان البوطي (د) - السلفية مرحلة زمنية مباركة، دار الفكر دمشق، ط١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٣١٥- محمد سعيد القحطاني - الولاء والبراء في الإسلام، دار طيبة، مكة المكرمة، الرياض، ط٦، ١٤١٣هـ.
- ٣١٦- محمد سليم العوا (د) - النظام السياسي للدولة الإسلامية، دار الشروق، ط١٠، ٢٠١٢م.

- ٣١٧-، دور القيم الإسلامية السياسية، مجلة الأزهر عدد شوال ١٤٣٣هـ - سبتمبر ٢٠١٢م.
- ٣١٨-، المدارس الفكرية الإسلامية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٦م.
- ٣١٩- محمد السيد الجليند (د) - الغيب والشهادة...، الدار المصرية السعودية...، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٣٢٠-، في فقه السياسة الشرعية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- ٣٢١-، قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢٠٠١م.
- ٣٢٢-، الوحي والإنسان، دار قباء، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٣٢٣-، منهج القرآن في تأسيس اليقين، دار قباء للنشر والتوزيع، ط ١٩٩٩م.
- ٣٢٤-، قضية التأويل عند ابن تيمية - المكتبة الأزهرية للتراث، ط٥، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م.
- ٣٢٥-، منهج السلف بين العقل والتقليد - دار قباء، ط ١٩٩٩م.
- ٣٢٦-، عقيدة بلا مذاهب...، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م.
- ٣٢٧- محمد الشحات الجندي - المواطنة والتعايش المشترك، مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ - فبراير ٢٠١٨م.

- ٣٢٨- محمد شديد - منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٣٢٩- محمد عابد الجابري (د) - الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٥، ١٩٩٤ م.
- ٣٣٠- محمد عبد السلام - تصديره لكتاب (الإسلام والعلم) لبروز أهير على بيود- مكتبة الأسرة ٢٠١٥ م.
- ٣٣١- محمد عبد العزيز داود- الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة، الزهراء للإعلام العربي، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٣٣٢- محمد عبد الفضيل القوصي (د) - شخصية الأزهر والأداء المتجدد، مجلة الأزهر، عدد جهادى الآخرة ١٤٤٠ هـ - فبراير ٢٠١٩ م.
- ٣٣٣-، السلفية.. الحقيقة والواقع، مجلة الأزهر، عدد رمضان ١٤٤٠ هـ - مايو ٢٠١٩ م.
- ٣٣٤- محمد عبد الله دراز (د)- مدخل إلى القرآن الكريم- دار القلم الكويت، ط ٥، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٣٣٥- محمد العبد (د) - السلفية منهج وليست مذهباً - (المنار الجديد) العدد ٢٢، ربيع ١٤٢٤ هـ - إبريل ٢٠٠٣ م.
- ٣٣٦-، دروب النهضة - مركز الرسالة للدراسات، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٣٣٧- محمد عبده - الإسلام دين العلم والمدنية، تحقيق: عاطف العراقي (د)، دار قباء، ط خاصة لمكتبة الأسرة ١٩٩٨ م.
- ٣٣٨- محمد عمارة (د) - أزمة الفكر الإسلامى الحديث - دار الفكر - ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- ٣٣٩- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دار الشروق ط ١،
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٣٤٠-، المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية، في التنوير الإسلامي
٦١، نهضة مصر، ط ١، نوفمبر ٢٠٠٣م.
- ٣٤١-، النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية، دار
الفكر، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٣٤٢-، جهود فارس العطاء في رئاسة مجلة الأزهر، أحمد صابر،
مجلة الأزهر شعبان ١٤٤١هـ - مارس / إبريل ٢٠٢٠م.
- ٣٤٣-، في التحرير الإسلامي للمرأة، نهضة مصر (سلسلة في
التنوير الإسلامي ٦٤)، ط ١، نوفمبر ٢٠٠٣م.
- ٣٤٤-، السلفية - دار السلام، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٣٤٥-، في فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق الدولية، ط ١،
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٤٦. محمد الغزالي - هموم داعية - دار الحرمين ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٤٧-، الإسلام والطاقات المعطلة، نهضة مصر، طبعة جديدة
محققة، ١٩٩٨م.
- ٣٤٨-، السنة النبوية بين أهل الفقه.. وأهل الحديث، دار الشروق،
ط ٨، مايو ١٩٩٠م.
- ٣٤٩-، الطريق من هنا، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع،
ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٥٠-، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، مؤسسة الشرق للنشر
والت ترجمة الأردن، ط ١، ١٨٨٥م.

- ٣٥١-، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، ط١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٣٥٢-، مائة سؤال عن الإسلام - دار ثابت، ط٤، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ٣٥٣-، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين - دار الوفاء، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٣٥٤-، سر تأخر العرب والمسلمين، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٣٥٥-، ضوء على تفكيرنا الديني في مطالع القرن الخامس عشر الهجري، دار الاعتصام، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٣٥٦-، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٣٥٧-، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- ٣٥٨- محمد فتحي عثمان(د) - السلفية في المجتمعات المعاصرة، دار القلم للنشر والتوزيع، ط١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ٣٥٩- محمد فريد وجدي - الأخلاق، مجلة الأزهر شعبان ١٤٤١هـ - مارس/ إبريل ٢٠٢٠م.
- ٣٦٠- محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٣٦١- محمد المبارك - الإسلام والتيارات الفكرية العالمية، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- ٣٦٢- محمد المختار الشنقيطي - الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط ١ الدوحة ٢٠١٨م.
- ٣٦٣-، فتاوى سياسية، مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٣٦٤-، مخاض الفكر السلفي، ضمن بحوث مجلة (المنار الجديد) العدد: ٢٢، ربيع ١٤٢٤هـ - إبريل ٢٠٠٣م.
- ٣٦٥- محمد مصطفى شلبي - تحليل الأحكام، مطبعة الأزهر، ط ١٩٤٧م.
- ٣٦٦- محمد مهدي شمس الدين - نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي، أبحاث ووقائع مؤتمر العام الثاني عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٨-١١ ربيع الأول ١٤٢١هـ - ١١-١٤ يونيو ٢٠٠٠م.
- ٣٦٧- محمد الملي - ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٧م.
- ٣٦٨- محمد ناصر الألباني - جلاباب المرأة المسلمة، دار السلام للنشر..، ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣٦٩-، التصفية والتربية، المكتبة الإسلامية الأردن، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ٣٧٠-، فتاوى جدة - موقع: منديات كل السلفيين، سلسلة (قال الألباني).
- ٣٧١-، صفة صلاة النبي ﷺ، كأنك تراها، مكتبة المعارف للنشر..، الرياض، ط ١٤١٠هـ.
- ٣٧٢- محمد هيثم الخياط (د) - المرأة وقضايا العصر، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- ٣٧٣- محمد الوكيل - فقه الأولويات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٧٤- محمد يسري إبراهيم (د) - فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر، دار اليسر، ط٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٣٧٥- محمود حمدي زقزوق (د) - الإسلام والعلم، افتتاحية مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ - فبراير ٢٠١٩م.
- ٣٧٦-، التدين المنقوص، افتتاحية مجلة الأزهر، عدد: رمضان ١٤٤٠هـ - مايو ٢٠١٩م.
- ٣٧٧-، التضامن بين الشعوب، مجلة الأزهر ربيع الآخر ١٤٤١هـ - ديسمبر ٢٠١٩م.
- ٣٧٨-، تجديد الفكر الديني - وزارة الأوقاف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٣٧٩-، الفكر الديني وقضايا العصر - مكتبة الأسرة ٢٠١٢م.
- ٣٨٠-، الحضارة فريضة إسلامية، هدية هيئة كبار العلماء مع مجلة الأزهر - رجب ١٤٣٨هـ.
- ٣٨١-، الأمة الإسلامية في مفترق الطرق، مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ - فبراير ٢٠١٨م.
- ٣٨٢- محمود شلتوت - تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى)، دار الشروق، ط١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٨٣- محمود فرج الدمرداش - وعلم آدم الأسماء كلها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ٣٨٤- محمود قاسم (د) - الإسلام بين أمسه وغده، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م.
- ٣٨٥- محمود محمد شاكر - رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، دار الهلال ١٩٩١م.
- ٣٨٦- مصطفى حلمي (د) - الرد على منتقدي السلفية - الأمل للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٠م.
- ٣٨٧-.....، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٨٨-.....، الصحو الإسلامية عودة إلى الذات، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٣٨٩-.....، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٩٠-.....، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٩١- مصطفى الزرقا (د) - العقل والفقه في فهم الحديث النبوي، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣٩٢-.....، شرح القواعد الفقهية، دار القلم بيروت، ط ٢، ١٩٨٩م.
- ٣٩٣-.....، فتاوى مصطفى الزرقا، دار القلم، بيروت، ط ٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٩٤- مصطفى السباعي (د) - المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٣٩٥-.....، هكذا علمتني الحياة، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ٣٩٦- مصطفى السيوطي الرحباني، حسن الشطي - مطلب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي، ج١، ط١، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- ٣٩٧- معتر الخطيب (د) - الوسطية الإسلامية وفقه الدولة - مجلة (تين) للدراسات الفكرية والثقافية، العدد: ٣، المجلد الأول، شتاء ٢٠١٣م.
- ٣٩٨-، العنف المستباح الشريعة في مواجهة الأمة والدولة، دار المشرق القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
- ٣٩٩- مفرح القوسي (د) - المنهج السلفي (تاريخه، مجالاته، قواعده، خصائصه)، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٠٠-، الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، مجلة الدراسات العربية، العدد: ١٧، مجلد ٣، ١٧ يناير ٢٠٠٨م.
- ٤٠١- مقبل الوادعي - تحفة المجيب، دار الآثار بصنعاء، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٠٢- ممدوح الشيخ - السلفيون من الظل إلى قلب المشهد، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، ط١٠، ٢٠١١م.
- ٤٠٣- الموسوعة الإسلامية العامة - وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٤٠٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، ط٤، المجلد الأول، ١٤٢٠هـ.
- ٤٠٥- ناجح إبراهيم وعلى محمد الشريف - حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، مكتبة التراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٠٦- ناصر العمر - جدلية الديمقراطية والمشاركة السياسية، مؤسسة ديوان المسلم، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

- ٤٠٧- نبيل السمالوطي - المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دار الشروق
جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٠٨- النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق/ عصام الصبّاطي،
وحازم محمد، وعماد عامر، دار الحديث القاهرة، ط٣، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٤٠٩- النووي - المجموع، مكتبة الإرشاد، ج١، جدة، ط١، د.ت.
- ٤١٠- هاشم عبد الرزاق الطائي - التيار الإسلامي في الخليج العربي،
مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- ٤١١- هاني نسيرة (د)- القاعدة والسلفية الجهادية، مركز الدراسات
السياسية (الأهرام) السنة الثامنة عشرة، العدد ١٨٨، يونيو ٢٠٠٨م.
- ٤١٢-، الخارطة السلفية في مصر، ضمن بحوث: الحركات
الإسلامية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ج١، ط١ بيروت،
٢٠١٣م.
- ٤١٣-، السلفية في مصر.. تحولات مابعد الثورة، كراسات
إستراتيجية، مركز الدراسات السياسية (الأهرام) العدد ٢٢٠ السنة الحادية
والعشرون ٢٠١١م.
- ٤١٤- هبة رؤوف عزت (د) - المرأة والعمل السياسي ..، المعهد العالمي
للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٤١٥- ياسر برهامي - السلفية ومناهج التغيير، بحث نشر بمجلة صوت
الدعوة، منشور على موقع طريق الإسلام، د. ط، ت.
- ٤١٦-، أوثق عرى الإيمان.. الولاء والبراء، دار الخلفاء الراشدين،
ط ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

فهرس المحتويات

٧	شكر وتقدير
٩	المقدمة
١١	مقدمة
١٧	المقدمة
١٨	أ- أسباب اختيار موضوع الدراسة
١٩	ب- أهمية الدراسة
٢٠	ج- إشكالية الدراسة
٢١	د- الدراسات السابقة
٢٣	هـ- صعوبات الدراسة
٢٤	و- منهج الدراسة
٢٥	ز- محتويات الدراسة
٢٩	مدخل مفاهيمي للتعريف بمفاهيم الدراسة
٣١	التعريف بمفاهيم الدراسة
٣٣	تمهيد
٣٤	أولاً: السلفية المعاصرة
٣٤	١ - السلفية
٤٠	ثانيًا: الأصاله
٤١	ثالثًا: التجديد

- رابعًا: المذهب والمنهج ٤٤
- أ- المذهب لغةً واصطلاحًا ٤٤
- ب- المنهج لغةً واصطلاحًا ٤٥
- الفصل الأول: أصول المنهج السلفي وخصائصه ٤٧
- المبحث الأول: السلفية بين المذهب والمنهج ٤٩
- أولاً: حقيقة مصطلح (السلف) عند السلفية المعاصرة ٤٩
- ثانيًا: السلفية بين المذهب والمنهج ٥٣
- أ- واقع السلفية المعاصرة بين المذهب والمنهج ٥٣
- ب- حقيقة المنهجية السلفية والانتماء إليها ٥٧
- ١- أهمية المنهجية السلفية ٥٧
- ٢- حقيقة الانتماء للمنهج السلفي ٥٩
- ٣- معيار الانتماء للمنهج السلفي ٦١
- ثالثًا: رد شبهة بدعية مصطلح السلفية ٦٤
- المبحث الثاني: أصول المنهج السلفي ٧٢
- تمهيد ٧٢
- أولاً: التوحيد ٧٤
- أ- أصل التوحيد عند الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) ٧٤
- ب- أصل التوحيد عند الشيخ (أحمد فريد) ٧٨
- ج- ملاحظات على ما قدمه عبد الرحمن عبد الخالق وأحمد فريد عن أصل

- (التوحيد) ٨٠
- ثانيًا: الاتّباع ٨٥
- أ- أصل (الاتّباع) عند الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) ٨٥
- ١- القول بجواز التقليد ٨٧
- ٢- الإفتاء بغير علم ٨٧
- ٣- تويعر دراسة القرآن والسنة ٨٨
- ٤ - إيقاف العمل بالشرعية في كثير من نواحي الحياة ٨٨
- ب- أصل (الاتّباع) عند الشيخ (أحمد فريد) ٩٠
- ج- ملاحظات على ما قدمه عبد الخالق وأحمد فريد في أصل (الاتّباع) ٩٣
- ثالثًا: التزكية ١٠٠
- أ- أصل التزكية عند الشيخ (عبد الرحمن عبد الخالق) ١٠٠
- ب- أصل التزكية عند الشيخ (أحمد فريد) ١٠٤
- ج- ملاحظات على ما ذهب إليه عبد الخالق وأحمد فريد
- في أصل التزكية ١٠٦
- المبحث الثالث: خصائص المنهج السلفي ١١٤
- أولاً: تحقيق التوحيد ١١٤
- ثانيًا: تحقيق الوحدة ١٢٣
- ثالثًا: تيسير فهم الإسلام ١٣٢

- الفصل الثاني: السلفية المعاصرة في مصر والكويت ١٤٧
- المبحث الأول: واقع السلفية المعاصرة في مصر ١٤٩
- تمهيد ١٤٩
- أولاً: العوامل الممهدة لنشأة السلفية المعاصرة في مصر
- الحركة الإصلاحية في مصر ١٤٩
- الصحوة الإسلامية في مصر ١٥١
- علماء الدعوة النجدية ١٥٣
- جماعة أنصار السنة ١٥٤
- ثانياً: أهم الجماعات السلفية المعاصرة في مصر ١٦١
- الدعوة السلفية ١٦١
- السلفية الحركية ١٦٨
- السلفية المدخلية ١٧٢
- السلفية المستقلة ١٨٠
- السلفية الجهادية ١٨٤
- المبحث الثاني: واقع السلفية المعاصرة في الكويت ١٨٩
- أولاً: العوامل الممهدة لنشأة السلفية المعاصرة في الكويت ١٨٩
- ١- قدوم بعض علماء السلف وعودة الطلاب السلفيين من السعودية ١٩٠
- ٢- المنافسة بين الجماعات الدينية في الكويت ١٩٠
- ٣- هزيمة يونيو ١٩٦٧م ١٩١

- ٤- التركيز في بداية النشأة على العقيدة الصافية والبعد عن السياسة..... ١٩٢
- ٥- تأثير التراث السلفي النجدي..... ١٩٢
- ٦- العمل البرلماني والنشاط الطلابي..... ١٩٣
- ٧- احتواء ضغوط الثورة الإيرانية..... ١٩٣
- ٨- الدور الإيجابي لقيادات التيار السلفي في مقاومة الغزو العراقي..... ١٩٤
- ٩- تأييد بعض الأسرة الحاكمة للتيار السلفي..... ١٩٤
- ثانيًا: أهم الجماعات السلفية في الكويت..... ١٩٥
- جمعية إحياء التراث السلفي..... ١٩٥
- التجمع السلفي..... ١٩٨
- الحركة السلفية..... ٢٠٢
- حزب الأمة..... ٢٠٥
- تجمع ثوابت الأمة..... ٢٠٨
- المدخلية الكويتية..... ٢١٠
- المبحث الثالث: أهم أوجه الاتفاق والاختلاف بين السلفية المعاصرة
في مصر والكويت..... ٢١٦
- أولاً: أوجه الاتفاق بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت..... ٢١٦
- الأول: ظروف النشأة والتكوين..... ٢١٦
- الثاني: العقيدة والهوية..... ٢٢٠
- الثالث: معالم مشتركة تميّز الهوية السلفية..... ٢٢١

٢٢٣	الرابع: الموقف من المشاركة السياسية.....
٢٢٥	ثانيًا: أوجه الاختلاف بين السلفية المعاصرة في مصر والكويت
٢٤٠	ثالثًا: نقد وتقويم.....
٢٤٠	الأولى: أصالة المنهجية السلفية.....
٢٤٤	الثانية: تراجع السلفية المعاصرة
٢٤٦	الثالثة: ملاحظات منهجية على أفكار وممارسات الجماعات السلفية
٢٥٧	الفصل الثالث: إشكاليات التجديد عند السلفية المعاصرة.....
٢٥٩	المبحث الأول: الجمود الفكري.....
٢٥٩	أولاً: الجمود على القديم.....
٢٥٩	أ- مخاطر الجمود على القديم.....
٢٦٠	ب- مظاهر الجمود في فكر السلفية المعاصرة.....
٢٧١	المبحث الثاني: التعصب الديني.....
٢٧١	أ- مخاطر التعصب الديني.....
٢٧٢	ب- التعصب الديني لدى السلفية المعاصرة.....
٢٧٣	ج- احتكار السلفية المعاصرة للفرقة الناجية.....
٢٧٧	د- قراءة تقويمية لحديث الفرقة الناجية.....
٢٧٩	هـ- دوافع اعتقاد السلفية المعاصرة أنها الفرقة الناجية.....
٢٨٢	و- تقويم ومدافعة الجمود والتعصب.....
٢٨٧	المبحث الثالث: الغلو والتشدد.....

- أ- موقف القرآن الكريم والسنة من الغلو والتشدد..... ٢٨٧
- ب- مظاهر الغلو والتشدد لدى السلفية المعاصرة..... ٢٨٨
- ج- أهم نتائج الغلو والتشدد لدى السلفية المعاصرة..... ٢٩٢
- ١- تشويه صورة الإسلام..... ٢٩٣
- ٢- الصد عن سبيل الله..... ٢٩٤
- ٣- تشويه منهج السلف..... ٢٩٤
- د- أهم أسباب الغلو والتشدد..... ٢٩٥
- ١- جهل الأكثرين بالنصوص الشرعية..... ٢٩٥
- ٢- الغلو في تطبيق سد الذريعة والأخذ بالأحوط..... ٢٩٧
- ٣- التأثير بالنزعة الوهابية..... ٢٩٨
- ٤- العوج الفكري والعلل النفسية..... ٢٩٩
- هـ- وسائل مدافعة الغلو والتشدد..... ٣٠١
- ١- سعة العلم وعمق الفقه..... ٣٠١
- ٢- الفهم الحقيقي لقاعدة سد الذرائع وتوقع الفتنة..... ٣٠٣
- ٣- الخروج من ضيق المذهبية إلى سعة الشريعة وسماحتها..... ٣٠٣
- ٤- التيسير أصل في التشريع دون الغلو والتشدد..... ٣٠٥
- المبحث الرابع: الخلل في ترتيب الأولويات..... ٣٠٦
- أولاً: الاهتمام بالمظاهر والشكليات..... ٣٠٦
- أ- الآثار السيئة للاهتمام بالمظاهر والشكليات..... ٣٠٧

- ثانيًا: الإغراق في الفروع والجزئيات..... ٣١٧
- أ- مظاهر الإغراق في الفروع والجزئيات..... ٣١٧
- ب- الآثار السلبية للإغراق في الفروع والجزئيات..... ٣١٨
- ج- أهم أسباب الإغراق في الفروع والجزئيات وتقويمها..... ٣٢١
- الفصل الرابع: ضرورة الاجتهاد والتجديد لفكر (السلفية المعاصرة)..... ٣٢٧
- تمهيد..... ٣٢٩
- أهمية الاجتهاد والتجديد، وموقف السلفية المعاصرة منها..... ٣٢٩
- أ- أهمية الاجتهاد والتجديد..... ٣٢٩
- ب- موقف السلفية المعاصرة من الاجتهاد والتجديد..... ٣٣١
- المبحث الأول: السلفية المعاصرة والأسس العامة للاجتهاد والتجديد... ٣٣٥
- الأساس الأول: مراعاة فقه النص وسياقاته..... ٣٣٥
- أ- أهمية فقه النص وسياقاته..... ٣٣٥
- ب- موقف السلفية المعاصرة من فقه النص وسياقاته..... ٣٣٧
- ج- مخاطر فهم النص في غير سياقه..... ٣٣٩
- الأساس الثاني: مراعاة فقه الواقع وأبعاده..... ٣٤٣
- أ- فقه الواقع وأهميته..... ٣٤٣
- ب- موقف السلفية المعاصرة من فقه الواقع..... ٣٤٦
- ج- الأسس العامة لفقه الواقع وأبعاده..... ٣٥٢
- الأساس الثالث: الاهتمام بالكليات وفقه المقاصد..... ٣٥٤

- أ- فقه المقاصد الشرعية وأهميته ٣٥٤
- ب- موقف السلفية المعاصرة من المقاصد الشرعية ٣٥٨
- الأساس الرابع: إحياء الفروض الكفائية ٣٦١
- أ- مفهوم الفروض الكفائية وحقيقتها ٣٦١
- ب - أهمية (الفروض الكفائية) ٣٦٣
- ج- موقف السلفية المعاصرة من الفروض الكفائية ٣٦٦
- المبحث الثاني: التجديد لموقف السلفية المعاصرة من بعض القضايا
- (دراسة تطبيقية) ٣٦٩
- أولاً: المرأة ٣٦٩
- أ- الإسلام وتكريم المرأة ٣٦٩
- ب- الموقف التقليدي للسلفية المعاصرة من المرأة ٣٧١
- ج- التجديد لموقف السلفية المعاصرة من قضية المرأة ٣٧٤
- أ- المساواة بين الرجل والمرأة في أصل الخَلْق والكرامة الإنسانية ٣٧٥
- ب- وحدة الخطاب القرآني والمسؤولية ٣٧٦
- ج- إصلاح المجتمع والنهوض به ٣٧٧
- ثانياً: الولاء والبراء ٣٧٩
- ١- الولاء والبراء في الكتاب والسنة ٣٨٠
- ٢- موقف السلفية المعاصرة من مفهوم الولاء والبراء ٣٨١
- ٣- تجديد الفهم لموقف السلفية المعاصرة من مفهوم الولاء والبراء ٣٨٥

- ثالثًا: الحضارة الغربية والإفادة منها ٣٩١
- أ- الانفتاح على الآخر سمة حضارتنا ٣٩١
- ب- موقف (السلفية المعاصرة) من الحضارة الغربية والإفادة منها ٣٩٤
- ج - تجديد الفهم لموقف السلفية من الحضارة الغربية والإفادة منها ٣٩٦
- المبحث الثالث: الخصائص المنشودة للسلفية المعاصرة
- في مستقبلها التجديدي الواعد ٤٠٠
- أولاً: سلفية تجمع بين الأصالة والتجديد ٤٠٠
- ثانيًا: سلفية تعبر عن تيار فكري يجمع كل مكونات الأمة ٤٠٥
- ثالثًا: سلفية ذات خطاب إنساني عالمي ٤١٠
- أ- أسباب الحاجة إلى الخطاب الإنساني العالمي ٤١١
- ب- سمات الخطاب الإنساني العالمي ٤١٤
- الخاتمة ٤١٩
- فهرس المصادر والمراجع ٤٢٣
- فهرس الموضوعات ٤٦٣